منادمة الأطلال
و
مسامرة الخيال

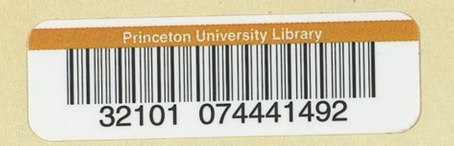
تأليف

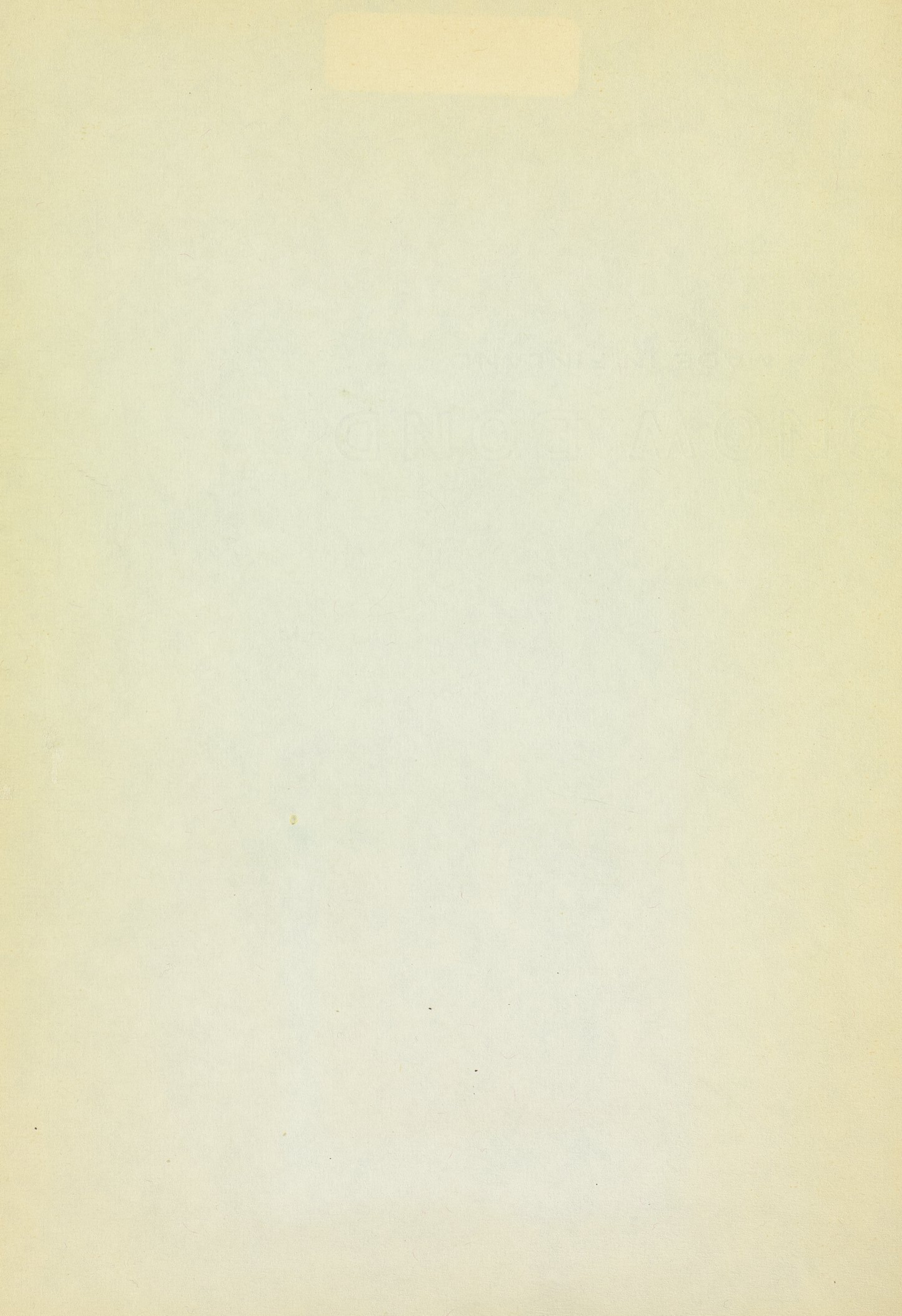
العلامة المتفنن الشيخ عبد القادر بدران

طبعت على نفقة

صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني - حاكم قطر المعظم -


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
11 759 219





Badrān al-Dimashqī

Mumādamat al-aṭlāl

منادمة الأطلال

و

مسامرة الخيال

تأليف

العلامة المتفنن الشيخ عبد القادر بدران

المتوفى بدمشق - ١٣٤٦ هجرية

طبع على نفقة صاحب السمو

الشيخ علي بن عبد الله بن قاسم آل ثاني

حاكم قطر

منشورات

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر

دمشق - الحلبوني - ص ب ٨٠٠ - هاتف : ١١٦٣٧

تنبيه :

الصفحات التي تلي الصفحة ٤٢٦ رقمت ب ٤٦١ سهواً وصحتها ٤٢٧ وهكذا الى آخر الكتاب .

هذه النسخة



من صاحب السمو

الشيخ علي بن الشيخ عبد الله

ابن قاسم الثاني حاكم قطر حفظه الله


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

وبعد فهذا كتاب « منادمة الاطلال ومسامرة الخيال » للعلامة الشيخ عبد القادر بدران نقدمه الى القراء بعد أن بذلنا الجهد في طبعه واخراجه على الشكل الأنيق الذي تراه .

قيمة الكتاب وموضوعه :

وموضوع الكتاب يستأهل العناية والجهد ، فهو فصل من فصول أمجادنا ، وتأريخ لجانب من جوانب حضارتنا نفخر به ونعتز بآثاره .

يتحدث الكتاب عن دمشق فسطاط المسلمين ، وخير منازلهم(١) وعما كان بها من دور القرآن والحديث ، ومدارس الفقه والطب ، وما كان فيها من المساجد والزوايا والتكايا ، وما كان من الآثار والترب والمتنزهات . ينقل المؤلف فيه عن الماضين ما سطروا ، ويلخص ما كتبوا ، ويتم ما نقصوا(٢) . ويدور بنفسه على الاماكن التي ذكروها ، والمعاهد التي نعتوها فيصفها بدقة ــ كما رآها ــ ويقارن حاضرها الراهن بغابرها الماضي . ويبين أمكنة ما درس منها . هادفاً من وراء ذلك الى حفز الهمم ليلحق الأحفاد بالاجداد فيبنوا كما بنوا ويفعلوا مثلما فعلوا .

مخطوطات الكتاب :

كان في متناول يدنا ونحن نطبع الكتاب ، ثلاث نسخ مخطوطة :

الأولى : نسخة العالم النسابة الجليل صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني حفظه الله تعالى وقد بذلها لنا لنقوم بطبع الكتاب عنها كما هو شأنه فيما تشتمل عليه مكتبته العامرة من نفائس يحرص على نشرها وافادة الناس بها .

---

(١) انظر الحديث الخامس عشر من « تخريج احاديث الشام » الملحق بهذا الكتاب .

(٢) قال في مقدمة « مختصرة » : ... لخصت ذلك من كتابي المسمى ب « منادمة الاطلال ، ومسامرة الخيال » الحائز خلاصة مايزيد على الأربعين مجلدا من كتب التاريخ .

وهذه النسخة ـ وعليها كان اعتمادنا ـ بخط المؤلف وهي كثيرة الحواشي والتعليقات والتصحيحات التي كتب بعضها ـ على ما يبدو ـ في مرضه الأخير (الفالج) وكان يكتب بيده اليسرى . فيكون خطه متعثراً مضطرباً يفتقر الى الوضوح في كثير من الأحيان .

وتتخلل النسخة أوراق بيض أشرنا الى مواضع بعضها .

الثانية : مصورة لنسخة بخط أحمد الداوي كان أهداها العالم المحقق المرحوم أحمد تيمور باشا الى مديرية أوقاف دمشق وهي موجودة الآن في مكتبة المجمع العلمي العربي ..

وهذه المصورة تنقص عن نسخة صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني التي تقدم وصفها كثيراً من التعليقات والاستدراكات، وقد راجعناها أثناء الطبع ..

الثالثة : مختصر للكتاب موجود في ((الظاهرية)) برقم ٤١٠٢ وقد كتب سنة ١٣٦٥هـ ولم نفد منه شيئاً .

محاولات طبعه :

ولقد حاول المؤلف أن يطبع كتابه هذا فأخرجت مطبعة ((روضة الشام)) منه ملزمة واحدة سنة ١٣٣١هـ ثم توقف الطبع .

وحاول مرة أخرى قبيل وفاته مراجعته وطباعته فلم يتجاوز في المراجعة العنوان فجعله ((الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية)) ولم يتحقق له من الطباعة ما أحب .

سفر من ثلاثة :

يذكر المؤلف أن كتابه هذا المختص بالتاريخ العمراني ((قسم من الأسفار الثلاثة لتاريخ دمشق)) وهو يحيل فيه أحياناً الى السفرين الآخرين اللذين خص أحدهما بالتاريخ الاجتماعي وثانيهما بالتاريخ السياسي ، ولم يصل الينا هذان السفران ولم نعرف من خبرهما غير ما تقدم . ولا نعلم هل ألفا وفقدا ؟ أم كانا مجرد فكرة لم تتحول الى عمل ؟..

ملاحظة :

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب ((ثم انني سلكت فيه مسلكاً وهو انني اذا ذكرت مدرسة أو أثراً ما أحافظ على ترجمة منشئه ولا أتعرض لتراجم المدرسين في المدارس)) ولكن الملاحظ في الكتاب أن المؤلف لم يلتزم ما خطه لنفسه .

وأود أن أذكر أخيراً بأن الجهد الأكبر في اخراج هذا الكتاب ـ وقد تطلب جهداً كثيراً ـ قد بذله الأخوان الفاضلان الاستاذان نزار الخاني ، ومحمد سعيد المولوي . كما أود أن أسجل لاستاذنا العلامة الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار كريم اهتمامه ومساعدته فقد كان يمدنا كثيراً بصائب رأيه وحسن توجيهه .

واننا لنرجو الله تعالى أن يجزل ثواب المؤلف ، وأن يمد في حياة سمو الأمير المصلح

الشيخ علي آل ثاني

الذي تتمثل فيه مناقب السلف الصالح من سعة العلم ووفرة الفضل والسعي فيما يرضي الله عز وجل . وأن يجزي كل من ساعد على اخراج الكتاب خيراً .

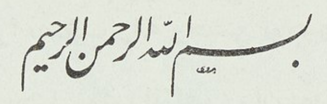
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق ٢٥ رجب ١٣٧٩

ابو بكر
زهير الشاويش

التعريف بالكتاب وترجمة المؤلف

بقلم: أستاذنا الجليل العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار .



الحمد لله الذي أنزل الكتاب: هدى وذكرى لأولي الألباب، والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى سائر اخوانه الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم باحسان .

أتى على الأمة العربية حين من الدهر كانت بلادها فيه جنة علمٍ ذات أفنان، تجْلى في مغانيها عرائس العرفان، فتهوى اليها أفئدة عشاق العلم والآداب في كل مكان، لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الاسلام، حتى تألق نوره وامتدت أشعته فبلغت حدود الصين شرقا، وأقاصي بلاد الاندلس ومُراكش غربا، ونهر اللوار شمالا، وسواحل المحيط الهندي جنوبا، في ذلك الدور الزاهر اتسعت دوحات العلم، وامتدت ظلال الآداب، وراجت سوق الخطابة، والكتابة، وبزغ هلال الحضارة العربية، الذي لم يلبث أن صار بدرا كاملا .

وفي العصر العباسي قد فجّر علماء الاسلام، القرآن عيونا، واستنبطوا من كنوز نصوصه علوما وفنونا، واندفعوا بما هداهم اليه ذلك الوحي السماوي كالسيل الأتيِّ، يقيمون معالم الحضارة والعمران، ويترجمون العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والعقلية عن حكماء الهند والفرس والروم واليونان، ولم ينقلوا هذه الفنون عن أصلها من غير إعمال فكر ولا روية، بل أجالوا فيها نظر الناقد البصير، فأوضحوا غامضها، وأصلحوا خللها، ووضعوا من الكتب في هذه العلوم أضعاف ما عربوا .

خالط المسلمون أهل فارس وسورية وسواد العراق وادخلوهم في أعمالهم، ولم يمنعهم الدين من استعمالهم، حتى كانت دفاترهم بالرومية في سورية، ولم تغيرها بالعربية الا بعد عشرات السنين، فاحتكت الأفكار بالأفكار، وأفضت سماحة الدين الى أن أخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع، وليس في الاوربيين من درس التاريخ وحكّم العقل، ثم ينكر أن الفضل في اخراج أوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفي تعليمها كيف تنظر، وكيف تتفكر وفي معرفتها أن التجربة والمشاهدة هما الاصلان اللذان يبنى عليهما العلم انما هو للمسلمين وآدابهم، ومعارفهم التي حملوها اليهم ،

كانت مدينة دمشق في العصور الذهبية مدينة علم اسلامي، ومدنيّة عربية، وكان في دمشق وحدها مئات من المدارس الدينية والعلمية وقد وصفها كتاب الدارس في المدارس، الذي أتمّ طبعه المجمع العلمي العربي في جزءين كبيرين سنة ١٣٧٠ هـ و ١٩٥١م. ليس من غرضنا الآن أن نصف مدنيات العرب الدوارس، ولا أن نحصي

ما شيدوا في حواضر ملكهم من جوامع ومياتم ومستشفيات ومدارس . فان تلك الذكرى تستدر كوامن الجفون ، وتستنزف قطرات القلوب ، على أن مئات الألوف من مصنفات أسلافنا الكرام التي ملأ بها الغربيون خزائنهم ، ونفائس الاواني والتحف التي استخرجوها من كنوز أرضنا وزينوا بها متاحفهم هي أعدل شاهد ، على ما كان لنا من مجد تالد :

تلك آثارنا تدل علينـا فانظروا بعدنا الى الآثار

وما زال أهل الصدق والانصاف من علماء الغرب يعترفون بفضل تلك المدنية الزاهرة ، وبعظمة آثارها الساحرة :

وما زال أهل الغرب يدرون قدرنا مدى الدهر ما أبدوا من الفضل معجما
متى يذكر الافضالَ فيهم خطيبهم على منبر صلى علينـا وسلمـا

ومن عجيب صنع الله في هذه الأمة وبديع حكمته ، أن دينها ومدنيتها لا يفترقان ، وان علماء الدين ورجال المدنية يستقون من عين واحدة ، فكلما زادوا في دينهم فهما ورسوخا ، زادوا في المدنية الصحيحة تبسطا ونفوذا ، واستحكمت بين أفرادهم روابط المحبة ، واشتدت أواصر الاتحاد والألفة ، وتقلص ظل الجمود ، وانحلت عرى العصبيات ، وقـد أجمع الباحثون في سنن العمران ، ورقي الانسان ، على أن التربية القويمـة ، والتعليم الصحيح ، هما الوسيلة العظمى لارتقاء الأمة في معارج الحضارة ، وبلوغهـا ما تطمح اليه من الآمال الكبار . لذلك كان مـن أهم واجبات الأمـة التي تجعل هـذا الهدف الأسمى ، والسعادة العظمى نصب عينيها أن تكل أمر أبنائهـا وتعليمهم الى من يطبعون في فطرة الناشىء أصول الفضائل ، وآداب الشريعة ، ويهذبون عواطفه ويرقون شعوره ، أما اذا وسد أمر التعليم الى غير ناصح ولا أمين ، ألمَّ بمزاج الأمة ما يضعفه ، وينمي جراثيم الداء فيه فتزداد الأمة مرضاً حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين .

التربية الدينية عماد الفضائل ، والمعلمون خلفاء الرسل عليهم الصلاة والسلام في تعليمهم وأخلاقهم (كاد المعلم أن يكون رسولا) فمن شأنهم أن يكونوا من أفضل البشر وأكملهم ، اذ هم القدوة الصالحة التي ينشدها الطلاب والمدارس ، والمثل العليا تستملى من صفاتهم وأعمالهم ، لا من الكتب التي يدرسونها فحسب ، اذ بهم يقتدى ، وبهديهم يهتدى .

أمامنا الآن كتاب ((منادمة الاطلال ، ومسامرة الخيال)) تاليف العلامة الكبير الشيخ عبد القادر بدران الدُّومي الدمشقي الذي نحا فيـه نحو كتاب (الدارس في تاريخ المدارس) لسميه الشيخ عبد القادر النعيمي الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٧هـ . وجرى فيه الاستاذ بدران على الترتيب النعيمي فبدأ بوصف دور القرآن . فدور الحديث . فدورهما معا ، فمدارس الشافعيـة فالحنفيـة فالمالكيـة فالحنابـلة ، فمدارس الطب والحكمة . والخاتمة في ذكر ما أنشىء في دمشق مـن المعاهد العلمية ، وذكر ما هو

موجود منها الآن مما تقدم ذكره . ثم خوانق الصوفية ، والربط في دمشق والزوايا ، والترب ، وما اشتهر من الجوامع ، وخاتمة بمتنزهات وأنهار دمشق .

وكان الاستاذ بدران رحمه الله يزور هذه الدور واحدة واحدة ، ويصفها عن خبرة ومشاهدة ، ومنها ما انمحى رسمه فلم يقع له على عين ولا أثر ومنهـا ما هـو باق الى اليوم ، ولله الحمد .

ونذكر على سبيل المثال دار الحديث الأشرفية الاولى وقـد عرف النعيمي وغـيره محلها من دمشق . بأنه جوار باب القلعة الشرقي ، غربي المدرسة العصـرونية ، وهي الآن مشهورة معروفة ، وكان سكن الاستاذ بدران في غرفة علوية منها أثناء طلبه للعلم . وقد أوقف عليها السلطان الملك الأشـرف أبو الفتح موسى بن الملك العـادل رحمه الله أوقافاً كثيرة . كتبت على بلاطة طويلة ، موضوعة فوق نافذة الحجرة الثانية الشرقية، قال ابن كثير في تاريخه : كانت هذه المدرسة لصارم الدين قايمـاز بن عبد الله النجمي ، وله بها حمّام ، فاشترى ذلك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل ، وبناها دارحديث، وخرّب الحمّام ، وبناه مسكناً للشيخ المدرس ، وأتم بناءها في سنتين ، وجعل شيخها الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، ووقف عليها الاوقاف ، واشترط في الشيخ أن تجتمع به الرواية والدراية ، فكان بناءها ٦٢٨هـ . وفتحت سنة ثلاثين وستمائة ، ليلة نصف شعبان، وأملى بها الشيخ تقي الدين بن الصلاح الحديث، فالدار دار حديث ، واما جميع العقـار فموقوف على مصالح هـذه الدار وعلى أهلهـا . وللشيخ الناظر أن يستنسخ للوقف ، أو يشتري ما تدعو الحاجة اليه ، من الكتب والأجزاء ، ثم يقف ذلك ، اسوة بما في الدار من كتبها ، وتفصيل ذلك كله في (منادمـة الاطلال) منقولا عن النعيمي وغـيره .

وقال الاستاذ بدران في سبب تأليفه : ليرى قارىء كتابنا ما كان عليه القوم من الاعتناء بالعلوم ، واقبالهـم على ترقيتهـا ، وعلى حب الحضارة والعمران ، ومـن الاقبال على نصرة المدنية : ومحو آثار الهمجية اللذين لايتمان الا بالعلوم ونشرها ، وحبّـذا لو كانت المطابع موجودة في ذلك العصر ، اذ لو وجدت فيـه وفي العصور التي قبله لأهدت الينا كتبا وعلوما وأخبارا ، ليس لدينا اليوم منها سوى شيء يسير وفي تاريخ النعيمي وبدران أسماء من درّس بها ، واللفظ للثاني قال :

والذي علمنـاه ممن درّس بها من الكبار : تقي الدين أبو عمرو بن الصّلاح ، ثم عماد الدين عبد الكريم بن الحرستاني ، ثم الشيخ عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة ، ثم الشيخ محي الدين أبو زكريا النووي ، ثم زين الدين الفارقي ، فصدر الدين محمد بن عمر العثماني المعروف بابن الوكيل ، فكمال الدين محمد بن علي المعروف بابن خطيب زملكا (وهي قرية في غوطة دمشق) ، فأحمد بن محمد البكري المشهور بالشريشي ، فالحافظ الكبير جمال الدين يوسف القضاعي الحلبي الدمشقي المعروف بالمزي ، فالقاضي علي السبكي ، فجماعات لم يصحّ الترتيب فيهم منهم : الحافظ الكبير، عماد الدين الحافظ ابن كثير ، والقاضي تاج الدين ، والقاضي بهـاء الدين السّبكيان،

فوليّ الدين عبد الله السبكي ، وزين الدين عمر بن مسلم القرشي الملحيّ الدمشقيّ ، وشمس الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله المعروف بالحافظ ابن ناصر ...

وعلي بن عثمان الصيرفي ، شارح «منهاج النووي» والحافظ الكبير شيخ الاسلام أحمد بن حجر العسقلاني ، ولما ولي تدريسها ، استناب قطب الدين الخضيري المتقدمة ترجمته في مدرسته ، قاله السخاوي ، وقال : لكونه أمثل أهل الفن بدمشق حينئذ . قال : ورأيت فوق بابها بالحائط حجراً مكتوباً فيه :

هـذه دار حـديث المصطفى	من عليه الله صلى كل حـين
جدفي تجديدهاقاضي القضاة	مخلصـا لله رب العـالمين
ولسان السعد نادى أهلهـا	ادخـلوها بسـلام آمنين
شكـر الله له السعـي بهـا	وحباه النصر والفتح المبين

ولتاريخ هذه المدرسة كغيرها تتمة مهمة في هذا الكتاب من أيام النعيمي الى عهد خاتمة مدرسيها المحدّث الأكبر شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني المتوفى سنة ١٣٥٤ . رحم الله الجميع ورضي عنهم ، ويسر لهذه الدور القرآنية والحديثية ، والمدارس الفقهية والعربية ، من يعيد عهدها ويجدد مجدها بفضله واحسانه .

وقد أشرف على طبع هذا الكتاب بدقة وعناية ، ووضع له الفهارس المفصّلة المنوّعة ، الاستاذ العامل المجد ، محمد زهير شاويش ، زاده الله تعالى احساناً وتوفيقا .

في ٣ رجب ١٣٧٩هـ و ٤ كانون٢ ١٩٦٠م　　　　محمد بهجة البيطار

ترجمة الشيخ عبد القادر بدران رحمه الله تعالى

(المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ)

كنا أيام الطلب والتحصيل على علاّمة الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي نقرأ العلوم العربية والدينية والعقلية في فصل الخريف والشتاء في داره أو في السدّة الغربية من جامع السنانية ، وفي فصلي الربيع والصيف في غرفة عالية من مدرسة عبد الله باشا العظم . وكنا نرى العلاّمة الجليل الشيخ عبد القادر بدران وعنده بعض الطلبة يقرءون عليه ، اذ كان مقامه طعاما ومناما وتدريسا في غرفة كبيرة من المدرسة المذكورة ، وكان يقرأ درسا عاما في جامع بني أمية ، يميل فيه الى التجديد والفلسفة، وكانت صلته بالسيد القاسمي حسنة ، وكان له ولشيخنا القاسمي أمل كبير ، وسعي عظيم في تجديد النهضة الدينية العلمية في هذه الديار ، فقد أشبها رحمهما الله تعالى أئمة السلف تعليما للخواص ، وارشادا للعوام ، وتأليفاً للكتب النافعة ، وزهداً في حطام الدنيا الزائلة ، وقد ترك القاسمي أكثر من مائة مصنف ، كثير منها جدير بأن يكون لنا منار هدى في سبيل اصلاحنا الديني ، ورائد رشاد في سيرنا الاجتماعي .

ولما تم اصلاح المدرسة السميساطية ، في عهد الحكومة العربية – (وهي خلف الجامع الأموي) وطلبوا لها مناهج الكليات الاسلامية ، ونظم دروسها كنظام الأزهر ، ومدرسة القضاء الشرعي في مصر ، وشعبة الالهيات في كلية دار الفنون في الأستانة . سُرَّ الشيخان القاسمي وبدران ، عليهما الرحمة والرضوان ، آملين أن تقتفي أثر هذه الكليات في التربية والتعليم ، وأن تعنى بتخريج رجال يستطيعون أن ينشروا الدعوة الاسلامية بعقل وعلم ، ويدافعوا عنها بالتي هي أحسن . وتكون حينئذ قد سدّت فراغاً في بناء الاصلاح الاسلامي ، وحفظت شيئاً من مقام دمشق الديني والاجتماعي ، ولكن الذين عهد اليهم بها ، قد تنازعوا أمرهم بينهم ، فمنهم من كان يرى وجوب السعي في جعلها مدرسة نظامية جامعة بين الدروس الدينية والعلوم الكونية على وجه يزيد الطالب في دينه بصيرة ونورا ، ويجعله أهلا للدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتكون تلك الكلية روضة علوم وفنون زاهرة ، تخرج لنا من تلاميذها زهرات ناضرة ، تزدان بها معاهد الافتاء والقضاء ، والوعظ والخطابة والتدريس ، وتستعيد بهم سيرتها الاولى . ومنهم من كان يرى الاكتفاء ببعض الدروس العربية والشرعية ولايقيم للعلوم الكونية وزنا ، ولا يرفع بها رأسا ، وهذا خطأ لايحتمل الصواب ، لان الذي أبرز الصحيفتين الدينية والكونية ، وأقام كلا منهما مشيراً اليه ، ودالا عليه هو الله جلّت حكمته ، جعل الاولى منهما وحيا معجزاً ، والثانية خلقا معجزاً . وعلى هذه الطريقة الاولى السلفية الجامعة نشأ الاستاذ بدران وهاكم البيان :

درس على جدّه الشيخ مصطفى وعلى مشاهير علماء الشام كالشيخ سليم العطار ، والشيخ الطنطاوي ، والشيخ علاء الدين عابدين ، واتصل بالأمير الكبير عبد القادر الجزائري ، وعين مصححا ومحرّراً بمطبعة الولاية وجريدتها ، ثم صار مدرسا ، وكتب في صحف دمشق . وقد أفصح في طليعة كتابه (المدخل الى مذهب الامام أحمد ابن حنبل) عن عقيدته السلفية فقال :

وجعلت عقيدتي كتاب الله ، أكِلُ علم صفاته اليه ، بلا تجسيم ولا تأويل، ولاتشبيه ولا تعطيل .

وجعل شغله كتاب الله تدريسا وتفسيراً ، وسنة نبيه المختار قراءة أيضا وشرحا وتحريراً (قال) : ثم اني زججت نفسي في بحار الاصول والفروع والبحث عن الأدلة حتى لا أكون منقاداً لكل قائد ـ فوجدت كلا منهم قدّس الله أسرارهم ، وجعل فيعليين منازلهم ـ قد اجتهد في طلب الحق .

فهذا يدل على انصافه واخلاصه رحمه الله ، وعلّل دخوله في المذهب الحنبلي من بعد أن كان شافعيا بأن هذا الامام الأخير أوسعهم معرفة بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يعلم ذلك من اطّلع على مسنده المشهور (حتى كأنه ظهر في القرن الأول لشدة اتباعه القرآن والسنة) ثم وصف الامام أحمد ومذهبه ، وورعه وتقواه ، ومسائله وفتاواه ، بما هو جدير به ، ونعى على أسراء الوهم والخيالات الفاسدة ، الذين يطعنون في أهل الاتباع ، لا الابتداع ، وينفرون الناس منهم ، وهم يُردّدون بألسنتهم :

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

اللهم اياك نعبد واياك نستعين ، فألهمنا رشدنا ، واجمع كلمتنا على الحق ، وألف بين قلوبنا ، وأيدنا بروح من عندك واهدنا الى سواء السبيل . وانك لتجد في مقدمة ((المدخل)) ـ الذي اشتمل على أصول الفقه وأصول الدين وفن الجدل ، وطبع في مصر ـ وتجد في خاتمته أيضا نبذة من ترجمة المؤلف وطرفاً من أخباره وآثاره ، وذكر طائفة من مؤلفاته . (قال) فيما ترجم به نفسه تحدثاً بالنعمة :

ثم منّ الله علي فحبّب اليّ الاطلاع على كتب التفسير والحديث وشروحها ، وأمهات كتب المذاهب الأربعة وعلى مصنفات شيخ الاسلام (ابن تيمية) وتلميذه الحافظ ابن القيم وعلى كتب الحنابلة ، فما هو الا أن فتح الله بصيرتي وهداني للبحث عن الحق من غير تحزب لمذهب دون مذهب ، فرأيت أن مذهب الحنابلة أشد تمسكاً بمنطوق الكتاب العزيز والسنة المطهّرة ومفهومهما ، فكنت حنبلياً من ذلك الوقت .

قلت : وكان لي شرف ضيافة الاستاذ المترجم ليلة مع صديقه الرّحالة الجليل الاستاذ الشيخ خليل الخالدي المقدسي ، فأخذ الاستاذ بدران يسأله عما رأى من نفائس الكتب الاسلامية الخطية في ديار المغرب لاسيما الأندلس ، والاستاذ الخالدي يجيبه من حفظه بلا تلعثم ولا تريث كأنما كان يملي من كتاب ، وقد كنت معجباً بالسؤال

والجواب غاية الاعجاب ، وأسفت أسفا شديدا أني لم أسجل عندي تلك الذخائر والمفاخر الخالدة للعرب والمسلمين .

وهذه هي أسماء مؤلفات الفقيد المترجم التي نقلناها من آخر كتاب المدخل المطبوع : ألف المؤلفات النافعة التي تشهد له بالفضل وسعة الاطلاع ، غير أن بعضها لم يكمل ؛ ووجهه فيما يظهر ما أصيب به من داء الفالج في آخر عمره حتى خدرت يمناه عن الكتابة واستعان عليها باليسرى ، فمنها كتاب جواهر الأفكار ومعادن الأسرار في التفسير لم يكمل ، وكتاب شرح سُنَن النسائي لم يكمل ، وشرح العمدة سماه مورد الأفهام من سلسبيل عمدة الأحكام جزءان ، وشرح ثلاثيات مسند الامام أحمد ، وشرح الأربعين حديثاً المنذرية في جزء ، وشرح الشهاب القصاعي في الحديث في جزء ، وشرح النونية لابن القيّم في التوحيد ، وشرح روضة الأصول(١) لشيخ المذهب موفق الدين في مجلدين ، وله كتاب المدخل الى مذهب الامام أحمد بن حنبل في الأصلين والجدل وبعض أسماء الكتب المشهورة لمشاهير الاصحاب ، وحاشية على شرح المنتهى جزءان بلغ فيها الى باب السَّلَم وحاشية على شرح الزاد ، وحاشية على أخصر المختصرات(٢) وتعليق على مختصر الافادات ، وكلا الكتابين للشيخ بدر الدين البلباني ، ودرة الغواص في حكم الزكاة بالرَّصاص ، وحاشية على رسالة الشيخ الموفق في ذم الموسوسين ، وشرحان على منظومتي الفرائض ، وله كتاب طبقات الحنابلة لم يكمل ، وكتاب سبيل الرشاد الى حقيقة الوعظ والارشاد جزءان ، وتهذيب(٣) تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر في ثلاثة عشر مجلدا اعتني فيه بتخريج أحاديثه ، وكتاب الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية في جزء(٤) ، وايضاح المعالم من شرح الألفية لابن الناظم جزءان ، ولخّص الفرائد السنية في الفوائد النحوية للشيخ أحمد المنيني الدمشقي في رسالة سماها آداب المطالعة ، وله شرح الكافي في العروض والقوافي جزء لطيف(٥) ، والعقود الدرية في الفتوى الكونية في مجلّد ، والعقود المرجانية في جيد الأسئلة القازانية كبرى وصغرى في مجلد ، وتلخيص كتاب (الدارس في المدارس) للنعيمي ، ورسالتان في أعمال الربعين المجيّب والمقنطر ، وديوان خطب منبرية ، وديوان شعر اسمه تسلية الكئيب عن ذكرى الحبيب(٦) . يسّر الله تعلى اتمام مالم يتم منها ، وطبع مالم يطبع ليعمّ نفعها ، بمنه وكرمه .

---

(١) طبع في المنار باسم « روضة الناظر وجنة المناظر » . (٢) طبع في دمشق في حياة المؤلف .

(٣) طبع بعض أجزائه في دمشق ، وأشرف على بعضها الاستاذ الفاضل أحمد عبيد .

(٤) قال الشيخ محمد دهمان : هذا الكتاب هو منادمة الاطلال سماه بذلك قبل وفاته .

(٥) قرظه جدي لوالدتي وشقيق جدي لوالدي العلامة الشيخ عبد الرزاق البيطار بعبارات جيدة ، أثنى فيها على المؤلف الثناء العاطر .

(٦) وقد أطلعني ولدي الروحي محمد زهير الشاويش ، على رسائل لم تذكر منها :

١ ــ الصحيح من حديث المعراج .
٢ ــ تشنيف الاسماع في بيان تحرير المد والصاع.
٣ ــ الكشف عن حال قصة هاروت وماروت .
٤ ــ شرح حديث أم هانيء في صلاة الضحى .
٥ ــ رسالة في علم البديع لم تكمل .
٦ ــ اوراق على شرح ديوان الحماسة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، وهو العليم الحكيم تعالى. جال الفكر في تيار هذا الوجود انقلب العقل راجعاً إلى الإقرار بوجوده ووحدانيته قهراً، فلا ينكره إلا جاهل لم ير لمحة من أسرار الكون، ولم يذق قطرة من كوثر حكمته. يظهر الأشياء ثم يطويها، ويخفي ساعتها ثم يجليها، ويفيض على قلوب من يشاء تبيانها، وإليه الحكم في كتمانها وتبيانها، وهو يعطي كل عصر ما يليق بقابليته، وما يلائم مدنيته الحاضرة. فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم. والمعرضون عن آثار حكمته الباهرة صم بكم عمي فهم لا يعقلون، ينادَيهم من يؤتَ الحكمة فبأي آلاء ربكما تكذبان، وهم لا يسمعون. فله الحمد على ما أولانا من المكاشفة على أسرار ما أودعه من الحكم، وإياه نسأل المزيد من إفاضة أنوار لا تنقضي عجائبها، ولا تنتهي غرائبها، والصلاة والسلام على نبيه حكيم الحكماء، وسيد الأنبياء محمد المبعوث إلى جميع الأمم، وعلى آله وصحبه البدور الكاملين ما نسخت آية من آيات سر الوجود، أو أنسيت، إذ أتى الله بخير منها أو مثلها، فأتت الصحف على تذكار ذلك المنسي، تحمل أخبار الماضين للآتين، ليتذكر أولوا الألباب، وليكون لهم جدولاً يبنون على كل فرد منه الفصول والأبواب، ويذكرهم الأطلال والدمن مما كان لأسلافهم من الآثار، ويناديهم الخيال فيهبوا للبحث والتذكار، وبعد

فيقول السائل من واجب الوجود أن يطلعه على أسرار الحكمة، ويجعله مظهر الآلاء والنعمة عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد، الشهير كأسلافه بابن بدران السعدي الدمشقي، لج بي السهر ليلة من الليالي منفرداً أنادم الأطلال والخيال، فتجلت لي دمشق غادة حسناء، مسفرة عن جمال وجهها، تقول ألا لفتة لأحاديث آثاري؟ وهلا ساعة في تذكار أخباري؟ فقلت أنا كما تعلمين غريب حل كما قال أبو سليمان الخطابي: مأوى الغرباء، من قوم تلاعبت بهم الأقطار، فحلوا جيراناً بعقولهم الفيحاء. فنادى أبناءك يا ليلى الغرام، وحيي أحبابك المدعين بك الهيام. فقالت ألم نربك فينا وليداً، ولبثت فينا من عمرك سنيناً؟ ألم تتقلب في مدارسي، وتلتقط ثمار الحكمة من مغارسي؟ أما ضممتك إلي، ورمقتك بنظري، وسقت إليك خيري حتى

تبينتك

دماغة الانسان فى شعة النوى
وانى غريب بين بست واهلها
ولكنها والله فى عدم الشكل
وان كان فيها اسرتى وبها اهلى

راموز الصفحة الاولى من مخطوطة صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني التي اعتمدناها في الطبع وهي بخط المؤلف .

التكريتي الناصري الكبير كان معظما عند الملوك وصاحب اموال كثيرة توفي سنة
سبعين وستمائة ودفن بتربته برباطه

بالقرب من حمام جاروخ وهو مقابل الفرن المعروف بفرن خليفة وهذه [illegible]
ذكرها النعيمي والعلموي ولم نعلم الآن منها شيئا.

قال البرزالي في حوادث سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رباط صفية القلعية [illegible]
من المدرسة الظاهرية.

قال ابن شداد [illegible] ذكر هذه الربط المتقدمة وثم رباطات أخر فقدها والذي
بيانها حسبما ذكرها

في أمراء بني سلجوق تحت القلعة

عز الدين خليل كان واليا بدمشق. أقول في جادة سوق
صاروجا بيت كبير وعند بابه شباك فوقه حجر مكتوب عليه بعد البسملة هذه
تربة الأمير شمس الدين بن حسين المهراني المعروف بالسبع المجانين
الحاجي الغازي المجاهد في سبيل الله تعالى توفي الى رحمة الله تعالى سنة
[illegible] وأربعين وستمائة. فالظاهر أن الرباط كان هنا ومن العجب أن العوام
وطلبة العلم يعتقدون أن هذا قبر الشيخ مجاهد المفسر التابعي المشهور والكتابة
المذكورة محفورة في الحجر بخط [illegible] ولا يقرأونه وهذا من التقليد الأعمى نعوذ
بالله منه.

الفلكي
السقلاطوني
البخاري عند باب الجابية.
بدر الدين محمد
عند [illegible] خاتون داخل باب النصر
داخل باب السلام
أسد الدين
الخبيشة بمحلة قصر الثقفيين يعني محلة [illegible]
شيركوه بدرب زرعة.
القصاعين
بنت عز الدين مسعود
بناحية الموصلي صاحب الموصل
بنت الدفين داخل المدرسة الفلكية
الدوادار داخل باب الفرج
الفقاعي في السفح ذكر هذين الرباطين
قال العلموي
الاخير من البرزالي في حوادث خمس وثلاثين وستمائة
الوزير بمحلة سويقة
وجاء داخل الدخلة التي بها برسباي الحاجب
شمالي حمامه قال وهو الى الآن موجود انتهى. وهذه الربط قد عسر علي معرفة
محالها ولم أدر ما الذي بناها فنقلتها كما وجدتها في تنبيه الطالب ومختصره.
[illegible] ويقال لا [illegible] اليوم [illegible]

راموز احدى صفحات النسخة المعتمدة وتظهر فيها الهوامش التي أضافها المؤلف ، والفراغات التي كان يود ملأها خلال السطور وحال بينه وبين ذلك المرض ثم الموت ــ رحمه الله ــ انظر المقدمة .

﴿ منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ﴾

تأليف العلامة المحدث الفاضل الشيخ عبد القادر افندي
ابن احمد الشهير بابن بدران
عفى الله عنه

اليكم يا بني وطني كتابا يذكركم بآثار الجدود
فكونوا مثلهم ادباً وعلما ولا ترضوا منادمة الجمود

طبع على نفقة مطبعة « روضة الشام » لصاحبها
خالد فارصلي

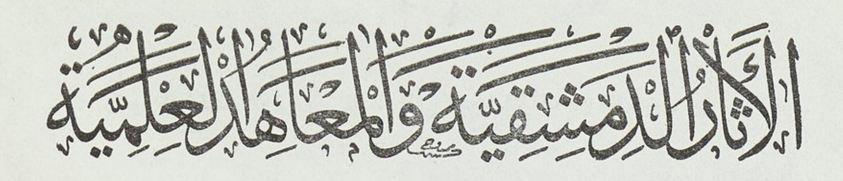
طبع في دمشق بمطبعة « روضة الشام »
سنة ١٣٣١

راموز الصفحة الاولى من الملزمة التي طبعها المؤلف من الكتاب .

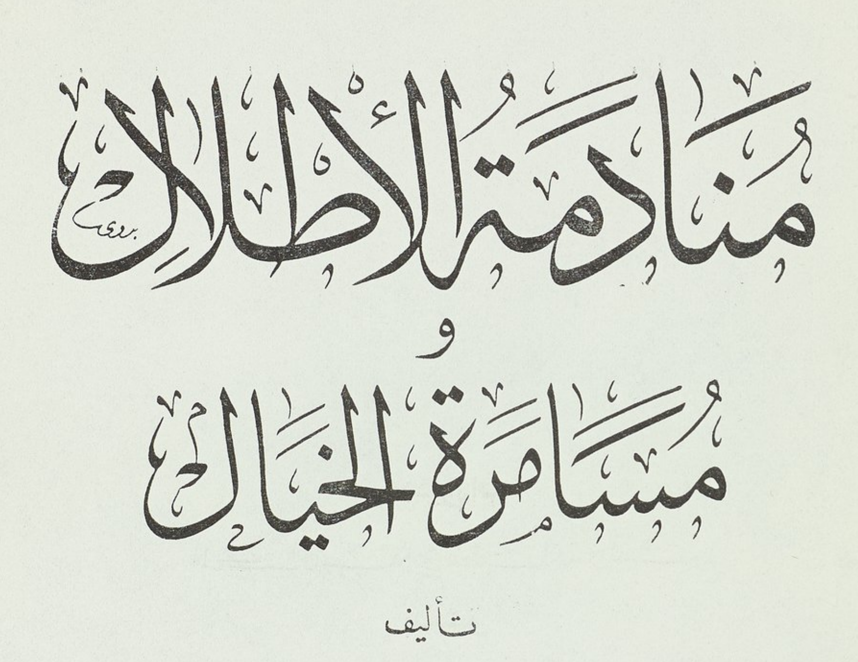
﴿ منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ﴾

انبأ التاريخ وعلم كل ذى علم ان دمشق الشام هى اقدم بلد على الاطلاق وهى البلد التى تقلب عليها العمران اطوارا ومرت عليها القرون وهى ثابتة فى مكانها الذى هو كالجنة على وجه الارض لم تبرح عنه وقد كانت من القدم منبع المدنية والحكمة والعلم وقد ازدادت ازدهاراً بالمدنية الاسلامية وطلوع شمسها عليها فنبغ بها من العلماء والمحدثين والادباء والشعراء والاطباء والحكماء ما لا يحصى كثرة وبنى بها من المدارس لاولئك الافاضل ما لم يكد يوجد فى غيرها من المدن العظيمة ولما كان حقاً على اهلها ان لا يدعوا افاضلها مهملين باشرنا بطبع تاريخها للحافظ ابن عساكر منقحاً مهذباً وسنجعل له ان شاء الله تعالى ذيلا على نسقه الى يومنا هذا ولما لم يكن ذلك التاريخ حاوياً لآثارهم لا جرم باشرنا بطبع كتاب ﴿ منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ﴾ الحاوى تراجم ما كان بها من دور القرآن والحديث والفقه والطب وما كان بها من الزوايا والخوانق (التكايا) والترب وتراجم من بناها والحاوى ايضا من الفوائد العلمية والادبية والتاريخية ما لا يكاد يجتمع فى كتاب على حدته وهو فى ازيد من ٤٠٠ صحيفة ويقدم الى المشتركين حسب رغبتهم اما كراريس واما الكتاب بتمامه والدفع سلفاً فى كل منهما ولما كان اكثر هذه المعاهد مندرساً سميناه بهذا الاسم فنرجو من احباب دمشق واهل الادب ان يتفضلوا بقبوله ولهم الفضل

راموز الاعلان عن الكتاب الذي جعله المؤلف على غلاف الملزمة التي طبعها تعريفاً بالكتاب .



راموز عنوان الكتاب الذي وضعه المؤلف عندما عزم على مراجعته وطبعه انظر الصفحة (و) من هذه المقدمة .



تأليف

الشيخ عبد القادر بدران

الطبعة الاولى

باشراف

محمد زهير الشاويش

منشورات

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر

بدمشق

دمشق ـ الحلبوني ـ ص ب ٨٠٠ ـ هاتف : ١١٦٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده ملكوت كل شيء ، واليه يرجع الأمر كله ، وهو العليم الحكيم ، كلّما جال الفكر في تيار هذا الوجود ، انقلب العقل راجعاً الى الاقرار بوجوده ووحدانيته تعالى قهرا . فلا ينكره الا جاهل لم ير لمحة من أسرار الكون ، ولم يذق قطرة من كوثر حكمته. يظهر الأشياء ثم يطويها ، ويخفي ساعتها ثم يجليها ، ويفيض على قلوب من يشاء بيانها ، واليه الحكم في كتمانها وتبيانها ، ويعطي كل عصر ما يليق بقابليته ، وما يلائم مدنيته الحاضرة . فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم . والمعرضون عن آثار حكمته الباهرة صم بكم عمي فهم لايعقلون ، يناديهم من يؤتي الحكمة : « فَبِأيِّ آلاء رَبِّكُما تُكَذِّبان » وهم لايسمعون، فله الحمد على ما أولانا من المكاشفة على أسرار ما أودعه من الحكم . واياه نسأل المزيد من افاضة أنوار لاتنقضي عجائبها ، ولا تنتهي غرائبها . والصلاة والسلام على نبيه حكيم الحكماء ، وسيد الأنبياء محمد المبعوث الى جميع الامم ، وعلى آله وصحبه البدور الكاملين ما نسخت آية من آيات سر الوجود فأنسيت ، أو أتى الله بخير منها أو مثلها ، فأتت الصحف على تذكار ذلك المنسي تحمل أخبار الماضين للآتين ، ليتذكر أولو الألباب ، وليكون لهم جدولا يبنون على كل فرد منه الفصول والأبواب . وتذكرهم الأطلال والدِّمن ما كان لأسلافهم من الآثار ، ويناديهم الخيال فيهبوا للجد والتذكار .

عبد القادر ابن بدران

وبعد ، فيقول السائل من واجب الوجود أن يطلعه على أسرار الحكمة ، ويجعله مظهراً لتلك النعمة **عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد ، الشهير كأسلافه بابن بدران السعدي الدمشقي :**

لَج بي السهر ليلة من الليالي منفرداً أنادم الاطلال والخيال ؛ فتجلت لي دمشق غادة حسناء مسفرة عن جمال وجهها ، تقول : ألا لفتة لأحاديث آثاري ؟ وهلا ساعة في تذكار أخباري ؟ فقلت : أنا كما تعلمين غريب حل مأوى الغرباء ؛ كما قال أبو سليمان الخطابي :

وما غمة الانسان في شقة النوى ... ولكنها والله في عدم الشكل

واني غريب بين بست وأهلها ... وان كان فيها أسرتي وبها أهلي

من قوم تلاعبت بهم الأقطار ، فحلوا جيراناً بغوطتك الفيحاء . فنادمي أبناءك يا ليلى الغرام ، وحيي أحبائك المدعين بك الهيام ، فقالت : ألم نربك فينا وليداً ، ولبثت فينا من عمرك سنين ؟ ألم تتقلب في مدارسي ، وتلتقط ثمار الحكمة من مغارسي ؟ أما ضممتك الي ، ورمقتك بنظري ، وسقت اليك خيري حتى تبنيتك وما تركتك ، وكلما تباعدت عني طلبتك ؟ أما هجرتني الى الفرنجة متجولا ، وأبت الى سواحل افريقية متحولا ، فأضرمت في قلبك نار غرامي ، وجذبتك الي بمغناطيس هيامي ؟ ثم لججت في الهجر قافلا الى دوماك(١) جرثومة الهمجية العريقة ببغض الحكماء والعلماء ؟ فذقت بها ألم التعدي والحسد ، وأضنى حمرها المستنفرة منك العقل والجسد ، وتألب أولئك المتوحشون عليك يريدون أن يطفئوا نور الحكمة الذي أطلعه الله في فؤادك ببغيهم وحسدهم . ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره هؤلاء الجاهلون . قلبوا لك ظهر المجن ، ورموك بالافك ليسوقوا لك المحن ، ويخلوا من فضلك ربع الوطن ، فمددت لاسعافك ساعداً أقوى من الحديد ، وأخرجتك من بينهم رغما عن أنف كل جبار عنيد ، ورميت حسادك بسهم من سهم القهّار ، وصلت عليهم بسيف قد سُل من سطوة الجبّار . فذاق فريق منهم عذاب الهون ، وأرصدت للآخرين : وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون . ثم اصطنعتك لنفسي ، فما أثمرت من ثمر الا وهو من غرسي ، فبنعمة ربك حدث . فخلَبَ لبي لطيف كلامها ، واتقدت فيه جذوة غرامها ، وقلت :

ما بعد جلّقَ للغرام مَرامُ ... وغيرها وطن علي حرام

لكن هي الأقدار تفعل ما تشا ... صبراً جميلا والكلام كِلام

لبيك يا ليلى الجمال ، ويا سلمى المحاسن ! أنا الخاضع لما تأمرين ما دمت عبد القادر

---

(١) هي بلدة دوما شرقي دمشق تبعد عنها سبعة عشر كيلاً

وذعيت بابن بدران . أنا الهائم في اظهار صفاتك ، المقيم على محبتك ماكر الجديدان فقالت : انك لتعلم هذا العصر الزاهر ، وما تجلى فيه من العلوم ؛ وترى مسلك أبنائي وكيف يتهافتون على القشر ، ويتركون اللباب ، نبذوا العلم ظهريا فضمه الغربيون اليهم، واذا انتبهوا من رقدتهم وجدوا أنفسهم عالة عليهم . فذكرهم بأيامي الماضية علهم يتذكرون ، وخاطبهم بما كان بي من الآثار ، وما أنفق في رياضي على العلم من الدرهم والدينار ، وأعلمهم بما كان بي من المدارس ، وأنبئهم بتلك المعاهد الدَّوارس ، وذكرهم فان الذكرى تنفع أولي الألباب . فلعلهم يجدون ويجتهدون ، ويتركون التفاخر بالماضي. وقل لشيخهم : خلِ كان(١) ، ولناشئتهم اترك أنا ابن فلان ؛ فان المرء ابن تحصيله، وشرفه علمه وحكمته .

فمثلك من يُدعى لكلِّ عظيمةٍ ومثليَ من يُفدى بكلِّ مُسوَّدِ (٢)

فطوينا ، بعد الوعد باجابة الطلب ، الأحاديث ، وقلت ان لم يف المحب لمحبوبه بما أمر استحق الهجر في شرع المحبين . وطفقت أقلب الطرف في أسفار المؤرخين ، وأتطلب ماكان من أحاديث الماضين ، وأطوف لرؤية المعاهد والآثار التي بقيت في تلك الدار مما نبأ عنه سيف القدَم ، وصبر على طلوع الشمس والقمر ، فأرسم ما اهتدى اليه على صفحات هذا السِّفر الذي هو قسم من الأسفار الثلاثة لتاريخ دمشق . وخصصته باسم « **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال** » ليطابق اسمه معناه . ثم انني سلكت فيه مسلكاً وهو أنني اذا ذكرت مدرسة أو أثراً ما أحافظ على ترجمة منشئه ، ولا أتعرض لتراجم المدرسين في المدارس ، كما فعله العلامة عبدالقادر النعيمي في كتابه « تحفة الطالب والدارس » . لأن المدرس ان كان من المشاهير فمحل ترجمته السفر الثالث من هذا التاريخ ، وان كان من غيرهم فليس من شرط كتابي أن أذكره . وأيضا انني جعلت هذا السفر أقساماً :

أولها : لمدارس القرآن الكريم .

وثانيها : للمدارس المختصة بالحديث ، وللمشتركة بينه وبين تعليم القرآن العظيم .

وثالثها : للمدارس التي أسست للعلوم الفقهية والأدبية . وهذا القسم أربعة أبواب :

أولها : لمدارس الحنفية .

وثانيها : لمدارس المالكية .

---

(١) يقصد المؤلف : خل ما كان في الماضي وانظر الى الحاضر .

(٢) البيت لأبي فراس من قصيدة يعاتب بها سيف الدولة .

وثالثها : لمدارس الشافعية .

ورابعها : لمدارس الحنابلة .

وليس القصد من هذا الترتيب على حسب التقدم في الزمن والوجود . ولو اشتهرت مدارس للظاهرية أو للزيدية أو لغيرهم ، لم تجدني متقاعساً عن اعطائهم حقهم في الترجمة .

٥ **ورابعها** : لمدارس الطب والحكمة .

وخامسها : لزوايا العبادة وخوانق الصوفية .

وسادسها : للآثار التي ظهرت في هذا العصر .

وكل هذه الأقسام مرتبة على حروف المعجم ليسهل الكشف عنها .

١٠ **وسابعها** : للمساجد . فما كان مشهوراً منها أعطيته من حقه ما اتصل بي من ترجمته ، وما كان منها صغيراً أو مندرساً اكتفيت باسمه .

وختمت الكتاب بخاتمة لبيان ما كان في دمشق من المتنزهات الشهيرة ، وهذا أول المقصود . وبالله تعالى أستعين وعليه أتوكل .

القسم الأول في دور القرآن الكريم

دار القرآن (الخيضرية)

هذه الدار لم تزل الى الآن على رونقها وبهائها . ومحلها ، كما في « تنبيه الطالب وارشاد الدارس » للفاضل عبدالقادر النعيمي ، شمالي دار الحديث السكرية بالقصاعين . اه
وقد صحف الناس اليوم اسمها فقالوا لها : الخضيرية ، نقلوا الياء المثناة من بين الخاء ٥
والضاد المعجمتين الى ما بعد الضاد . ومحلتها الآن تعرف بالخضيرية ، وهي معروفة مشهورة في زمننا تقام فيها الصلوات الخمس ، ويتعاهدها في بعض الليالي ، وبعد صلاة الفجر ، جماعة من المتصوفة الشاذلية الفاسية فيقيمون بها الأذكار ، ويقرؤون الأوراد . وفي رمضان يقرأ « صحيح البخاري » ، وبعضا من الكتب ، أستاذهم في زمننا العالم الأديب الكاتب الشاعر ، الشيخ محمد بن الشيخ المبارك . ١٠

وأما نعتها : فانها واقعة في الجانب الشرقي من الزقاق المسمى بالخضيرية بالتصغير ، ويصعد اليها بمرقاتين ، وجدارها الغربي مبني بالحجر الأبلق ، وتحته سقاية ، وفيه الباب ، وقنطرته من الحجر الأبلق أيضا وهو متين ، وفي وسطه صحيفة من النحاس مستديرة ، وقد رسم عليها ما صورته :

رسم باب المدرسة التي أمر بانشاء بابها الأمير العالي المولوي القاضوي القطبي ابن ١٥
الخيضري قاضي القضاة ، أسبغ الله عليه ظلاله مما عمل .

وتحت هذه الصحيفة شبكة من النحاس قائمة على هيئة مثلث ، زاويتها العليا تسامت قطب دائرة الصحيفة ، وهذا الوضع على هندسة لطيفة جدا . فاذا دخلها الداخل وخلص من دهليز لها قصير ، رأى بركة ماء للوضوء في وسطها ، وفي الجدار القبلي محراب ، وفي الجهة الغربية شباكان[1] مطلان على الطريق ، وبجانبهما حجرة ٢٠
واسعة . وبالجانب الشرقي حجرتان ، تحت احداهما خلوة ، وبجانبهما خلوة أيضا .

---

(١) نافذتان

وبالجانب الشمالي ايوان ، وفي صدره حجرة ، وقد كتب على الجدار فوق الباب منها ما صورته :

بحمد الله تعالى اللطيف ، أنشأ هذه المدرسة المباركة على الفقراء المتعلمين للقرآن العظيم ، الفقير قاضي القضاة قطب الدين الخيضري خادم السنة النبوية ارضاء لله تعالى سنة ثمان وسبعين وثمانمائة .

٥

وبزاوية ملتقى الجدارين الشمالي والشرقي باب يدخل منه الى مكان متسع ، وفيه ثلاثة بيوت خلاء ، وفي دهليزها باب يصعد منه الى غرفة لطيفة . وقال في « تنبيه الطالب » : رتب فيها واقفها الجوامك (١) والخبز للفقراء . اه يعني الذين كانوا يتعلمون بها القرآن الكريم . ولم نر لهذا أثراً في زمننا !؟

١٠ محمد الخيضري ٨٢١-٨٩٤

ترجمة الخيضري

محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضُميدة بضم الضاد المعجمة مصغرا الزبيدي بضم الزاي البلقاوي الأصل الترملي الدمشقي الشافعي ، ويعرف بالخيضري نسبة لجد أبيه . هكذا نسبه الحافظ السخاوي في كتابه « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » ، وترجمه بترجمة مطولة كلها ثلب وطعن فيه وفي مؤلفاته ، كما هي عادته في أقرانه . ولكن نادى على نفسه بالتهمة في آخر الترجمة فقال : وانه فعل معي ما أرجو أن يجازى بمقصده عليه . اه وهذا دليل عى أنه تحامل عليه فيما كتب عنه . ولنلتقط من كلامه ما صفي واليك هو ؛ قال : ولد ليلة الاثنين منتصف رمضان سنة احدى وعشرين وثمانمائة بقرية بيت لهيا القريبة من دمشق ، ونشأ يتيما في كفالة أمه ، ثم فارق سلفه الذين هم عرب البلقاء ، وانحاز الى طائفة الفقهاء ، فحفظ « التنبيه » و « ألفيتي الحديث والنحو » ، و « ملحة الاعراب » ، و « مختصر ابن الحاجب » الأصولي . ثم اشتغل على علماء عصره بالفقه والأصول والحديث والنحو ، وهذه العلوم التي كان لها رواج في زمنه . ثم ارتحل الى بعلبك سنة ثلاث وأربعين ، ودخل القاهرة مراراً ، ومكة والمدينة ، وبيت المقدس ، ودمياط ، فأخذ عن علمائها . وبعد أن ذكر السخاوي ما رأيت خلاصته قال : ومع ذلك فلم يتميز

(١٥، ٢٠)

---

(١) المرتبات للمنقطعين الى تعلم القرآن الكريم .

في الطلب ، يعني في الحديث ، فضلا عمن هو أعلى منه في الرتب : من حفظ ، وضبط ، وغريب ، ومعرفة باصطلاح ، وما يذاكر به بين العلماء . غير أن له يقظة في الجملة ، وكتابة تروج عند من لايحسن أو يحسن ، ولكنه يداري أو يرجو . والرجل حين كان موجودا في القاهرة لم يكن يتحاشى الكلام في شيء ولايتوقف لأجل تحرير أو تحقيق .

وقول شيخنا الحافظ ابن حجر في « الأنباء » : انه الفاضل البارع ، سمع الكثير، ٥ وكتب الكثير من الأجزاء ، وجد وقد حصل في مدة لطيفة شيئاً كثيراً ، وخطه مليح ، وفهمه جيد ، ومحاضراته تدل على كثرة استحضاراته ، يحتاج الى تأويل في بعض الكلمات ! وكذا وصفه له بالحفظ بعد ذلك ليس على اطلاقه !

كذا قال السخاوي ، وأقول : ما عهدنا الحافظ ابن حجر الا منصفاً فيما يقوله في تراجم العلماء . وما وجدنا السخاوي الا متحاملا على كل من يفوقه ، ومن رأى كتب ١٠ الرجلين يعلم ذلك يقيناً .

ثم قال السخاوي : وقد استعار من شيخنا ابن حجر نسخته من « الطبقات الوسطى لابن السبكي » ، فجرد ما بها من الحواشي المشتملة عى تراجم مستقلة ، وزيادات في أثناء التراجم مما جردته أيضا في مجلد ، ثم ضم ذلك لتصنيف له على الحروف ، لخص به « طبقات ابن السبكي » مع زوائد وصل اليها بالمطالعة من كتب ١٥ أمده شيخنا بها : « كالموجود من تاريخ مصر للقطب الحلبي » و « نيسابور للحاكم » و « الذيل عليه لعبد الغافر » و « تاريخ بخاري لفنجار وأصبهان » ، وغير ذلك مما يفوق الوصف ، وسماه « اللمع الألمعية لأعيان الشافعية » .

أقول : أي مطعن على مؤرخ جمع مؤلفه من أسفار المتقدمين سواء كانت بالاعارة أو بالملك ؟! وان كان الطعن فيه من جهة ما جرده من كلام ابن حجر ، فالسخاوي نفسه فعل ذلك فتأمل ! ثم قال : وكذا جرد ما لشيخنا من المناقشات مع ابن الجوزي في ٢٠ « الموضوعات » مما هو بهوامش نسخته وغيرها ، ثم ضم ذلك لتلخيصه الأصل وسماه « البرق اللموع لكشف الحديث الموضوع » ، ولخص أيضا « الأنساب لابن السمعاني »، مع ضمه لذلك ما عند ابن الأثير والرشاطي وغيرهما من الزيادات ونحوها ، وسماه « الاكتساب في تلخيص الأنساب » ، وما علمته حرر واحدا منها . واشتد حرصي على الوقوف عليها فما أمكن ، ثم رأيت أولها في حياة شيخنا ، وانتقدت عليه اذ ذاك شيئاً ٢٥

فتأمل أيها المنصف كيف طعن في كتب الرجل ، ثم أقرَ بأنه لم يرها ، ثم قال : وألف معجماً سماه « الرقم المعلم في ترتيب الشيوخ والسماع والاجازة على حروف المعجم » و « المنهل الجاري من فتح الباري شرح البخاري » ، وشرع في شرح « ألفية العراقي » و « الصفا بتحرير الشفا » و « مجمع العشاق على تنبيه الشيخ ابي اسحاق » و « اللفظ المكرم بخصائص النبي صلى الله عليه وسلم » و « الروض النضر في حال الخضر » و « اللواء المعلم في مواطن النبي صلى الله عليه وسلم » و « زهر الرياض فيما شنعه القاضي عياض على الامام الشافعي » و « تقويم الأسل في تفضيل اللبن والعسل » و « بغية المبتغي في تبيين قول الروضة : ينبغي » .

وأول ما ولي : مشيخة دار الحديث الأشرفية ثم نزعت منه ، واستقر في وكالة بيت المال ، وفي نظر الخوالي منها . ثم ترقى لكتابة السر ؛ ثم أضيف اليها قضاء الشافعية ، وصارت أكثر الامور الشامية منوطة به . واتسعت دائرته في الأموال ، والجهات ، والأملاك ، والوظائف ، والكتب وغيرها .

وحدث ببلده ، وأملى ودرس ووعظ ، وخطب ، وأفتى ، مع الوجاهة والاعتلاء . وولي السميساطية وغيرها من المدارس ، زيادة عن المدارس التي تتعلق بالقضاة كالغزالية والعذراوية .

وكانت له صدقات زائدة ، واحسان للغرباء . وبنى بجانب بيته مدرسة ، وبنى تربة عند باب مقام الشافعي ، ورتب بها صوفية مع شيخ لهم من الطلبة . وما زال ملازماً لخدمة السلطان حتى مات في ربيع الثاني سنة أربع وتسعين وثمانمائة ، ودفن بتربته هذه ، وتأسف السلطان عليه . هذا ملخص كلام السخاوي .

وترجمه الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « أنباء الغمر » فقال في حوادث سنة ثلاث واربعين وثمانمائة :

ورد — ابن المترجم — الى القاهرة لطلب الحديث ، ووصفه بالفاضل البارع ثم قال : سمع الكثير ، وكتب كتباً كثيرة وأجزاء ، وجد وحصل في مدة لطيفة شيئاً كثيراً ، وكتب عني في مدة يسيرة المجلد الأول من « الاصابة في تمييز الصحابة » ، وقرأه وعارض علي به وأتقنه ، ونسخ أيضاً « تعجيل المنفعة في رجال الأربعة »

وقرأه كله وأتقنه ، وسمع عدة أجزاء ، وحضر مجالس في « الأمالي » . وخطه مليح ، وفهمه جيد ، ومحاضراته تدل على كثرة استحضاره .

هذا كلام الحافظ ابن حجر ملخصاً ، ومن خطه نقلته . ووصفه للمترجم انما كان أيام طلبه للعلم . فاذا قابلته مع كلام السخاوي وجدت الحافظ قد أتى بالانصاف ، كما هي عادته ، وعلمت أن التعصب هو الذي أودى بالعلوم وأهلكها .

وترجمه صاحب « تنبيه الطالب » بنحو ما تقدم ، وعد من مؤلفاته « شرح التنبيه في فروع الشافعية » . وقال أبو البقاء أحمد البقاعي في « مختصره » : ان المترجم رتب على تربته لصيق المنجكية بمحلة مسجد الذبان : الجوامك ، والخبز على الفقراء ، وعمل مطبخاً بباب الفراديس ومطبخاً بالمدينة المنورة . اه فجزاه الله خيراً .

دارالقرآن (الجزرية)

هي دار أظهرها الدهر برهة ثم طواها ، وجلاها في وقت ثم أخفاها ، ذهبت أحاديثها الا من القرطاس ، وتبدلت أحوالها بانتقالها من أناس الى أناس .

أمراتع الغزلان غيرك البلا   حتى غدوت مراتع الغزلان

والذي أفاده كلام المؤرخين أن هذه الدار قد انطمست آثارها ، وخفيت رسومها منذ دهر طويل . فقد قال النعيمي في « تنبيه الطالب » ، ووفاته سنة خمس واربعين وتسعمائة : قيل انها بدرب الحجر ، وكذا قال الشيخ عبد الباسط العلموي في « مختصره » ، ووفاته سنة احدى وثمانين وتسعمائة . وهذا الصنيع يقتضي أنها لم تكن موجودة في زمن أحد منهما . ولما اختصر أبو البقاء البقاعي « تنبيه الطالب » أسقطها من « مختصره » اشارة منه الى أنه لا فائدة في ذكرها لاندراسها . والكتاب موجود في ديوان الاوقاف بدمشق الى الآن ، فهي خارجة عن الأوقاف رسما .

ودرب الحجر هو فيأواخر السوق الكبير(١) قريباً من الباب الشرقي ، وعلىالتحقيق

---

(١) المسمى الآن بالسوق الطويل وشارع مدحة باشا .

انها صارت داراً للسكنى . فصارت مراتع غزلان بعد أن كانت مراتع علماء وطلاب الا أن ترجيع الالحان بالقرآن قد فقد منها . ونحن أثبتناها في « منادمة الاطلال » تذكاراً لها وبياناً لترجمة واقفها .

ترجمة شمس الدين محمد ابن الجزري

محمد ابن الجزري ٧٥١-٧٣٣

٥ هو الامام الحافظ محمد بن محمد بن محمد علي بن يوسف الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي المقرىء المحدث ، ويعرف بابن الجزري نسبة لجزيرة ابن عمر ، وترجمته في كثير من كتب التاريخ .

قال الحافظ ابن حجر في حوادث سنة أربع وثلاثين وثمانمائة :

١٠ ولد المترجم سنة احدى وخمسين وسبعمائة بدمشق ، وتفقه بها ، ولهج بطلب الحديث والقرآن ، وبرز في علم القراءات ، وعمر مدرسة للقراء سماها دار القرآن ، وأقرأ الناس . وعين لقضاء الشام مرة ، ثم عرض عارض فلم يتم له . وقدم القاهرة مراراً . وكان مثرياً ، وشكلاً حسناً ، وفصيحاً بليغاً . وأطال في ترجمته ، وهو من المعاصرين له .

١٥ وقال الشيخ رضي الدين محمد بن أحمد بن عبد الله الغزي العامري ، وهو من معاصريه أيضاً ، في كتابه « بهجة الناظرين الى تراجم المتأخرين » :

هو الشيخ المحدث الفاضل ، الأديب(١) المفنن ، القاضي شمس الدين ثم ذكر تاريخ مولده سنة احدى وخمسين وسبعمائة . ثم قال : قال القاضي علاء الدين ابن خطيب الناصرية في « تاريخه » : كذا رأيته بخطه . اه . قال الغزي : وحضر على ابن الخباز
٢٠ وروى لنا عنه . واتهمه في ذلك المصريون ومنهم الحافظ ابن حجر .

قلت : ولا وجه لاتهامه ، وحضور ابن الجزري عليه ممكن ، بل سماعه كما هو معروف عند أهل الحديث . وأخذ عن جماعة من علماء الاسلام ، وبرع في علم القراءات

---

(١) كذا في الأصل والأصح أن يقال : أديب متفنن .

وأتقنها ، وأخذها على وجهها من أئمتها ، وبرع في زمانه وشكره الائمة . وولي خطابة جامع التوبة بالعقيبة ، ثم قضاء الشافعية بالشام من قبل الظاهر برقوق الجركسي، لكن لم يتم له الأمر . ودخل القاهرة وأخذ عن أئمتها ، وكان له صيت في ذلك الوقت . ثم ولي الصلاحية في القدس الشريف(١) ثم ذكر أسفاره في الاقطار ، وتنقلاته على سبيل الاجمال ، ثم قال : ٥

ولما قدم المترجم دمشق اجتمعت عليه ، وكان مسنا عنده تواضع ، وله رياسة ظاهرة . وجلس بجامع دمشق عند باب الخطابة ، واجتمع عليه بعض القراء والطلبة ، فأخذوا عنه ، وسمعوا منه . وكانت بضاعته مزجاة في العلوم ، سوى القرآن فانه كان فيه علامة زمانه. ثم رحل الى بلاد العجم وكان آخر العهد به ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة عن اثنين وثمانين عاماً . ١٠

وقال في « البدر الطالع » : جد المترجم في طلب الحديث بنفسه ، وقرأ الفقه ، والأصول ، والمعاني والبيان .

وترجمه العلامة طاش كبري في « الشقائق النعمانية » بترجمة طويلة حاصلها : أنه جمع القراءات السبع ، والعشر ، والاثنتي عشرة . ودخل الديار المصرية فنشر بها العلم والقراءات . ثم تألب عليه الأعداء حتى ناله ظلم شديد أدى الى أخذ ماله وغيره . ١٥ فخرج منها الى مدينة بروسا فأكرمه السلطان بايزيد ، ثم أتى دمشق ، فلم يكد يصف له المقام بها حتى دهمتها الفتنة العظيمة من قبل تيمورلنك سنة خمس وثمانمائة . ولما رحل عنها ، أخذه معه في جملة من أخذه من الفضلاء الى ماوراء النهر ؛ وأنزله بمدينة كشي ثم بسمرقند فاشتهر بهما، وأقرأ جماعات لاتحصى ، وكثر نفعه ، واشتهر فضله، حتى أن تيمور لما كان بسمرقند اتخذ وليمة عظيمة فجلس في ديوانه ، وعين جانب ٢٠ يساره للأمراء ، وجانب يمينه للعلماء . فقدم في ذلك المجلس الشيخ (الجزري) على السيد الشريف الجرجاني المشهور ، وكان وقتئذ مدرسا بسمرقند ؛ فقالوا له في ذلك. فقال : كيف لاأقدم رجلا عالماً بالكتاب والسنة ، وما يُسأل عما أشكل على السائل منهما الا حل الاشكال بالذات بلا تأخير !.اهـ

---

(١) وقد جعلت الآن كنيسة مع أن وقفيتها مازالت على بابها وجدرانها . وبها بئر يزعم النصارى أن عيسى عليه السلام كان يشفي بها المرضى . ٢٥

قلت : تأمل ! وأمعن النظر في هذه القضية ، وادر أنه ان كان ما فعله تيمور لأمر سياسي ، فقد نشأ عن فكر عال ، ومرتبة في السياسة سامية . وان كان عن حب للسنة ، فلله در رجال تعرف مراتب أصحاب الكمال ، ولا تنقص الرجال شيئاً من حقها .

٥ والذي يظهر أنه قصد الأمر الثاني: لأن تيمور ، مع عتوه وظلمه وبغيه ، كان مغرماً بحب العلماء ، ولاسيما الكاملون منهم .

قال في « الشقائق » : ثم لما مات تيمور سنة سبع وثمانمائة ، فارق المترجم بلاد ماوراء النهر فدخل خراسان ، وهراة ، وشيراز ، ويزد ، ونواحيها ، ونشر في تلك الأماكن فن القراءات. وألزمه صاحب شيراز القضاء بها فأقام مكرها . ولما قضى الرحمن
١٠ له بالخلاص سافر الى البصرة ثم الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . اهـ

وترجمه السخاوي في « الضوء اللامع » ترجمة مطولة ، وطعن فيه وفي روايته ، كما هو دأبه في علماء الحديث الذين لم يعظموه ، وخلاصة ما قاله :

انه جعل نفسه عمريا وقال : كان أبوه تاجرا ، وحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين ، وصلى به في السنة العاشرة . ثم ولي القضاء بدمشق على مال يدفعه ، فلما تولاه
١٥ لم يف به ، فامتحن لذلك ، وفر الى مصر سنة ثمان وتسعين ، ثم لحق ببلاد الروم واتصل بالسلطان بايزيد ، فأكرمه وعظمه وأنزله عنده بضع سنين ، فنشر علم القراءات والحديث ، وانتفعوا به . فلما دخل تيمورلنك الروم[1] أخذه معه الى سمرقند ، فأقام بها الى أن مات تيمور ، فتحول حينئذ الى شيراز فنشر بها القراءات والحديث ، وانتفع به أهلها ، وولي قضاءها وقضاء غيرها من البلدان من جهة أولاد تيمورلنك . ثم قصد
٢٠ الحج سنة اثنتين وعشرين ، فنهب في الطريق ، وتعوق عن ادراك الحج ، فأقام يبيع ويشتري ، ثم تيسر له فأقام بمكة مجاورا ، وحدث بها . ثم سافر الى بلاد العجم . ثم قدم القاهرة واتصل بالسلطان الأشرف فعظمه وأكرمه . وتصدى للاقراء والتحديث . ثم سافر الى مكة ثم الى اليمن تاجرا ، فأسمع بها الحديث ، وأكرمه صاحبها ، ووصله بحيث رجع ببضائع كثيرة . وعاد الى مكة ثم الى القاهرة ثم الى البصرة ، والى شيراز
٢٥ فمات بها ، ودفن بمدرسته التي أنشأها هناك .

---

(1) أي بلاد الروم .

ثم سرد السخاوي مصنفاته فقال هي :

« النشر في القراءات العشر » مجلدان ، واختصره بكتاب سماه « التقريب وتحبير التيسير في القراءات العشر » و « التمهيد في التجويد » ، وهما مما ألفه وله من العمر سبع عشرة سنة ، ونظم الهداية في تتمة العشرة ، وسماها « الدرة » وله من العمر ثماني عشرة سنة ، وربما حفظها أو بعضها بعض شيوخه ، و « اتحاف المهرة في تتمة العشرة » و « اعانة المهرة في الزيادات على العشرة » نظم ، و « طيبة النشر في القراءات العشر » في ألف بيت ، و « المقدمة فيما على قارىء القرآن أن يعلمه » وهي نظم أيضا ، وقل من يعاني فن التجويد في زمننا الا ويحفظها ، و « منجد المقرئين وطبقات القراء » في مجلد ضخم ، و « غايات النهايات في أسماء رجال القراءات » و « الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين » في الأذكار والدعوات وهو غاية في الاختصار والجمع ، و « عدة الحصن الحصين » و « جنة الحصن الحصين » و « عرف التعريف » مختصرة و « التوضيح في شرح المصابيح » وهو ثلاثة أسفار أفه فيما وراء النهر ، و « البداية في علوم الرواية والهداية في فنون الحديث » نظم ، و «الأولوية في أحاديث الأولوية » و « عقد اللآلي في الاحاديث المسلسلة العوالي » و « المسند الأحمد فيما يتعلق بمسند أحمد » و « المقصد الأحمد في رجال أحمد » و « المصعد الأحمد في ختم مسانيد أحمد » و «الاجلال والتعظيم في مقام ابراهيم » و « الابانة في العمرة من الجعرانه » و « التكريم في العمرة من التنعيم » و « غاية المنى في زيارة منى » و « فضل جبل حراء » و « احاسن المنن » و « أسنى المطالب في مناقب علي ابن أبي طالب » و « الجوهرة في النحو » وغير ذلك من الرسائل والتعليقات .

وقد ذكره الطاووسي في مشيخته وقال : انه تفرد بعلو الرواية ، وحفظ الأحاديث والجرح والتعديل ، ومعرفة الرواة المتقدمين والمتأخرين . اه وترجمه الحافظ ابن حجر في معجم شيوخه الذي سماه « المجمع المؤسس للمعجم المفهرس » فذكر نحوا مما سبق ، وقال : كان له توقيع الدست بدمشق وعين لقضاء الشافعية ، ثم فر الى بلاد الروم واتصل بالملك بايزيد بن عثمان ، وأقام عنده بضع سنين الى وقعة الكائنة العظمى التي قتل فيها الملك بايزيد ؛ فاتصل بعدها بالأمير تيمور الى أن قال : وليس له في الفقه يد ، بل فنه الذي مهر فيه القراءات ، وله عمل في الحديث ، وله نظم وسيط . اه

قلت : وفن القراءات في دمشق ومصر وغيرهما ، انما يدور على مصنفات ابن الجزري في زمننا هذا ، وعلى « الشاطبية » وشروحها . ورأيت له كتابا في نظم السيرة النبوية وأنا في سن الصبا وقد غاب الآن عني . ومن لطيف نظمه ماقاله عند ختم كتاب « الشمائل » للامام الترمذي :

٥ أخلاَّي ان شط الحبيبُ وربعُه — وعز تلاقيهِ وناءت منازله
وفاتكمُ أن تبصروه بعينكم — فما فاتكم بالسمع هذي شمائله

قال المقريزي وقد مدحه النواجي بقوله :

أيا شمس علم بالقراءات أشرقت — وحقك قد منَّ الاله على مصر
وهاهي بالتقريب منك تضوعت — عبيرا وأضحت وهي طيبة النشر

١٠ وكتب اليه المولى خضر بك يقول :

لو كان في بابه للنظم معجزة — ألفت في مدحه ألفا من الكتب
لكنه البحر في كل الفنون فما — اهداءُ در الى بحر من الأدب

فأجابه بقوله :

في در علمك بحر الفضل ذو لجب — ودر نظمك عقد في حلى الأدب
١٥ الدر في البحر معهود تكونه — والبحر في الدر يبدي غاية العجب

دار القرآن (الدلامية)

ترجمها صاحب « تنبيه الطالب » و « الدارس » بقوله : هي بالقرب من الماردانية بالجسر الأبيض بالجانب الشرقي من الشارع الآخذ الى الجسر المذكور بالصالحية . زاد العلموي في « مختصره » : وهي معروفة . انتهى

٢٠ وفيها تربة الواقف . أنشأها الشهاب الخواجكي(١) الرئيسي الشهابي أبو العباس أحمد بن المجلس الخواجكي زين الدين دلامة بن عز الدين نصر الله البصري أجل أعيان الخواجكية بالشام الى جانب داره . وترجمه السخاوي في « الضوء اللامع » فقال:

---

(١) من ألقاب الأعيان .

أحمد بن دلامة
٠٠٠-٨٥٣

أحمد بن دلامة الخواجا البصري ، ثم الدمشقي ، أنشأ مدرسة بصالحية دمشق ، وتفقه ، وبرع ومات في ثامن عشر المحرم سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، ودفن بعد العصر من يومه . انتهى

قال البقاعي : وقد قارب الثمانين . قال في « التحفة » : وقفها سنة سبعوأربعين وثمانمائة ، ورتب بها اماما وله من المعلوم مائة درهم ، وقيما وله مثل الامام ، وستة أنفار من الفقراء الغرباء المهاجرين في قراءة القرآن ، ولكل واحد منهم ثلاثون درهما في كل شهر ، ولشيخهم عشرة . ومن شرط الامام الراتب أن يتصدى شيخا لاقراء القرآن الجماعة ، وله على ذلك عشرون درهما زيادة على معلوم الامامية ، وستة أيتام بالمكتب على بابها ، ولكل واحد منهم في كل شهر عشرة دراهم . وقرر لهم شيخا ، وله من المعلوم ستون درهما في كل شهر . ورتب أيضا قارئا « لصحيح الامام البخاري » في كل من شهر رجب وشعبان ورمضان ، وجعل له من المعلوم مائة وعشرين درهما ، وناظرا وله من المعلوم في الشهر ستون درهما ، وعاملا وله من المعلوم في السنة ستمائة درهم . ورتب للزيت في كل عام مثلها . وجعل للشمع ولقراءة البخاري وامام التراويح مائة درهم ، ولأرباب الوظائف خمسة عشر رطلا من الحلوى ، ورأسي غنم أضحية ، ولكل يتيم جبة قطنية ، وقميصا ، ومنديلا في كل سنة . وقرر قارىء ميعاد في يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، وله في الشهر ثلاثون درهما . وشرط على أرباب الوظائف حفظ حزب الصباح والمساء لابن أبي داود ، يقرؤونه بعد صلاة الصبح والعصر . وأن يكون الامام هو القارىء البخاري ، والقارىء على ضريح الواقف ، والقيم هو البواب والمؤذن . حكى هذا ابن طولون في كتابه « القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية » والنعيمي وتبعه في « التنبيه » . وأول من باشر الامامة بها والمشيخة ، شمس الدين البانياسي ، وقراءة الميعاد شمس الدين بن حامد . وذكر بعضهم أن سبب انشائها ان الخواجا ابراهيم الأسعردي عمر مدرسة بالجسر الأبيض ليس لها نظير ، وجعل بها خلاوي(١) . فطلب بها رجل من جماعة ابن دلامة خلوة بشفاعة ابن دلامة فلم يعطه الخلوة التي طلبها ، وأعطاه غيرها فلم يقبلها . فقال الخواجا ابراهيم له : قل لابن دلامة : يعمر مدرسة مثلها ، ويعمر لك خلوة تريدها . فأخبره بذلك ، فلم ينم تلك الليلة

(١) كذا في الأصل وصوابها خلوات .

حتى رسم مكانها وقاسها . فقال الخواجا ابراهيم : ما أردت بذلك الا تنهيضه لفعل الخير .

قلت : وقد شاهدت تلك الدار أثناء كتابتي لهذه السطور ، وهي معروفة باسم الدلامية الى الآن في الطريق الآخذ الى الصالحية في الجهة الشرقية ، وهي عامرة مشهورة ، وحائطها الغربي مبني بالحجارة السوداء والصفراء على نمط جميل ، وبابها مبني على هندسة لطيفة واتقان يدل على ما كان للفن المعماري في ذلك الزمن من التقدم ، وكأن المتقدمين كانوا يتفننون في بناء الأبواب ، فيجعلون لأبواب دور القرآن طرزا غير طرز أبواب دور الحديث ، ولأبواب الحديث شكلا غير شكل أبواب مدارس الفقه والعلوم . ويميزون أبواب أبنية السلاطين والأمراء لمعاهد الخير عن أبواب أبنية غيرهم . ومن تأمل مآثرهم رأى ذلك عيانا . ثم انك اذا دخلت من الباب أفضى بك الى صحن لطيف في وسطه بركة ماء ، وفي الجهة الشمالية ايوان لطيف أيضا ، وفي الجهة القبلية حرم جميل ثلاث عشرة خطوة في سبع . وفي الحائط الشرقي حجرة ، وفي الغربي حجرة أيضا ، وبها قبر الواقف ، ولها شباك مطل على الطريق . وتلك الدار الآن معدة لاقامة الصلوات الخمس ، والأوقات التي اصطلح عليها أتباع الشيخ ابراهيم الرشيدي من المتصوفة(١) . وأخبرني أحد المقيمين بها أن أيدي المختلسين تناولتها قديما ، فجعلوا نصفها دارا ، والنصف الآخر جنينة للورد والأزهار التي يزرعها أهل الصالحية ويبيعونها . فلما كانت سنة ثلاثمائة وألف انتدب لها السري المحسن علي بك ابن مردم باشا المؤيد العظمي(٢) فاستخلصها من يد مختلسيها ، وبناها على الطراز الذي هي عليه الآن .

دار القرآن (الرشائية)

كانت هذه الدار شمالي الخانقاه السميساطية ، وكان الطريق الذي يمر أمام مدفن السلطان صلاح الدين فيأخذ الى الشرق يقال له : درب الخزاعيين ، وباب الجامع الشمالي يقال له باب الناطفيين(١) ، فتغير الاسم وبقي المكان على حاله .

---

(١) ويدرس فيها الآن فقيه المذهب الشافعي في الشام الشيخ صالح العقاد .

(٢) هذا الاسم يجمع بين أسرتي مردم والمؤيد العظم . ومن الرجوع الى الاسرتين لم يعرف أحد يجمع بين اللقبين وانما كان في أسرة العظم شخص يدعى علي بن مؤيد باشا العظم ، وفي أسرة مردم شخص يدعى علي بن محمد مردم وكان متزوجاً من آل العظم . وعلى هامش مصورة الأوقاف قوله : أبن مردم باشا سبق قلم .

ترجمة واقفها

علي السنجاري
٠٠٠-٧٣٥

أنشأها علاء الدين علي بن اسماعيل بن محمود السنجاري .

قال الحافظ ابن كثير في ترجمته : هو أحد التجار المشهورين ، والأتقياء الورعين ، ومن الأخيار ذوي اليسار المسارعين الى الخيرات . توفي فجأة في القاهرة ليلة الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، ودفن عند قبر القاضي شمس الدين الحريري ، ومات عما ينيف عن ثمانين سنة من العمر . ٥

وقال الحافظ البرزالي في ترجمته: كان رجلا جيدا، فيه ديانة وبر، أنشأ دار القرآن السنجارية ، ورتب فيها جماعة يقرؤون القرآن ، ويتلقونه . وكان له مواعيد حديث ، يعني أوقاتا يحضرها الناس لسماع الحديث .

وقال العلموي : أنشأها سنة ثلاثين وسبعمائة . وقال أيضا في تعريفها : وهي الآن متصلة ببيتي بباب فتحته من حائط مشترك بين بيتي وبينها ، غير بابها المخصوص بها . انتهى ١٠

وانظر أيها العاقل مراده بهذه العبارة التي قصد بها أن يعرفنا مكان بيته ، فتوجه عليه اعتراض ، وفتح عليه فتح ذلك الباب بابا وهو : أنه أشار الى أنه أول من سارع من القوم الى التلاعب بها ، وأول من انتظر فرصة لضمها الى بيته. وقد شاء له الزمان ذلك. فانه بهذا تصرف بها نوعا من التصرفات ، ثم جاء من بعده فبالغ ، وهكذا الى أن صارت ملكا تباع وتوهب وتورث . وربما استبدلت بها قراءة القرآن بنغمات الأوتار ، وتلون الألحان ، ومغازلة الغادات والغزلان. فبانيها سن سنة حسنة فكان له أجرها، ومختلسها سن سنة سيئة فكان عليه وزرها . ولايضيع عند الله مثقال ذرة . ١٥

دار القرآن (الصابونية) ٢٠

هي الآن موجودة مشهورة عامرة .

قال النعيمي : هي خارج دمشق قبلي باب الجابية ، غربي الطريق العظمى ، ومزار أوس بن أوس الصحابي الجليل رضي الله عنه. وبها جامع حسن بمنارة تقام فيه الجمعة، وتربة الواقف وأخيه وذريتهما . انتهى

وقد رأيتها أثناء كتابتي لهذه السطور لأصفها عن مشاهدة : فاذا هي مقابل تربة باب الصغير ، غربي الطريق الأعظم الآخذ الى باب المصلى والميدان . وجدارها الشرقي شاهق متين ، مبني بالحجر الأصفر بناء متقنا ، وبه نقوش بديعة محفورة بأحجاره . وفيه الباب وهو مرتفع أيضا يماس أوجه علو الجدار . وصدر قنطرته مزخرف بحجارة محفورة معجنة ، وهو على شكل محراب ، وفيه باب المدرسة وهو صغير بالنسبة اليه . وهذا العمل يدل على اتقان الفن المعماري وقتئذ . فاذا دخلت من الباب صرت في دهليز ، وكان عن يسارك جامع للمحاسن : جامع تقام فيه الجمعة والجماعة ، وعن يمينك قبة لها شباكان مطلان على الطريق الأعظم . وفي الجنوبي منهما فسقية ماء يردها المارون ؛ وفيها قبر الواقف وأخيه وأحد أقاربه . والقبور الثلاثة مبنية بالرخام الأبيض . وأعلى القبة كان متهدما ، فعمر عمارة لطيفة ، وجعل له شبابيك من البلور . وبجانبها من الغرب حجرة قد سقط سقفها ، وبقيت جدرانها ، ولها باب الى الدهليز . وفي داخلها باب الى القبة . فاذا خلصت من الدهليز ، وصلت الى صحن المدرسة ، وطوله تسع عشرة خطوة في عرض سبع عشرة خطوة ، وفيه بركة ماء مربعة ماؤها دائم الجريان كما هي عادته في دمشق . وقابلك من الغرب ايوان في صدره ثلاث حجرات ، وبجانبه الشمالي حجرة ، وعن يمينه دار للسكنى ، وعن يساره كذلك . وفي الجانب الجنوبي ايوان أيضا ، وفي صدره محراب ، وحجرتان عن يمينه وعن يساره ، وفي جانبه الشرقي حجرة أيضا ، وفيه باب يصعد منه الى المنارة ، وهي شاهقة البناء حسنة الوضع . وفي الجانب الشمالي بيوت الخلاء ، وحجرة أمامها قبران . فجملة ماهو موجود بها عشر حجرات .

قال النعيمي : وهذه الدار أنشأها المقر(١) الخواجكي شهاب الدين أحمد الشهابي القضائي ابن علم الدين سليمان بن محمد البكري الدمشقي المعروف بالصابوني . ابتدأ في عمارتها سنة ثلاث وستين وثمانمائة ؛ وفرغ منها سنة ثمان وستين وثمانمائة . وشرط الواقف النظر لنفسه ، ثم لذريته ، ثم من بعد انقراضهم يكون النظر نصفين : نصف منه لحاجب دمشق ، يعني واليها أو مالكها كائنا من كان . والنصف الآخر للامام . وشرط قراءة «البخاري» في شهور رجب وشعبان ورمضان . واشترط في الخطيب أن يكون شافعي المذهب ، وفي الامام أن يكون من الطائفة الجبرتية ، وسيأتي بيانهم ،

---

(١) المقر من القاب أرباب الاقلام والسيوف والعلماء والكتاب كما ذكره صبح الأعشى ٤٩٥/٥

وأن يكون حنفيا ، وأن يكون معه تسعة عشر فقيرا من جنسه يقرئهم القرآن . قاله أبو البقاء أحمد البقاعي في « مختصره » . وفي « التنبيه »: عشرة ، ولعله هو الأصح . وجعل لسكن الامام وعياله قاعة ، وللفقراء عشر حجرات ، يعني خلاوي(١) . **قلت :** وهذه الحجرات والقاعة موجودة الآن كما مر بيانه . فان لم يوجد امام من الجبرتية الحنفية فيكون يمانيا . فان لم يوجد(٢) فيكون آفاقيا . ورتب ستة مؤذنين ، وجعل قيما وبوابا، وفراشا ، وجابيا للوقف . وبنى أيضا تجاه المكان المذكور من الشرق مكتبا للأيتام ، واشترط أن تكون عدتهم عشرة . ورتب لهم شيخا يقرئهم القرآن بمعلومات(٣) شرطها لهم ، تصرف عليهم من جهات عديدة منها : عدة قرى غربي مدينة بيروت اسمها الصابونية، ومنها جميع قرية مَدْيَرى بفتح الميم وسكون الدال المهملة وفتح المثناة التحتية آخرها ألف مقصورة ، وهي بالغوطة من المرج الشمالي ، معروفة مشهورة ، ومنها قرية ترحيم بالبقاع ، وعشرة أفدنة ونصف فدان وأربعة فدادين بقرية الصويرة ، وربع قرية القرعون بالبقاع ، وستة فدادين من قرية كحيل بحوران ، وعشرة أفدنة ونصف فدان من قرية الخيارة قبلي دمشق ، وعشرة أفدنة ونصف فدان من قرية السبينة الغربية ، ومزرعة السياف الكائنة بقرب بيت الأبيار ، وربع بستان بقرية جرمانا ، وبستان الوثاب بالوادي التحتاني ، وبستان بعين ثرما ، وسبع قطع أرض بقرية سقبا ، وبستان بقرية حمورية ، وعدة بساتين ببرزة ، وأربعة بساتين بجوبر ، وعدة بساتين بالنيرب الفوقاني ، وأربعة بساتين بأرض المزة ، ومثلها بقرية كفرثوثا(٤) ، وثلاثة بساتين بأرض قبنية . فهذه هي الأراضي والبساتين .

وأما المسقفات فمنها : خان كان يسمى بخان البقسماتية ، وقاعة واحدة بعين اللؤلؤة ، وحانوت بالدباغة ، وأربع طباق بالعقيبة الكبرى ، وخان طولون بها، وثلاثة حوانيت شركة الحرمين بسوق العمارة التحتاني وكانت تسمى عمارة الاخنائي ، وستة حوانيت بمحلة مسجد الأقصاب ، وقاعتين بجوار الجامع الاموي ، وأربع طباق جوار المارستان النوري ، وطبقة واحدة جوار باب الفراديس بدمشق، وأربعة حوانيت بالقضمانية، وستة حوانيت بباب الجابية ، وخان بمحلة سوق الهواء ، وخان بمحلة قصر حجاج ، وطبقة فوقه ،

---

(١) تقدم بيانها .

(٢) في نسخة ميونيخ من « الدارس » زيادة : فحجازياً فان لم يوجد . انظر الدارس ١٥/١

(٣) مرتبات .

(٤) المعروفة الآن بكفرسوسة .

وحانوت غربي النخلة الطويلة قبلي جامع حسان (١) وهذه النخلة كانت في زمن النعيمي والبقاعي ، وأما الآن فلم يفدنا التعريف بها شيئا !؟

هذا ماوقفه الواقف واحتسب أجره عند الله تعالى .

ثم جاء بعده مملوك له يقال له يوسف الرومي فحذا حذو سيده في أفعال الخير . والتربية الحسنة تفيد المربى والمربي . فأوقف على الصابونية بستانا غربي مصلى العيدين جوار بستان الصاحب ، ومعصرة زيتون بكفرثوثا ، وقاعة لصيق الجامع ، وفي علوها طبقة ، وقاعة أخرى قبلي ذلك ، وفوقها طبقتان .

الجبرتية

حيث أنه قد سبق ذكر الجبرتية أثناء شرط الواقف ، كان الالماع الى تعريفهم وبيان مواطنهم متمما للفائدة ، موقفا على مزيد بيان ، تفكهة وتنقلا ، واللذات في التنقل . ولذا وضعناها بحسب ماكانت عليه من قبل ، وبمقتضى ماهي عليه الآن ، واليك ذلك :

قال الفاضل عبد الرحمن الجبرتي ، في تاريخه المسمى «عجائب الآثار» :

بلاد جبرت هي بلاد الزيلع بأراضي الحبشة تحت حكم الخطا ملك الحبشة . وهي عدة بلاد معروفة تسكنها هذه الطائفة، وهم المسلمون بذلك الاقليم، ويتمذهبون بمذهبي أبي حنيفة والشافعي لاغير ، وينتسبون الى سيدنا أسلم بن عقيل بن أبي طالب . وهم قوم يغلب عليهم التقشف والصلاح ، ويسافرون من بلادهم بقصد الحج والمجاورة في طلب العلم . ويحجون مشاة ولهم رواق بالمدينة المنورة ، ورواق بمكة المشرفة ، ورواق بالجامع الازهر . ثم قال الجبرتي : وظهر منهم علماء أفاضل كالزيلعي شارح « الكنز » ، وغيره . وسرد تراجمهم ، ثم قال : وللحافظ المقريزي مؤلف في أخبار بلادهم ، وتفصيل أحوالهم ، وللشيخ علاء الدين محمد بن عبد الله البخاري كتاب سماه « الطراز المنقوش في محاسن الحبوش » ، وللحافظ عبد الرحمن بن الجوزي كتاب « تنوير الغبش في فضائل السودان والحبش» ، وللجلال السيوطي كتاب أيضا سماه : «رفع شان الحبشان» . انتهى

(١) الطبقة التي فوق الخان الاخير والحانوت الذي يليه ليسا في الدارس .

هذا بحسب ماكانت عليه من قبل . وأما ماهي عليه بحسب(١) من جهة جغرافيتها : فان تلك الاصقاع يقال لها: بلاد الصومال. وهي بلاد واقعة فيالشرق الأقصى من أفريقية الشمالية بين خليج عدن والمحيط الهندي ، تقابل شبه جزيرة العرب من الجنوب . وهي هضبة بها جبال مرتفعة في الشمال ،وجوها حار جدا في النهار ، وبارد جدا في الليل . وليس للأمطار فيها انتظام . وأنهارها وقتية تستمد من الامطار . وتبلغ مساحتها سبعمائة وخمسين ألف كيلومتر مربع .ويزرع فيها البن ، واللبان بكثرة . وتجارتها رائجة مع الحبشة وبلاد اليمن . وأهم صادراتها : الصمغ ، واللبان ، وريش النعام ، والعاج ، والجلود ، والبن . وسكانها يقدرون بثلاثمائة وخمسينألف نفس ، كلهممسلمون حمر الوجوه . وهم قبيلتان : ففي الشرق الصوماليون ، وفي الغرب قبائل الجالة . والفريقان في قتال مستمر ، لاتجمعهما الا كراهة الأجنبي ومقاومة الغريب . ولم يتمكن الأوربيون من دخول البلاد لمقاومة أهلها لهم ، فاحتلوا السواحل . فاختصت انكلترا بالسواحل الشمالية التي على خليج عدن وبين خليج تاجورا وبندر قاسم . وهواء هذه السواحل جيد .

ويتولى ادارتها القنصل الانكليزي المقيم في بربرة . ويحافظ على سلطة الحكومة فيها جنود هنود ضباطهم من الانكليز ، وعاصمة هذه المستعمرة بربرة وهي مدينة جيدة الماء والهواء ، ذات مرفأ أمين ، ولها تجارة مع اليمن والحبشة . وكانت تابعة لحكومة شرقي السودان المصري قبل استيلاء الانكليز عليها . وأشهر مدنها : زيلع وهي ميناء تجارية على خليج عدن ، وبلهار مثلها .

وأما شواطيء المحيط الهندي فالنفوذ فيها لأيطاليا . وأشهر المدن فيها بروه ومركه ومغدوش .

ثم ان انكلترا أرادت بسط سلطتها على قبائل الصومال الداخلية ، كما هي عادتها ، ليقوى سلطانها هناك ، وليقوى نفوذها في شرقي افريقية . فأخذت ترسل وسواسها وتتبع طريقتها ، الى أن دخلت بحجة مقاومة الملا أحد رؤساء هذه القبائل . وما زالت تتوسع في مطاردته وتحاوله وتطاوله ، الى أن تم لها ما أرادت ، وحازت على ما شاءت وشاء لها الحظ ، وهمجية السكان ، وتفرق الكلمة ، وتشعب الآراء . والله يقضي مايريد ويفعل ما يشاء .

---

(١) كذا وردت بالاصل ولا لزوم لها .

دار القرآن (الوجيهيــة)

كانت قبلي المدرسة العصرونية والمسرورية ، وغربي الصمصامية التي كانت شمالي الخاتونية التي زقاقها يسلك منه الى البيمارستان النوري ، والى ذلك الزقاق يفتح بابها.

هذا ما حكاه النعيمي ، وتبعه العلموي ، والبقاعي . ولعلها كانت موجودة في زمنهم.
٥ وأما في زمننا فلا رسم لها ولا أثر ! وسأفصل موضعها وأقول :

انك اذا وقفت على درج باب البريد ، ثم سرت مغربا ، فانك لاتسير قليلا حتى ترى عن يمينك مبدأ سوق العصرونية ، فاذا دخلت وسرت الى نحو من نصفه كانت المدرسة العصرونية عن يمينك ، ثم بعدها الى الغرب الخاتونية الصغرى ، وأمامها في الجهة الشمالية العادلية الصغرى ، وبعدها الى الغرب دار الحديث الأشرفية . وسيأتي الكلام
١٠ على هذه المدارس في محالها ان شاء الله تعالى . ثم اذا خلصت من السوق ، وجدت القلعة أمامك . فاذا اتجهت الى الجنوب ، وسرت الى طريق البيمارستان النوري ، لم يكن هنالك مدارس أبداً ، ولم تجد الا البيمارستان ، وبجانبه باب وله أسكفة(١) من الحجر مكتوب عليه مايدل على أنه باب المدرسة الخاتونية لكنها صارت الآن داراً للسكنى ! وأخبرني بعض الثقات أنه كان يعرف زقاقا بجانب العصرونية الجنوبي ، وفي
١٥ آخره دار على هيئة مدرسة . فلما فتحت سوق الحميدية ، أدخل هذا البناء في السوق ، ولم يبق له رسم ولا طلل . ومهما يكن ، فانها اما أن تكون قد صارت دورا للسكنى ؟. وأخبرني بعض الثقات أنه كان يعرف زقاقا بجانب العصرونية الجنوبي ، وفي التنصيص على أنها كانت أثراً في محلها ، وذخرا لواقفها .

ترجمة واقفها

وجيه الدين ابن المنجا ٦٣٠-٧٠١

٢٠ أنشأ هذه الدار الشيخ وجيه الدين محمد بن الامام الرئيس ، شيخ الأكابر ، وشيخ الحنابلة في وقته أبو المعالي عثمان بن المنجا التنوخي الدمشقي . ولد المترجَم سنةثلاثين وستمائة ، وتوفى سنة احدى وسبعمائة . وكان صدرا محترماً ، دينا ، ذا ثروةومتاجر، وبر وأوقاف . أنشأ دار القرآن هذه ، ورباطا بالقدس . وكان محدثا فاضلا . وليّ نظارة

---

(١) الاسكفة والاسكوفة خشبة الباب التي يوطأ عليها .

الجامع الأموي تبرعا وحسبة لله تعالى . ودرس بالمسمارية . وكان مع سعة ثروته مقتصدا بملبسه . وتوفى في تلك الدار التي أنشأها . هذا كلام النعيمي في ترجمته .

وقال الشيخ برهان الدين ابراهيم بن مفلح في كتابه « المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الامام أحمد » في ترجمة الواقف :

هو محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا الشيخ الامام صدر الرؤساء وجيه الدين أبو المعالي التنوخي . حضر علي ابن اللتي ، وابن المقير ، ومكرم . وسمع من جعفر الهمداني والسخاوي ، وكان شيخا عالما فاضلا ، كثير المعروف والصدقات والتواضع ، وله هيبة وسطوة وجلالة . درس بالمسمارية والصدرية ، ثم تركهما لولده ومات في حياته ، وحدث ، روى عنه جماعة . مات في شعبان سنة احدى وسبعمائة . انتهى ٥

ورأيت بخط الشيخ عبد الباسط العلموي على هامش ترجمة جد الواقف أسعد ابن المنجا ما صورته : ١٠

هو واقف الوجيهية التي برأس باب البريد . وهي مدرسة قريبة من المدرسة الخاتونية الجوانية ، وبها خلاوي كثيرة ، ولها وقف كثير فأخذ واختلس . اه

وهو خطأ . والصحيح أن واقفها هو المترجم لاجده ، كما زعم العلموي على أنه نفسه . قال في « مختصره » : ان واقفها محمد بن عثمان . ووفاته سنة سبعمائة وواحد . ١٥
وجده أسعد توفى كما في « طبقات ابن رجب » سنة ست وستمائة . فتنبه ! وهذا آخر الكلام على الدور التي كانت مختصة بتعليم القرآن .

القسم الثاني في دور الحديث الشريف

حرف الهمزة

دار الحديث (الأشرفية الأولى)(١)

عرف النعيمي وغيره محلها بأنه جوار باب القلعة الشرقي غربي المدرسة العصرونية، وشمالي القيمازية الحنفية . انتهى

أقول : هي الآن مشهورة معروفة ، وهي في أوائل سوق العصرونية من الجانب الغربي ، وتعريفها الأول معروف الآن . الا أن القيمازية لم نر لها أثرا . والأشرفية جنوبي الطريق المخترق للسوق . وقد جدد لها باب قنطرته من الحجر المزي الأحمر والأسود؛ فاذا دخله الداخل ؛ أفضى به الى دهليز لطيف بجانبه الشرقي حجرة . ثم يصل منه الى صحن لطيف ، في وسطه بركة ماء . وفي الجانب الغربي مواضع الطهارة ، وحجرتان . وفي القبلي مسجد حسن البناء والوضع . وفي الشرقي ثلاث حجرات . وفي الشمالي سلم من الحجر يصعد منه الى الطباق العلوية وهي ثلاث في الجانب الغربي ، وخمس في الشرقي . وكان سكني في غرفة علوية من هذه المدرسة أثناء طلبي للعلم . فنلت بها من الانشراح ، والفتوح ما يجعلني حامد الله تعالى ، وشاكراً له مدة حياتي . وألفت بها بعض الكتب . وبجانبها الجنوبي دار لطيفة معدة لسكنى المدرس بها . وهو الآن العالم الفاضل المحدث الصالح الشيخ محمد بدر الدين ابن الشيخ يوسف بدر الدين البيباني الشهير بالمغربي . لكن تلك الدار قد أجِّرت لبعض التجار ، وجعلت محلا للتجارة . وفوق شباك الحجرة الثانية السفلية الشرقية منها بلاطة طويلة محفور فيها ما صورته بعد البسملة :

مما أوقفه السلطان الملك الأشرف أبو الفتح موسى ابن الملك العادل رحمه الله على هذه الدار المباركة، وهو ثلث قرية حزرما ، وقيسارية العلو بكمالها، وعشرة حوانيت ، وفرنان واصطبل جوارها ، وحانوتان ، وحجرة جوار كنيسة مريم ، وأربع

(١) فيها الآن اعدادية للعلوم الشرعية ينفق عليها جماعة من أهل الخير وتقام فيها الجمعة .

حصص في أربعة حوانيت بباب البريد ، وحصتان في حانوتين في الجزيرة ، وحصة في حانوت الحدادين .

هذا ما قرأته على البلاطة المذكورة .

قال ابن كثير في « تاريخه » : كانت هذه المدرسة لصارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي واقف القايمازية ، وله بها حمام ، فاشترى ذلك الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن العادل ، وبناها دار حديث وخرب الحمام وبناه سكنا للشيخ المدرس . وأتم بناءها في سنتين ، وجعل شيخها الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، ووقف عليها الأوقاف . وكان بها نعل النبي صلى الله عليه وسلم . واشترط في الشيخ أن تجتمع فيه الرواية والدراية . اه

وكان بناؤها سنة ثمان وعشرين وستمائة . وقال الحافظ ابن كثير في «طبقاته» :

وفتحت سنة ثلاثين وستمائة ليلة نصف شعبان ، وأملى بها الشيخ تقي الدين ابن الصلاح الحديث . وبها نعل النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عند الامام نظام الدين أبي العباس أحمد بن عثمان بن أبي الحديد السلمي ، مولده بدمشق سنة ستين وخمسمائة ، وكان ورثه من آبائه ، وكان الأشرف يقربه ويجله لأجله ، ويؤمل أن يشتريه منه ويضعه في مكان ليزار . فلم يسمح بذلك ، وسمح بأن يقطع له قطعة منه ، فامتنع الأشرف حذرا من التطرق الى اعدامه ، ثم أقطعه الأشرف وقدر له معلوما ، فاستمر كذلك الى أن توفي . وأوصى بالنعل للأشرف فأقره بدار الحديث الأشرفية . ويقال انه كان الفردة اليسرى ، وان الفردة اليمنى كانت بالمدرسة الدماغية ولم تزل الى زمن تيمور ، فلما دخل دمشق أخذهما . وفي كتاب « الفتاوى الكبرى للسبكي » ماصورته :

وقف دار الحديث الأشرفية مختصرا : هذا ما وقفه السلطان الملك الأشرف أبو الفتح موسى ابن العادل أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي جميع ما يأتي ذكره : فمنه الدار ، ومنه جميع الحانوتين من شرق بابها ، وجميع الحانوت من غرب الشباك ، وجميع الحجرة من غرب ما يأتي ذكره . ومنه جميع القيسارية السفل والعلو ، وجميع الساباط قبالتها ، ودار أيضا . ومنه ثلث حزرما وقفا مؤبدا . فالدار دار حديث ، وأما جميع العقار فموقوف على مصالح هذه الدار ، وعلى أهلها .

يبدأ الناظر في هذه الأماكن بعمارة الدار ، وعمارة ما هو موقوف عليها وعلى

أهلها قدر الحاجة اليه من زيت ، وشمع ، وقناديل ، ومصابيح ، وتعاليق ، وحصر ، وبسط برسم المسجد ، وسائر ما لا يختص أحد بسكناه من سفل الدار ، وما يحتاج اليه من آلة تنظيف وكنس ونحو ذلك ، وما تدعو الحاجة اليه من تقوية فلاح ، واقراضه، وشراء دواب وآلات .

٥ ويتعاهد كتب الوقف وحججه بالاثبات ، ويصرف في ذلك من فعل الوقف مقدار الحاجة . وله أن يصرف من فعل بعض الأماكن الموقوفة في عمارة مكان آخر منها مما وقف الآن ، ومما سيوقف ان شاء الله تعالى .

وما فضل بعد ذلك كان مصروفا الى أهل الدار من أصحاب الحديث ، والمشتغلين بعلمه ، والسامعين له ، والقراء للسبع ، والشيخ المحدث والامام ، وسائر المرتبين بالمكان

١٠ المتعلقين به على ما سيأتي شرحه .

فمنه ما هو مصروف الى الامام ستون درهما عن كل شهر ، ففي السنة سبعمائة وعشرون . وعليه القيام بوظيفة الامامة في الخمس ، وفي التراويح ، وعليه عقد حلقة الاقراء ، والتلقين . وشرطه في هذا أن يكون حافظا للقراءات السبع ، عارفاً بها. وللشيخ الناظر أن يجعل حلقة الاقراء الى شخص غير الامام ، ويوزع المقدار المذكور عليهما على

١٥ حسب ما يرى فيه المصلحة .

ويصرف الى الشيخ المحدث في كل شهر تسعون درهما ، وهو أبو عمرو بن الصلاح، ولنسله خمسون درهما الى أن ينقرض آخرهم .

ويصرف الى أولاد الشيخ أبي موسى ، ونسله كل شهر ستون درهما . ولهم ، أو لمن شاء منهم ، سكنى الحجرة التي من شمالي الدار . ويصرف الى خادم الأثر الشريف

٢٠ النبوي ، وهو الحاج ريطار واسمه غلام الله ، في كل شهر أربعون درهما ، وتجرى بعده على نسله ، فاذا انقرضوا ، عاد ذلك الى سائر مصارف الوقف وجهاته . ويجعل شيخ المكان بعد انقراضهم خدمة الأثر الى من شاء ، ويجعل له مايراه . والمصروف الى هؤلاء الثلاثة ، وهم أولاد أبي موسى وعقبه ، وعقب ابن الصلاح ، وعقب ريطار ، من فعل ما سوى الثلث المعين من حزرما لكونهم لم يذكروا حالة انشاء هذه المدرسة .

٢٥ ويصرف في كل شهر مائة درهم الى عشرة أنفس من قراء السبع ، لكل واحد عشرة . ويصرف الى قارىء أربعة وعشرون درهما كل شهر .

ويصرف الى خازن الكتب ثمانية عشر درهما في كل شهر ، وعليه الاهتمام بترميم الكتب ، واعلام الناظر أو نائبه ليصرف فيه من مغل الوقف ما يفي بذلك ، وكذا اذا مست الحاجة الى تصحيح كتاب ومقابلته .

ويصرف الى شخص يكون مرتبا ونقيبا ثمانية عشر درهما . وللشيخ أن يضم اليه في بعض ذلك شخصا من الجماعة ، ويزيده على ذلك شيئا على ما يراه . ٥

وللمؤذن في كل شهر عشرون درهما ، وللبواب خمسة عشر درهما .

ويصرف الى قيمين ثلاثون درهما . وللشيخ الناظر أن يفاوت بينهما على حسب عملهما ، وان وقع الاستغناء بواحد اقتصر عليه ، وصرف اليه بعض ذلك على ما يقتضيه حاله .

١٠ ويصرف كل سنة ألفان من الدراهم من مغل ثلث حزرما في مصالح النورية ، والقائمين بمصالحها ، والمشتغلين بالحديث من أهلها ، على ما يقتضيه رأي الواقف ، أو من يفوض ذلك اليه .

ويصرف في شراء أوراق وآلات النسخ ، من حبر وأقلام ، ونحو ذلك من أدوات الكتابة ، مما تقع به الكفاية لمن ينسخ في الايوان الكبير أو قبالته الحديث ، أو شيئاً ١٥ من علومه ، أو القرآن العظيم ، أو تفسيره . ويصرف الى من يكتب في مجالس الاملاء ، والى من يتخذ لنفسه كتبا أو استجازة ، ولايعطى من ذلك الا لمن ينسخ لنفسه لغرض الاستفادة والتحصيل دون التكسب والانتفاع بثمنه .

وما فضل عن الأصناف المذكورين ، والجهات المذكورة ، الى تمام ألف ومائتي درهم ، يصرف الى المشتغلين بالحديث ، والسامعين له. فيجعل لكل من المشتغلين ثمانية دراهم، ٢٠ ومن زاد اشتغاله زاده ، ومن نقص نقصه . ويجعل لكل من السامعين أربعة أو ثلاثة ، ومن ترجح منهم زاده ، ومن كان فيه نباهة جاز الحاقه بالثمانية . ومن حفظ كتابا من كتب الحديث ، فللشيخ أن يخصه بجائزة . ومن انقطع منهم الى الاشتغال بالحديث ، وكان ذا أهلية يرجى معها أن يصير من أهل المعرفة ، فللشيخ أن يوظف له تمام كفاية أمثاله بالمعروف. واذا ورد شيخ له علو سماع يرحل الى مثله ، فله أن ينزل بدار الحديث، ٢٥ ويعطى كل يوم درهمين ، فاذا فرغ أعطي ثلاثين ديناراً كل دينار بسبعة دراهم . هذا اذا ورد من غير الشام . فاذا كان ممن هو مقيم بالشام كان له دون ذلك ، على مايراه

الشيخ . فاذا كان صاحب العلو من المستوطنين بدمشق ، واقتضت المصلحةاستحضاره في الدار لاستماع ما عنده من العالي ، فللناظر أن يعطيه ما يليق بحاله من عشرة دنانير فما دون ذلك .

وإذا اقتضت المصلحة أمراً دينياً يناسب مقاصد دار الحديث ، زائدا على مانص ٥ عليه في كتاب الوقف ، فللشيخ الناظر أن يصرف ذلك من مغل الوقف ما يليق بالحالة. ومن قام بشرط جهتين ، وقدر على اتيانه بهما ، فللناظر أن يجعل له ذلك .

وللشيخ الناظر أن يستنسخ للوقف ، أو يشتري ماتدعو الحاجة اليه من الكتب والأجزاء ، ثم يقف ذلك أسوة بما في الدار من كتبها .

وعليهم أن يجتمعوا في خمس ليال ، ويبتدؤوا بعد صلاة الظهر . وللناظر أن يتخذ ١٠ لهم طعاماً ، وله أن يجعل بدل الطعام كل ليلة مائة . وله أن يشتري ما يليق من شمع ، وعود يبخر به ، وكيزان ، وثلج ونحو ذلك . وله أن يتخذ في شهر رمضان طعاماً ، أو يفرق عوضا عنها ألف درهم بالسوية على جميع من بالدار من المرتبين والساكنين ، وذلك اذا رأى في مغل الوقف اتساعاً . ومهما كان في مغل الوقف نقص بحيث لايفي بجميع الجهات المذكورة ، فليجعل النقص في الأمور الزائدة دون الأصلية المهمة . ١٥ وليكمل المؤذن ، والقيم ، والخازن ، والبواب ، والقارىء ، والشيخ ، وقراء السبع ، وطبقة المشتغلين ، ويخص بالنقص والحرمان السامعين . وان زاد النقص ، وتناهى الى الأهلية والقائمين بها ، وزع عليها بحسب مايراه الناظر . واذا فضل من مغل الوقف فاضل ، فللناظر أن يشتري به ملكا يقفه على الجهات المتقدمة . وله أن يستفضل شيئاً من المغل لذلك . واذا رأى صرف الفاضل على أهل الدار أصلح كان له ذلك . وللناظر ٢٠ شراء حصر للبيوت المسكونة في علو الدار .

هذا ما اتصل بي من كتاب وقف هذه المدرسة . وتاريخ هذه الشروط في يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، ونقلته من نسخة كتبت سنة خمس وأربعين وثمانمائة . وقد انقطع هذا كله في زمننا ولم يبق منه رسم ولا أثر . وانما كتبته ليرى قارىء كتابنا ما كان عليه القوم من الاعتناء بالعلوم ، واقبالهم ٢٥ على ترقيتها وعلى حب الحضارة والعمران ، ومن الاقبال على نصرة المدنية ، ومحو آثار الهمجية ، اللذين لايتمان الا بالعلوم ونشرها . وحبذا لو كانت المطابع موجودة في ذلك

العصر ، اذ لو وجدت فيه وفي العصور التي قبله لأهدت الينا كتبا وعلوما وأخبارا ليس لدينا اليوم منها سوى شيء يسير !.

ثم ان دار الحديث هذه بقيت عامرة الى قبيل مجيء غازان أحد ملوك التتار . فلما دخل الشام ، وأتى دمشق ، رام أن يقصدها بسوء ، وكانت تهدمت زيادة تهدم ، فقام في حمايتها الشيخ زين الدين أبو محمد عبد الله بن مروان الفارقي ، المتوفى في سنة ثلاث وسبعمائة ، فتولى شؤونها ، وكف عنها يد الذين أرادوا اختلاسها . قال الشيخ أبو نصر عبد الوهاب السبكي في «الطبقات الوسطى» في ترجمة الفارقي خطيب دمشق، وشيخ دار الحديث الأشرفية ، ومدرس الشامية البرانية : أخذ الحديث عن جماعة ، وكان فقيها فاضلا ، دينا خيراً ، وقورا مهيباً ، قوي النفس ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، مصمما في دينه . وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . ا.هـ

والذي علمناه ممن درس بها من الكبار : تقي الدين أبو عمرو ابن الصلاح ، ثم عماد الدين عبد الكريم ابن الحرستاني ، ثم الشيخ عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة ، ثم الشيخ محي الدين أبو زكريا يحيى النووي ، ثم زين الدين الفارقي ، فصدر الدين محمد بن عمر العثماني المعروف بابن المرحل وبابن الوكيل ، فكمال الدين محمد بن علي المعروف بابن خطيب زَمْلَكا[1] بفتح الزاي وسكون الميم وفتح اللام قرية في غوطة دمشق ، فأحمد بن محمد البكري المشهور بالشريشي ، فالحافظ الكبير جمال الدين يوسف القضاعي الحلبي الدمشقي المعروف بالمزّي ، فالقاضي علي السبكي، فجماعات لم يصح الترتيب فيهم ، منهم :

الحافظ الكبير عماد الدين اسماعيل بن كثير ، والقاضي تاج الدين والقاضي بهاء الدين السبكيان ، فولي الدين عبد الله السبكي، وزين الدين عمر بن مسلم القرشي المَلَحي بفتح الميم واللام الدمشقي، وشمس الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله المعروف بالحافظ ابن ناصر ، ورأيت مجلداً يشتمل على ما أملاه الناصر في دروسه وكله في تفسير قوله تعالى :

« لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ اذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوعَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَانْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » ١٦٤/٣

(١) وتنطق الآن بفتح الزاي والميم وتسكين اللام .

وعلي بن عثمان الصيرفي شارح « منهاج النووي » ، والحافظ الكبير شيخ الاسلام أحمد بن حجر العسقلاني ، ولما ولي تدريسها ، استناب قطب الدين الخيضري المتقدمة ترجمته في مدرسته ، قاله السخاوي ، وقال : لكونه أمثل أهل الفن بدمشق حينئذ . ويقال انه استقر بها بعد الحافظ ابن ناصر علاء الدين الصيرفي ، وان ابن حجر أخذها منه. انتهى. ومنهم سيف الدين أبوبكر بن عبد الله الحريري البعلبكي . ثم درس بها جماعة يطول سرد أسمائهم .

وتلاشى أمرها الى أن صارت بعد المائتين وألف في حالة محزنة . فاستولت أيدي المختلسين على دار مدرسها ، ولم يبق منها الا الحجرات التحتانية ، الى أن آلت الدار لأمرأة . فجاء العالم الفاضل الأديب الشيخ يوسف بدر الدين البيباني الشهير بالمغربي ، وكان محباً لدار الحديث لما كان يسمع من تاريخها وتراجم كبار المدرسين بها ، وكان ذلك بعد الستين ومائتين وألف بقليل . ولما زارها وجدها في حالة تنذرها بمحو آثارها ، فهزته الحمية العلمية ، وجد في خلاصها من يد مختلس دارها ، فلما علمت المرأة بذلك، آجرتها لرجل مسيحي يقال له : يانكو ، وتبعته غير عثمانية ، وكان يبيع الخمر ، فجعلها حانة للمسكرات ، وأخذ قسما من مسجدها ، وهو ماتحت القبة ، ففتح له بابا الى الدار، وجعله مخزنا لدنان الخمر . فاغتاظ الشيخ من ذلك ، وادعى لدى الحاكم أن البيت وقف على مدرس المدرسة ، وأثبت ذلك بالبراهين والأدلة القاطعة . فحكم الحاكم بذلك ، وأعطاه حجة بثبوت مدعاه . ورام يأخذ الدار بدون عوض ولا ثمن ، فلم يتيسر له ذلك لفقره واحتياجه ، ولم يصادف مسعفا . وحصل له بسبب ذلك معاكسات ، فنظم قصيدة طويلة يذكر فيها الواقعة ، ويهجو من لم يساعده ، وهي طويلة جدا ووجودها الآن قليل .

ولما ضاق به الحال ، خرج من دمشق وحلف أن لايعود اليها أو يجد سبيلا لضم الدار الى المدرسة . فسافر الى القسطنطينية ، فمر في طريقه على رودس ، وكان العارف الكبير الأمير عبد القادر الجزائري مسجونا بها بعد ما أخرجته فرنسا من القطر الجزائري ؛ فتعرف به وزاره ، وشكى اليه أمره . فسأله الأمير عن البلاد التي دخلها أيها أجمل وأحسن للاقامة ؟ فقال له دمشق . فقال له : ان قدر الله لي الخلاص ، لأسكنن دمشق ، ولأخلصن لك الدار . ثم انه سافر الى القسطنطينية ، فاجتمع بها بشيخ الاسلام وقتئذ عارف عصمت بك ، فتعرف به وتقرب اليه ، ونظم هناك قصيدة في

فن الرسم ، وشرحها بشرح سماه « الدر المستطاب بشرح تحفة الطلاب » . ثم ان عارف بك أحبه لما رأى من فضله ، فقرأ عليه ، وأخذ عنه بعض الفنون ، وكان يحفظ مولد الشيخ الدردير ويجعله وردا له ، فشرحه له الشيخ شرحا مطولا . وفي هذه البرهة استحصل على براءة شريفة سلطانية بخطبة دار الحديث وتدريسها ونظرها وامامتها . وفي هذه المدة قدر الله الخلاص للأمير عبد القادر ، واستوطن دمشق . فعاد الشيخ يوسف اليها في حدود سنة خمس وستين ومائتين بعد الألف . فاشترى الأمير الدار من ماله ، وجعلها وقفا على الشيخ وعلى ذريته من بعده . وتبرع الوجيه السري سعد الله حلابة البيروتي التاجر بعمارة باب المدرسة ، واصلاحها . ثم صارت الى الصورة التي هي عليها الآن . وحاصل أمرها أنها بنيت أولا ، ثم تهدمت واحترقت ، فقام بأمرها الفارقي ، فرممها وأصلحها ، ثم اختلس جانب منها ، وكاد الباقي أن يتبعه ، فقيض لها الله أهل الخير بواسطة الشيخ يوسف المغربي . وفي سنة ثلاثين وثلاثمائة بعد الألف احترق السوق الذي وراءها واحترق جانب منها . فسعى بعض أهل الخير في أعمالها وهي الآن تعمر . وأما أوقافها ومرتباتها ، فقد اختلست منها من أمد بعيد ، وأصبحت فقيرة . ورأيت فوق بابها بالحائط حجراً مكتوبا فيه بعد البسملة : عمرت هذه الدار المباركة بعد احتراقها وانهدامها بنظارة الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام بركة الشام زين الدين عبد الله بن مروان الفارقي الشافعي وذلك في سنة (١)
وستمائة ومكتوبا بجانبه هذه الأبيات :

هذه دار حديث المصطفى ... من عليه الله صلى كل حين
جد في تجديدها قاضي القضا ... مخلصاً لله رب العالمين
ولسان السعد نادى أهلها ... أدخلوها بسلام آمنين
شكر الله له السعي بها ... وحباه النصر والفتح المبين
فهي أفق لبدور العلم كالنووي الحبر والسبكي المكين
فأتى تاريخها ... نعم أجر العاملين
هنا كلمات لم تظهر لي . ... سنة ١٢٦٦

---

(١) كذا في الاصل .

وبجانبها أيضاً :

هـذه مدرسة قـد أشرقت　　بحديث المصطفى الهادي العميم
جـد سعد الله في تجديدها　　مخلصا لله مـولانـا الكـريم
فجـزاه الله مـن أفضالـه　　أرخن بجدة الأجـر العظيم
سنة ١٢٩٠

وهو تاريخ بناء سعد الله أفندي حلابه لبابها .

وأطلعني الشيخ أحمد بدر الدين ولد الشيخ يوسف بدر الدين على قصيدة لأحد أدباء حلب واسمه الشيخ مصطفى ، يمدح بها والده ، ويشير بها الى أن الشيخ كان سببا في تجديد جامع العفيف الذي هو في صالحية دمشق . منها :

والجـامع البدر أنشأ العفيف عفـا　　فكنت محي لـه اذ زدتـه مـددا

ومنهـا :

والقطب شمس نوى أولاك مظهـره　　فقمت فيـه بحق واضح وهـدى
يممت ساحـة دار للحـديث وقد　　صارت رميما وباب الغير سدسدى
فساعـد الله في بـدء عيشي كرما　　يتم بالحسن والاحسان كيف بدى

وبيت التاريخ :

دار الحـديث زهت منه مؤرخـة　　شمس الضحى أوجها أرخت سرغدا

ومن هذا يعلم تاريخ السعي في انشائها ، وتاريخ انشائها ، وعمارة بابها ، فجزى الله المحسنين خيراً .

دار الحديث (الأشرفية الثانية)

وهي الأشرفية البرانية المقدسية . وهي ، كما في « تنبيه الطالب » وغيره ، بسفح قاسيون على حافة نهر يزيد ، تجاه تربة الوزير تقي الدين التكريتي ، وشرقي المدرسة الأسدية الحنفية وغربي الأتابكية الشافعية . بناها الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن العادل باني دار الحديث الأشرفية المتقدمة لأجل الحافظ ابن الحافظ جمال الدين عبد الله بن تقي الدين عبد الغني المقدسي ، ووقف عليها خمس ضياع بالبقاع : الدير ،

والدوير ، والتليل ، والمنصورة ، والشرقية ، ولها بيت ابن النابلسي المعروف بالشكك ، والجنينة ، وحكر حارة الجوبان . ومات الحافظ المبنية لأجله قبل اتمام بنائها .

قال الذهبي : بنى له الملك الأشرف دار الحديث بالسفح ، وجعله شيخها ، وقرر له معلوما ، فمات قبل فراغها. وأول من درس بها ؛ القاضي شمس الدين محمدابن أبي عمر، ثم محمد بن عبد الواحد ، ثم شرف الدين عبد الله المقدسي ، ثم سليمان بن حمزة ، ثم ابنه عز الدين محمد ، فولده بدر الدين ، ثم صار كل من يتولى قضاء الحنابلة يتولاها ، وان لم يكن أهلا للتدريس بها ، كما استقرت عليه عادة المدارس في عدم الأهلية الى يومنا هذا . وكان للمدرسة وظيفة اعادة .

أقول : وقفت على هذه المدرسة أثناء تأليفي لهذا السفر وقفة باهت متحير مما أنزلها من أوجها بعد عزها . فرأيتها عن يمين الطريق العظمى التي تمر أمام الأتابكية ، وتذهب الى جهة الغرب الشمالي ، الى المحلة التي أنشئت حديثا وسميت بحارة المهاجرين . ورأيت جدارها الشمالي قائما لم يغيره طول الزمان ، ولا كر الحدثان . وهو مبني بالحجارة الصفر . ومحلتها الآن يقال لها حارة عرودك . وبجانبها الشرقي الجنوبي باب يصار منه الى قبة مبنية ببناء متين ، لكنما أعلاها قد تهدم ، وبها باب يدخل منه الى المدرسة وقد اتخذها الآن الناس الذين هناك مخزناً لقش الحصر . وأما المدرسة فانها اختلست ، وصارت دورا للسكنى ، وجنائن لزرع الزهور والرياحين ! وأمامها ساحة فسيحة ، وهي متنزه عجيب أبدع من أختها المتقدمة ، وأتقن بناء وأتم هندسة . غير أن الحظ ساعد أختها ، فبعث الله لها من أحياها بعد اندراسها ، وهذه تبكي على أيامها وتستغيث فلا تجد مغيثاً ، وتستنصر فلا تجد ناصرا فسبحان الدائم ! وفوق بابها حجر محفور فيه ماصورته بعد البسملة :

أوقف هذه المدرسة المباركة ، ابتغاء لوجه الله تعالى ، المولى السلطان ، العالم العادل، المظفر المؤيد المنصور ، الملك الأشرف مظفر الدين أبو الفتح موسى ابن المولى السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب تقبل الله منه وأثابه الجنة ، على الحنابلة المحدثين . وأوقف عليها نصف دير أرغى بالبقاع العزيز ، وريعها ومزارعها في سنة أربع وثلاثين وستمائة .

ونص هذا الوقف هنا لاينافي ما تقدم ، لأن هذا كان عند البناء ، والزائد عليه كان بعده . ولو استطعنا وصفها بالمعاينة ، لظفرنا بايضاحات أكثر من هذه . ولكن تغير

أحوالها ، وتبدلها منع من ذلك . وكأني بمعاهدها تندب أهلها ، ورجالها الذين كانوا بها ، وتنشد قول أبي العلاء :

كأنما الخير ماء كان وارده أهل العصور فما أبقوا سوى العكر

ومن اتصل بنا خبره من أساتذتها شمس الدين عبد الرحمن ابن أبي عمر محمد ابن احمد بن قدامة المقدسي شارح « المقنع » في عشر مجلدات . وهو أول من رتب لها ، وأول من ولي قضاء الحنابلة . فالامام محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي المعروف بابن الكمال ، فالقاضي حسن بن أبي بكر المقدسي ، فتقي الدين سليمان بن حمزة ، فشرف الدين الفائق النابلسي ، فتقي الدين المقدسي ، فولده عز الدين ، ثم صار تدريسها لمن يتولى قضاء الحنابلة .

ترجمة واقفها

الملك الأشرف موسى ٥٧٦-٦٣٠

قد علم مما مر أن الذي بنى هذه المدرسة ، والتي قبلها الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن العادل وترجمته في القسم الأول السياسي من هذا الكتاب فلا نطيل بها هنا وكانت وفاته سنة ثلاثين وستمائة[١] .

حرف الباء

دار الحديث (البهائية)

بهاء الدين المظفر ٦٢٩-٧٢٣

هي داخل باب توما ، وكانت داراً للشيخ بهاء الدين أبي محمد القاسم ابن الشيخ بدر الدين أبي غالب المظفر ، فأوقفها آخر عمره دار حديث . وولي تدريسها الشهاب الأذرعي المشهور ، ثم شمس الدين أبو المحاسن الحسيني الدمشقي . هذا ما رأيته في « تنبيه الطالب »[٢] .

---

(١) كذا في الاصل وفي رواية أخرى : كانت وفاته سنة ست وثلاثين .

(٢) بعد هذا الكلام يوجد في الاصل بياض قدره أحد عشر سطرا ، لعلّ المؤلف تركها ليضيف معلومات جديدة فما تيسر له ذلك . وهذا كثير في طيات الكتاب وسننبه اليه ـ ان شاء الله ـ في حينه .

حرف الحاء

دار الحديث (الحمصية)

هذه لم تكن دار حديث مستقلة ، وانما كانت حلقة في الجامع الأموي لاقراء الحديث. وكان لها وقف يقوم بمصالحها . قال في « تنبيه الطالب » ، وتبعه البقاعي : لم نقف لواقفها على ترجمة . ودرس بها الحافظ المزي ، ثم الحافظ صلاح الدين العلائي خليل ابن كيكلدي في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . قال في « العبر » : أورد العلائي بحلقة ابن صاحب حمص درساباهرا نحو ستمائة سطر ، وكان ذلك بحضرة القضاة. ا.هـ وستأتي ترجمته في محلها .

حرف الدال

دار الحديث (الدوادارية) والمدرسة والرباط

وقفها الأمير علم الدين سنجر التركي الصالحي الدوادار داخل باب الفرج . وكان مكانها رواقا له أولا ، فجعله دار حديث ومدرسة سنة ثمان وتسعين وستمائة . قاله ابن كثير . وأول من وليها : الشيخ علاء الدين علي بن ابراهيم الشهير بالعطار ثم الشيخ نور الدين محمد بن نجم الدين أبي بكر محمد الشهير بابن قوام البالسي الدمشقي ولد سنة سبع عشرة وسبعمائة ، وسمع جماعة وتفقه ، وكان يحب السنة ، ويفهمها جيداً ، توفي سنة خمس وستين وسبعمائة .

أقول : ان هذه المدرسة درست ، ولم يعلم مكانها على سبيل التحقيق ، ولكننا نشير اليه على سبيل الاشارة . فأما باب الفرج فهو الباب الموجود الآن بالقرب من القلعة، في السوق التي يقال له الآن المناخلية المركب بعضه على نهر بردى الذي يتوصل منه الى الدرب العمومي(١) . وهو باب متين قال الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » : باب الفرج من شآمي البلد ، يعني من جهتها الشمالية ، أحدثه الملك العادل نور الدين ، وسماه بذلك تفاؤلاً لما وجد من الفرج لأهل البلد بفتحه . وكان بقربه باب يسمى : باب العمارة،

(١) المسمى الآن بشارع الملك فيصل .

فُتح عند عمارة القلعة ، ثم سد بعد ، وأثره باق في السور . انتهى . وباب الحديد بالحاء المهملة ، من شآمه أيضاً . وهو الآن خاص بالقلعة التي أحدثت غربي البلد في دولة الاتراك . سمي بذلك لأنه كله حديد ، فقيل له : الباب الحديد ، ثم تركت الألف واللام تخفيفا ، ثم صحفته العوام فقالوا الباب الجديد بالجيم . وكان الأتراك ينزلون منه ،

٥ ويطلعون منه سرا . ويجوز الخارج منه على جسر من خشب ، من تحته الخندق الدائر بالقلعة ، ينوف عمقه على مائة ذراع بذراع العمل . به يتخزن الماء ، وينبت الشوص ، وغير ذلك . وهو غير خندق المدينة . واصطلح في آخر دولة ابن قلاوون أن من يلي نيابة دمشق يصلي عند هذا الباب ركعتين ، مستقبلا للقبلة ، بحيث يبقى الباب عن يساره ، وتقف أجناد القلعة ، وأرباب الوظائف والادارات في منازلهم على حسب العادة،

١٠ حاملين السلاح الى أن يفرغ من صلاته ودعائه . فان أريد به شر قبضوا عليه، ودخلوا به ، وقلبوا الجسر بينه وبين أعوانه . والجسر بلوالب ، فيحال ما بينه وبين أعوانه . وان أريد به خيراً ركب في عزة ، ومعه وجوه الدولة ، وهم في خدمته ، الى أن ينزل بدار العدل التي أنشأها المرحوم نور الدين وكانت تسمى بدار السعادة وهي تلي باب السر . وعلى بابها باب النصر فتحه الملك الناصر ابن أيوب للمدينة . وبهذا علم محل باب الفرج .

١٥ ثم انك اذا خرجت منه متوجهاً نحو الجنوب ، اعترضك طريقان : أحدهما عن يسارك ، ومنه تصل الى سوق العمارة ، وليس فيه مدرسة ولا أثر لها ، الا أن يكون ثمة أثر داخل الدور . ثم بعد كتابتي لهذا هدمت الحوانيت التي كانت هناك فظهر باب المدرسة وقد صارت دورا . وثانيهما عن يمينك ، ويمر الى شرقي القلعة . وعن يسار الذي يجتازه طريق آخر ذو شعب ، توصل شعبة منه الى المدرسة العادلية ، ثم الظاهرة(١) . وغربي

٢٠ العادلية ، في شمالي الزقاق ، تجاه الزقاق الذاهب الى العصرونية باب يشير بنفسه الى أنه باب مدرسة . وبجانبه من الغرب جدار مبني بالحجارة المتينة ، وهو شاهق ، ويدور مع الزقاق الى الجانب الغربي الموصل الى باب الفرج . وهو يشير أيضاً الى أنه كان جداراً لمدرسة عظيمة تشابه العادلية الكبرى . وهذا المحل كله قد اختلس ، وصار دوراً للسكنى ! فيمكن أن يكون ذلك الأثر هو الدال على مكان المدرسة الدوادارية ، ودار

٢٥ الحديث التي كانت بها ، وعلى الرباط الذي بني بها ، لأن ذلك المكان واسع ، يمكن أن يحتوي على جميع ذلك والله أعلم .

---

(١) كذا في الاصل والارجح أنها الظاهرية المعروفة .

ترجمة واقفها

علم الدين سنجر
٦٢٠-٦٩٩

هو الأمير علم الدين سنجر المتقدم . قال الحافظ الذهبي في « العبر » : كان من نجباء الترك وشجعانهم ، وعلمائهم ، وله مشاركة جيدة في الفقه والحديث ، وفيه ديانة وكرم ، وله في دمشق والقدس أوقاف كثيرة تحيز الى حصن الأكراد . ولد سنة نيف وعشرين وستمائة ، وتوفي سنة تسع وتسعين وستمائة . وقال الصلاح الصفدي في « تاريخه » :

قدم من الترك في حدود سنة أربعين وستمائة ، وكان مليح الشكل ، مهيبا ، كبير الوجه ، خفيف اللحية ، صغير العينين ، ربعة من الرجال ، حسن الخلق والخلق ، فارسا ، شجاعا ، دينا ، خيرا ، عالماً ، فاضلاً ، مليح الخط ، حافظاً لكتاب الله . حفظ « الاشادة في الفقه لسليم الرازي » ، واعتنى بالحديث وحفظه ، وكان من الأسراء في أيام الظاهر ، ثم أعطي الامرة بحلب ، ثم قدم دمشق وولي الشدودة ، ثم كان من أصحاب سنقر الأشقر ، ثم أمسك ، ثم أعيد الى رتبته ، ثم أعطي خبزا وتقدمة على ألف . وتقلبت به الأحوال ، وعلت رتبته في دولة الملك لاشين ، وقدمه على الجيش في غزوة سيس . وكان لطيفاً مع أهل الصلاح والحديث ، يتواضع لهم ، ويحادثهم ، ويؤانسهم ، ويصلهم . وله معروف كثير ، وأوقاف بدمشق والقدس . وكان مجلسه عامرا بالعلماء ، والشعراء ، والأعيان ، وسمع الكثير بمصر والشام والحجاز . وروى عن زكي الدين عبد العظيم المنذري ، والرشيد العطار ، وجماعة . وسمع جماعات بمكة ودمشق ، والاسكندرية ، وحلب ، وأنطاكية وبعلبك ، والقدس ، وقوص ، والكرك ، وصفد ، وحماة ، وحمص ، والفيوم ، وجدة ، وطيبة[1] . وقل من أنجب من الترك مثله . وسمع منه خلق ، وشهد الوقعة وهو ضعيف ، ثم التجأ بأصحابه الى حصن الأكراد ، فتوفي فيه ليلة الجمعة ثالث شهر رجب . فانظر الى ماكانوا يعتنون به من العلم ، ويطوفون لأجله البلاد البعيدة ، مع قلة الوسائط في زمانهم ! وانظر الى أمرائهم كيف كانوا ! وقال الصفدي : وكان الشيخ فتح الدين خصيصاً به ينام عنده فقال لي يوما : كان الأمير علم الدين قد لبس الفقيري وتجرد ، وجاء مكة فجاوربها ، وكتب الطباق بخطه ، وكان في وجهه آثار الضروب من الحروب ، وكان اذا خرج الى غزوة خرج والى جانبه شخص يقرأ عليه أحاديث الجهاد ، وقال : ان السلطان حسام الدين لاجين رتبه في عمارة جامع

(١) تكرر ذكر طيبة في الاصل والظاهر انه سبق قلم من المؤلف .

طولون ، وفوض اليه امره ، فعمره وعمر أوقافه ، وقرر فيه دروس الفقه والحديث ، وجعل من ذلك وقفا يختص بالديوك التي تكون في مكان مخصوص من سطح الجامع ، وزعم أنها تعين الموقتين ، وتوقظ المؤذنين بالأسحار ، وأثبت ذلك ضمن كتاب الوقف. فلما قرىء على السلطان أعجبه ما اعتمده في أوله ، ولكنه لما انتهى الى ذكر الديوك أنكر ذلك ، وقال أبطلوا هذا لايضحك الناس علينا . وكان سبب اختصاص فتح الدين به أنه سأل الشيخ شرف الدين الدمياطي يوما عن سنة وفاة الامام البخاري فلم يستحضر التاريخ ، فسأل الأمير سنجر عن ذلك فأجابه ، فاختص به . وغالب رؤساء دمشق ، وكبارها وعلمائها نشأوه في ذلك الزمن . وقد ترجمه ابن الزملكاني وأثبت القصائد التي مدح بها في مجلدتين . وكتب اليه علاء الدين الوداعي في وفاة ولده عمر :

قل للأمير وعَزِّه في نجله … عمر الذي أجرى الدموع أجاجا
حاشاك تظلم ربع صبرك بعدما … أمسى لسكان الجنان سراجا

وقال فيه لما أخذ في دويرة السميساطي بيتاً :

لدويرة الشيخ السميساطي من … دون البقاع فضيلة لا تجهل
هي موطن للأولياء ونزهة … في الدين والدنيا لمن يتأمل
كلت معاني فضلها مذ حلها … العلامة الفرد الغياث الموئل
اني لأنشد كلما شاهدتها … ما مثل منزلة الدويرة منزل

أبـواب (دمشق)

لما كان لمعرفة أبواب دمشق فائدة كبيرة أثنـاء التعريف بالمدارس القريبة منها ، وتقدم بعض من بيانها ، ردفنا هنا بيان ذلك بالباقي منها ليكون كالتتمة والايضاح . فقلنا : من تأمل الآثار الموجودة بدمشق ، علم يقينا بأنها كانت في سابق أعوامها معقلا حصيناً ، وموطناً حربياً مهما بالنسبة الى الفن الحربي الذي كان في تلك الأيام . ومن وقف أمام أبوابها ، ورأى سورها الذي كان محيطا بها احاطة السوار بالمعصم ، والخندق المحيط به ، تجلت له أبهة الجـلال ، وتصور تحصينها أيام كانت فيها محاصـرة وهي تدافع عن حوزتها ، وأسودها يحمون ذلك العرين ، ويحنون لصلصلة السيوف ، ويرتاحون للمعانها ، ورأى سطور البطش والسطوة مرسومة على سورها وأبوابها . كما أنه اذا تأمل مدارسها ، علم منها شدة اعتناء أهلها بالعلوم ، واعتناء أبطالها بـآلات الحـرب ، وشغفهم بها ، ومهارتهم في تحقيقها ، ومعرفة طرق أدائها ، وشغف أسودها ومهارتهم بفنون الحرب ، والشجاعة ، والاقدام . فليعلم المتأمـل الجهتين ، وليتفكر في آثار الموضوعين . ولنرجع لما كنا بصدده فنقول :

قد تقدم التعريف **بباب الفرج** ومكانه . وهذه الابواب الخمسة المتقدمة جميعهـا حادث ، وهي فيما بين باب الجابية وباب الفراديس الا باب السلامة . ولم يبق موجودا منها الآن الا باب الفرج وأخبرني الثقات أنه كان باب عظيم في أول السوق المعروف الآن بسوق الأروام من جهة الغرب بالقرب من سراي العسكرية ، فلما بني السوق على الهيئة الموجودة الآن ، هدم فلم يبق له أثر .

وأما **باب الجابية** فهو من غربي البلد . قال ابن عساكر في « تاريخه » : هو منسوب الى قرية الجابية لأن الخارج اليها يخرج منه لكونه مما يليها . وكان هذا البـاب ثلاثة أبواب : **الأوسط** منها كبير ، ومن جانبيه بابان صغيران ، على مثال ما كان الباب الشرقي . وكان من الثلاثة أبواب ثـلاثة أسواق معقدة من بـاب الجابية الى الباب الشـرقي ؛

كان الأوسط من الأسواق للناس ، وأحد السوقين لمن يشرق بدابته ، والآخر لمن يغرب بدابته ، حتى أنه كان لايلتقي فيها راكبان . فسد الباب الكبير والشمالي منهما ، وبقي القبلي الى الآن .

أقول : وهذا الباب الباقي مبني بحجارة ضخمة ، وفوقه صخرة عظيمة قد وضع طرفاها فوق عضادتيه ، ومكتوب فوقها ما يشير الى أنه تطرق اليه بعض انهدام ؛ فجدده الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل ، وهو الذي بنى سور دمشق بعد انهدامه ، وبنى طارمة على باب الحديد . وهذا الباب يقرب من جامع السنانية ، وبجانبه عن يسار الخارج منه تربة يقال للمدفونة بها الست جابية ، وبجانبها سويقة ، حوانيتها صغيرة ، وطريقها ضيق جداً ، وهي الباشورة التي بناها نور الدين الشهيد ، ولها باب بجانب باب جامع السنانية الشرقي الصغير . وهذا الباب مبني بالحجارة الضخمة أيضاً ، ومحفور على الحجر الذي بأعلاه من الخارج بعد البسملة :

أمر بعمارة الباشورة والقبو مولانا الملك العادل السعيد نور الدين أبو القاسم محمود ابن زنكي بن آق سنقر ضاعف الله له الثواب وغفر له ولوالديه يوم الحساب ابتغاء مرضاة الله سنة سبع وستين وخمسمائة .

وآثار الأبواب ظاهرة من شماله ، وكذا آثار الأسواق الثلاثة التي أشار اليها ابن عساكر . وقد ظهر منذ عهد قريب أعمدة ضخمة جداً مطمورة في محلة الخراب ، فنقل واحد منها الى الجامع الأموي حين بنائه كما سيأتي ، فما وصل اليه الا بعد الجهد لعظمه . وهذا مما يدل على أن تلك الأسواق الثلاثة كانت معقودة بالأحجار العظيمة.
ثم يلي باب الجابية **الباب الصغير** وهو الباب القبلي للبلد . قال ابن عساكر : سمي بذلك لأنه كان أصغر أبوابها حينما بنيت . ا.هـ وهو باق الى الآن بمصلبة الشاغور . ومن جانبه الغربي زقاق يقال له زقاق الصمادية ، ومن شرقيه طريق يوصل الى حارة الزط ، وبناؤه قوي متين . وأخبرني بعض سكان تلك الجهة أنه كان في قبلته باب آخر نظيره، فهدم في حدود تسعين ومائتين بعد الألف ، وجعل مكانه حوانيت المبيع والشراء . والظاهر أن هذا كان هو الأصل ، وأن الموجود الآن أحدث بعده .

ثم يلي هذا الباب من القبلة الى الشرق **باب كيسان** . قال ابن عساكر : ينسب الى كيسان مولى معاوية . وذكر هشام بن محمد الكلبي أنه منسوب الى كيسان مولى

بشر بن عبادة بن حسان بن جبار بن قرط الكلبي الكليبي ، وهو الآن مسدود . ولم يزل مسدودا الى عهدنا هذا .

ثم يليه **الباب الشرقي** سمي بذلك لأنه شرقي البلد ، وكان ثلاثة أبواب : باب كبير في الوسط وبابان صغيران الى جانبه ، سد منها الكبير والباب الصغير الذي من قبلته ، وبقي الصغير الشمالي . قاله ابن عساكر . وهذا الباب لم يزل موجوداً الى الآن ، وهو على نمط باب الجابية الباقي .

ويليه **باب توما** وهو من شمالي البلد ، ينسب الى عظيم من عظماء الروم اسمه توما وكانت له على بابه كنيسة جعلت بعد ذلك مسجداً ، وهو مسجد لطيف وموجود الى الآن .

وباب الجنيق من الشمال أيضاً منسوب الى محلة الجنيق وكانت محلة كبيرة وبها كنيسة فجعلت بعد مسجداً . قال ابن عساكر : وهو الآن مسدود. ا.هـ وهذه المحلة هي ما بين باب توما وباب السلامة خارج السور وتسمى محلة الفرايين . والباب لم يزل مسدوداً الى زمننا .

باب السلامة وهو مشهور الآن بباب السلام ، وهو من شمالي البلد أيضاً ، سمي بذلك تفاؤلاً ، لأن القتال كان لايتهيأ على البلد من ناحيته لما دونه من الأشجار والأنهار . وهذا الباب مما أحدثه المرحوم نور الدين محمود بن زنكي ثم تهدم مما توالى عليه من الحروب ، ثم جدده الملك العادل كما يظهر من آثاره . وقد رأيته فوجدته بابا متينا عظيماً نظير غيره من الأبواب الباقية ، ومعلق داخله من الشمال حجر من أحجار المنجنيق ، ومكتوب على الصخرة التي فوقه بعد البسملة :

جددت عمارة هذا الباب السعيد في أيام مولانا السلطان ، الملك الصالح ، السيد الأجل ، العالم العابد ، المجاهد المؤيد المظفر المنصور ، نجم الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، منصف المظلومين من الظالمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، ماحي البغي والفساد ، دافع المفسدين في البلاد ، مقر الاسلام ، غياث الأنام ، ركن الدين والملة والأمة ، علاء الأمة ، سعد الملوك والسلاطين ، السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب الناصر أمير المؤمنين ، بتولي العبد الفقير يعقوب بن ابراهيم بن موسى سنة احدى وأربعين وسبعمائة . وغالب الأبواب مكتوب عليها كتابات تشبه هذه ، وقد تركت نصها خوف التطويل ، ولعدم جدواها .

وباب الفراديس من شمالي البلد أيضا . وهو الآن في سوق العمارة الممتد الى جامع بني أمية . وهو باب متين أيضا بالقرب من نهر بردى ، وفي داخله باب أيضا عندالمقدمية . وكلاهما مبني بالصخر العظيم . قال أبن عساكر : وهذا الباب منسوب الى محلة كانت خارج البلد تسمى الفراديس ، وهي الآن خراب . وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسد . والفراديس بلغة الروم البساتين .

وقال أيضا : **باب الجنان** من غربي البلد ، سمي بذلك لما يليه من الجنات وهي البساتين ، وقد كان مسدوداً ثم فتح . انتهى

أقول : يمكن أن يكون هو الذي كان عند سوق الأروام ثم هدم ، أو غيره . وبالجملة فلم يبق من الابواب ظاهرا للعيان ومشهورا ، سوى سبعة أبواب : باب الجابية ، باب الصغير بالشاغور ، باب شرقي ، باب توما ، باب السلامة ، باب الفراديس ، باب الفرج . ومابقي فهو اما مسدود أو مهدوم . وأما السور فمن باب الجابية الى باب الفراديس قد بقي عى حاله ، لم يطرأ عليه سوى بعض الانهدام والنقض . ومنه الى باب الجابية لم يوجد سوى شيء يسير من أطلاله .

قال ابن عساكر : وفي السور أبواب صغار غير ماذكرنا ؛ تفتح عند وجود الحاجة اليها ، منها : باب في حارة الحاطب يعرف بباب ابن اسماعيل ، وباب في المربعة انتهى . وغالب هذه الابواب القديمة بنى نور الدين عليها منائر ، وجعل لكل منارة مسجدا ، وجعل لكل باب باشورة كالسويقة ، بها حوانيت مملوءة بالبضائع . فاذا حصنت المدينة ، وقفلت الابواب ، استغنى أهل كل باب من هذه الابواب بما عندهم . وهو مقصد جميل . وقال الفاضل حسن ابن المزلق المعروف بالتقي البدري في كتابه «نزهة الأنام في محاسن الشام » : كانت صور الكواكب على هذه الابواب ؛ فزحل على باب كيسان ، والشمس على الباب الشرقي ، والزهرة على باب توما ، والقمر على باب الجنيق ، وعطارد على باب الفراديس ، وعلى باب الجابية المشتري ، وعلى الباب الصغير المريخ . هذا كلامه ؛ وليس بمستبعد في نظر التاريخ لأن الاقدمين سكان سورية كانت لهم عناية عظيمة بالكواكب ، وبناء الهياكل لها ، واستخدامها بزعمهم ؛ كما تدل على ذلك الآثار الباقية من القرون الخالية . ومن مثل هذا نشأت عبادة الكواكب ، والاوثان والاصنام . فكانوا يصورون كل كوكب بصورة شيء يميل ذلك الكوكب بدلالته عليه . وجاماسب الحكيم لما تكلم على قرانات الكواكب أشار اليها برموز صورها التي توجد أحيانا في الحفريات .

فكانوا يصورون **زحل** في صورة شيخ في يمينه رأس رجل ، وفي يساره يده ، وهو راكب على ذئب يحرك له بعصاه . وتارة يصورونه راكبا على فرس ، وفي رأسه مغفر ، وفي يساره ترس ، وفي يمينه سيف .

ويصورون **المشتري** في صورة كهل ، في يمينه سيف مصلت ، وفي يساره قوس، وهو راكب على فرس ، وفي عنقه سبحة . ويصورونه أيضا بصورة رجل جالس على كرسي ، عليه أثواب ملونة ، وفي يساره خيزرانة .

ويصورون **المريخ** بصورة شاب راكب على أسدين ، وفي يمينه سيف مصلت ، وفي يساره طبرزين(١) . ويصورونه أيضا بصورة شاب أشقر ، راكب على فرس أشقر ، في رأسه مغفر ، وفي يساره رمح فيه علامة ، وفي يمينه رأس رجل ، ولباسه أحمر .

ويصورون **الشمس** بصورة رجل ، في يمينه عصا متكىء عليها ، وهو راكب على وردتون يحمله على أربعة ثيران ، وفي يساره خرز . ويصورونها أيضا بصورة رجل جالس ، وجهه كالطوق ، ومعه تمثال أربعة أفراس .

ويصورون **الزهرة** بصورة امرأة ، عندها عود تضرب به . أو بصورة امرأة جالسة ، مرسلة شعرها ، وذوائبها في يدها اليسرى ، وفي يمينها مرآة تنظر فيها ، ولباسها أصفر وأخضر ، وعليها الطوق والسوار والخلخال .

ويصورون **عطارد** بصورة شاب راكب على طاووس ، وفي يمينه حية ، وفي يساره لوح يقرأ فيه . ويصورونه أيضا بصورة رجل جالس على كرسي ، وفي يده كتاب ، وعلى رأسه تاج أو شيء من الملبوس ، وعليه ثياب ملونة .

ويصورون القمر بصورة رجل في يمينه حربة ، وقد عقد في يساره ثلاثين كأنه يحسب ثلاثمائة ، وفي رأسه تاج ، وهو راكب على ورديون يحمله أربعة أفراس .

هذا ماكان عليه أصحاب فن أحكام النجوم . ويمكن أن تكون الصور التي كانت على الابواب من هذا القبيل ، وضعوها لغاية لهم اقتضتها صناعة فن النجوم والله أعلم .

---

(١) الطبرزين والطبر الفأس من السلاح والكلمتان من الدخيل .

حرف السين

المدرسة (السامرية)

هي بالقرب من محلة مئذنة الشحم بزقاق المرحوم الشيخ المسلك الدسوقي ، وبها خانقاه أيضاً ، وهي التي الى جانب الكروسية الآتية والسامَرِّية بفتح الميم وكسر الراء مشددة ، نسبة الى بانيها الصدر الكبير سيف الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي جعفر البغدادي السامرِّي ، نسبة الى « سر من رأى » بلدة على الدجلة . وينسب اليها أيضا بلفظ السرمري . وكانت قديما تعرف بدار ابن قوام . وكان بناؤها من حجارة منحوتة كلها . فاشتراها السامري ، وجعلها دار للسكنى ؛ ثم وقفها دار حديث وخانقاه بعد أن قام بهذه الدار مدة . ودفن بها .

قلت : وهذا الزقاق مشهور الآن بزقاق السلمي ، وهو مقابل للزقاق الذي وراء سوق البزورية من جهة الشرق . وقد صارت الآن دوراً للسكنى ؛ فانمحى أثرها ، واندرست أطلالها ، ولم يبق منها سوى أحجار في أساس جدار تشير اليها ! وسيأتي ايضاح لمحلها عند الكلام على أختها الكروسية التي أصابها ماأصاب هذه .

ترجمة واقفها

سيف الدين السامرِّي ٠٠٠-٦٩٦

أوقفها وأوقف الخانقاه التي كانت بها ، الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد ابن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامَرِّي بفتح الميم وتشديد الراء نسبة الى مدينة سرمن‌رأى كما تقدم . وكان المترجم كثير الاموال ، حسن الاخلاق معظما عند الدولة ، له أشعار رائقة ، ومبتكرات فائقة ، توفي سنة ست وتسعين وستمائة . وكان له ببغداد حظوة كبيرة عند الوزير ابن العلقمي ؛ وامتدح المعتصم وخلع عليه خلعة سوداء سنية . ثم قدم دمشق في أيام الناصر صاحب حلب ؛ فحظي عنده أيضا ؛ فسعي به أهل الدولة، فصنف فيهم أرجوزة فتح عليهم بسببها باب مصادمة ؛ فصادمهم الملك لأجل ذلك بعشرين الف دينار ؛ فعظموه جدا وتوصلوا به الى أغراضهم . وله قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في « تاريخه » في سنة ست وثمانين وستمائة :
وفيها استدعي سيف الدين السامري من قبل الناصر من دمشق الى الديار المصرية ؛ ليشتري منه ربع قرية حزرما الذي اشتراه من بنت الملك الأشرف موسى . فذكر لهم أنه وقفه ؛ وقد كان المتكلم في ذلك علم الدين السجاعي ؛ وكان قد استنابه الملك المنصور بديار مصر وجعل يتقرب اليه بتحصيل الاموال . فقرر لهم ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المقدسي أن السامري اشترى هذا من بنت الملك الأشرف وهي غير رشيدة ؛ وأثبت سفهها على زين الدين بن مخلوف ، وأبطل البيع من أصله ، واسترجع على السامري بمغل عشرين سنة مائتي ألف درهم ، أخذوا منه حصة من الزنبقية قيمتها سبعون ألفا وعشرة آلاف مكملة ، وتركوه فقيرا على برد الديار . ثم أثبتوا رشدها ، واشتروا منها تلك الحصص بما أرادوا . ثم أرادوا أن يستدعوا بالدماشقة واحدا بعد واحد ويصادروهم ، وذلك أنه بلغهم أنه من ظلم بالشام لايفلح ومن ظلم بمصر أفلح . وطالت مدته ، فكانوا يطلبونهم الى مصر أرض الفراعنة والظلم ، ويفعلون بهم ماأرادوا . انتهى كلامه .

دار الحديث (السكرية)

هي بالقصاعين داخل باب الجابية ، وبها خانقاه ؛ قاله النعيمي والبقاعي وقالا : لم نقف لواقفها على ترجمة .

أقول : هما لم يقفا لواقفها على ترجمة ، ونحن لم نقف لها على أثر ! ولقد وقفت حذاء باب الجابية ، فرأيت بجانبه من القبلة زقاقا يسمى الآن زقاق البرغل ، ثم مشيت مشرقا نحوا من سبعين خطوة ، فرأيت بالجانب القبلي مسجدا ، سقفه معقود بالحجر ، وهو قديم قد بدا لأعلاه أن يسقط . وفي جانبه قبر ، مكتوب على الشباك المقابل له: هذا قبر سيدي سركس ، بخط حديث . وأمام هذا الجامع من الشمال بركة ماء ، عليها آثار القدم . فلعل هذا الجامع هو الخانقاه ، والمدرسة هي الدور التي بجانبه . ويمكن أن تكون المدرسة والخانقاه في جانب تلك البركة ، ثم أخنى عليها الزمان، ودخلت في السوق فصارت حوانيت . والحاصل أنها قد اندرست آثارها ، وذهبت رسومها ، وأخنى عليها الذي أخنى على لبد(١) .

---

(١) أصل البيت وهو للنابغة الذبياني :

أضحت خراباً وأضحى أهلها احتملوا   أخنى عليهـا الذي أخنى على لبـد

وقد تولى مشيختها قديما العلامة شهاب الدين عبد الحليم ابن تيمية ، ثم ولده الامام شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية(١) ، ثم الامام شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، ثم صدر الدين سليمان المالكي . ثم بعدكتابتي لذلك ، اطلعت على رسالة سماها صاحبها «الكلام على بناء التدمري»
٥ فكان محصلها : أن الامام شيخ الاسلام أحمد بن تيمية كان ساكنا بمحلة القصارين داخل باب الجابية ، في مدرسة تعرف بالسكرية ، وهي دار حديث، وهي صغيرة ضيقة حرجة. وقفها ضعيف جدا يبلغ في السنة خمسمائة درهم ، وهي تحتاج خمسين ألفا . فانتدب لذلك رجل بدمشق يقال له محمد بن عبد الكريم التدمري وهو من أعيان التجار ، ومن المحبين لشيخ الاسلام ، فكتب محضرا بأن جدران المدرسة تعيبت ، وسقوفها تحتاج
١٠ الى فك . فعارضهم زين الدين عبد الرحمن بن رجب بدعوى أن النظر مفوض اليه من بعض القضاة . وبعد أمور يطول شرحها بناها ابن التدمري ، وزاد فيها قاعة له كانت بجوارها ، وجعل لها ميضأة . وبنى فوق القاعة حجرات وأتمها سنة خمس وثمانين وسبعمائة . وكان المصرف على بنائها من ماله . وقرره القاضي ناظرا عليها . قال ابن مشجرة صاحب الرسالة المذكورة : ويجب أن تسمى هذه المدرسة الشمسية لأن واقفها شمس
١٥ الدين ابن التدمري . والرسالة المذكورة في نحو خمسين ورقة ، ولكن هذا ملخصها .

حرف الشين

دار الحديث (الشقشقية) (٢)

قال في «تنبيه الطالب» : هي بدرب البانياسي . كانت دارا للشيخ المحدث نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العبر مظفر بن عقيل الشيباني الدمشقي الصفار الشاهد
٢٠ فأوقفها دار حديث . وقال ابن كثير : وقف داره بدرب البانياسي دار حديث . وهي التي كان يسكنها شيخنا المزي الحافظ قبل انتقاله الى دار الحديث الأشرفية . انتهى

أقول : لم أدر ما درب البانياسي ، ولا في أية ناحية هو ، ولم أجد من يخبرني عنه. وذلك عذري في ترك التحقيق عن موضعها .

---

(١) سبق القلم المؤلف فذكر شهاب الدين والصحيح تقي الدين .

(٢) كذا في الاصل وذكرها النعيمي في الدارس « الشقيشقية » .

ترجمة واقفها

نجيب الدين ابن الشقيشقة ٠٠٠-٦٦٦

هو نصر الله بن مظفر المتقدم . قال النعيمي : ولد بعد الثمانين وخمسمائة ، وكان أديبا ظريفاً ، مليح البزة ، واعتنى بالحديث ، ورماه أبو شامة بالكذب ورقة الدين ، توفي سنة ست وستين وستمائة . انتهى

وقال أبو شامة : هو مشهور بالكذب ، ورقة الدين ، وغير ذلك ، وهو أحد الشهود المقدوح فيهم ؛ ولم يكن بحال أن يؤخذ عنه . وقد أجلسه أحمد بن يحيى بن هبة الله الملقب بالصدر ابن سني الدولة في حال ولايته أقضى القضاة بدمشق ؛ فانشد فيه بعض الشعراء :

جلس الشقيشقة الشقي ليشهدا بأبيكما ما ذا عدا فيما بدا ؟
هل زلزل الزلزال أم قد أخرج الدجال أم عدم الرجال ذوو الهدى ؟
عجبا لمحلول العقيدة جاهلا بالشرع قد أذنوا له أن يقعدا !؟

قال النعيمي : ولم أقف على أحد ولي مشيختها .

حرف العين

دار الحديث (العُرْوِيّة)

كانت زمان وجودها بالجانب الشرقي من صحن الجامع الأموي قبيل الحلبية . ويعرف مكانها قديما بمشهد علي ، وعرف بعده بمشهد عروة . قال ابن كثير : ان الناس يقولون مشهد عروة بالجامع الأموي . وانما نسب اليه لأنه أول من فتحه بعد أن كان مشحونا بالحواصل المجموعة للجامع ، وبنى فيه البركة ، ووقف فيه على الحديث دورسا ، ووقف خزائن كتبه فيه ، وصنع له محرابا ، وبيضه .

أقول : اذا وقفت عند باب جيرون متجها الى الغرب ، كان عن يسارك مشهد كبير يسميه الناس اليوم مشهد الحسين ، وبجانبه من الجهة الشمالية آثار بناء قديم . وفي زاوية نهاية المكان باب فتحه بنو الغزي لبيتهم . وبجانبه في الحائط الشمالي التربة الكاملية ، وهي أيضا منضمة الى دار بني الغزي . ووراء ذلك الحائط المدرسة السميساطية ، ثم الاخنائية ، ثم دار بني الغزي . فيمكن أن تكون العروية أدخلت في

المشهد الحسيني ، أو هي والحلبية أدخلتا في الدار المذكورة لكونها عظيمة متسعة جداً والله أعلم .

ترجمة واقفها

شرف الدين ابن عروة ٠٠٠-٦٢٠

هو شرف الدين محمد بن عروة الموصلي ، نسب اليه مشهد عروة كما تقدم . وكان مقيما بالقدس ، ولكنه كان من خواص أصحاب الملك المعظم ؛ فانتقل الى دمشق حينما خرب سور بيت المقدس ، وأقام بها الى أن توفي . وقبره عند قباب طغتكين قبلي المصلى . وتوفي سنة عشرين وستمائة . ٥

وأول من ولي مشيخة هذه المدرسة فخر الدين عبد الرحمن المشهور بابن عساكر، ثم الحافظ الكبير الرحال محمد بن يوسف البرزالي الاشبيلي ، ، ثم فخر الدين عبدالرحمن بن يوسف البعلبكي الحنبلي . قال ابن كثير : كان يفتي ويفيد الناس ، مع ديانة وصلاح، وعبادة وزهادة . ١٠

وقال برهان الدين ابراهيم بن مفلح في « المقصد الارشد » في ترجمته : هو الفقيه المحدث الزاهد ، سمع الحديث ، وتفقه على الشيخ تقي الدين ابن العز وعمر ابن المنجا ، وحفظ علوم الحديث ، وعرضه من حفظه على مؤلفه ابن الصلاح ، وقرأ الأصول ، وشيئاً من الخلاف على السيف الآمدي ، والنحو على ابن الحاجب ، وصحب اليونيني والنووي. ١٥ توفي سنة ثمان وثمانين وستمائة ، وولادته سنة احدى وعشرين وستمائة . وانما ترجمته هنا لأني أفردت السفر الأخير من هذا الكتاب لتراجم المشاهير فمن كان مشهورا أخرّت ترجمته الى ذلك السفر ، ومن كان متوسطا أترجمه بالمناسبات لئلا أسهو عنه هناك .

حرف الفاء ٢٠

دار الحديث (الفاضلية)

كانت أيام مجدها بالكلاسة ، وأما الآن فقد صارت بيوتا للسكنى . وقد شاهدت من آثارها الايوان وقاعتين بجانبه والمطبخ من ضمنه .

قال أبو شامة في كلامه على وفاة صلاح الدين : أن تربته مجاورة للمكان الذي زاره القاضي الفاضل في المسجد . انتهى .

ونحن الآن لم نر الا زقاقاً ، بين التربة المذكورة والجامع ، يوصل الى دور معدة للسكن . والوقف عليها مزرعة برتايا لصيق أرض حمُورية ، يفصل بينهما النهر . ثم كانت بعد ذلك بيد الزعني عبد الغني بن السراج بن الخواجا شمس الدين بن المزلق ، ثم صارت بيد محب الدين ناظر الجيش سنة خمس عشرة وتسعمائة . وأول من درس بها التقي البلداني ، ثم النجم أخو البدر ، ثم الحافظ الذهبي ، ثم الحافظ المتقن أبو المعالي محمد بن رافع بن هجوش السلاَّمي بتشديد اللام الصميدي المصري ثم الدمشقي ، ثم شمس الدين محمد بن محمد بن رضوان البعلي المعروف بابن الموصليّ .

ترجمة واقفها

القاضي الفاضل
٥٢٩-٥٩٦

نحن الآن لم نرد استقصاء ترجمة هذا الفاضل لأنه من زينة المشاهير ، ومحل طلوع كوكبه أوج سفر المشاهير . ولكننا نأتي على نبذة منها هنا ؛ وفي محلها نزيد ما لم نأت عليه في هذا الموضع ،اذ لايليق بالمقام اخلاء هذا السفر من ترجمته ، فنقول :

هو عبد الرحيم بن علي بن حسن بن الحسين بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضي محي الدين ابن القاضي الأشرف أبي الحسن اللخمي البيساني العسقلاني المولد المصري المنشأ ، صاحب العبادة ، والفصاحة ، والبراعة والبلاغة . ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة . انتهت اليه براعة الانشاء ، وبلاغة الترسل ، وله في ذلك معان مبتكرة لم يسبق اليها مع كثرتها . اشتغل بصناعة الترسل على الموفق يوسف بن الجلال شيخ الانشاء في زمنه ، ثم أقام بالاسكندرية مدة . قال عمارة الفقيه اليمني : ومن محاسن العاضد ، خروج أمره الى والي الاسكندرية بتسيير القاضي الفاضل الى الباب ، واستخدامه في ديوان الجيوش . فانه غرس منه للدولة ، بل للملة ، شجرة مباركة ، متزايدة النماء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء . سمع جماعة من المحدثين ؛ وكان كثير الصدقات ، والصوم ، والصلاة . ورده كل يوم وليلة ختمة كاملة .

قال الحافظ عبد العظيم المنذري : ركن السلطان صلاح الدين الى القاضي الفاضل ركونا تاما ، وتقدم عنده كثيراً ، وله آثار جميلة ظاهرة ، مع ما كان عليه من الاغضاء

والاحتمال . وروى موفق الدين أحمد ابن أبي أصيبعة في تاريخه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » في ترجمة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي عنه أنه قال :

توجهت الى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا ، فاجتمعت ببهاء الدين ابن شداد قاضي العسكر يومئذ ، وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل ، فانبسط اليَّ وأقبل عليَّ ، وقال : نجتمع بعماد الدين الكاتب ؛ فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاءالدين؛ فوجدته يكتب كتابا الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة ، وقال : هذا كتاب الى بلدكم ؛ وذاكرني في مسائل من علم الكلام ، وقال : قوموا الى القاضي الفاضل ؛ فدخلنا عليه ، فرأيت شيخا ضئيلا كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويملي على اثنين ، ووجهه وشفتاه تلعب أنواع الحركات ، لقوة حرصه في اخراج الكلام ، وكأنه يكتب بجملة أعضائه. وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : « حتى اذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها »٣٩/٧١آية أين جواب اذا ؟ وأين جواب لو في قوله تعالى : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال » ٢١/١٣ آية وعن مسائل كثيرة ؟ ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء ، وقال لي : ترجع الى دمشق وتجرى عليك الجرايات ؟ فقلت أريد مصر، فقال : السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا ، وقتل المسلمين بها . فقلت : لابد لي من مصر . فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها . فلما دخلت القاهرة ؛ جاءني وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان شيخاً جليل القدر نافذ الكلمة ، فأنزلني داراً قد أزيحت عللها ؛ وجاءني بدنانير وغلة ، ثم مضى الى أرباب الدولة وقال : هذا ضيف القاضي الفاضل ؛ فوردت الهدايا والصلات من كل جانب . وكان كل عشرة أيام أو نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة ، وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي . انتهى

وقال الموفق عبد اللطيف البغدادي أيضا : كان للقاضي الفاضل غرام في الكتابة ، وتحصيل الكتب ، وكان له العفاف والدين والتقى ، مواظبا على أوراده . ولما ملك أسد الدين شيركوه ، احتاج الى كاتب ، فأعجبه سمته وتصوره . فلما ملك صلاح الدين استخلصه لنفسه ، وحسن اعتقاده فيه . وكان قليل اللذات ، كثير الحسنات ، دائم التهجد ، مشتغلا بالأدب ، قليل النحو ، لكن له دربة قوية فيه توجب قلة اللحن . وكتب في الانشاء ما لم يكتبه أحد . وكان متقللا في مطعمه ، ومنكحه ، وملبسه ؛ يلبس البياض ، ولايبلغ جميع ما عليه من الثياب دينارين ، ويركب معه غلام وركابي ، ولايمكّن

أحداً أن يصحبه ، ويكثر لقي الجنائز ، وعيادة المرضى ، وزيارة القبور . وله معروف معروف ، في السر والجهر . وكان ضعيف البنية ، رقيق الصوت ، له حدبة يغطيها الطيلسان . وكان به سوء خلق يكمد به في نفسه ، ولايضير أحدا به . ولأصحاب الفضائل عنده نفاق(١) يحسن اليهم ولايمن عليهم . ولم يكن له انتقام من أعدائه الا بالاحسان اليهم ، أو الاعراض عنهم . وكان دخله ومعلومه في السنة خمسين ألف دينار، ٥
سوى متاجر الهند والمغول وغيرهما . وأحوج ما كان الى الموت عند تولي الاقبال ، واقبال الادبار . وهذا يدل على أن لله به عناية . ويقال : ان مسودات رسائله في المجلدات ، والتعليقات في الأوراق ، اذا اجتمعت ، لاتقصر عن مائة مجلدة ، وله نظم كثير . وقيل : انه ملك من الكتب مائة ألف مجلدة . وقد أثنى عليه العماد الكاتب ثناءً عظيما ، توفي سنة(٢) ١٠

وبنى للشافعية مدرسة بالقاهرة ، وشرك معهم المالكية بها ، ومكتبا للأيتام . وترجمه الذهبي في «تاريخه» في ورقتين ونصف . قال ابن كثير : والعجب أن القاضي الفاضل مع براعته وفصاحته التي لايدانى فيها ، ولايجارى ، لايعرف له قصيدة طويلة رنانة . له ما بين البيت والبيتين والثلاثة في أثناء الرسائل وغيرها . هذا كلام الأسدي ؛ واعترض عليه بأن له قصيدة طويلة رنانة مطلعها : ١٥

لله روض بالحدائق محدق وبكل ما تهوى النواظر مونق

وهي فوق الثلاثين بيتا وله غيرها مما هو أطول منها .

حرف القاف

دار الحديث (القلانسية)

هي بالصالحية . قال النعيمي : بها رباط ومئذنة وتعرف الآن بالخانقاه ، غربي مدرسة أبي عمر . قال العلموي : قلت : هي نهر يزيد جار في وسطها ، وينزل اليها من درج . انتهى ٢٠

أقول : فتشت عنها أثناء كتابتي هذه الأسطر ؛ وذهبت الى الصالحية ؛ فدللت على

(١) نفاق جمع نفقة .

(٢) في الاصل بياض وكانت وفاته سنة ست وتسعين وخمسمائة .

مكانها ، فرأيت جيرانها قد اختلسوا أكثرها ؛ وبقي منها بقية من جهة نهر يزيد ! وتلك البقية كانت سابقا خربة ترمى بها الزبالة ، فهيأ الله لها الشيخ اسماعيل بن علي التكريتي الصالحي فعمر تلك الخربة ، وجعل لها مسجدا لطيفا ، وعمر الدرج الذي ينزل منه اليها ، ثم الى نهر يزيد بالحجر . فكان النهر تحت مسجدها ، ينزل اليه المصلون من

٥ طرف المسجد من الشرق فيتوضؤون منه . وجعل لها صحنا لطيفا ، وبجانبه مطبخ ، وعمر بالعلو من الجانب الغربي والشمالي ثماني غرف ، وأعدها لسكنى الفقراء الذين لا مأوى لهم ، وجدد بابها وكتب فوق أسكفّته :

مدرسة ذي عمرت	من بعد ما قد دثرت
أنعم باسماعل من	شيدها فظهرت
ابن علي التكريتي من	يوجر ما قد بقيت
شاد لأن يبقى له	أجر مدى أن نفعت
أعطاه ربي أرخوا	أجرا ببره ثبت
دعى فارخ الذي	حبى بجنةٍ علت

١٠

فتاريخ بنائها سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف . فجزى الله مجددها خيرا . واسمها

١٥ الآن الخانقاه . وقال النعيمي بعد أن حكى ما نقلناه عنه سابقاً : ولم أقف على أحد ممن ولي مشيختها .

ترجمة واقفها

عز الدين بن القلانسي ٦٤٩-٧٢٩

هو الصاحب عز الدين أبو المعالي أسعد ابن عز الدين غالب بن المظفر ابن الوزير مؤيد الدين ابي المعالي أسعد ابن العضيد أبي يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد

٢٠ التميمي الدمشقي الشهير بابن القلانسي أحد رؤساء دمشق الكبار . ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، وسمع الحديث من جماعة وأسمعه .

قال ابن كثير : سمعنا عليه ، وله رياسة باذخة ، وأصالة كبيرة ، وأملاك هائلة كافية لما يحتاج اليه من أمور الدنيا . ولم تزل صناعة الوظائف معه الى أن ألزم بوكالة بيت السلطان ، ثم بالوزارة في سنة ست عشرة وستمائة ؛ ثم عزل ، وقد صودر في بعض

٢٥ الأحيان . وكانت له مكارم على الخواص والكبار ، وله حسنات على الفقراء ، وعلى

المحتاجين . ولم يزل وجيها معظما عند أرباب الدولة من الملوك ، والنواب ، والامراء ، وغيرهم ؛ الى أن توفي ببستانه سنة تسع وعشرين وسبعمائة عن ثمانين سنة ؛ ودفن بتربته بسفح قاسيون ، وله في الصالحية رباط حسن بمئذنة ، وفيه دار حديث . قاله ابن كثير . وهي دار الحديث التي ترجمناها سابقا . وله بر وصدقة .

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الواقف : كان محتشما ، معظما، متنغما على الوزارة وغيرها ؛ وروى عن البرهان وابن عبد الدائم .

مسامرة خيال

لاح في خيالي قبل الشروع في هذا التأليف أن أستقصي أوقاف كل مدرسة ، وأصفها وصفا تاما . فلما شرعت في الكتابة ، فاذا أنا كالقابض على الهواء ؛ لأني لم أجد من آثار غالب المدارس الا هباء منثورا ، ومن اسمها والتعريف بمحلها الا ما هو مسطور في بطون الكتب . فكنت أقضي الأيام متجولا ، وأكثر التسآل حتى أجد بعض أثر أو أهتدي الى اسم مكان ، خصوصاً وأنا نزيل تلك المدينة الزاهرة . وربما كان يدلني على الأثر قبر الواقف ، ان كان ؛ لأن أصحابنا اصطلحوا على اختلاس المدرسة ، ووقفها ، ومسجدها ؛ ولم يجسروا على ابتلاع قبر الواقف فلله در صلاحهم ! ولو سمحت نفوسهم بابتلاع القبر أيضاً ، لأيسنا من مشاهدة طلل ! فمن ثم ترى بستانا وهو نزهة الناظرين، وفيه قبة عالية بها قبر عظيم ؛ فاذا سألت عنه قيل لك : هذا قبر الولي الفلاني ، أو الصحابي ويسميه باسم غريب . ويكون أصل ذلك البستان مدرسة أو جامعاً ؛ فاختلس مكانهما ؛ وغرس بالأشجار ، وأعطي القبر لقب ولي أو صحابي ، وربما قيل عنه : نبي ؛ ثم مع مرور الزمن يخترعون له مناقب وكرامات ؛ ويعلقون الخرق فوقه لصرف أفكار البسطاء نحوه ، واقبالهم على زيارته ، وبذل الدراهم لخدامته ؛ فيجعلونه كشجرة يقصدون ثمرها بكرة وعشيا . وحينا كنت أستدل على المدرسة باسم الزقاق، أو الدرب المسمى باسمها ، أو باسم واقفها . كما أني حرت في معرفتي للمدرسة الكروسية ، فلم أقدر على معرفة محلها لاندراسها ، ودخولها في الدور . فبينما أنا أفتش ، اذ برجل قال لي : هذا مقام السلمي وهو صحابي جليل ، وهذا الزقاق يسمى باسمه . فنظرت في ترجمة واقف الكروسية ؛ فاذا هو السلمي . فاهتديت الى مكانها ،

وأريت صاحبي ترجمته ، وأعلمته بأنه ليس بصحابي . وصاحبي هذا من أهل العلم الذين لهم تلامذة في زمننا فما ظنك بالعوام !؟ الى غير ذلك مما كنت أعانيه وأتعب به .
وأما الأوقاف ، فرأيت ظفري بها ضربا من المحال ، لأنا اذا اعتبرنا دمشق وما حولها ؛ نجد الغالب عليه أنه وقف. وهذا شي يطول ، ولايمكن استقصاؤه . وهب أنه استقصي،
٥ فليس في ذكره فائدة الا الأسف ، وضياع الوقت . وكان بعض أصحابنا من الأشراف قال لي : ان أحد أجداده له كتاب سماه « التذكرة » يذكر فيه المدارس كلها ، ويذيل كل مدرسة بفهرست أوقافها . ووعدني بأن يطلعني على ذلك الكتاب . وبعد مماطلة طويلة ، أسفر الوعد عن « مختصر العلموي » ، وكان عندي سابقا ، فشكرت سعيه . وعلمت أن الكتاب كان في عالم الخيال لافي عالم الشهود . فلذلك اقتصرت على ما وصل الى يدي؛
١٠ ولا يكلف الله نفساً الا وسعها .

واني أقدم للناظر في كتابي هذا لمعة من الكلام على أوقاف دمشق ليرى عذري واضحا ، وهي ما قاله أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللوَاتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطة في رحلته « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » من فصل له أثناء كتابه وهو : والأوقاف بدمشق لاتحصر أنواعها ، ومصارفها
١٥ لكثرتها ، فمنها :

أوقاف على العاجزين عن الحج ، يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته .

ومنها أوقاف على تجهيز البنات الى أزواجهن ، وهن اللواتي لاقدرة لأهلهن على تجهيزهن .

ومنها أوقاف لفكاك الأسارى .

٢٠ ومنها أوقاف لأبناء السبيل ؛ يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم .

ومنها أوقاف على تعديل الطرق ورصفها ، لأن طرق دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبيه يمر عليهما المترجلون ، ويمر الركبان بين ذلك .

وقال : مررت يوما ببعض أزقة دمشق ، فرأيت به مملوكا صغيرا قد سقطت من يده صحفة من الفخار الصيني ، وهم يسمونها الصحن ، فتكسرت ؛ واجتمع عليه الناس
٢٥ فقال له بعضهم : اجمع شقفها ، واحملها معك لصاحب أوقاف الأواني . فجمعها ، وذهب الرجل معه اليه ، فأراه اياها ؛ فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن . وهذا من أحسن الأعمال ، فان سيد الغلام لابد له أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره . وهو

أيضاً ينكسر قلبه ويتغير لأجل ذلك . فكان هذا الوقف جبرا للقلوب . جزى الله خيراً من تسامت همته في الخير الى مثل هذا . وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد، والزوايا ، والمدارس ، والمشاهد .

ثم قال : وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لابد أن يتأتى له وجه من المعاش، من امامة مسجد ، أو قراءة بمدرسة ، أو ملازمة مسجد يجيء اليه فيه رزقه ، أو قراءة القرآن ، أو خدمة مشهد من المشاهد المباركة ، أو يكون كجملة الصوفية بالخوانق تجرى له النفقة والكسوة . فمن كان بها غريبا على خير ، لم يزل مصونا عن بذل وجهه ، محفوظا عما يزري بالمروءة . ومن كان من أهل المهنة والخدمة ، فله أسباب أخر ، من حراسة بستان ، أو أمانة طاحون ، أو كفالة صبيان ، يغدو معهم الى التعليم ويروح . ومن أراد طلب العلم ، أو التفرغ للعبادة ، وجد الاعانة التامة على ذلك . ومن فضائل أهل دمشق؛ أنه لايفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة . فمن كان من الأمراء ، والقضاة ، والكبراء ، فانه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده . ومن كان من التجار ، وكبار السوقة ، صنع مثل ذلك . ومن كان من الضعفاء ، والبادية ، فانهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم ، أو في مسجد ؛ ويأتي كل أحد بما عنده ، فيفطرون جميعاً .

ثم قال : وكان بدمشق فاضل من كبرائها ، وهو الصاحب عز الدين القلانسي ، له مآثر ومكارم وفضائل وايثار ، وهو ذو مال عريض . وذكروا ان الملك الناصر لما قدم دمشق أضافه ، وجميع أهل دولته ، ومماليكه ، وخواصه ، ثلاثة أيام ؛ فسماه اذ ذاك بالصاحب .

ومما يؤثر من فضائلهم ؛ أن أحد ملوكهم السالفين لما نزل به الموت ، أوصى أن يدفن بقبلة الجامع المكرم ، ويخفى قبره . وعين أوقافا عظيمة لقراء يقرؤون سبعا من القرآن الكريم في كل يوم اثر صلاة الصبح ، بالجهة الشرقية من مقصورة الصحابة رضي الله عنهم حيث قبره . فصارت قراءة القرآن على قبره لاتنقطع أبدا ، وبقي ذلك الرسم الجميل بعده مخلدا .

ومن عادة أهل دمشق ، وسائر تلك البلاد ، أنهم يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفة ؛ فيقفون بصحون المساجد كبيت المقدس وجامع بني أمية وسواها ، ويقف بهم أئمتهم كاشفي رؤوسهم ، داعين خاضعين خاشعين ملتمسين البركة . ويتوخون

الساعة التي يقف فيها وفد الله ، وحجاج بيته بعرفات . ولايزالون في خضوع ودعاء وابتهال ، وتوسل الى الله تعالى بحجاج بيته ، الى أن تغيب الشمس . فينفرون كما ينفر الحاج ، باكين على ماحرموه من ذلك الموقف الشريف بعرفات ، داعين الى الله تعالى أن يوصلهم اليها ، ولايخليهم من بركة القبول فيما فعلوه .

٥ لهم أيضا في اتباع الجنائز رتبة عجيبة ؛ وذلك أنهم يمشون أمام الجنازة ، والقراء يقرؤون القرآن بالاصوات الحسنة والتلاحين المبكية التي تكاد النفوس تطير لها رقة . وهم يصلون على الجنائز بالمسجد الجامع قبالة المقصورة . فان كان الميت من أئمة الجامع أو مؤذنيه أو خدامه أدخلوه بالقراءة الى موضع الصلاة عليه . وان كان من سواهم ، قطعوا القراءة عند باب المسجد ، ودخلوا بالجنازة ؛ وبعضهم يجتمع له بالبلاط ١٠ الغربي من الصحن ، بمقربة من باب البريد ، فيجلسون وأمامهم ربعات القرآن يقرؤون فيها ، ويرفعون أصواتهم بالنداء لكل من يصل للعزاء من كبار البلدة وأعيانها ، ويقولون : بسم الله ، فلان الدين من كمال ، وجمال ، وشمس ، وبدر ، وغير ذلك . فاذا أتموا القراءة ، قام المؤذنون فيقولون : افتكروا واعتبروا صلاتكم على فلان الرجل الصالح العالم ؛ ويصفونه بصفات من الخير ، ثم يصلون عليه ، ويذهبون به الى مدفنه . هذا ١٥ وقد انقطعت تلك العادات واضمحلت ، واستبدلت بغيرها(١) مما سنذكره أثناء هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

ترجمة التكريتي مجدد المدرسة

اسماعيل التكريتي ...-١٣٢١

طلبت من السيد محمد أمين التكريتي الصالحي ترجمة مجدد هذه المدرسة ؛ فكتب الي ما صورته :

٢٠ هو السيد اسماعيل ابن السيد علي ابن السيد اسماعيل ، من بني التكريتي . وهم عائلة كبيرة في صالحية دمشق ، وأصلهم من مدينة تكريت ، وهي على شاطىء دجلة قريبة من الموصل ، وأقاموا بدمشق من مدة تزيد على السبعمائة سنة . وكان من هذه العائلة فضلاء وأعيان .

قلت : وستأتي ترجمة جدهم الأعلى في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى سنة ست

---

(١) كذا في الاصل والاصح أن يقال استبدل بها غيرها .

وخمسين ومائتين وألف . وتوفي والده وهو ابن سبع سنين ؛ فربي في حجر والدته الى أن شب ، فاشتغل بالتجارة ، ونشأ على عفة وصلاح ، ومحبة للفقراء والمساكين . وكان كثير الأصحاب ، يكثر من الاجتماع بالعلماء ، ويحب البر والخيرات . ومما جعله ذخراً في الآخرة ؛ أنه لما رأى دار الحديث القلانسية المسماة بالخانقاه ، التي هي بالزقاق المسمى الآن بزقاق قصر الفارة بالصالحية قد تهدمت ، واندرست منذ ثلاثمائة سنة ، وتناولت أيدي المختلسين أكثرها ؛ عمر ما بقي منها من ماله ابتغاء لوجه الله تعالى . وعمرها في سنة أولها في محرم سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف ؛ وانتهى من تعميرها في ربيع الأول سنة ست عشرة . وكان يصرف على ما يلزمها ، من مصابيح وأجرة أذان وغير ذلك ، من ماله . ولما توفي الى رحمة الله تعالى ، قام بالانفاق عليها ، حاذيا حذو والده ، الشاب النجيب السيد محمد . وهذه المدرسة الآن تسمى بجامع التكريتي .

زار المترجم بيت المقدس ، وحج ثلاث حجات . ولما حج الرابعة ، وتوجه الى بلده توفي بجبل الطور سنة أحدى وعشرين وثلاثمائة وألف رحمه الله تعالى .

حرف القاف

دار الحديث (القوصية)

سيأتي الكلام عليها في مدارس الشافعية .

حرف الكاف

دار الحديث (الكروسية)

غربي مئذنة الشحم ، وهي بجانب المدرسة السامرية . وكانت دارا لمحمد بن عقيل ابن كروس جمال الدين محتسب دمشق أبو المكارم السلمي ، فجعلها مدرسة ودار حديث .

قال في «تنبيه الطالب» : ولم أقف على أحد ممن ولي مشيختها . اه وسيأتي تمام الكلام عليها في مدارس الشافعية . وهذه المدرسة ذهبت أحاديثها الا من القرطاس ؛ وضمتها أيدي المختلسين اليها ، فصارت مرتع غزلان وثعالب بعد أن كانت تلوح عليها أنوار حديث سيد المشارق والمغارب !؟ ولقد خفي عليَّ مكانها أولا ، ثم ظفرت به ؛ فاذا هي

بمحل يقال له الآن زقاق السلمي غربي مئذنة الشحم . ولما تأملتها وجدت حائطها الشرقي باقيا ، وبه بركة ماء مبنية بحجارة ضخمة على طراز قديم ، وهندسة معجبة ، ونقوش بديعة . وعن يمينها ويسارها عمودان لطيفان ، والشمالي من المرمر ، وصدرها من الحجر المعجن ، وبابها لم يزل باقيا ، الا أنه مسدود . وبعد نحو ثماني خطوات من البركة الى الجنوب ، حجرة لطيفة بلا سقف ولها شباك على الطريق ، وبها قبر مصبوغ بالمغرة ؛ يقولون: انه قبر السلمي . وعن شمالها أثر في الجدار ينادي على أنه كان مدرسة، ولعلها أختها السامَرِّية التي أصابها كل ما أصاب أختها .

ترجمة واقفها

جمال الدين ابن كروس ٠٠٠-٦٤١

هو ابن كروس المتقدم جمال الدين محتسب دمشق أبو المكارم السلمي . كان كيسا، متواضعا كريما حسن الاخلاق . قال الصفدي : سمع الحديث من بهاء الدين ابن عساكر وغيره . وكان رئيسا محتشما ، قيما بالحسبة ، توفي بدمشق في شوال سنة احدى وأربعين وستمائة ، ودفن بداره . وسيأتي تمام الكلام في مدارس الشافعية .

حرف النون

دار الحديث (النورية)

هي بسوق العصرونية من الجانب القبلي ، بين دار الحديث الاشرفية والمدرسة العصرونية ، أمام العادلية الصغرى ، يفصل بينهما الطريق . وهذه الدار تقلبت بها الايام والدهور ، فأصابها قريب مما أصاب دار الحديث الاشرفية . فصارت دارا للسكنى؛ وطمس محراب مسجدها ، وطمرت بركة مائها لتتغير رسومها . فأرشد الله تعالى لاستخلاصها العالم الفاضل الفقيه الشيخ أبو الفرج(١) ابن العالم الفاضل الصالح الشيخ عبد القادر الخطيب الدمشقي ؛ فأنقذها من يد مختلسيها ، وجلس يقرىء بها الدروس ؛ فجزاه الله خيرا .

ولقد شاهدتها وتأملتها أثناء كتابتي لهذه السطور ، فاذا هي الآن تشتمل على دهليز

---

(١) كذا في الأصل .

لطيف ، فيه عن يمين الداخل حجرة ، وعن يساره باب مسدود ؛ يظن أنه باب حجرة
أيضا ، لكنها صارت حانوتا للبضائع والتجارة . ولها ساحة لطيفة ، في وسطها بركة ماء
على نمط قديم ، وهندسة لطيفة . وبها مسجد طوله احدى وعشرون خطوة ، وعرضه
خمس خطوات ، وسقفه معقود بالحجارة والآجر المتين ، ومحرابه من الحجر المحفور
المعجن . وبالجانب الشرقي من الساحة حجرتان جديدتان ، وفوقهما غرفتان مثلهما ، ٥
وهما من بناء أهل الخير بواسطة الفاضل الشيخ عبد القادر ابن الشيخ أبي الخير الخطيب ،
وفوق دهليزها غرفة أيضا .

واقفها ومدرسوها

نور الدين بن زنكي
٥١١-٥٦٩

اختلف في بانيها وواقفها ، فقيل : واقفها وبانيها نور الدين محمود بن أبي سعيد
ابن آق سنقر التركي ، وهو أول من بنى دارا للحديث ، وقيل : أوقفتها عصمة التي قيل : ١٠
انها كانت زوج السلطان صلاح الدين ، وهو خلاف المعروف . وفي « طبقات السبكي
الوسطى » في ترجمة الحافظ ابن عساكر أن الملك العادل محمود بن زنكي نور الدين قد
بنى لابن عساكر هذا دار الحديث النورية ، ودرس بها الى حين وفاته . انتهى . فالباني
لها هو نور الدين . وترجمة السلطان نور الدين الشهيد ، في القسم الاول . لكنا نقول
هنا : انه توفي يوم الاربعاء الحادي من شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ، عن ثمان ١٥
وخمسين سنة . قال الاسدي في « الكواكب الدرية في السيرة النورية » : وكان وقف
هذه المدرسة قليلا .

قال ابن كثير : ولما وسع الخندق سنة احدى عشرة وستمائة ، مما يلي القيمازية
خربت دور كثيرة هناك ، وخرب حمام قايماز ، وفرن كان وقفا على هذه المدرسة ، وغير
ذلك . فلما بنى الأشرف دار الحديث غربيها ، شرط أن يؤخذ من وقفها ألفا درهم ، ٢٠
فتضاف الى وقف دار الحديث النورية ، فانصلح حالها . وقال أبو شامة في « الروضتين » :
بنى نور الدين دار الحديث ، ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث ،
أوقافا كثيرة ؛ وهو أول من بنى دار حديث فيما علمناه .

وأما مدرسوها : فهم الحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن المعروف
بابن عساكر صاحب « تاريخ دمشق » ، ثم ولده الحافظ المسند بهاء الدين أبو محمد ٢٥

القاسم . ولم يتناول من معلومه من المدرسة النورية هذه شيئا ، بل جعله مرصداً لمن يرد عليه من الطلبة . وقيل : انه لم يشرب من مائها ، ولم يتوضأ منه ، ثم زين الدين ابن الأمناء الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، ثم عبد الوهاب ابن زين الأمناء أبو البركات الحسن بن محمد بن عساكر ، ثم الحافظ زين الدين خالد بن يوسف ابن

٥ سعد النابلسي شيخ النووي ، ثم العلامة تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن ابراهيم ابن سباع الفزاوي المعروف بابن الفركاح ، ثم الحافظ محمد بن علي بن محمد الصابوني، ثم المجد بن المهتار ، ثم فخر الدين الحنبلي ، ثم شرف الدين النابلسي أحمد بن نعمة ، ثم علاء الدين بن العطار ، ثم الحافظ المؤرخ المعيد علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف ابن محمد البرزالي الدمشقي ، صاحب « الذيل على تاريخ ابي شامة » و« المعجم الكبير »

١٠ يقال : انه في بضع وعشرين مجلدا ، ولما اطلع عليه ابن حبيب قرظه بقوله :

يا طالباً لقب الشيوخ وما رووا — فيه على التفصيل والاجمال
دار الحديث انزل تجد ما تبتغيه — بارزاً في معجم البرزالي

ثم جماعات لم يصلنا ذكرهم على الترتيب(١) .

دار الحديث (النفيسية)

١٥ ترجمها كل من العليمي ، والعلموي ، والبقاعي بأنها بالرصيف قبلي البيمارستان الدقاقي وباب الزيادة عن يمين الخارج منه ، شمالي المدرسة الأمينية الى الغرب بالزقاق الذي كان يعرف بزقاق الزطي . ا.هـ

أقول : هذه المدرسة مع البيمارستان درسا وأدخلا في غيرهما فصارا دوراً للسكنى . وبيان موضعها يعسر جدا الآن وباب الزيادة هو باب الجامع القبلي فاذا خرج منه أحد،

٢٠ وسار قليلا ، كان عن يمينه الآن العنبرانية وهي بيوت خلاء للجامع ، ثم تكون الحوانيت، ثم بعد العنبرانية بقليل سوق قصير من الشرق الى الغرب ، في جانبه القبلي الأمينية، وفي الشمالي زقاق قصير وهو الذي سماه العلموي بزقاق الزطي ويقال له الآن : زقاق الاقميم . وفي زمننا كان بجانبه حمام يقال له : حمام القيشاني ، فصار سوقاً واتصل

(١) وبعد هذا الكلام يوجد في الأصل بياض قدره تسعة أسطر .

بهذا الزقاق ، وفيه كانت المدرسة المذكورة ، وقد صارت الآن دارين وأخبرني بعض الثقات ان بابها كان ظاهراً وفوقه حجر مكتوب عليه اسم بانيها ، ولم يزل الى زمن قريب، ثم طين فوقه حتى لاتظهر كتابته ، ومحل العنبرانية والأبنية التي بجانبها كان البيمارستان المذكور ، فتبدلت الأحوال ولله في خلقه شؤون ! وأخبرني بعض الثقات أنه سكن داراً لبني اليافي ملاصقة للعنبرانية فرأى به آثار بناء قديم يشبه أن يكون هو البيمارستان المذكور .

ترجمة واقفها

أبو النفيس بن صدقة ٦٢٨-٦٩٦

هو أبو النفيس(١) اسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحَرَّاني ثم الدمشقي . قال ابن كثير : كان ناظراً على الأيتام ، تولى شهادة القسمة ، وكان ذا ثروة من المال توفي سنة ست وتسعين وستمائة ، عما يقرب من سبعين سنة ، ودفن بسفح قاسيون .

وأول من ولي تدريسها المقرىء المحدّث النحوي الأديب علاء الدين بن المظفر الكندي السكندري ثم الدمشقي من جماعة الشيخ ابن تيمية، ثم بعده الحافظ علم الدين البرازالي .

دار الحديث (الناصرية)

أهملها البقاعي ، وقال النعيمي : هي بمحلة الفواخير بسفح قاسيون قبلي الجامع الأفرم ، وبها رباط ، وهي الناصرية البرانية ، وستأتي الناصرية الجوانية . انتهى

أقول : ان تلك المدارس والربط التي كانت بالسفح من لدن الجسر الأبيض الى الجبل من الغرب الشمالي ، مما بين يزيد وثورا ، لم يبق منها بقية تذكر ، وذلك ان يد الزمان قد تناولتها ، فنقضت بناءها وقوضته . ثم انه منذ عهد ليس بالبعيد احتاج نهر ثورا الى عمارة جوانبه ، فأخذت حجارة تلك الأبنية ، وتصرف بها في ذلك البناء . وهذا عدا عما تناولته الأيدي ، واختلسته ، ثم سويت الأرض ، وجعلت حواكير وبساتين ، سنة الله في خلقه ! والجامع الأفرم الآن خراب بلقع لم يوجد منه سوى حفرة تدل على

(١) كذا في الأصل وذكره الذهبي في العبر « النفيس اسماعيل » ، وابن كثير : « نفيس الدين » .

أنه كان هنالك بحيرة الجامع ، وما بقي من حجارته وحجارة أمثاله أخذ لبناء البيوت التي جددت منذ عشر سنين ، وسميت بحارة المهاجرين . وقبلي الجامع المذكور حاكورة يفصل بينها وبين ساحته الطريق . جدارها الشمالي اساس به أحجار تدل على أنه كان ثمة المدرسة الناصرية . وأخبرني بعض الأصحاب أنه شاهد هناك حجرات قائمة الجدران بلا سقف ، ثم أخنى عليها الزمان كما ذكرنا . ومحراب الجامع الأفرم نقلت حجارته الى مسجد دار الحديث الأشرفية بطريقة الشراء .

ترجمة بانيها

الملك الناصر يوسف ٦٢٧-٦٥٩

أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي فاتح بيت المقدس . وكان مولده بقلعة حلب ، في رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة . وبويع له بحلب سنة أربع وثلاثين وستمائة بعد موت أبيه ، وعمره سبع سنين ؛ وقام بتدبير مملكته جماعة من مماليك أبيه ؛ وكان الأمر كله عن رأي جدته أم أبيه صفية خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب ولهذا سكت الملك الكامل لأنها أخته . فلما توفيت سنة أربعين اشتد الناصر واشتغل عنه الكامل بعمه الصالح ، ثم فتح حمص سنة ست واربعين ، فوليها عشر سنين . قال ابن قاضي شهبة : كان كثير البر والاحسان والصدقات ، محببا الى الرعية ، فيه عدل في الجملة ، حسن الاخلاق ، محباً لأهل العلم والفضل والأدب ، وكان سوق الشعر نافقاً في أيامه ، وكان يذبح في مطبخه كل يوم أربعمائة كبش من الغنم ، سوى الدجاج والطيور والجداء ، وله نظم حسن . وقال غيره : وكان الناس معه في عيشة هنية الا وقت ادارة الخمور . وكان مجلسه مجلس ندماء وأدباء ، ثم خدع وعمل فيه حتى وقع في قبضة التتار ؛ فذهبوا به الى هولاكو فأكرمه . فلما بلغه أن جيشه قد كسر على عين جالوت ؛ غضب وتنمر وأمر بقتله ، فتذلل له ، وقال : ماذنبي ؟ فأمسك عن قتله ، وقتل شقيقه الملك الظاهر علياً . قاله الحافظ الذهبي في « العبر » في حوادث تسع وخمسين وستمائة . وقيل : بل قتله سنة ثمان . وكان قد أعد لنفسه تربة في رباطه الذي بناه بسفح قاسيون ، فلم يقدر له دفنه به ، ودفن بالشرق ، وكان شاباً أبيض مليحاً حسن الشكل بعينيه ، قيل : يعني حَوَل قاله ابن كثير . وقال أيضا في حوادث أربع وخمسين وستمائة : وفيها أمر الناصر بعمارة الرباط الناصري بسفح قاسيون ، وذلك عقيب الفراغ

من بناء الناصرية الجوانية بدمشق . والناصرية البرانية من أغرب الأمكنة في البنيان المحكم ، والجوانية من أحسن المدارس . وهو الذي بنى الخان الكبير تجاه الزنجاري ، وحولت اليه دار الأطعمة وكانت قبل ذلك غربي القلعة في اصطبل السلطان . وكانت مدة تملكه لدمشق عشر سنين ، فبنى فيها هذه الأمكنة . وفي القسم الأول زيادة ايضاح على هذا . ٥

ورتب الناصر لهذه المدرسة مرتبات ؛ ودرس بها كمال الدين بن الشريشي مع توليته مشيخة الرباط أكثر من خمس عشرة سنة .

ترجمة محمد بن كمال الدين الشريشي (١)

ثم درس بها ولده العلامة محمد ؛ ولد سنة أربع أو خمس وتسعين وستمائة ، ثم اشتغل بالطب ، وسمع من الحافظين العراقي والهيثمي وغيرهما ، واشتغل في صباه ، وتفنن في العلوم ، واشتهر بالفضيلة ، وكان حسن المناظرة ، دمث الاخلاق ، درس بعدة مدارس ، وأفتى ، وتولى القضاء مرارا ، واختصر « الروضة » ، و « شرح المنهاج » في أربعة أجزاء لخصه من « شرح الرافعي الصغير » ، وله « زوائد الحاوي على المنهاج الفرعي » ، وله خطب ونظم . توفي سنة تسع وستين وسبعمائة . ثم درس بعده حسام الدين الغوتي ، ثم شرف الدين الفزاري ، ثم نجم الدين بن قوام ، ثم ولده نور الدين . ١٠ ١٥

---

(١) كذا كتب المؤلف فأثبتنا ذلك في الحاشية للأمانة العلمية . بينما لم نترجم نحن الا لمن بنى أو وقف.

دور القرآن والحديث

قد سبق لنا الكلام على الدور التي كانت مختصة بالقرآن ، وعلى الدور التي كانت مختصة بالحديث ، حسب الامكان ، وحسبما اتصل بنا . ولنشرع الآن في بيان الدور التي كانت مشتركة بينهما .

٥ دار القرآن والحديث (التنكزية)

هي شرقي حمام نور الدين الشهيد ، تجاه دار الذهب ، وراء سوق البزوريين المعروف قديما بسوق القمح .

قال ابن كثير : وكانت هذه الدار حماما يعرف بحمام سويد ، فهدمه نائب السلطنة تنكز الملكي الناصري ، وجعله دار قرآن وحديث . فجاءت في غاية من الحسن ، ورتب ١٠ فيها الطلبة والمشائخ . وقال أيضاً : وفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، توجه نائب السلطنة سيف الدين تنكز الى الديار المصرية لزيارة السلطان ، فأكرمه واحترمه ، واشترى له في سفره هذا دار الفلوس التي هي بالقرب من البزوريين والمدرسة الجوزية وهي شرقيهما ؛ فعمر هذه الدار داراً هائلة ليس في دمشق دار أحسن منها ، وسماها دار الذهب . ومر بالقدس حين رجوعه من مصر ، فأمر ببناء دار حديث فيه وخانقاه . ١٥ ثم لما أتى الى الشام ، نقل حواصله وأمواله من دار الذهب التي كانت داخل باب الفراديس الى داره هذه . قال النعيمي في كتابه « تنبيه الطالب » : رأيت في قائمة قديمة تتضمن سرد أوقاف دار الحديث هذه ، فكان فيها ما صورته :

في سوق القشاشين ثمانية عشر حانوتا في خارجه ، وفي داخله تسعة عشر حانوتا ، وبحارة القصر طبقتان واصطبل ، وبستان يعرف ببستان البندر . وبها مشيخة للاقراء ٢٠ باسم البرهان الاربدي ومصرفها مشيخة القرآن والامامة مائة وعشرون درهما ، وثلاث مشيخات للحديث ، لكل واحد منها خمسة عشر درهما في الشهر ، وللمشتغلين بالقرآن العظيم ، وهم اثنا عشر ، لكل واحد منهم سبعة ونصف في الشهر ، وللمعاونين ، وهم خمسة ، لكل واحد منهم سبعة ونصف في الشهر أيضاً ، ولكاتب الغيبة عشرة ،

وللمؤذن والبواب والقوام أربعون، ولصحابة الديوان أربعون ، وللمشارف مثلها ، وللعامل ثلاثون ، وللجابي خمسون ، ولمن يشاهد عمارة الوقف خمسة وعشرون ، ومشهدالعمارة كذلك ، وللمعمارية خمسةعشر، ولنيابة النظر أربعون ، وللناظر مائة. هذا كله في الشهر.

أقول : سوق البزوريين يعرف الآن بسوق البزورية ، وقد كان على شكل قديم ؛ فعمر فيما بعد التسعين ومائتين وألف على نمط جديد ، ووسع . وحمام نورالدين موجود الى الآن يقال له حمام البزورية(١) والمدرسة الجوزية هي الآن محكمة البزورية ، وقد أخليت الآن من الحكم وصارت دار قرآن وتعليم خط وحساب . ودار الذهب باقية الى الآن ، وهي بيد بني العظم ، وهي معدودة من الآثار القديمة ، ومشهورة يأتي السائحون من الفرنجة لرؤية مبانيها ، فيتعجبون منها ، ومن سعتها وجودة انتظامها(٢).

وأما المدرسة فلم تزل باقية الى الآن ، وهي شرقي اقميم حمام البزورية في الزقاق المنحدر الى الشرق ؛ وبابها على هندسة لطيفة ، ومحفور في البلاطة التي هي أعلاه ما صورته :

أنشأ هذه المدرسة المباركة ، وأوقفها على القراء المشتغلين بالقرآن العظيم ، والفقهاء المسمعين للحديث النبوي ، الملك الأشرف السيفي التنكزي النظري كافل الممالك الشريفة بالشام المحروسة ؛ وذلك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة. باشره العبد الفقير أيدمر العيني، وجدرانها الأربع باقية مع بعض أبنيتها الأصلية . ولقد تناولتها قديماً أيدي النظار ، ففعلوا بها كما فعلوا بغيرها ؛ الى أن وصلت الى يد ناظر ، له نصف النظر ، ولأخته النصف الآخر . فجعلاها دارا للسكنى ، ثم هما بأن يهدما الباب لتتغير هيئتها ، فألقى الله تعالى الخلاف بينهما ، والمشاجرة في أمرها . ففطن لذلك بنو الخطيب ، ففتحوا بابها للصلاة، وعلم الناس بأنها مدرسة . ثم تولى نظرها القارىء المتقن الشيخ محمد الحلواني، فحسن بعض أبنيتها الداخلية ، وأعانه على ذلك بعض أهل الخير ، وجعلها مكتبا لقراءة القرآن، فعاد اليها شيء من رونقها ، ثم أخذها منه في هذه السنين الفاضل الشيخ كامل القصاب فبنى بها أبنية علوية وسفلية ، ورممها ، وجعلها مكتباً لقراءة القرآن ومبادىء العلوم والفنون ؛ فازداد رونقها ، وظهرت بهجتها ، وهي على تلك الحال في زمننا هذا . وأما أوقافها فلم توجد الا في القراطيس !

---

(١) ما زال البناء على حالته الاولى وحول الى مخزن تجاري .

(٢) البناء القائم فيها الآن هو بناء أسعد باشا العظم .

ترجمة واقفها

سيف الدين تنكز
٠٠٠-٧٤١

في القسم الاول من هذا الكتاب بيان لأحوال واقفها ، ولكن من الجهة السياسية. ولنذكر هنا ترجمته الأدبية فنقول :

قال الصلاح الصفدي في « تاريخه » : الأمير الكبير المهيب سيف الدين أبو سعيد تنكز نائب السلطنة بالشام، جلب الى مصر وهو حدث فنشأ بها ، وكان أبيض اللون الى السمرة، رشيق القد مليح الشعر ، خفيف اللحية ، قليل الشيب ، حسن الشكل ظريفه ، جلبه الخواجا علاء الدين السيواسي فاشتراه الأمير حسام الدين لاجين واستمر عنده الى أن قتل ، فصار الى خاصكية(١) السلطان، وشهد معه واقعة الخازندرا، ثم واقعة شقحب.(٢) قال الصفدي : وأخبرني القاضي شهاب الدين القيسراني أن تنكز قال له يوما : أنا والأمير سيف الدين طغيال من مماليك الأشرف . ثم ان تنكز سمع «الصحيحين» ، و « كتاب الآثار » ، وأمره الملك الناصر امرة عشرة قبل توجهه الى الكرك ؛ وكان قد سلم اقطاعه الى الامير صارم الدين صاروجا المظفري ، فكان آغا له . ولما توجه الى الكرك كان في خدمة الملك الناصر. وجهزه مرة الى الافرم في دمشق فاتهمه بأن معه كتابا الى أمراء الشام ؛ فحصل له منه مخافة شديدة وفتش وعاقبه الافرم . فلما عاد الى الناصر عرفه بذلك ، فقال له : ان عدت الى الملك فأنت نائب دمشق . فلما حضر من الكرك ، جعل الامير سيف الدين أرغون الدوادار نائب السلطان بمصر بعد احضار الجوكندار الكبير ؛ وقال لتنكز ولسودي : احضرا كل يوم عند أرغون ، وتعلما منه النيابة والاحكام . فلازماه سنة ؛ فلما مهرا ، جهز سيف الدين سودي الى حلب نائبا ، وجعل تنكز نائبا في دمشق، فحضر اليها على البريد هو والحاج سيف الدين سودي ، وأرقطاي ، والامير حسام الدين طومطاي ، والشبهقدار . وكان وصولهم الى دمشق في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة وسبعمائة . فتمكن تنكز من النيابة ، وسار الى ملطية فافتتحها ، وعظم شأنه ، وهابه الامراء بدمشق وأمن الرعايا ، ولم يكن أحد من الامراء ، ولا من أرباب الجاه يقدر على ظلم ذمي أو غيره ، خوفا من بطشه وشدة ايقاعه . ولم يزل في الارتقاء ، وعلو الدرجة ، وأملاكه تتضاعف وتزيد انعاماته ، وعوائده من الخيل والقماش والطيور والجوارح ، حتى

---

(١) كذا في الأصل ولعلها خاصة السلطان .

(٢) كانت هذه الوقعة في أول رمضان سنة اثنتين وسبعمائة بين الجيش المصري وأهل دمشق من جهة والتتار من جهة ثانية ، وقد هزم الله التتار هزيمة منكرة وكان لشيخ الاسلام ابن تيمية في هذه المعركة القدح المعلّى في تحريض الناس وتشجيعهم ومباشرة القتال واقتحام الصفوف .

كُتب له : أعز الله أنصار المقر الكريم العالي الاميري ، وفي الالقاب : الاتابك القائدي ، وفي النعوت : معز الاسلام ، سيد الامراء في العالمين .

قال الصفدي : وهذا لم تعهد كتابته من سلطان لنائب ، ولا لغير نائب على اختلاف الوظائف والمناصب .

وكان السلطان لايفعل شيئا في الغالب حتى يستشيره . ولقد عقد شيئا ، ماسمعناه من غيره ، وهو أنه كان له كاتب ليس له شغل ولا عمل ، غير مايدخل خزائنه من الاموال، ومايستقر له ، ثم اذا حال الحول عمل أوراقا بما يجب صرفه من الزكاة ؛ فاذا قدم له كاتبه الاوراق أمر بصرف مابها الى ذي الاستحقاق ؛ فكان هذا الكاتب كاتبا وناظرا على الزكاة فقط . وازدادت أمواله وأملاكه ، وعمر الجامع المعروف به بحكر السماق ، وأنشأ الى جانبه تربة وحماما ، وعمر تربة الى جانب الخواصين لزوجته ، وعمر دار القرآن والحديث الى جانب داره دار الذهب ، وأنشأ بالقدس رباطا ، وعمر سورالقدس، وساق اليها الماء وأدخله الى الحرم ، وعمر على بابه سقاية ، وعمر بها حمامين وقاسارية مليحة الى الغاية ، وعمر بصفد البيمارستان المعروف به ، وخانا وغيرهما . ولهبجلجولية خان السبيل ويقال له: خان المنية ، وهو في غاية الحسن . وعمر في الكافوري من القاهرة دارا عظيمة ، وحماما وحوانيت وغير ذلك . وجدد القنوات بدمشق وكان ماؤها قد تغير ، وجدد أبنية المساجد والمدارس ، ووسع الطرقات بها ، واعتنى بأمرها . وله في سائر الشام آثار وأملاك وعمائر. انتهى. وقد بسط الصفدي ترجمته في نصف كراس ، وهذا ملخصها .

ثم ان السلطان غضب عليه ، وجهز للقبض عليه جماعة ، فاستسلم ، فأخذ سيفه ، وقيد خلف مسجد القدم ، وجهز الى السلطان في ذي الحجة سنة أربعين وسبعمائة . وتأسف أهل دمشق عليه ، واحتيط على حواصله . فلما وصل الى الاسكندرية حبس بها دون الشهر ، ثم قضى الله فيه أمره ، وصلى عليه أهل الاسكندرية ، وكان قبره يزار ويدعى عنده . ولما كان في أواخر رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، حضر تابوته من الاسكندرية الى دمشق ، ودفن في تربة جوار الجامع المعروف بانشائه ، ورثاه الصلاح الصفدي بقصيدة طويلة .

جامع تنكز

حيث أفضى بنا المقال الى ترجمة تنكز وخيراته ، حسن بنا أن نذكر جامعه الذي بناه بدمشق وان كان اسمه يأتي عند سرد الجوامع فنقول :

قال التقي البديري حسن بن المزلق في «نزهة الانام» : هـذا الجامع في الشرف الادنى ، وهو من الغايات هندسة وبناء ، وفيه عشرون شباكا على خط الاستواء ، تشرف على الانهار ومرجة الميدان وما حوى ، وبوسط صحنه يمر نهر بانياس ، يتوضأ منه الناس ، وبه ناعورتان ، تملآن وتفرغان الى حوضين بهما سائر الاشجار والرياحين والازهار ، وبينهما بركة مربعة ، بها كأس في غاية التدوير ، يجري الماء اليها من النواعير . فهـو منتزه يقصد ، وللمصلي معبد . انتهى

وقال ابن كثير في «تاريخه» : وفي سنة سبع عشرة وسبعمائة ، شرع في عمارة الجامع الذي أنشأه الامير تنكز أو دنكز نائب الشام ظاهر باب النصر ، تجاه حكر السماق على ظهر بانياس . وتردد القضاة العلماء في تحرير قبلته ؛ فاستقر الحال في أمرهـا على ماقاله الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية . وشرع في بنائه بأمر مـن السلطان ، ومساعدته لنائبه في ذلك ، وكان الشروع به في صفر من السنة المذكورة ، وصليت الجمعة فيه في عاشر شعبان منها . انتهى. وسيأتي لهذا مزيد ايضاح في موضعه ان شاء الله تعالى .

دار القرآن والحديث (الصبابية)

كانت قبلي العادلية الكبرى ، وشمالي الطبرية ، أنشأها شمس الدين بن تقي الدين ابن الصباب التاجر ؛ وكانت قبل ذلك خربة شنيعة .

قال النعيمي : كان انشاؤها سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، وجعلها بانيها دار قرآن وحديث . ولم أقف على أحد ممن وليها أصلا. انتهى

ورأيت في زيادات العدوي على «مختصر تحفة الطالب» للعلموي أن واقفها رتب بها شيخا للاقراء ، وشيخا للحديث ، ووقفا للمستحقين .

قال العلموي : قلت: هي الآن سكن الشيخ أبي اليسر بن الرملي . وأما الطبرية فلعلها احترقت في فتنة تيمورلنك . وهي الآن بيوت وبيت ابن علم الدين وأولاد خضر،ونحو ذلك ، قبلي الصبابية. انتهى .

قلت : التعريف ببيت فلان لم يفدنا الآن شيئا . والتعريف بمكانها بالنسبة لزماننا يعسر غاية العسر . بيد أنه اذا وقفت بجانب العادلية ، وسرت الى الجنوب أمام المرادية ، ونظرت الى يمينك رأيت أولا بركة ماء في أول الطريق ، وأساسا مبنيا بحجارة ضخمة ، فربما كان الاساس أساس تلك المدرسة وآثارها ، وبعدها الطبرية؛ وعلى كل فانهما درسا ولم يبق لهما رسم ولا طلل . ٥

ترجمة واقفها

شمس الدين ابن الصباب ٦٧٠-٧٤٠

قال الحسيني في «ذيله على العبر» : أنشأها الصدر الاجل النبيل شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد أبي العز الدمشقي المعروف بابن الصباب . ولد سنة سبعين وستمائة ، وتوفي سنة أربعين وسبعمائة ، وكان من التجار المشهورين . ١٠

دار القرآن والحديث (المعبدية)

قال النعيمي : هي داخل دمشق . والمنقول أنها دار قرآن فقط .

علاء الدين بن معبد ٠٠٠-٧٤٦

قال الشريف الحسيني في «ذيل العبر» : وفي سنة ست وأربعمائة(١) مات بدمشق الامير علاء الدين بن سعيد(٢) البعلبكي ، ودفن الى جانب داره . ورأيت بخط الاسدي أنه دفن داخل دمشق بتربة أنشأها لنفسه ، وجعلها دار قرآن . وقال العلموي : قلت : لاتعرف هذه أصلا . وتعقبه العدوي فقال : يحتمل أنها المعينية وتصفحت . وهي الآن سكن المنلا يوسف الكردي وهو مدرسها فليعلم ! وهي غربي الصبابية ، وقبلي اللاقية . ١٥

---

(١) (٢) كذا في الاصل وذكر النعيمي في الدارس نقلا عن الشريف الحسيني ما يلي :
في سنة ست وأربعين ، وفي ذي القعدة ، مات في دمشق الامير علاء الدين علي بن معبد البعلبكي .

أقول : ان هذه التعريفات لم تفدنا عن بيان موضعها الآن شيئا . والغالب على الظن بل المحقق أنها أصبحت اما بيوتا للسكنى ، أو حوانيت للبيع والشراء . ولقد راجعت « تاريخ ابن عساكر » وغيره عن ترجمة واقفها ، فلم أظفر له بترجمة ، ولم أجد فيما بين يدي غير ماقدمته . وهنا انتهى الكلام على هذا القسم ويتلوه القسم الثالث ان شاء الله تعالى . ٥



القسم الثالث في مدارس (الشافعية)

هذا القسم لكثرة مدارسه اقتضى الحال تقديمه . ويحسن بنا أن نذكر هنا مقدمة تتضمن كيفية تشعب المذاهب ، وما كان داعيا الى انحصارها في هذه الاربعة في ديارنا وما والاهـا فنقول :

يعلم كل أحد أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، بعثه الله تعالى على فترة من الرسل، رسولا الى الناس جميعا ، ورحمة للعالمين . وكان الناس حينئذ أهل شرك وعبادة لغير الله تعالى الا بقايا من أهل الكتاب ، ونذر يسير من العرب المقرين بوحدانيته تعالى . فقام بالأمر مع شدة شكيمة المعارضين ، وصدع به معرضا عن الجاهلين ، وأتاهم بكتاب أخرس الفصحاء ، وأعجز البلغاء ، مع أنهم كانوا يفوقون رمل عالج عددا . فاختاروا المضاربة بالصفاح ، والطعن بالسنان على المغالبة بالحجة والبرهان ؛ وكتابه يناديهم: « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » الآية ٢٣/٢ . فلم يك في وسعهم اجابة النداء ، بل اختاروا المقاومة والمشاتمة والملاكمة والصدام ، الى أن كان من أمره صلى الله عليه وسلم مع قريش ماكان ، مما هو موضح في كتب السيرة النبوية . وهاجر من مكة الى المدينة ، فأشرقت أشعة هذا الدين المبين ، وطلعت شمسه فعمت الآفاق . ولم تكن الدعاية الى الدين الا بالحجة والبرهان . وليست الحروب الا للمدافعة عن الروح ، كما يعلمه من سبر أسرار الشريعة المحمدية . ومن يقل : ان الدعوة الاسلامية كانت بالسيف والقهر والغلبة ، ولا سلطان للبرهان عليها ؛ فقد كذب وافترى ، وقيل له : أية قوة كانت لمحمد صلى الله عليه وسلم ، من المال والاعوان حينما كان بمكة أمام جميع العرب المقاومين له ، وهم أهل الشجاعة والفصاحة والبلاغة ! ؟ ولو كان له ماذكر ، لما خرج من مكة حيث أخرجه أهلها منها ؛ فما غلبهم بغير هذا القرآن ، وكله حجج دامغة لأولي الشرك والطغيان ! ولما خلص نور البرهان الى أفئدة قوم وفقهم الله من أهل المدينة ومن حولها ؛ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اليها ، ومعه قومه ممن خالط الايمان بشاشة قلوبهم ؛ واستقر بها بين المهاجرين والأنصار . وكان الصحابة رضي الله عنهم يجتمعون اليه ، ويحتاطون به احاطة الهالة

بالبدر النير في كل وقت ، مع ما كانوا عليه من ضنك المعيشة وقلة القوت . ولذلك كان منهم من يحترف في الأسواق ، ومنهم من كان يقوم على نخله ، ويحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل وقت ، ومنهم طائفة كانوا يحضرون عندما يجدون أدنى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت . فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة، أو حكم بحكم ، أو أمر بشيء ، أو فعل شيئا ، وعاده من حضر عنده من الصحابة ، وفات من غاب عنه علم ذلك ، كما هو معروف في كتب الحديث . وكان يفتي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبدالله ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم .

فلما انتقلت الروح الطاهرة النبوية الى أعلى عليين ، واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، تفرقت الصحابة في الأقطار ، فمنهم من خرج لقتال مسيلمة وأهل الردة ، ومنهم من خرج لقتال أهل الشام ، ومنهم من خرج لقتال أهل العراق .

وبقي من الصحابة في المدينة مع أبي بكر رضي الله عنه جماعة ؛ فكانت القضية اذا نزلت بأبي بكر ، قضى فيها بما عنده من العلم بكتاب الله ، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ، أو سنة رسوله ، سأل من بحضرته من الصحابة عن ذلك . فان وجد عندهم علما بذلك رجع اليه ، والا اجتهد في الحكم .

ولما توفي أبو بكر رضي الله عنه ؛ وولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب ؛ وفتحت الأمصار ، وزاد تفرق الصحابة فيما افتتحوه من الأقطار ؛ كانت المسألة الواقعة من الشرع تنزل المدينة ، أو غيرها من البلاد ؛ فان كان عند الصحابة الحاضرين بها في ذلك أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حكم به ، والا اجتهد أمير تلك البلدة في ذلك . وقد يكون في تلك القضية حكم عن النبي صلى الله عليه وسلم عند صحابي آخر ، وقد حضر المدني ما لم يحضره المصري ، وهو حضره ما لم يحضره الشامي ، والشامي حضره مالم يحضره البصري ، وحضر البصري مالم يحضره الكوفي ، وحضر الكوفي مالم يحضره المدني . كل هذا موجود في كتب الآثار ، وفي دواوين السادة الأخيار من المحدثين ، وفيما علم من مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبي صلي الله عليه وسلم

في بعض الاوقات ، وحضور غيره ، ثم مغيب الذي حضر أمس وحضور الذي غاب . فيدري كل واحد منهم ما حضر ، ويفوته ما غاب عنه ، فمضى الصحابة رضي الله عنهم على ما ذكرنا .

ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم . وكل طبقة من التابعين في البلاد التي تقدم ذكرها انما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة . فكانوا لايتعدون فتواهم الا يسيرا عن غير من كان في بلادهم من الصحابة ، كاتباع أهل المدينة في الأكثر فتاوى عبد الله بن عمر ، واتباع أهل الكوفة في الأكثر فتاوى عبد الله بن مسعود ، واتباع أهل مكة في الأكثر فتاوى عبد الله بن غياث ، واتباع أهل مصر في الأكثر فتاوى عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين .

ثم أتى من بعد التابعين فقهاء الأمصار : كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة ، وابن جريج بمكة ، ومالك وابن الماجشون بالمدينة ، وعثمان البتي ، وسوار بالبصرة ، والأوزاعي بالشام ، والليث بن سعد بمصر . فجروا على تلك الطريق من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده فيما كان عندهم ، واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم ، وهو موجود عند غيرهم . وأول من أقرأ القرآن بمصر أبو قبيل ، وهو يروي عن عبيد بن مخمر المغافري المكنى بأبي أمية : رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، شهد فتح مصر . ثم ان أهل مصر كانوا يتحدثون في الفتن والترغيب . فكان أول من نشر علم الحلال والحرام فيهم . يزيد بن ابي حبيب . وحكى أبو عمرو الكندي . أن أبا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمي كان فقيها ، وكان أول من أقرأ الناس بمصر بحرف نافع قبل الخمسين ومائة ، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة . وأن أباسعيد عثمان بن عتيق مولى غافق أول من رحل من أهل مصر الى العراق في طلب الحديث . توفي سنة أربع وثمانين ومائة . انتهى

وكان حال أهل الاسلام من أهل مصر وغيرها من الأمصار ، في أحكام الشريعة ، على ما تقدم الكلام عليه .

ثم كثر الترحال الى الآفاق ، وتداخل الناس والتقوا ، وانتدب أقوام لجمع الحديث النبوي وتقييده . فكان أول من دون العلم محمد بن شهاب الزهري ، وأول من صنف وبوب سعيد بن عروبة ، والربيع بن صبيح بالبصرة ، ومعمر بن راشد باليمن ، وابن

جريج بمكة ، ثم سفيان الثوري بالكوفة ، وحماد بن سلمة بالبصرة ، والوليد بن مسلم بالشام ، وجرير بن عبد الحميد بالري ، وعبد الله بن المبارك بمرو وخراسان ، وهيثم ابن بشير بواسط . وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير الأبواب ، وهيثم التصنيف ، وحسن التآليف . فوصلت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاد البعيدة الى من لم تكن عنده ، وقامت الحجة على من بلغه شيء منها ، وجمعت الأحاديث المبينة لصحة أحد التأويلات المتأولة من الأحاديث ، وعرف الصحيح من السقيم ، وزيف الاجتهاد المودي الى خلاف النبي صلى الله عليه وسلم ، وترك العمل به، وسقط العذر عمن خالف من السنن ، ببلوغه اليه ، وقيام الحجة عليه . وعلى هذا الطريق كان الصحابة رضي الله عنهم ، وكثير من التابعين ، يرحلون في طلب الحديث الواحد الأيام الكثيرة ، كما هو معلوم من كتب الحديث .

فلما قام هارون الرشيد بالخلافة ، وولى أبا يوسف بن يعقوب صاحب أبى حنيفة القضاء بعد سنة سبعين ومائة ؛ لم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الا من أشار به أبو يوسف واعتنى به .

وكذلك لما قام بالأندلس الحكم المرتضى بن هشام بعد أبيه وتلقب بالمنتصر في سنة ثمانين ومائة ، اختص بيحيى بن يحيى بن كثير الأندلسي ، وكان قد حج وسمع «الموطأ» من مالك الا أبوابا ، وحمل عن وهب ، وابن القاسم ، وغيرهما علما كثيرا . وعاد الى الأندلس ؛ فنال من الرئاسة والحرمة ما لم ينله غيره . وعادت الفتيا اليه ، وعظم أمره. ثم هو لم يقلد في سائر أعمال الأندلس قاضيا الا باشارته واعتنائه . فصاروا على رأي مالك بعد ما كانوا على رأي الأوزاعي ، وكان زياد بن عبد الرحمن الملقب ببسطور قد أدخل مذهب مالك الى الأندلس قبل يحيى ، وكان الغالب في افريقية مذهب السنن ، الى أن أدخل عبد الرحمن بن فروج أبو محمد الفارسي اليها مذهب أبي حنيفة ؛ فلما يزالوا عليه الى أن ولي سحنون بن سعيد القضاء فنشر اذ ذاك مذهب مالك . وصار القضاء في أصحاب سحنون دولا ، ولم يزل الحال على ذلك الى زمن بني هاشم ؛ فتوارثوا القضاء . ثم ان المضر بن باديس حمل جميع أهل افريقية على التمسك بمذهب مالك ، وترك ما عداه من المذاهب ؛ فرجع أهل افريقية كلهم ، وأهل الأندلس كلهم الى مذهب مالك ؛ ففشا هناك فشوا طبق تلك الأقطار ، كما فشى مذهب أبي حنيفة ببلاد المشرق. ولما كانت أيام الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد ؛ وتمكن الشيخ أبو حامد الاسفرائيني

من دولته ، قرر معه استخلاف أبي العباس أحمد بن محمد البارزي الشافعي ، عوضا عن قاضي بغداد أبي محمد الأكفاني . وكتب أبو حامد الى السلطان محمود بن سبكتكين، وأهل خراسان . أن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية . وكان القادر بالله قد سير الى محمود خلعة السلطنة ، سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، بعد أن انقطعت الدولة السامانية . فحصلت بذلك فتنة بخراسان بين الحنفية والشافعية ، صار أمرها الى رجوع القضاء الى الحنفية ، وانقطاع أبي حامد عن دار الخلافة ، وظهور التسخط عليه والانحراف عنه ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

ولما قدم عبد الرحيم بن خالد مولى جمح على مصر ، نشر بها مذهب مالك ، وتوفي بالاسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة . ثم نشره بها أيضا عبد الرحمن بن القاسم ؛ فاشتهر حينئذ أكثر من مذهب أبي حنيفة ، الى أن قدم محمد بن ادريس الشافعي الى مصر مع عبد الله بن العباس بن موسى في سنة ثمان وتسعين ومائة ، فتبعه جماعة من أعيانها كبني عبد الحكم ، والربيع ، والمزني ، والبويطي ، وكتبوا عن الشافعي ما ألفه ، وتبعوا مذهبه فقوي حينئذ واشتهر . وصار القضاء في مذهب مالك والشافعي ، الى أن قدم القائد جوهر من بلاد افريقية في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وبنى مدينة القاهرة . وكان شيعياً ؛ ففشا مذهب التشيع بمصر ، وعمل به في القضاء والفتيا ، وأنكر على من خالفه ، ولم يبق بمصر مذهب سواه ؛ حتى قام الملك الناصر صلاح الدين ابن أيوب في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة ، وشرع في تغيير دولة الاسماعيلية وازالتها ، وأنشأ بمصر مدرسة للفقهاء الشافعية ، وصرف قضاة مصر الشيعية كلهم ، وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني الشافعي ؛ فلم يستنب عنه في اقليم مصر الا من كان شافعيا . فتظاهر الناس من يومئذ بمذهب مالك والشافعي ، واختفى مذهب الشيعة والاسماعيلية والامامية ، حتى فقد من أرض مصر كلها .

وكذلك كان السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي حنفياً فيه تعصب ؛ فنشر مذهب أبي حنيفة ببلاد الشام ، ومنه كثرت الحنفية بمصر . وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من يومئذ . وحمل السلطان صلاح الدين الناس أيضا على عقيدة الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر كالمدرسة الناصرية ، والقمحية ، وخانقاه سعيد السعداء في

القاهرة . فاستمر الحال عليها بمصر ، والشام ، وأرض الحجاز ، واليمن ، والمغرب أيضا لادخال محمد بن تومرت رأي الأشعري اليها . ولم يكن في الدولة الأيوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبي حنيفة ، وأحمد بن حنبل ؛ ثم اشتهر ذكرهما في آخرها .

فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري ولى بمصر والقاهرة أربعة من ٥ القضاة وهم : شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي ، وتقرر الأمر على ذلك في الشام وما والاها . وكان أول من ولي قضاء قضاة الحنابلة بدمشق الشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الصالحي ، وهو من مشايخ شيخ الاسلام أحمد بن تيمية، وله مصنفات سنذكرها في ترجمته ، وتوفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة .

وقد كان مذهب الامام أحمد شائعا أولا في العراق وما والاه . فلما دخل البلاد ١٠ الشامية عبد الوليد بن محمد الشيرازي ثم المقدسي الدمشقي وسكن بيت المقدس ؛ نشر فيه وفي جهاته مذهب أحمد ، ثم أقام بدمشق ، ونشر بها المذهب أيضا . وكانت وفاته سنة ست وثمانين وأربعمائة بدمشق . قاله البرهان بن مفلح في « المقصد الأرشد » . فمن ثم انتشرت المذاهب الأربعة في هذه الديار ، وبنيت لها المدارس وتنافس الناس فيها ، وتسابقوا في انشائها ، وكانت كثرتها على حسب كثرة أصحابها ١٥ كما يعلمه من طالع كتابنا هذا . وجعلت مقصورة على علم الفقه غالبا المسمى الآن بفن الفروع ، وعلى فني النحو والتصريف ، وعلى قليل من فني البيان والاصول، وعلى تلقي الأحاديث النبوية . وعمرت الزوايا والخوانق للمتصوفة . وبنيت في دمشق مدارس لفن الطب . وأما العلوم العقلية ، فالظاهر أنها كانت يومئذ مبتذلة ، وفن التحقيق متروكا لايهجم على ذلك الا الأفراد ، وخصوصا فن الحكمة . فانه كان مع فنون الهيئة وتشريح ٢٠ الأفلاك ، وتلك المعاني في الندرة بمكان ، يكاد المشتغلون به أن يتبرؤوا منه في الظاهر؛ ولله في خلقه شؤون ! وحيث ألمعنا الى زبدة يستخرج منها المطالع اللبيب تاريخ انحصار المذاهب في الأربعة ، وأسباب بناء المدارس لها . فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو هذا .

حرف الهمزة

المدرسة (الأتابكية)

هي بصالحية دمشق . وقد عين النعيمي موقعها فقال : هي بسفح قاسيون ، غربيها المرشدية ، ودار الحديث الأشرفية المقدسية . ا.هـ

أقول : ولقد وقفت عليها بعد بحث طويل ، فرأيتها قبلي السكة ، شرقي دار الحديث المذكورة . وبابها مثل باب غيرها من مدارس الأمراء ، مزخرف أعلاه بالحجر المعجن ، قائم على صفة محراب ، وباب الدخول في الوسط . وقد بنيت لها منارة يظهر عليها آثار الحدوث ، يصعد اليها بسلم من الحجر ، عليه آثار القدم . والجدار الغربي مبني بحجارة ضخمة . وبالجانب القبلي مسجد لطيف ، يظهر لمن رآه أنه مستحدث . وبجانبه الى الشرق تربة مبنية بالحجارة الكبيرة ، ولها شباكان في الحائط القبلي يطلان على بستان ، وشباكان أيضا يطلان على دمشق . وقد تهدم أعلاها ، وبها قبران ، وبساحتها بئر يجتمع الماء فيه من نهر يزيد ، وعليه مضخة تجذب الماء الى الاعلى . ومن هذا يظهر أن المدرسة قد استولى الخراب على أكثرها ؛ فتناولتها أيدي المختلسين ، وبقي جانب منها ، فهيأ الله له بعض أهل الخير ؛ فجعله مسجدا تقام فيه الصلوات الى الآن. والناس الآن يسمونها جامع التابتية وتارة يقولون : التابتية . ولقد كان لهذه المدرسة شأن عظيم ، درس بها جماعة من العلماء الكبار كأبي بكر بن طالب الاسكندري ، واسماعيل الماوردي ، وصفي الدين الهندي ، وتقي الدين السبكي ، وأحمد بن صصري ، وأحمد ابن حجي ، وأحمد بن علي الداجي المصري ، وغير هؤلاء من الأفاضل .

أقول : حجي بكسر الحاء والجيم الثقيلة ، هكذا ضبطه الحافظ بن حجر في « المجمع المؤسس » وقال : مهر في الفقه والحديث ، ودرس ، وأفتى ، واشتهر ، وكان لهجا بالتاريخ وعلم الميقات ، مات سنة عشرة وثمان مائة .

ترجمة واقفها

تركان خاتون بنت عز الدين ٠٠٠-٦٤٠

أنشأتها تركان بالتاء المثناة الفوقية خاتون بنت السلطان عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن أتابك زنكي بن آقسنقر ، وهي زوجة الملك الأشرف موسى ، كما قاله في

« العبر » . وقول عز الدين الحلبي[1] : أن التي أنشأتها بنت نور الدين أرسلان بن أتابك صاحب الموصل ليس بصحيح ! وفي ليلة وفاتها ، كان وقف مدرستها ، وتربتها بالجبل ؛ كما قاله أبو شامة . وتوفيت سنة أربعين وسبعمائة[2] ودفنت في تربتها بمدرستها .

وقال الذهبي في « مختصر تاريخ الاسلام » : مات صاحب الموصل سنة سبع وستمائة ، وهو نور الدين أرسلان ، وكان شهماً مهيباً ، فيه ظلم وجبروت ، وكان حكمه ثمانية عشر عاماً ، وبنى مدرسة للشافعية في غاية الحسن . وقال ابن الأثير :

قال وزيره : ما قلت له في فعل خير الا بادر اليه .

قال ابن خلكان : كان شهماً عارفاً بالأمور ، تحول شافعياً ولم يكن في بيته شافعي ، وله مدرسة قل أن يوجد مثلها في الحسن .

وحاصل هذا أن البانية لها تركان ، وكان المساعد لها زوجها الأشرف ، وأحد بني أتابك . ومن كلام الذهبي يعلم أن البانية ليست بنت صاحب الموصل لتقدم وفاتها على تركان فتأمل !

المدرسة (الأسعردية)

كانت بالجسر الأبيض . وقد أناخ عليها الزمان بكلكله كأخواتها من المدارس ، وذهب اسمها الا من القرطاس .

قال ابن قاضي شهبة في « الذيل » : وفي جمادى الآخرة سنة ست عشرة وثمانمائة ، خربت ثلاثة مساكن هي أحسن مساكن دمشق : الدهشة ، وبستان النشوة على حافة نهر تورا بالقرب من الربوة ، وبستان ابن جماعة بالمزة . ولكن هذا الثالث نقلت آلته الى مدرسة الخواجا ابراهيم ابن الأسعردي ، وانتفع الناس بها ، وفرغ من عمارتها سنة سبع عشرة وثمانمائة ، وكانت في غاية الحسن ، ورتب بها وظائف كثيرة . ا.هـ

والدهشة والنشوة قصران عظيمان كانا في البساتين ، وسيأتي الكلام عليهما عند الكلام على متنزهات دمشق .

---

(١) المعروف بابن شداد .

(٢) كذا في الاصل وقال الصفدي توفيت في شهر ربيع الاول سنة اربعين وستمائة . ونرى أن هذا هو الأصح لما ذكر من أنها كانت زوج الملك الأشرف وقد توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة .

ترجمة واقفها

ابراهيم الاسعردي
٠٠٠-٨٢٦

هو التاجر الكبير ابراهيم بن مبارك شاه الأسعردي . كان هو وابن المزلق من أكبر تجار دمشق ؛ تسير تجارتهما في البلدان . وأعطى الله المترجم كثيراً من المال والبنين ، وكان عنده كرم واحسان الى الفقراء ، وتأنق في بناء مدرسته ، وبنى لها تربة ، ورتب بهـا فقراء ، وجماعة يقرؤون القرآن ، وهي مـن أحسن عمائر دمشق . توفي سنة ٥
ست وعشرين وثمانمائة ، ودفن في تربته . وترك من الأموال والأملاك والبضائع والخيل المسومة شيئاً كثيراً . وخلف ولدين شابين ، وكان متزوجا ببنت ابن المزلق . قال ابن قاضي شهبة : توفي بعده بقليل عشرون نفسا من أهل بيته .

المدرسة (الأسدية)

١٠ حدث النعيمي وغيره : أنها بالشرف القبلي ظاهر دمشق ، مطلة على الميدان الأخضر يعني المرجة الخضراء . وهي على الطائفتين الشافعية والحنفية . انتهى

وقد عفت اليوم أطلالهـا ، وانمحت رسومها وآثارهـا ، وذهبت أحاديثها الا من القرطاس فسبحان الباقي !

وقال العلموي في « مختصر تنبيه الطالب » : قلت : يحتمل أنها المركبة على بانياس ، ١٥
المعروفة بالقرمانية . والعجب أن شيركوه له أسديتان ، برانية وجوانية ، وأناس كثيرون ينتسبون اليه ، ولا تعرف هذه المدرسة . والوقف عليها قرية برزة وضمير . ولايعرف من ذلك الا ثلاثة قراريط مـن برزة هي وقف على الأسدية الجوانية بدمشق ، وثمانية قراريط من ضمير هي وقف على الأسدية الجوانية بحلب ، فليعلم ذلك . قال : وأمـا الذرية فابتلوا بالقلة لعدم رجوعهم الى الحق في شرطهم الاول . انتهى

٢٠ وأيا ما كان ، فقد اندرست هذه المدرسة ، واندرس وقفها . وممن درس بها أيام عزها : العزالقرشي أبو الخطاب ، والركن البجلي ، وصلاح الدين العلائي ، وشرف الدين الأذرعي وغيرهم .

ترجمة واقفها

أسد الدين شيركوه
٠٠٠-٥٦٤

بناها شيركوه بن شادي بن مروان الملقب بأسد الدين ، سنة أربع وستين وخمسمائة . وكان بطلا شديد البأس ، له صيت بعيد ، ويضرب المثل بشجاعته . ونشأ بدوين من أطراف أذربيجان وبتكريت ، وكان أبوه متولي قلعتها . وأسد الدين هذا من أمراء نور الدين ؛ وكان قد سيره الى مصر عونا لشاور السعدي فلم يقف شاور له ، فعاد منها الى دمشق وفي نيته أخذ مصر ثم رجع فكسر عسكرها وعسكر الافرنج ، وتولى وزارتها . وكانت الافرنج تهابه وتخافه . وأقطعه نور الدين الرحبة وحمص فوق ماله من الاقطاع .

وقال ابن شداد في «سيرة صلاح الدين» : كان أسد الدين شيركوه كثير الأكل ، شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة ، تتواتر عليه التخم والخوانيق ، وينجو منها بعد مقاساة شديدة عظيمة . فأخذه مرض شديد ، واعتراه خانوق فقتله سنة أربع وستين وخمسمائة ، ودفن بمصر ، ثم نقل الى المدينة المنورة . وستأتي زيادة على هذا في القسم السياسي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

المدرسة (الأصفهانية)

ذكرها القاضي ابن شداد في « الأعلاق الخطيرة » والنعيمي ، وقالا : هي بحارة الغرباء ، بالقرب من درب الشعارين ، بناها رجل تاجر من أصفهان . ولم يذكر النعيمي تاريخ بنائها .

وقال الذهبي في « العبر » : ان الشيخ عبد الكافي الربعي درس بها سنة تسع وثمانين وستمائة . ا.هـ

فيكون على هذا بناؤها قبل التاريخ المذكور .

وقال الشيخ عبد الباسط العلموي : حارة الغرباء وراء القجماسية ، وهذه المدرسة مجهولة الآن ، اللهم الا أن تكون موضع تكية أحمد باشا ، فلا يبعد والله أعلم . انتهى

والعلموي مولده سنة احدى وثمانين وتسعمائة . فعليه أن هذه المدرسة قد اندرست قبل التسعمائة . وتكية أحمد باشا هي المعروفة الآن بالمدرسة الأحمدية . وفي

الحارة المذكورة آثار أبنية قديمة ؛ فيمكن أن يصح ما قاله العلموي ، ويمكن أن يكون قد صارت دارا للسكنى والله أعلم !

المدرسة (الاقباليــة)

أخبر النعيمي وغيره بأنها داخل بابي الفرج والفراديس ، شمالي كل من الجـامع والظاهرية الجوانية ، وشرقي الجاروخية ، وغربي التقوية . وقـال في « العبر » : ان بانيها كان له داران ، فجعل احداهما مدرسة للحنفية ، والثانية للشافعية وهي الكبيرة منهما ، ووقف عليهما أوقافاً ، وجعل الثلث منها لمدرسة الحنفية ، والثلثين لمدرسة الشافعية .

هذا ما ذكره المؤرخون ، وأقول : هذا التعريف المذكور لم يفدنا الآن شيئاً ؛ لأن هذه المدرسة قد اندرست ، ولم يبق منها سوى الظاهرية . وهي الآن بأول الطريق المعروف الآن بزقاق السبع طوالع من غربيه في الجهة الشمالية ، مقابل اقميم حمام العقيقي ، يفصل بينهما الطريق . وأخبرني بعض المعمرين الثقات أن هذه المدرسة بقيت أبوابها مفتوحة لطلاب العلم ، معمورة الى قبيل الخمسين والمائتين بعد الألف . وكان من عـادة القضاة يومئذ أن ينصبوا بوابين للمدارس ، ويأذنوا لهم بالسكنى بها . وفي التاريـخ المذكور : كان لهذه المدرسة بواب يقـال له : يوسف الدوركلي ، فرأى أن من قبله مـن البوابين قد اعتادوا غلق أبواب المدارس الا في أوقات الصلوات ، فاقتدى بهم ، ثم زاد عليهم ، فأغلق أبوابها دائماً ، ثم استبد بها ، وجعلها دارا لسكناه ، ونقض كثيراً مـن أبنيتها ، وبناها بناء جديدا . وبعد وفاته اختلف أولاده عليها ، وترافعوا[1] الى الحكام؛ ولم يزل الخلاف عليها جاريا فيما بينهم الى قبيل سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة بعد الالف، فهنالك قصد أحد بني الدوركلي نكاية مخاصميه ؛ فأثبت لدى الحاكم أنها مدرسة ، وطلب من مجلس معارف دمشق أن يأخذها . وبعد المعاملة المقتضية ، أخذها المجلس المذكور هي والاقبالية الحنفية التي بجانبها . وفي سنة أربع وعشـرين من التاريـخ المذكور ، جعلت مدرسة للاناث ، وبقيت على ذلك . والله أعلم بما يؤول اليه أمرها بعد ذلك . وستأتي زيادة على ماكتبناه هنا عند الكلام على الاقبالية الحنفية .

---

(1) في الاصل وترافعا .

ترجمة واقفها

جمال الدولة اقبال
٠٠٠-٦٠٣

قال الذهبي : هو جمال الدولة أمير الجيوش شرف الدين أبو الفضل اقبال ابن الحبشي المستنصر الشرابي ، جعل مقدما على جيوش العراق ، وأنشأ مدرسة في غاية الحسن للشافعية ، ثم انه في سنة اثنتين وستمائة أنشأ مدرسة ثانية للحنفية ، وأنشأ بمكة رباطا . وله معروف كثير ، وفيه دين وخشوع ، وله محاسن . والتقى بالتتار فهزمهم ؛ فعظم بذلك ، وارتفع قدره . ثم توجه في خدمة المعتصم نحو الحلة لزيارة الشهيد فمرض ، ثم أقبل من الحلة ، فيقال : انه سقي سما في تفاحة ؛ فلما أكلها أحس بالشر ، فرجع الى بغداد .

وقال ابن كثير : توفي اقبال الخادم جمال الدولة أحد خدام صلاح الدين ، واقف الاقباليتين بالقدس الشريف سنة ثلاث وستمائة . انتهى . وهو العام الذي فرغ فيه من بناء الاقبالية الحنفية كما سيعلم من الكلام عليها .

ودرس بهذه المدرسة جماعة من العلماء الكبار : كبدر الدين بن خلكان ، ثم شمس الدين محمد بن خلكان ، ثم الامام يحيى النووي ، ثم تاج الدين المراغي ، ثم علاء الدين القونوي ، ثم ابن المجد ، ثم العماد النابلسي ، ثم الكمال الشريشي ، ثم ولده بدر الدين ، ثم الجلال الزرعي ، ثم العماد الحسباني ، ثم ولده عبد الوهاب ، ثم ابن قاضي شهبة ، ثم الشمس الكفيري ، ثم جماعة غيرهم . وبهذا يعلم أنه كان لهذه المدرسة أهمية كبرى ، فسبحان الباقي !

المدرسة (الأكزية)

هي غربي الطيبة والتربة التنكزية ، وشرقي مدرسة أم الصالح .

قال النعيمي : وقد رسم على بابها بعد البسملة :

أوقف هذه المدرسة على أصحاب الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه الامير أسد الدين أكز في سنة ست وثمانين وخمسمائة . وتمت عمارتها أيام الملك الناصر صلاح الدين والدنيا ، ومنقذ البيت المقدس من أيدي المشركين أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي الدولة أمير المؤمنين ، وأوقف عليها ، والدكان التي شرقيها

وقف عليها والثلث من طاحونة اللوان ، سنة سبع وثمانين وخمسمائة. انتهى .

أقول : ان هذا التعريف قد اندرس باندراس الأكزية والطيبة ، ولم يبق لهما رسم ولا طلل ! وان شئت البيان ، فادخل من الطريق الكائن أمام محكمة الباب، جنوبي المدرسة النورية ، وسر مغربا ، والتفت يمينك ؛ تجد بناء شامخا ، وبابا مرتفعا في الهواء فهذا بناء التربة التنكزية . والناس يسمونها الآن زاوية النحلاوي . ثم اذا سرت الى جهة الغرب ، ترى في الجدار الشمالي آثار المدرسة الطيبة ؛ ويدلك عليه جدار مبني بالحجر الاحمر ، وأثر باب قديم . وبالقرب من ذلك الاثر أثر نظيره ، وهناك كانت الاكزية . والاثنتان صارتا دورا للسكنى ، والدكان المذكورة قد دكت دكا !

ولكل دهر حلية من أهله ... مافيهم جنف ولا افراط

وواقف تلك المدارس يقول لسان حاله :

قد كنت أحذر بينهم من قبله ... لوكان ينفع خائفا أن يحذرا !

وأخبرني أحد الثقات أنه رأى الحجر المكتوب عليه ماتقدم بعد الالف والثلاثمائة ، وهو ظاهر للعيان ، ثم غطي بالطين. انتهى

وقد درس بهذه المدرسة جماعة منهم : شرف الدين الحاكي ، والبرهان المراغي ، والمجد الشهرزوري ، والكمال بن الحرستاني ، والصدر محمد بن ابراهيم بن وهيب ، ويقال : هبة الله بن عبد الرحمن بن أبي‌القاسم الجزري الاصل الصلتي الشهير بالنابلسي. ولي قضاء نابلس ، والتدريس بعدة مدارس ، وكان جيد السيرة والاحكام ، توفي سنة ست وسبعمائة ، وكان يحفظ « المنهاج » ، وله نظم حسن ، فمنه :

زار الحبيب بغير وعد سابق ... فلك الهنايا مقلتي فتمتعي
سرحت طرفي في بهاء جماله ... وحفظت جوهر لفظه في مسمعي
وفرشت خدي في‌الثرى لقدومه ... وجعلت منزله حشاي وأضلعي
ونحرت نومي في الجفون قرى له ... وسألته وصلا بغير تمنع
فأجابني بالمنع وهو مودع ... أهلا به من زائر ومودع

المدرسة (الأغلبكية)

حكى المحبي في « تاريخـه » في ترجمة محمد بن محمـد الفرفوري الدمشقي الحنفي أن المذكور درس بهذه المدرسة ، قـال : وهي مشـروطة لهم ، وهي بمحـلة القيمرية . هذا كلامه . ولم « أقع(١) » من شأنها على أكثر من هذا . وظهر لي أنها كانت بعد الالف وأظن أنها كانت للحنفية والله أعلم .

المدرسة (الأمجدية)

حكى النعيمي وغيره أنها كانت بالشرف الاعلى . وسبب بنائها أن الملك الامجد بهرام ، الآتي تعريفه قريبا ، كان قد أوصى وصية ؛ ثم ان مملوكا له قتله . فقام بعده الملك المظفر نور الدين عمر ، فعمر تلك المدرسة من مال الوصية ، وجعلها على الحنفية والشافعية . وكانت في موضع لطيف جدا ، لها شبابيك تطل على الميدان الاخضر المسمى بالمرجة الفيحاء ، وتظهر للواقف في الميدان كأنها قصر بديـع ، لأنها تعلو عنه علوا كثيرا . والى جانبها كانت المدرسة الفرخشاهية ، وكلاهما قد أصبحتا بستانا . وسيأتي الكلام على الفرخشاهية في موضعها . وقد درس بالأمجدية جماعة منهم : رفيع الدين الجيلي ، ونجم الدين سني(٢) الدولة ، وأمين الدين بن عساكر ، والبرهان الخلخالي ، والمجـد المارداني ، وأحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي ، والشهاب الباعوني ، وابن قاضي شهبة ، وابن قاضي عجلون ، والسيد عز الدين بن حمزة ، وغيرهم من العلماء فسبحان الباقي ! ومن يعش ير موضع هذه المدارس التي كانت بالشرف الاعلى دورا للسكنى وحدائق غناء ، ويذهب بالقديم أدراج الرياح فلا يرى رسمه الا على صفحات القرطاس والله أعلم !

ترجمة واقفهـا

الملك الامجد بهرام شاه ٠٠٠–٦٢٩

اشتهرت هذه المدرسة قديما بالأمجدية نسبة لمجد الدين أبي المظفر بهرام شاه ابن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب . وتقدم أن الذي باشر بناءها ولده عمر من مال وصية

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في الاصل وقد أضفناها لعدم اكتمال المعنى بدونها .

(٢) كذا في الاصل ، وورد في « الاعلاق الخطيرة » : نجم الدين بن سني الدولة .

أبيه . والملك الامجد كان صاحب بعلبك بعد أبيه ، وأخذت منه سنة سبع وعشرين وستمائة . أخذها منه الملك الاشرف موسى ، وردها الى أخيه الصالح اسماعيل. فقدم الامجد دمشق وأقـام بها . ثم انه اتهم أحد مماليكه بسـرقة حياصة له ، وحبسه في خزانته . وبينما هو ذات ليلة منشغل بالنرد ، اذ بالغلام قد ولع برَزّة[1] الباب فقلعها ، وهجم على الامجد فقتله ، وهرب ورمى بنفسه من السطح فمات . وقيل : لحقه المماليك عند وقوعه ، فقطعوه بالسيوف . ودفن بتربته التي هي بجانب تربة أبيه في الشرف الشمالي . قال محمد بن شاكر الكتبي في « فوات الوفيات » وغيره : كان ذلك سنة تسع وعشرين وستمائة ، وقيل : سنة ثمان وعشرين ؛ والاول أصح . وقال أيضا : كان الامجد أديبا فاضلا ، شاعرا له ديوان شعر موجود في أيدي الناس ، ثم أورد شيئا من كلامه ومنه قوله :

قولوا لجيران العقيق والنقـا ... حتـّام تهـدون الينـا القلقـا
ياساكني قلبي عسى مبشر ... يخبرني متى يكـون الملتقى
مالبقائي بَعـد بعـدٍ عنكـم ... معنى فان لقيتـم طاب البقـا
أشقانيَ الدهـر فان أسعدني ... بجمع شملي بكـم ُ زال الشقـا
أهـواكم وا قلقـي وقلمـا ... يجمع ما بين الغـرام والتقى
حبـكم سفينـة ركبتهـا ... مـأمونة فكيف أخشى الغرقـا
حاشا لمن أصبح يرجو الوصل أن ... يمسي بنـار هجركم محترقـا

وقوله :

دعوت بمـاء في انـاء فجاءني ... غـلام بها صرفا فأوسعته زجرا
فقـال هو الماء القـراح وانمـا ... تجلى لها خدي فأوهمك الخمرا

وأورد ابن الساعاتي قطعة من جيد شعره الفائق ونظمه الرائق ، فمنه ما قاله على البديهة في شاب يقطع قضبان بان :

من لي بأهيف قال حين عتبتـه ... في قطع كل قضيب بـان رائق
يحكي شمائله الرشاق اذا انثنى ... ريـان بين جـداول وحـدائق

---

(1) حديدة يدخل فيها القفل ونحوه .

سرقت غصون البان لين شمائلي	فقطعتها والقطع حد السارق

وله دوبيت[1]

كم يذهب هذا العمر في الخسران	ما أغفلني عنه وما أنساني

ضيعت زماني كله في لعب	يا عمر هل من بعد عمر ثاني

المدرسة (الأمينية)

تعريفها القديم كما في « تنبيه الطالب » وغيره : أنها قبل باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي ، المسمى قديما بباب الساعات ، لأنه كان هناك مكان للساعات يعلم منها كل ساعة تمضي من النهار ، وعليها عصافير من نحاس ، وحية من نحاس ، وغراب من نحاس ، فاذا تمت الساعة ، خرجت الحية ، وصوتت العصافير ، وصاح الغراب ، وسقطت حصاة . كذا ذكره القاضي ابن زير في « تاريخه » . وهي شرقي المجاهدية ، جوار قاسارية القواسين ، وتعرف هذه المحلة قديما بحارة العقاب ، وكانت هناك دار مسلمة بن عبد الملك ، وكانت هذه المدرسة من سوق السلاح . وقيل : انها أول مدرسة بنيت للشافعية . وقد أوقفها أمين الدولة كما سيأتي .

قال الصلاح الصفدي في « تاريخه » : وقف أمين الدولة هذه المدرسة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ووقف عليها غالب ما حولها من سوق السلاح وقيسارية القواسين . وقد أخبرني بعض شيوخي أنها كانت تسمى حق الذهب لكثرة أوقافها ، ولها حصة ، ببستان الخشاب بكفرثوثا وغير ذلك . وقد درس بها جماعة من كبار الأفاضل يتلو بعضهم بعضا ، لافائدة من ذكرهم سوى الاطلاع على الأسماء . وقد تكلم الأسدي عن الأمينية في كراس ، وكتب على ظهره ما صورته : وفي سنة خمس وثمانين وستمائة ، نظر العلاء ابن الزملكاني في كتاب وقف الأمينية ؛ فزعم أن القاسارية التي الى جانب المدرسة لايحل اكراؤها ، ويجب أن يسكنها الفقراء بغير أجرة ؛ فأبطل جملة من الكراء كل شهر ، ثم اقتضى رأيه ونظره أن الدرس يذكر كل يوم ، حتى يوم الثلاثاء والجمعة ، وذكر الدرس بعد العيد بثلاثة أيام ، واستمر الدرس يوم الجمعة والثلاثاء . انتهى

وبالجملة فقد كان لهذه المدرسة شأن كبير بين المدارس ، ثم ان الأيام كرت عليها

---

(١) القصيدة التي يكون فيها كل بيتين بقافية هي من محدث العصر العباسي .

فاغتصبت أوقافها ، وأعطيت لغيرها . ثم اغتصب الناس أكثرها ، وتغيرت رسومها ، وجعل بابها من الجهة الشمالية . ثم قيض الله لها بعض مؤدبي الأولاد ؛ فأنفق عليها جانبا ، ورممها وأصلح ما بقي منها ، وجدد بركة مائها ، واتخذها مكتبا للتعليم ، وهي الآن على ما ذكرنا . ومحلها في الجانب القبلي من سوق الحرير . وتفصيله أن الخارج من باب الزيادة ، وهو باب الجامع القبلي ، اذا توجه جهة الجنوب ، يرى عند أول سوق السلاح ، سوقا عن يمينه تسير الى الغرب . فهذا هو المسمى بسوق الحرير ، والأمينية هناك معروفة مشهورة . والله أعلم بما تصير اليه أحوالها فيما بعد .

ترجمة واقفها

أمين الدولة كمشتكين ٠٠٠-٥٤١

بناها أتابك العساكر بدمشق وكان يقال له : أمين الدولة كستكين(١) بن عبد الله الطغتك ، وكان نائبا على قلعتي بصرى وصرخد ، ولاه عليها الأتابك طغتكين . وكان أميراً جليلا ، كبير الحرمة ، توفي سنة احدى وأربعين وخمسمائة . قاله الذهبي في «تاريخه» .

المدرسة (الباذرائية)(٢)

هي الآن مشهورة معروفة ، وهي بمحلة العمارة الجوانية ، أمام حمام أسامة المعروف بحمام سامية ، بحذف الألف من أوله . وبناؤها متين ، وداخلها ذوطباق علوية وتحتية ، وبها مجاورون لطلب العلم . وقال في « تنبيه الطالب » : هي داخل بابي الفراديس والسلامة ، شمالي جيرون ، وشرقي الناصرية الجوانية . انتهى . وهذه الأوصاف موجودة الا الناصرية ، فان أيدي المختلسين قد تناولتها فجعلتها دارا للسكنى ! وكان موضع الباذرائية قبل بنائها داراً لرجل يقال له : أسامة .

وقال ابن كثير في حوادث سنة تسع وستمائة من « تاريخه » : هذا هو أسامة الجبلي ، كان أحد أكابر الأمراء ، وكان بيده قلعتا عجلون وكوكب ، وكان شيخا كبيرا قد أصابه النقرس ؛ فاعتقله العادل بقلعة الكرك ، واستولى على حواصله وأمواله وأملاكه ، ومن ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة . انتهى

---

(١) كذا في الاصل وذكر النعيمي في «الدارس» نقلا عن الذهبي أنه « كمشتكين بن عبدالله الطغتكيني ». وهذا هو الأصح .

(٢) قال الشيخ محمد أحمد دهمان : الصواب البادرائية ، لأن منشأها منسوب الى بادريّة ، قرية من عمل واسط .

ثم ان هذه الدار انتقلت بطريق الملك الى العلامة نجم الدين الباذرائي كما حكاه ابن شداد ؛ فجعلها مدرسة كبيرة مهندسة .

وقال ابن كثير : ان واقفها أوقفها على المقيمين بها ممن كان أعزب ، وأن لايكون الفقيه المقيم بها ساكنا في غيرها من المدارس . وأراد بهذين الشرطين توفير خاطر الفقيه،
٥ وجمعه على طلب العلم . ولكن حصل بذلك خطل كثير ، وشر لبعضهم كبير . وقد كان برهان الدين الفزاري ، مدرس هذه المدرسة وابن مدرسها ، يقول : لما حضر الواقف في أول يوم درس بها ، وحضر عنده السلطان الناصر ، قرأ كتاب وقف هذه المدرسة وفيه : لايدخلها امرأة. فقال السلطان : ولاصبي فقال الواقف : يامولانا انالله لايضرب بعصوين . فكان اذا ذكر هذه الحكاية تبسم عندها . وكان هو أول من درس بها ، ثم ولده كمال الدين
١٠ من بعده . وجعل نظرها الى وجيه الدين بن سويد ، ثم صار في ذريته ، وطول الزمن نسخ ذلك . ونظرها في زمننا هذا الى بني الشطي .

قال ابن كثير : وقد وقف الباذرائي على هذه المدرسة أوقافا حسنة دارة ، وجعل فيها خزانة كتب . انتهى

أقول : أما وقفها فقد صار كغيره ملكا بيد الغير ، وأما كتبها فلقد طارت بها أجنحة
١٥ الفقدان في الأقطار والبلدان . وشرط وقفها لارعاية له أبدا كسائر الشروط ، ولكن المدرسة عامرة مفتحة الأبواب ، منتظمة في سلك المدارس المعدة لطلب العلم .

وقال ابن قاضي شهبة في « تاريخه » : وفي شوال سنة ثلاث وخمسين وستمائة، اشترى الباذرائي دار أسامة الكبيرة ، التي خربها نجم الدين بن أيوب داخل باب السلامة ليجعلها مدرسة للشافعية ، بخمسين ألف درهم ، وشرع في الشهر الآتي بعمارتها ،
٢٠ وأطلق له السلطان من غيضة جسرين خمسمائة حمل خشب . قال : ورأيت شرط واقفها أن لايدخل اليها امرأة ، فقال السلطان : ولا أمرد . فقال : ان الله لايضرب بعصوين . قال ابن شهبة : فلذلك لم تفلح هذه المدرسة ، أي لم يخرج منها عالم فالح، وقد درس بها جماعة كثيرون .

ترجمة واقفها

نجم الدين الباذرائي ٥٩٤-٦٥٥

٢٥ هو العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء بن محمد الحسن بن عبد الله ابن عثمان الباذرائي البغدادي ، ولدسنةأربعوتسعين وخمسمائة ، كما حكاه عبد الوهاب

السبكي في « الطبقات الكبرى والوسطى » ، وقال : تفقه وبرع ، ودرس بنظامية بغداد، وترسل عن الديوان العزيز غير مرة ، وحدث ببغداد ومصر وحلب ، وبنى بدمشق المدرسة المعروفة به ، وولي القضاء ببغداد خمسة عشر يوما ، وتوفي أول ذي القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة .

٥ وقال الذهبي : كان ، يعني المترجم ، فقيها عالما دينا ، صدرا محتشما ، جليل القدر وافر الحرمة ، متواضعا دمث الاخلاق منبسطا ، قد ولي القضاء ببغداد على كره ، وعافاه الله من فتنة التتار الكائنة ببغداد في السنة التي مات فيها .

وفي كلام ابن كثير ثناء عليه أيضا ؛ فانه قال : كان فاضلا بارعا ، رئيسا متواضعا ، وقد ابتنى بدمشق مدرسة حسناء مكان دار الأمير أسامة ، الذي قبض عليه العادل ١٠ حينما اتهمه بمكاتبة الملك الظاهر صاحب حلب ، وأخذ منه ألف ألف دينار ، وخرب قلعة كوكب الى الارض لعجزه عن حفظها . ثم ساق قصة بناء المدرسة على نحو ما تقدم . وبالجملة فان الباني لها كان ذا حظ من علم وحسن سيرة .

المدرسة (البهنسية)

هي بجبل الصالحية كما حكاه النعيمي ، ولم يزد على هذا . وسماها البقاعي ١٥ المهلبية ، نسبة الى المهلب أحد أجداد الواقف . ولم يترجموها بأكثر من هذا . وماكنت أهتدي الى موضعها بعد البحث الشديد ، والسؤال من أهل المعرفة . وكأني بها وهي تنشد قول القائل :

بالقضاء البليغ كنا فعشنا ... ثم زلنا وكل خلق يزول

ترجمة واقفها

مجد الدين البهنسي ٠٠٠–٦٢٨

٢٠ أنشأها الوزير مجد الدين الحارث بن المهلب ، وكان يعرف بأبي الأشبال ، أو ابن الأشبال .

ترجمه الأسدي فقال فيه : هو العالم النحوي مهذب الدين ، وقف وقفا بمصر على

الزاوية التي كان والده يقرىء بها بالجامع العتيق ، وكانت له يد طويلة في اللغـة ، وله شعر حسن .

وفي «تاريخ ابن كثير» : أنه جعل كتبه وقفا بالمدرسة البهنسية ، وأجرى عليها أوقافا جيدة دارة . انتهى

٥ ثم اتصل بالصاحب ابن سكر وترسل الى الديوان العزيز ، والى ملوك النواحي . قال السبط ابن الجوزي : كانت له سيرة حسنة ، لم يقطع رزق أحد ، وكان حسن المحاضرة عاقلا ، لم يكن فيه ما يعاب عليه الا استهداؤه . واستوزره الملك الأشرف موسى ، ثم نكبه وصادره وحبسه .

المدرسة (التقوية)

١٠ روى مترجمها أنها كانت داخل باب الفراديس ، وهو الباب الحديد الذي هو بسوق العمارة . وهي شمالي الجامع ، شرقي الظاهرية ، والاقباليتين ، وكان لها أوقاف كثيرة. حكاه ابن كثير في « تاريخه » .

وقال الأسدي : أوقفها السلطان تقي الدين عمر سنة أربع وسبعين وخمسمائة . ودرس بها محمد بن سليمان الصرخدي المتوفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، وكان ١٥ أجمع أهل البلد لفنون العلم ، صنف « شرح المختصر في مذهب الشافعي » في ثلاث مجلدات ، واختصر « اعراب القرآن للسفاقسي » ، واعترض عليه في مواضع ، واختصر « قواعد العلائي » و « التمهيد للأسنوي » ، واعترض عليهما ، واختصر « المهمات » . وقد احترقت غالب مصنفاته في الفتنة قبل تبييضها . وكان فقيرا ذا عيال .

وقال العلموي : درس بها قاضي القضاة محي الدين البرزي ، ثم محي الدين بن زكي ٢٠ الدين ، ثم درس بها نحو خمسة عشر نفساً ، آخرهم السيد كمال الدين ، ثم جماعات أروام وأعجام ؛ ثم تخلل بينهم القاضي زين الدين معروف لما تحنف ، ثم تخللت الاروام، ثم الشيخ علاء الدين بن عماد الدين ، ثم بعده الشيخ بدر الدين بن رضي الدين الغزي سنة احدى وسبعين وتسعمائة . والظاهر أن أيدي المختلسين تلاعبت بها بعد الألف ؛ فمازالوا يبتلعونها كغيرها من المدارس ، هي وأوقافها شيئاً فشيئاً ، وهي تنشد قول ٢٥ المعري :

منازل المجد من سكانها دثر ... قد غيرتهم صروف بالفتى عسر
هب الديانة لاترعى فمالهم ... حق المروءة لايرعوا وان كثروا
لايجلبون لضيف طارق غمرا ... الا وثم نفوس للقرى خثروا
أنحن أفضل أم أشياء جامدة ... أضحت لديها العين والأثر

٥ الى أن أضحت في زماننا هذا دارا للسكنى ، يسكنها جماعة من بني التغلبي ، ومحلها الآن بزقاق السبع طوالع من ثمن(١) العمارة . وملاكها الآن يقيمون بها ، في الساحة البرانية منها حفلة للأذكار على الطريقة الشيبانية كل ليلة جمعة من الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان .

ترجمة واقفها

الملك المظفر عمر بن شاهنشاه ٠٠٠-٥٨٧

١٠ بناها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وبنى بمصر أيضا المدرسة المعروفة بمنازل العز . قال ابن كثير : وله بحماة مدرسة هائلة ، ولد سنة سبع وثمانين وخمسمائة(٢) ، وكان بطلا شجاعا ، له مواقف مشهورة في قتال الافرنج مع عمه صلاح الدين وكان يحبه ، وهو الذي أعطاه حماة . وقد استنابه بمصر مدة ، وأعطاه المعرة والسليمية وكفر طاب وميافارقين واللاذقية وجبلة ، ثم أعطاه حران والرها . فسار الى تلك البلدان ١٥ في سبعمائة فارس . وكان عالي الهمة ؛ فقصد مدينة جابي فحاصرها وافتتحها . فلما سمع بكتمر صاحب أخلاط به ، سار لقتاله في أربعة آلاف وأربعمائة فارس ، والتقوا ، فلم تثبت عساكر أخلاط وانهزموا فتبعهم المظفر ، وأخذ قلعة بكتمر ، ونازل أخلاط وحاصرها ، فلم ينل منها غرضا لقلة عسكره . وفي القسم الأول من هذا الكتاب مايكون أبسط من هذا .

٢٠ قال ابن واصل : كان المظفر عمر شجاعا جوادا ، شديد البأس ، عظيم الهيبة ، وكان من أركان البيت الأيوبي ، وكان عنده فضل وأدب ، وله شعر حسن . أصيب السلطان صلاح الدين بموته ، لأنه كان من أعظم أعوانه على الشدائد . قال في « مرآة الزمان » : وله ديوان شعر ، ومن شعره قوله :

---

(١) وهذا مما تعارف عليه الناس من تقسيم المدينة الى ثمانية أقسام والعمارة واحد منها .

(٢) كذا في الاصل وفي هذه السنة كانت وفاته لا ولادته كما سيذكر ذلك المؤلف فيما بعد .

أرى قوما حفظت لهم عهـودا | فخانوني ولـم يرعوا حفاظا
لهـم عنـدي محافظة فألفى | لهـم خلقا وأفئـدة غلاظـا

وقال ابن خلكان في « تاريخه » : كان الملـك المظفر شجاعا مقداما منصورا في الحروب مؤيدا في الوقائع ، ومواقعه مشهورة مع الفرنجة ، وكانت له آثار في المصافات دلت عليها التواريخ ، وله في أبـواب البر كل حسنة ، منها مدرسة منـازل العز التي بمصر ، ويقال : انها كانت دار سكنه ، فوقف عليها وقفا كثيرا ، وجعلها مدرسة . وكانت الفيوم وبلادها اقطاعا له ، وله به مدرستان شافعية وحنفية ، عليهما وقف جيد أيضاً . وبنى بمدينة الرها مدرسة لما كان صاحب البلاد الشرقية ، وكان كثـير الاحسان الى العلماء والفقراء وأرباب الخير ، وناب عن عمه صلاح الدين في الديار المصـرية في بعض غيباته عنها ؛ فان الملك العادل كان نائبا عن أخيه صلاح الدين في مصر . فلما حاصـر الكرك سنة تسع وسبعين وخمسمائة في رجب طلب أخاه من مصر بالعساكر ، وسير اليها تقي الدين نائبا عنه ، ثم استدعاه اليه بالشام ، وولى الديار المصرية لولده الملك العزيز عثمان ومعه الملك العادل . فشق ذلك على تقي الدين ، وعزم على دخـول بلاد المغرب ليفتحها ، فقبح عليه أصحابه ذلك فامتثل قول عمه صـلاح الدين ، وسار الى خدمته . فخرج السلطان ، فالتقاه بمرج الصفر ؛ واجتمعا هنالك في شعبان سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ، وفرح به وأعطاه حماه . فتوجه اليها ثم توجه الى قلعة منازكرد من نواحي خلاط ليأخذها فحاصرها مدة ، ثم توفي عنها تاسع عشر شهر رمضان مـن سنة سبع وثمانين وخمسمائة . وقيل : توفي مابين خلاط وميافارقين . ونقل الى حماة ، فدفن بها .

وقال في « الروضتين » في حوادث السنة المذكورة : كان تقي الدين عمر ابن أخي السلطان قد امتدت عينه الى بلاد غيره ، فاستولى على السويداء وعلى مدينة حاني ، وتملك معظم البلاد ، ثم قصد خلاط ، فاناخ على منازكرد يحاصرها ، ومعـه عساكر كثيرة ؛ فأناخت بجسده المنية بسبب مرض اعتراه ، وزاد الى أن بلغ منه المراد . وقال عند الكلام على كسرة الرملة ، نقلا عن العماد الكاتب فانه قال : وحيث كانت للملك المظفر تقي الدين في هذه الغزوة اليد البيضاء أنشدته قصيدة منها :

سقى الله العـراق وساكنيـه | وحيـاه حيا الغيث الهتـون
وجيرانا أمنت الجـور منهـم | وما فيهم سـوى واف أمـين

صفوا والدهر ذو كدر وقدما — وفوا بالعهد بالزمن الخؤون
بنو أيوب زانوا الملك منهم — بحلية سؤدد وتقى ودين
ملوك أصبحوا خير البرايا — لخير رعية في خير دين
أسانيد السيادة عن علاهم — معنعنة مصححة المتون
بنو أيوب مثل قريش مجدا — وأنت لها كأنزعها البطين(١) ٥
أخفت الشرك حتى الذعر منهم — يرى قبل الولادة في الجنين
ويوم الرملة المرهوب بأسا — تركت الشرك منزعج القطين
وكنت لعسكر الاسلام كهفا — أوى منه الى حصن حصين
وقد عرف الفرنج سطاك لما — رأوا آثارها عين اليقين
وأنت ثبتّ دون الدين تحمي — حماه أوان ولّى كل دين ١٠

أقول : ولايستبعد قول العماد : أخفت الشرك ، البيت ، لأن الولد له حظ من أخلاق والده ؛ فان كان حين الوقاع خائفا ، أو مسرورا ، أو غير ذلك ، أثرت حالته في النطفة ، وسرى ذلك التأثير الى الولد ، كما يعلمه من حقق ذلك الأمر ودقق فيه. فرحم الله أرواح أولئك الأفاضل الذين باعوا نفوسهم في الجهاد ، وأنفقوا أموالهم في سبيل العلم وأهله. ثم خلف من بعدهم خلف نقضوا آثارهم وغيروها ، وقلبوا أوضاعها ، وأكلوا أوقافها ، وأماتوا العلم ؛ فأضاعوا الصلوات ، واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا . ١٥

المدرسة (الجاروخية)

سيف الدين جاروخ

أخبر عنها النعيمي وغيره ، بأنها كانت داخل بابي الفرج والفراديس ، لصيقة الاقبالية الحنفية شمالي الجامع الأموي ، والظاهرية الجوانية . أنشأها سيف الدين جاروخ التركماني للعلامة أبي القاسم محمود بن المبارك بن علي بن المبارك المعروف بالمجير الواسطي البغدادي ، فدرس بها مدة ، ثم درس بها بعده جماعات من الأفاضل . والذي يفهم من تراجم مدرسيها أنها أقدم من المدرسة الباذرائية ؛ لأن نجم الدين الباذرائي من جملة من درس بها . وبقيت منهلا لطلاب العلم الى أن سطت عليها أيدي المختلسين ؛ فجعلت دورا للسكنى ، ولم يبق لها رسم ولا طلل ، سوى حجارة يسيرة في أساس جدارها ! ٢٠ ٢٥

(١) الانزع من انحسر الشعر من جانبي جبهته . والانزع البطين هو سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ترجمة المجير الواسطي

المجير الواسطي ٥١٧-٥٩٢

ألخص هنا ترجمة الواسطي الذي بنيت هذه المدرسة له ، ليعلم الواقف على كتابنا كيف كان اعتناء الامراء والأغنياء بالعلم والعلماء المحققين ، وكيف كانوا ينفقون الأموال في سبيل ترقي العلم ونصرة الدين ، فأقول :

٥

حكى الشيخ عبد الوهاب السبكي في « الطبقات الوسطى » : أن المجير الواسطي برع في مذهب الشافعي فروعا وخلافا ، واشتغل بالأصول والكلام ، حتى صار من أحد الأئمة فيهما . وقال ابن النجار : برع المترجم في الأصول والفروع ، والخلاف والجدل ، وعلم الكلام والمنطق ، حتى صار شيخ وقته ، وعلامة عصره ، يقصده الطلبة من جميع الجهات . وصنف كتبا كثيرة في الأصول والجدل وغيرهما ، وأعاد بالنظامية ببغداد وهو شاب ، ١٠ ثم سافر الى دمشق ، فأقام بها مدة يدرس في عدة مواضع . ثم عاد الى بغداد ، وخرج الى بلاد فارس فنزل شيراز فأقام مدة يدرس . ثم انتقل الى عسكر مكرم ؛ فبنى له أميرها مدرسة ؛ فدرس بها سنين ، ثم قدم واسط فنشر العلم بها . ثم عاد الى بغداد ، وتولى تدريس المدرسة النظامية . ثم ندب الى الخروج في رسالة الى خوارزم شاه سنة أثنتين وتسعين وخمسمائة ؛ فلما انتهى الى همذان مرض مرضا شديدا ؛ فأقام بها ١٥ الى أن توفي في السنة المذكورة .

وقال الحافظ الذهبي في « العبر » : كان المترجم أحد العلماء الأذكياء ، والمحررين لمذهب الامام الشافعي ، وكان فصيحا بليغا ، بنيت لأجله المدرسة الجاروخية في دمشق .

وقال ابن قاضي شهبة : وقد نشر في دمشق علم الطب ، غير العلوم التي نشرها أيضا . قال : وكان أحذق أهل زمانه ، مع سكون ظاهر ، وقلة انزعاج . ٢٠

وقال ابن الديتني : تفرد بمعرفة الأصول والكلام ، وما رأينا أجمع لفنون العلم منه مع حسن العبادة .

قال في « العبر » : وكان طويلا جسدا ، غواصا على المعاني . ا.هـ

والذي يظهر أن بناء الجاروخية كان في حدود التسعين وخمسمائة .

الأردبيلي

نور الدين الاردبيلي ٠-٧٤٩

هذا الفاضل أحد مدرسي الجاروخية ، ولشهرته عجلت القرى لترجمته . وهو فرج بن محمد بن أبي الفرج الأردبيلي الشيخ نور الدين ، قرأ المعقولات على الجاربردي المشهور ، ثم قدم دمشق ، ودرس بالباذرائية ، ثم بالظاهرية البرانية ، ثم بالناصرية الجوانية والجاروخية ، ومات عنهما . وشغل الناس بالعلم ، فأفاد الطلبة ، وشرح « منهاج البيضاوي في أصول الفقه » وشرح من « منهاج النووي » قطعة جيدة . ٥

وقد ترجمه ابن السبكي في « الطبقات » ، وحكى له همة عالية في تعلم العلم وتعليمه ، وقال : انه توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة بمدرسة الجاروخية ، ودفن بباب الصغير . وقال في « ذيل العبر » : انه توفي شهيدا . ولم يفصل خبر شهادته . وقال ابن رافع : كان دينا خيرا ، ملازما للاشتغال والتصنيف ، بشوشا حسن الملتقى متواضعا . ١٠

ترجمة واقفها(١)

المدرسة (الحمصية)

قال في « تحفة الطالب » : هي تجاه الشامية البرانية ، يعني في سوق صاروجا . ١٥ قال ابن كثير : فتحت هذه المدرسة سنة ست وعشرين وسبعمائة ، ودرس بها قاضي حصن عكار أبو الرياح محي الدين الطرابلسي . وقال العلموي : سكنها العجماوي المصري المقرىء امام سيباي نائب الشام . ثم تركت وهجرت ، وهي الآن من بيوت الاروام . ا.هـ

وهذا يدل على أنها اختلست فيعصر التسعمائة، ومن ذلك الوقت اندرست آثارها ، وتبدلت أطلالها ، ولذلك لم يذكرها البقاعي في « مختصره » . ٢٠

---

(١) في الاصل بياض مقداره سبعة أسطر . وقد قال ابن شداد في ترجمة واقفها : بانيها جاروخ التركماني يلقب بسيف الدين. ا هـ

المدرسة (الحلبية)

كانت في مكان يقال له : محلة السبعة . وأقيمت بها الجمعة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

شهاب الدين ابن عبد الخالق ٠٠٠-٨٢٨

قال ابن شهبة : أنشأها شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق ، وكان في أول أمره مغنيا يعلم الجواري الغناء ، ثم رجع عن ذلك ولازم الصلوات ، ووقف الى جانب الحلبية مسجدا ، وأضافه اليها ، ووقف عليها وقفا ، ولم يخلف ولدا . ووقف ثلث قاعة على الزيت الذي يوقد في الحجرة النبوية ، والثلث الثاني على زوجته ، والثلث الباقي على ابن أخيه. وجعل وقفا على قراءة «البخاري» بالحلبية. ومآل ذلك الى الزيت في الحجرة النبوية . توفي يوم الاحد مستهل جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .

قال ابن شهبة : كان الامير زين الدين دمرداش الظاهري الحاجب أصله من مماليك برقوق ، ولي القسمة بدمشق ، وحصل مالا من الموتى ، ثم وقع بينه وبين القاضي ابن أبي الثناء ، وضرب بعض الشهود ، ثم ترافعوا الى النائب فعزله بعد ذلك بقليل ، وبقي بطالا مدة طويلة . وحصل أملاكا كثيرة ، وتوفي في التاريخ المذكور ، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان ، ومات عن غير ولد . ووقف أملاكه على جهات البر بمكة والمدينة ، وعلى مدرسة أبي عمر . وكانت المدرسة الحلبية مقابل داره ؛ فوقف عليها سبعاً وقارىء حديث ، وجهات بر وخير. انتهى . ثم اندرست ولم نعلم لها الآن موضعا ولا أثرا، فسبحان الباقي !

المدرسة (الخبيصية)

قال في «التحفة» : هي قبلي الزنجاري. انتهى

أقول : وخان الزنجاري قد بناه الملك الاشرف جامعا ، وصار اسمه جامع التوبة . وكانت هذه المدرسة بالعقيبة ، قبلي ذلك الجامع . قال العلموي : وهي الآن يعني في زمنه خرابة ، وربما دخلت في البستان . وفي «التحفة» أن ابن قاضي اذرعات(١) كان سكنه بأعلاها ، وبها توفي سنة أربع عشرة وثمانمائة. انتهى

فتكون قد سلمت من فتنة تيمورلنك ، ولم تسلم من يد المختلسين . وأما الآن فلا ذكر لها ولا رسم ولا أثر !

---

(١) هي مدينة درعا اليوم .

المدرسة (الخليلية)

سيف الدين ابن بكتمر ٠٠٠-٧٤٦

أثبتها البقاعي ، وصاحب «التحفة» . قال البقاعي نقلا عن الحسيني : أنشأها الامير سيف الدين بن بكتمو ، ومات بها سنة ست وأربعين وسبعمائة . ونقل منها بتابوت ، فدفن بالقبيبات. وهذه المدرسة بالقرب من المؤيدية وحمام المحتسب.اه

أقول : أطلق المؤيدية وهي محلان : أحدهما مقبرة كانت على الشرف الشمالي فوق العزية . فان كانت هي المقصودة فقد اندرست هي والخليلية والعزية ، وصار الكل بساتين . وثانيهما المؤيدية الصوفية ، وهي بدمشق أيضا . ولم نعلم لها أثرا وأياما كانت ، فقد اندرست ومضى زمنها !

المدرسة (الدماغية)

أبان عنها صاحب «التحفة» بقوله : داخل باب الفرج ، غربي الباب الثاني الذي قبلي باب الطاحون ، وهي قبلي وشرقي الطريق الآخذ الى باب القلعة الشرقي ، وهذا الطريق بينها وبين الخندق . وهي أيضا شمالي العمادية . انتهى

أقول : ان باب الفرج هو الباب المسمى بباب المناخلية ، والطاحون لم تزل موجودة ، والخندق قد ردم، وبنيت أمامه حوانيت. وقد شاهدت هذا المكان، فرأيت مكان الدماغية قد صار قاعة للنشا، ودارا للسكنى ، ولم يبق أثر يدل على المدرسة . وكذلك العمادية قد صارت دورا وحوانيت . ولقد كانت الدماغية على الحنفية والشافعية .

وقال ابن شهبة الاسدي في «تاريخه»: ان نعل النبي صلى الله عليه وسلم اليمنى كانت بهذه المدرسة ، والنعل اليسرى كانت بدار الحديث الاشرفية، فأخذ تيمورلنك الفردتين. وقال هذا أيضا ابن قاضي شهبة في « تاريخه » . وقد تقدم ذلك عند الكلام على دار الحديث الاشرفية .

ترجمة واقفها

عائشة الدماغ

قال القاضي ابن شداد : أنشأتها عائشة جدة فارس الدين بن الدماغ وزوجة شجاع الدين بن الدماغ سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وقيل : سنة ثلاث وثلاثين . ولعل عمارتها استمرت مدة مابين التاريخين .

قال في « العبر »: كان شجاع الدين محمود هذا من أصدقاء العادل يضحكه؛ فحصل من أجل ذلك أموالا جزيلة . وكانت داره داخل باب الفرج ، فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية ؛ ووقفت عليها أوقافا ، وهي ثمانية أسهم من أصل أربعة وعشرين سهما من قصر اللباد شرقي مقري ، وثلث مزرعة الدماغية ، وحصة من رجم الحيات ، وحصة من حمام اسرائيل ، وحصة من قرية ديرسلمان ببلاد المرج ، ومزرعة شرحوب عند قصر أم حكيم شرقي عرار وقبلي شقحب ، ومحاكرات ، وغير ذلك . وكانت وفاة شجاع الدين سنة أربع عشرة وستمائة .

المدرسة (الدولعية)

هي بجيرون قبلي المدرسة الباذرائية بغرب . قاله في « التحفة » . وتحديدها الآن وان لم يحصل منه نفع : أنك اذا وقفت أمام الباذرائية ، وسرت الى جهة الجنوب برهة ، كان عن يمينك طريق نافذ ضيق ، وفي أواسط ذلك الطريق من الجهة الشمالية زقاق صغير وفيه كانت الدولعية ، أو أن ذلك الزقاق هو محلها . وقد صارت الآن دورا للسكنى . ولم يبق لها أثر ، سوى حجرة لطيفة بها قبر الدولعي في دار صغيرة . وقد أوقف عليها بانيها أوقافا منها : جميع بياض البستان خارج الباب الشرقي المعروف بالدولعية ، ولم يزل يسمى بذلك الى الآن ، وحقلة الوادي التحتاني ، ومحاكرات ابن صبح ، وحصة بطاحون الزلف بالوادي التحتاني ، وغير ذلك .

قال العلموي : استولى عليها وعلى وقفها ابن قاضي عجلون حتى نسيت ؛ ثم تقرر في تدريسها ناصر الدين الطرابلسي امام الحنفية بالجامع الاموي سنة أربع وسبعين وتسعمائة . انتهى

وعلى هذا فتكون قد سلمت من فتنة تيمورلنك ، ولم تسلم من أيدي المختلسين !

ترجمة الدولعي الكبير عم الواقف

ضياء الدين الدولعي
٥٠٧-٥٩٨

قال ابن السبكي في «الطبقات الكبرى»: هو عبد الملك بن زيد بن ياسين بن زيد ابن قائد بن جميل التغلبي أبو القاسم الدولعي ، خطيب دمشق والمدرس بها ، ضياء الدين

الارقمي الموصلي . والدولعية قرية من قرى الموصل . ولد سنة سبع وخمسمائة . وقال في « طبقاته الوسطى » : ولد سنة أربع عشرة وخمسمائة أو قبل ذلك . وتبعه على ذلك الاسنوي في « طبقاته » . فيكون تعيين ولادته مجهولا .

قال ابن السبكي : وقدم دمشق في شبيبته ، وكان فقيها كبيرا متفننا ، عارفا بمذهب الشافعي ، وبناء على طريقة حميدة . ولي خطابة دمشق وامامتها مدة طويلة ودهرا طويلا ، ودرس بالغزالية زمنا كثيرا . ٥

وقال عبد الرحيم الاسنوي : الدولعية بالعين المهملة ، وقال عن المترجم : تفقه ببغداد، ثم قدم الشام فتفقه على ابن أبي عصرون وغيره .

وقال النووي في « طبقاته » : كان شيخ شيوخنا ، وكان أحد الفقهاء المشهورين ، والصلحاء الورعين . توفي سنة ثمان وتسعين بتقديم التاء على السين وخمسمائة .

ترجمة واقفها ١٠

جمال الدين الدولعي ٥٥٥–٦٣٥

انشأها العلامة جمال الدين محمد بن أبي الفضل بن زيد الخطيب الثعلبي الارقمي الدولعي ثم الدمشقي كذا قاله الصفدي وغيره سنة خمس وخمسين وخمسمائة . وورد دمشق شابا ، فتفقه على عمه عبد الملك الدولعي المتقدم ذكره ، وسمع منه ومن جماعة . وكان له ناموس وسمت ؛ يفخم كلامه . وولي خطابة الجامع الاموي بعد عمه . توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ودفن في الضفة الغربية من مدرسته . وفيه يقول ١٥ شرف الدين بن عنين :

طولت يادولعي فقصر — فأنت من غير ذا مقصر
خطابة كلها خطوب — وبعضها للورى منفِّر
تظل تهذي ولست تدري — كأنك المغربي المفسر

المدرسة (الركنية الجوانية) ٢٠

هي شمالي الاقباليتين شرقي العزية الجوانية والفلكية ، غربي المقدمية . وهي الآن بزقاق كان يعرف بزقاق بني مفلح الحنابلة ، ويعرف الآن بزقاق بني عبد الهادي . وهو

معروف بمحلة العمارة تجاه المقدمية ، وأما المدرسة الركنية ، وكذا العزية والفلكية ، ففي طي الخفاء تتمثل بقول أبي الأصبع :

أهلكنا الليـل والنهـار معـا ... والدهر يغدو مصمما جذعـا

والمصمم الماضي في سيره . وقوله جذعا بفتح الذال ومعناه شاب دائما لايهرم .

٥ ولله در المعري حيث يقول :

ما يعرف اليوم من عاد وشيعتها ... وآل جرهم لابطـن ولا فخـذ
أطارهم شيمة العنقـاء دهرهم ... فليس يعـلم خلق أيَّة أخـذوا

ولي هذه المدرسة شمس الدين ابن سنا الدولة ، ثم ولده صـدر الدين ، ثم ولده نجم الدين ، ثم شمس الدين ابن خلكان ، وناب عنه بها النووي ، ثم نحو خمسة وعشرين
١٠ مدرسا ، ثم أناس ، الى أن غربت شمسها وتقوضت خيام العلم منها !

ترجمة واقفها

ركن الدين منكورس ٠٠٠-٦٣١

أوقفها ركن الدين منكورس عتيق فلك الدين ، وستأتي ترجمته في الركنيةالحنفية.

المدرسة (الرواحيـة)

هي شرقي مسجد ابن عروة الذي هو بالجامع الأموي ولصيقه، شمالي جيرون ،
١٥ وغربي الدويلعية ، وقبلي السيفية الحنبلية . أقول : شاهدت موضع هذه المدرسة فرأيتها قد صارت دارا .

قال الحافظ الذهبي : ان واقف الرواحية اشترط على مـن يقيم بها من الفقهـاء والمدرسين شروطا صعبة ، لايمكن القيام ببعضها . ولم يبين الذهبي تلك الشروط . ثم قال : وشرط أن لايدخل مدرسته يهودي ، ولانصراني ، ولاحنبلي حشوي . انتهى .
٢٠ فاشتراطه عدم دخول اليهود والنصارى الى مدرسته علة مفهومة . وأما اشتراطه عدم دخول حنبلي حشوي ، فليس بمفهوم ؛ لأن الحنابلة لايتصفون بهذه الصفة . وهذا من التعصب الناشىء عن الجهل ، والسعي في تفريق اجتماع هذه الأمة المحمدية . ويمكن أن يكون أراد بالحشوية الذين يقرؤون آيات الصفات ، ويقولون : نمرُّها كما جاءت ، ونكل تفسيرها الى الله تعالى من غير تأويل ولاتشبيه ولاتعطيل . فالاستواء في قوله

تعالى : « الرحمن على العرش استوى » . آية ٥/٢٠ استواء يليق بذاته تعالى لانعلم حقيقته . لأنا اذا فسرناه بقولنا : استولى ؛ نكون أخطأنا . لأن من استولى على شيء ، لابد وأن يكون خارجا عن يده قبل استيلائه عليه ، كما يشير اليه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق　　　من غير سيف أو دم مهراق

ومعناه أن بشرا استولى على العراق ، واستخلصها من يد غيره ، بدون سل سيف ، أو اراقة دم . وتعالى الله عن أن يكون استولى على ملكه بهذه الصفة ؛ ومثله يقال ، في السميع والبصير وأشباههما : ان الله أثبت لنفسه صفة السمع والبصر والكلام ؛ وأخبرنا في كتابه العزيز بأنه متصف بذلك . ولكننا لانعلم حقيقة تلك الصفات . وليس يجب علينا الا أن نؤمن بها ، ونترك علمها الى المتصف بها .

أنت اذا شاركت جميع علماء التشريح في البحث عن حقيقة السمع والبصر والكلام في المخلوق ؛ تعرف كيف تركبت أعضاء هذه الحواس ، وما يطرأ عليها من العلل ، ولكنك لاتعلم حقيقتها ولو أفنيت الأعوام ، وشاركك أهل البسيطة ، فكيف تعلم حقيقة صفات من يجل عن التشبيه والمثال ؟!

اختلف أساطين العلماء من قبلك في صفة الكلام ؛ فقال قوم : ان الكلام لايكون الا من لسان وفم ومخارج ؛ فنفوا الكلام اللفظي ، وأثبتوا الكلام النفسي ، هربا من اثبات ما هو من صفات المخلوقين ؛ فورد عليهم أن الكلام النفسي يحتاج الى أعضاء يقوم بها ، وتكون محلا لتصوراته ؛ فلم يفدهم الهرب شيئاً　وقال قوم : ان الله لما كلم موسى عليه السلام ؛ خلق كلامه في الشجرة ، فهي التي خاطبته وكلمته . وهؤلاء لم يفهموا معنى قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » آية ١٦٣/٤ فأكد كلامه بالمصدر ؛ فصاحوا بمقالتهم علنا مكذبين الله تعالى . وذهب قوم الى أن الله يتكلم بلسان ، تعالى الله عن ذلك ! والقرآن العظيم يكذبهم . ثم لما طال الأمر أذن الله بتكذيبهم حسا لعلهم يتدبرون آياته . فأظهر على يد رجل افرنجي الآلة المتكلمة المسماة بالافرنجية بالفونغراف ، وجعلها تتكلم بدون لسان ولا جوارح . أفلا يكون الخالق متكلما على صفة لانعلم حقيقتها ، ولا ندر ما صفتها ؟! قل لأولئك المشاغبين : بينوا لنا فلسفة الفونغراف ، وكيف أن الأصوات التصقت بذلك الشيء الشبيه بالورق ، ثم أعيدت كما هي ، ثم تكلموا بعد ذلك ببيان حقيقة صفات الخالق ان قدرتم ! والا فارجعوا الى أنفسكم ، وصرحوا بالعجز عن ادراك أسرار الربوبية ، واتركوا العلم بذلك للعليم الخبير . مهما فكر العبد في آيات الصفات ، لايقدر الا أن يقول :

أثبت الله هذه الصفات لنفسه ؛ فنؤمن بها ، ونكل علمها للمتصف بها . وان خاض في تأويلها وتفسيرها على مقتضى عقله ، ضل في بيداء الحيرة ، ونادى القرآن العظيم بخطئه على رؤوس الأشهاد . وفقنا الله للحق ، وأبعدنا عن الزيغ والتعصب ، بفضله وكرمه . ويرحم الله القائل :

جاءت أحاديث ان صحت فان لها	شأنا ولكنْ فيها ضعف اسناد
فشاور العقل واترك غيره هدرا	فالعقل خير مشير ضمه النادي

وقال أيضاً :

الله صورني ولست بعالم	لمَ ذاك سبحان القدير الواحد
فلتشهد الساعات والأنفاس لي	أني برئت من الغويّ الجاحد

ترجمة واقفها

زكي الدين ابن رواحه ٠٠٠-٦٢٢

انشأها زكي الدين أبو القاسم هبة الله بن محمد الأنصاري المعروف بابن رواحة . اشتهر بذلك لأنه ينسب الى أبي عبد الله الحسين بن عبد الله بن رواحة من جهة أمه .

قال ابن كثير : كان المترجم تاجرا صاحب ثروة ، وكان في نهاية الطول والعرض . وقد ابتنى المدرسة الرواحية داخل باب الفراديس ، وأوقفها على الشافعية ، وفوض تدريسها ونظرها الى الشيخ تقي الدين ابن الصلاح السهروردي . وله بحلب مدرسة أخرى مثلها . وقد انقطع آخر عمره في مدرسته بدمشق ، وكان يسكن في إيوانها من الجهة الشرقية . ورغب فيما بعد أن يدفن فيه اذا مات ، فلم يمكن من ذلك بل دفن في مقابر الصوفية . وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

قال العلموي : أول من درس بهذه المدرسة شرف الدين ابن أبي بكر القرشي . وبعد موته ، شهد محي الدين محمد بن عربي الطائي وتقي الدين بن علي النحوي المصري على ابن رواحة بانيها بأنه عزل ابن الصلاح عن هذه المدرسة ؛ فجرت خطوب طويلة ، ولم ينتظم ما أرادوه . ذكره أبو شامة . ثم بعد المدرس القرشي ، درس بها نحو سبعة وعشرين مدرسا ، الى ابن نوح المقدسي . وكان داخلا في الدولة ؛ وفي وكالة بيت المال ، ونظر الأوقاف . فظلم وتعدى طوره ؛ فاعتقل بالعذراوية ؛ فوجد بها مشنوقا بعد أن صودر وضرب بالمقارع . وكان السامري أوذي به كثيراً ، فذهب اليه وهو في الحبس

وتمازحا ، ولكن تعرّض بالتشفي كثيراً . فبعد خروجه وضع أبياتاً منها :

ورد البشير بما أقرّ الأعينا — فشفى الصدور وبلغ الناس المنا
فاستبشروا وتزايدت أفراحهم — فالكل مشتركون في هذا الهنا
وتقدم الأمر الشريف بأخذ ما — نهب الخؤون من البلاد وما اقتنا
ياسيد الأمراء ياشمس الهدى — يا ماضي العزمات يارحب الفِنا ٥
عجل بذبح المقدسي وسلخه — واحقن دما الاسلام من ولد الزنا
واغلظ عليه ولاترق فكلما — يلقى بما كسبت يداه وما جنا
فلكم يتيم مدقع ويتيمة — من جوره باتوا على فرش الضنا
ولكم غني ظل في أيامه — مسترفدا للناس من بعد الغنى
ان أنكر اللص اللئيم فعاله — بالمسلمين فأول القتلى أنا ١٠

الزاوية (الخضراء)

بمقصورة الخضراء ، غربي الجامع الأموي . والناس صحفوها فسموها مقام الخضر . درس بها جماعة ؛ وسيأتي الكلام عليها عند شرح أحوال الجامع الأموي .

وقد ذكر هنا صاحب « التحفة » مدرستين ؛ نوردهما في هذا المحل ، وان لم ١٥ تكونا في دمشق . قال :

المدرسة (السيفية م)

سيف الدين بكتمر ٠٠٠-٧٤٦

هي بمدينة الصلت ، بناها الأمير بكتمر سنة ٧٢٤ ؛ ودرس بها الشيخ داود بن سليمان ابن داود ، ووقف على الطلبة المشتغلين بهما جملة من الكتب .

المدرسة (الزبدانية م)

فتح الدين ابن المعدل

٢٠ هي ببلدة الزبداني ، بناها محمد بن عبد الصمد بن عبد الله بن حيدرة فتح الدين ابن المعدل[1] سنة ٥٩٠ . وكان من الصدور المشكورين حسن الطريقة . وهاتان المدرستان لم أدر كيف صار حالهما ، والى أي شيء آل أمرهما .

---

(١) كذا في الاصل وفي تاريخ ابن كثير : « العدل » .

المدرسة (الشامية البرانية)

هي الآن مشهورة بالعقيبة الكبرى ، بينها وبين سوق صاروجا ، وكان محلها قديما يسمى بالعينية . والذي يلوح من تراجم هذه المدرسة أنها كانت كبيرة الحجم جدا ، كبيرة الشأن . والظاهر أن الموجود الآن انما هو قسم منها .

٥ قال ابن شداد : المدرسة الشامية من اكبر المدارس ، واعظمها ، واكثرها فقهاء وأوقافا . انتهى

وتسمى هذه المدرسة بالحسامية أيضا ، نسبة الى حسام الدين عمر بن لاجين زوج الواقفة . ومن أوقافها : السلطاني وهو قدر ثلاثمائة فدان وحده ، من قناة الريحانية الى أوائل القبيبات الى قناة حجيرا ودرب البويضاء ومنه الوادي التحتاني المسمى وادي ١٠ السفرجل وقدره نحو عشرين فدانا ، ومنه بستان الصاحب غربي المصلّى ، ومنه ثلاثمائة من الكروم وهي من الأفدنة ، ومنه طاحون باب السلامة ، وحكورة متعددة ، وغير ذلك من الأوقاف التي لم يبق لها منها سوى رسمها في الكتب .

قال أبو شامة : ومن شروط وقفها أن لايجمع المدرس بينها وبين غيرها . وأول من درس بها ابن الصلاح . وقيل : أول مدرسيها شرف الدين ابن عمر الزكي ، وبعده اثنان ١٥ وأربعون مدرسا ، الى أن اتصلت بابن قاضي عجلون ، ثم بسراج الدين الصيرفي ، ثم جماعات منهم : البدر الغزي ، والشيخ اسماعيل النابلسي ، والحسن البوريني ، والنجم الغزي .

قال العلموي : وللشامية البرانية كتاب وقف منقول عند غالب فضلاء دمشق . انتهى . ويمكن أن تكون الأيام نسخته ، وساعدتها على ذلك الليالي . وقد أصبح القسم الموجود ٢٠ من المدرسة عبارة عن مسجدها ، وبركة كبيرة للماء في ساحتها ، وبعض حجرات فوقانية متروكة ، وبيوت للخلاء . وليس بها أحد للطلبة ؛ غير أن المعارف قد جعلت مسجدها مكتبا ابتدائيا ؛ فصارت دار علم بالجملة .

تنبيه واستبصار

ان الناظر في كتابنا هذا ربما يمل من سرد أسماء بعض المدرسين عند الكلام على ٢٥ المدارس ، ولايعلم لذلك معنى ، نظرا لتغير الأوضاع ، وتبدل الزمان ، وتقلص ظل العلم

وأهله . وان شئت السبب الحامل على ذلك ؛ فاعلم أنه كان لجميع المدارس الموجودة في
هذا الكتاب وغيرها شأن عظيم . فما من مدرسة الا وقد كان بها من الطلبة المشتغلين
بالعلم ليلا ونهارا ، ما تضيق المدرسة عن سكناهم لكثرتهم . وبكل واحدة منها دار
لنفائس الكتب . ومثل ذلك كان في الترب التي سنذكرها . ثم انه كان لكل مدرسة
مدرس خصوصي ، ينتخب من الأفاضل الكبار . وكان لهؤلاء المدرسين مواعيد ، فاذا 5
كان يوم ميعاد مدرسة ، جلس المدرس في موضع الميعاد ؛ وأحدق به غالب الفقهاء
والعلماء ، فيذكر مسألة ويأخذ في تفصيلها ، وبيان دلائلها . ويشاركه العلماء في البحث،
على طريقة فن الجدل . ويتكلم الواحد منهم بما عنده ؛ وتطول ذيول المناظرة . ويأخذ
الحنفي مثلا في الانتصار لقول امامه ؛ فيعارضه الشافعي مدليا بحجته . ويشاركهما
المالكي والحنبلي والظاهري والنحوي والمنطقي والبليغ . واذا كان ثم أحد من العلماء 10
غريبا ؛ أخذ في المذاكرة معهم . ولم يزالوا كذلك حتى فراغ الميعاد . ثم ينتقلون فيما بعد
الى ميعاد ثان في مدرسة ثانية . وحرصا على أن « لا (1) » يغلب المدرس على أمره من أحد
غريب ؛ كان المتميزون في العلم يجلسون الى يمينه وشماله ، ليكونوا عونا له اذا سئل
ولم يستحضر جوابا . ثم درست في أيامنا تلك العادة ؛ ولم يبق سوى بعض من الدروس،
هي على مقتضى الرسوم . وصورتها : أن يكون المدرس قد حفظ كليمات عن ظهر قلبه؛ 15
فاذا كانت ساعة الميعاد ، جلس متصدرا ، وجلس العلماء والأمراء عن يمينه وشماله
افتخاراً ، ثم شرع كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد ؛ فيقرأ ذو صوت رخيم حزبا من
القرآن ؛ ثم يقرأ المعيد عبارة الكتاب ، ثم يسرد المدرس ما كان يحفظه ، ولا سائل ثم
ولا مسؤول . فاذا وجد أحد غريب ، وسأل مسألة ، انتهره الحاضرون وأسكتوه . فهكذا
كان شأن العلم ، وهذا شأنه في أيامنا ! فاذا رأيت سرد أسماء المدرسين ؛ فتذكر السبب، 20
واعلم أنهم جلسوا عن استحقاق ، وعلم واسع واطلاع كبير .

ومن بعض حوادث الشامية ما حكاه ابن قاضي شهبة في « الذيل » قال : ولي
القاضي سري الدين تدريس الشامية البرانية والجوانية ، واستمرتا بيده . مع أن الشيخ
فتح الدين ابن الشهيد وليهما بمرسوم سلطاني فلم تحصل له . وباشر الأوقاف بهمة
وقوة نفس ، وحشمة وكرم . والقضاة وأعيان الفقهاء وغيرهم كانوا يترددون اليه . 25
وكان ذلك سنة خمس وثمانين وسبعمائة . ثم لما كانت فتنة تيمورلنك ؛ افتقر وساءت

(1) لم ترد في الأصل والمعنى لايستقيم بدونها .

أحواله ؛ فنزل عن حصته في نظر الشامية البرانية ، وصار مشارفا بها . ثم قوي عليه القضاة ، وبعض الفقهاء ؛ واستولوا على غالب الأوقاف . فجعل أكثر اقامته بقرية المجيدل التي هي وقف للشامية الجوانية . ولم يمت حتى رأى في نفسه العبر من الفقر والفاقة وشماتة الأعداء . وكان من شأنه قبلا أنه عمر الشاميتين بعد الفتنة ، وعمر البرانية مرة ثانية لما احترقت في فتنة الناصر في سنة اربع وعشرين وثمانمائة . قال ابن قاضي شهبة : وفي هذه السنة المذكورة قبض على تاج الدين عبد الوهاب الأنصاري ناظر الشامية البرانية ، وطلب منه مال ، قيل : انه ألف وخمسمائة دينار . وضرب وعصر ، وبقي بين اثنين دائرا في البلد يستدين ويسأل ؛ فاذا هو تمم المبلغ ضرب وعصر ثانياً ، وطلب منه مبلغ غيره فتأمل وتعجب !

المدرسة (الشامية الجوانية)

قبلي المارستان النوري . وقد كانت دارا لست الشام المذكورة فيما سيأتي؛ فجعلتها بعدها مدرسة . ولم يبق الآن من رسمها سوى بابها ، وباعلاه بلاطة كبيرة ، نقش فيها حفرا بعد البسملة :

هذه مدرسة الخاتون الكبيرة الأجلة عصمة الدين ست الشام أم حسام الدين بنت أيوب بن شادي رحمها الله . أبدتها وقفا على الفقهاء والمتفقهين من أصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه. والموقوف ، عليها وعليهم وعلى أتباع ذلك : جميع القريةالمعروفة بمرينة ، وجميع الحصة ، وهي احدى عشر سهما ونصف من أربعة وعشرين سهما ، من جميع المزرعة المعروفة بجرمانا ، وجميع الحصة ، وهي أربعة عشر سهما وسبع من أربعة وعشرين سهما ، من القرية المعروفة بالثنيَّة ، ونصف القرية المعروفةبمجيدل السوداء ، وجميع القرية المعروفة بمجيدل القرية ؛ وذلك في شهر شعبان . ومحل التاريخ قد انمحى أثره ؛ وحفرت البلاطة مكانه وحشيت بالطين . وعما قليل ستذهب البلاطة بأجمعها . ولما وقفت أمامها وتأملتها ، رأيت بابها الأصلي موجودا كما مر . الا أنه صغر وصار بابا للدار . وجدارها الغربي باق وهو مبني بالحجارة الكبيرة . ولقد ظفرت بكراريس مجموعة بخط العلامة النعيمي ؛ فرأيت بها مختصر الشامية البرانية منقولا عن كتاب الوقف من « فتاوى السبكي الكبرى » ؛ فاذا هو مبدوء بقوله : هذا ما وقفه فخر الدين أبو بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن علي بن أحمد الأنصاري مايأتي

ذكره من ذلك جميع الدار بدمشق . ثم ساق ما قدمناه آنفا ومقصوده بالدار المدرسة بعينها . وزاد ، بعد قوله بجرمانا ، من بيت لهيا . وقال عن الثنية : من جبة عسال ، ثم قال بعد ذلك : وقفا على الخاتون ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادي ، ثم على بنت ابنها زمرد خاتون بنت حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ، ثم على أولادها ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، ثم أولاد أولادها ، ثم أنسالهم كذلك . فاذا انقرضوا ولم يوجدوا ؛ عاد على الجهات التي يأتي ذكرها : فالدار مدرسة على الفقهاء والمتفقهة الشفعوية المشتغلين بها ، وعلى المدرس بها الشافعي قاضي القضاة زكي الدين أبي العباس الطاهر ابن محمد بن علي القرشي ، ان كان حيا . فان لم يكن حيا ؛ فعلى ولده ، ثم ولد ولده ، ثم نسله المنتسبين اليه ممن له أهلية التدريس . فان لم يوجد فيهم من له أهلية التدريس ، فعلى المدرس الشافعي بهذه المدرسة . ومن شرطهم أن يكونوا من أهل الخير والعفاف والسنة ، غير منتسبين الى شر وبدعة . والباقي من الأوقاف : على مصالح المدرسة ، وعلى الفقهاء والمتفقهة المشتغلين بها ، وعلى المدرس قاضي القضاة زكي الدين ، أو من يوجد من نسله ممن له أهلية التدريس ، وعلى الامام المصلي بالمحراب بها ، والمؤذن بها ، والقيم المعد لكنسها ورشها وفرشها وتنظيفها وايقاد مصابيحها . يبدأ من ذلك بعمارة المدرسة ، وثمن زيت ومصابيح وحصر وبسط وقناديل وشمع ، وما تدعو الحاجة اليه . وما فضل يكون مصروفا الى المدرس الشافعي ، والى الفقهاء والمتفقهة ، والى المؤذن والقيم . فالذي هو مصروف الى المدرس في كل شهر : من الحنطة غرارة ، ومن الشعير غرارة ، ومن الفضة مائة وخمسة وثلاثون فضة ناصرية . والباقي مصروف الى الفقهاء ، والمتفقهة ، والمؤذن ، والقيم ، على قدر استحقاقهم ؛ على ما يراه الناظر في أمر هذا الوقف من تسوية وتفضيل ، وزيادة ونقصان ، وعطاء وحرمان . وذلك بعد اخراج العشر ، وصرفه الى الناظر عن تعبه وخدمته ، ومشارفته للأملاك الموقوفة ، وتردده اليها . وبعد اخراج ثمانمائة فضة ناصرية في كل سنة ، تصرف في ثمن مشمش وبطيخ وحلواء في ليلة نصف شعبان على ما يراه الناظر . ومن شرط الفقهاء والمتفقهة ، والمدرس ، والمؤذن ، والقيم ؛ أن يكونوا من أهل الدين والخير ، والصلاح والعفاف ، وحسن الطريقة ، وسلامة الاعتقاد ، والسنة والجماعة . وأن لايزيد عدد الفقهاء والمتفقهة المشتغلين بهذه المدرسة عن عشرين رجلا ، من جملتهم المعيد بها والامام . وذلك خارج عن المدرس والمؤذن والقيم . الا أن يوجد في ارتفاع الوقف نماء وزيادة وسعة ؛ فللناظر أن يقيم بقدر ما زاد ونمى . ثم بحث السبكي في شروط الوقف على طريقة الفقهاء بما يزيد عن عشر

ورقات ، ليس هنا محل ببيانها(١) ، خصوصا وقد انقرضت المدرسة وامتلكت هي وأوقافها.

ترجمة الواقفة

الخاتون ست الشام ٠٠٠-٦١٦

قد علمت فيما سبق أنها ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادي بالشين المعجمة، وبعد الالف دال مكسورة ، وبعدها ياء مثناة من تحت . قاله ابن خلكان ، وقال : وهذا الاسم أعجمي ، ومعناه بالعربي فرحان . قال الذهبي في «تاريخه الصغير» : توفيت سنة ست عشرة وستمائة بدارها المعروفة بالشامية . قال ابن كثير : وهي أخت الملوك ، وقريبة أبنائهم . وكان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكا منهم الملك المعظم ثوران شاه بضم المثلثة وسكون الواو ، لفظة أعجمية معناه ملك الشرق ، وأصله تركان ، ثم غيروا حروفه فقال : ثوران ، وهو صاحب اليمن وهو مدفون عندها في تربتها في القبر القبلي من الثلاثة ، وفي الاوسط زوجها وابن عمها ناصر الدين صاحب حمص ، وفي القبر الثالث ابنها عمر . ويقال للتربة : الحسامية ، نسبة الى ابنها حسام الدين عمر . وكانت المترجمة من اكثر النساء صدقة ، واحسانا الى الفقراء والمحاويج . وكانت في كل سنة تعمل أدوية وعقاقير ، ومايحتاج اليه من ذلك ؛ وتفرقه على الفقراء . وقد صنف الشيخ تقي الدين ابن قاضي شهبة كراسة في ست الشام ومناقبها .

وقال عبد الرحيم بن شغده في « منتخب شذرات الذهب » : ست الشام الخاتون أخت الملك العادل بنت أيوب كانت عاقلة ، كثيرة البر والصدقة ، وبابها ملجأ القاصدين . وهي أم حسام الدين ، وتزوجها محمد بن شيركوه صاحب حمص . وبنت لها مدرسة وتربة بالعونية على الشرف الشمالي من دمشق . وأوقفت دارها ، قبيل موتها ، مدرسة، وهي التي الى جانب البيمارستان النوري . وأوقفت عليها أوقافا كثيرة . توفيت في ذي القعدة ، ودفنت بتربتها بالعونية . وكان كافور الحسامي خادمها . وكان لها نيف وثلاثون محرما من الملوك سوى أولادهم ؛ فاخوتها صلاح الدين والعادل وسيف الاسلام وولده . انتهى

وقد درس بالشامية الجوانية تقي الدين ابن الصلاح ، ثم عبد الرحمن المقدسي ، ثم انتزعها من يده ابن أبي عصرون . وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة ، كان تقي الدين

---

(١) كذا في الأصل .

اللوبياني متوليا أعادتها ، وكانت قد عمرت بعد الفتنة التيمورلنكية ، وكانت مباشرتها وقبض معلومها بيده وبيد المدرس . فلما جاء الأمير محمد بن منجك ناظرا على الاوقاف، طلب حسابها ، ورسم بتتمة عمارتها وبياضها . فكتب الناظر الحساب ، وذهب اليه وتظلم . وكتب بيد اللوبياني عشرين ألفا وكسورا . فرسم أن تسترجع منه ومن غيره ، لأجل العمارة . وبعد مداخلات ، ضرب اللوبياني نحوا من ثلاثمائة عصا وكان الضارب له النائب . ثم بعد أن أخذ نصيبه من الضرب أطلقه ، واعتذر اليه بأنه لم يعرفه . ٥

المدرسة (الشاهينية)

شاهين الشجاعي
٠٠٠-٦١٦

كانت حلقة تدريس بجامع التوبة الذي بالعقيبة . أنشأها الامير شاهين الشجاعي دوادار شيخ . وكان عمر جامع التوبة من ماله ، بعد أن احترق في رمضان سنة [1] . وكان من أعظم أعوان أستاذه في الفتن . توفي سنة ست عشرة وستمائة في طريق مصر . قاله ابـن حجي . ١٠

المدرسة (الشومانية)

خاتون بنت
شومان

أنشأتها خاتون بنت ظهير الدين شومان . قال النعيمي : أخبرني القاضي ابراهيم الشهير بابن المعتمد أن هذه المدرسة هي المسماة الآن بالطيبة . انتهى . وسيأتي الكلام عليها في باب الطاء . وأيا ماكانت ؛ فقد انمحى رسمها ، ودرس اسمها ! ١٥

المدرسة (الشريفية)

قال في «التحفة» : هي التي عند حارة الغرباء . وقال الاسدي : هي بدرب الشعارين؛ لم أعرف واقفها ، ولم أعرف من مدرسيها سوى نجم الدين الدمشقي في سنة تسعين وستمائة . ا . هـ

أقول : وحارة الغرباء هي التي غربي المدرسة القجماسية . ولم يبق لهذه المدرسة عين ولا أثر . فكما أنه جهل واقفها كذلك جهل مكانها . والله أعلم بما صار اليه حالها . ٢٠

---

(١) لم يذكر المؤلف سنة احتراق الجامع .

المدرسة (الصالحية)

هي تربة أم الملك الصالح ، غربي الطيبة والجوهرية الحنفية، وقبلي الشامية الجوانية الى الشرق . وقد وقفت على محل رسومها فخفيت ! وناديت أطلالها فلم تجب الا بقول الصلاح الصفدي مخاطبة لبانيها :

٥ تحكمت بعدكم أيدي النوى فينا ... وقد أقامت بنادينا تنادينا
وجرعتنا كؤوس الحزن مترعة ... مزاجها كان زقوما وغسلينا
وقد أناخت بنا من بعدكم محن ... عدت علينا بما يرضي أعادينا

ترجمة واقفها

الملك الصالح اسماعيل ٠٠٠-٦٤٨

أوقفها الصالح أبو الحسن اسماعيل ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر .

١٠ قال ابن كثير في «تاريخه» : وكان ملكا عادلا ، عاقلا حازما ، تقلبت به الأحوال أطوارا كثيرة . وقد كان الملك الأشرف موسى أوصى له بدمشق بعده ؛ فملكها شهورا ، ثم انتزعها منه أخوه الكامل . ثم ملكها ابنه الصالح خديعة ومكرا ؛ فاستمر بها أربع سنين . ثم استعادها منه الصالح أيوب عام الخورازمية ، سنة ثلاث وأربعين وستمائة . واستمرت بيده بعلبك وبصرى ثم أخذتا منه . ولم يبق له بلد يأوى اليه ؛ فلجأ الى حلب مجاورا

١٥ للناصر يوسف . ثم انه في سنة ثمان وأربعين وستمائة سافر الى الديار المصرية ، فلا يدرى ما فعل الله به . وهو واقف التربة والمدرسة ودار الحديث والاقراء بدمشق. ولم نطل الكلام على تراجم هؤلاء لأن محلها القسم الاول من هذا التاريخ ؛ وسيأتي لها في هذا القسم زيادة بيان .

وقد درس بهذه المدرسة نجم الدين أحمد ابن المقدسي ، ثم شهاب الدين ابن المجد ،

٢٠ ثم بعده سبعة مدرسين ، كل واحد منهم في وقت أوقات. آخرهم على ما قاله العلموي : تاج الدين الزهري . وأما مشيخة الاقراء بها ؛ فوليها علم الدين أبو الفتح علي بن محمد ابن عبد الصمد الهمذاني السخاوي المصري شيخ القراء والنحاة والفقهاء في زمنه بدمشق. ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة .

قال الذهبي في « العبر » : سمع المترجم من السلفي وجماعة ، وقرأ القراءات على

٢٥ الشاطبي وغيره من المشاهير ، وانتهت اليه رئاسة الأدب والاقراء بدمشق ، وقرأ عليه

خلق لايحصيهم الا الله . وما علمت أحدا من الاسلام حمل عنه القراءات ، أكثر مما حمل عنه . وله تصانيف سائرة متقنة . توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ودفن بتربته بجبل قاسيون . ثم ولي المشيخة بعده احدى عشرة نفسا ، آخرهم فخر الدين ابن الصيلف . وكان بها مشيخة دار حديث ، فباشرها كمال الدين ابن الشريشي ، فشمس الدين الزهري ، فعماد الدين الحافظ ابن كثير ، ثم بعده كثير من المحدثين . ثم جاء من درسها ، وأكل أوقافها ، ومنع حق الله وحق العباد منها . ٥

المدرسة (الصارمية)

كانت داخل بابي النصر والجابية ، قبلي العذراوية الى الشرق .

قال في « تنبيه الطالب » : ورأيت ، مرسوما بعتبتها بعد البسملة ، ما صورته :

هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الأجل صارم الدين جوهر بن عبد الله الحر عتيق الست الجليلة الكبيرة عصمة الدين عذراء بنت شاهنشاه رحمها الله تعالى . وهو وقف محرم ، وحبس مؤبد على الطواشي المسمى أعلاه ، مدة حياته ، ثم من بعد وفاته ، فعلى الفقهاء والمتفقهة من أصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه . والنظر في هذا المكان والوقف على الطواشي جوهر المسمى أعلاه ، مدة حياته ، على مادون في كتاب الوقف. « فمن بدله بعدما سمعه ، فانما اثمه على الذين يبدلونه » آية ١٨١/٢ كتب سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وهي عبارة ركيكة في الأصل . هذا ما قاله في « تنبيه الطالب » . ١٠ صارم الدين جوهر ١٥

وقال القاضي عز الدين : ان الذي بنى الصارمية صارم الدين أزبك مملوك قايماز النجمي .

وما قاله في « التنبيه » أولى لأنه ناقل عن كتابتها الحجرية . وأيا ما كان ، فان المدرسة الصارمية قد انطمست آثارها ، ومحي منارها ، وصارت منازل ودورا تباع وتشترى . وباب النصر قد انقض بنيانه وتشتتت أطلاله . فلا يمكن للباحث عنها أن يهتدي الى مكانها ، ولا الى مكان جارتها العذراوية . ولقد وقفت في أوائل حارة الغرباء أمام الحمام المسمى بحمام الست عذرا ثم مشيت الى جهة القبلة نحوا من ثمان وخمسين خطوة وعند منتهاها ، وجدت عن يساري جدارا ينادي بأنه جدار مدرسة ، ومتصل به ٢٠

جدار آخر بالجهة القبية مثله ، وتحته بركة ماء تشير أيضا الى أن هنالك كان مدرسة . فلعل هذه احدى المدرستين العذراوية أو الصارمية والله أعلم .

وقد درس بالصارمية نجم الدين ابن الحنبلي ، ثم ولده ، ثم تاج الدين ابن الفركاح ، ثم بعده خمسة عشر مدرسا ، الى بدر الدين ابن قاضي شهبة ، ثم زين الدين عبد القادر، ٥ ثم جماعات . وممن درس بها الواسطي : (١) وهو السيد الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي . ولد سنة سبع عشرة وسبعمائة ؛ واشتغل بالعلم حتى برع فيه . وكتب الكثير بخطه الحسن . وألف كتبا منها : « مجمع الأحباب » وهو مختصر « الحلية لأبي نعيم » في مجلدات . وله تفسير كبير . وشرح « مختصر ابن الحاجب » في ثلاث مجلدات . وقد أكثر في ١٠ النقل فيه عن الأصفهاني ، وعن القاضي تاج الدين ، وله كتاب في أصول الفقه في مجلد ، وله كتاب « الرد على الأسنوي في تناقضه » . وكان منجمعا عن الناس ، وخصوصا عن الفقهاء ؛ لأن دأبهم حسد علماء الأصول ، والتعصب عليهم ، والحط من قدرهم ، وقدر العلماء المحققين . توفي في ربيع الأول سنة ست وسبعين وسبعمائة ؛ ودفن عند مسجد القدم . وأما باني المدرسة ؛ فان كونه قد جعل هذا الخير والاعانة لأهل ١٥ العلم ، يكفيه ذخرا وثوابا عنده تعالى وتقدس .

المدرسة (الصلاحية)

بالقرب من البيمارستان النوري . وهي أيضا منطمسة الأثر ، لم يعلم مكانها . وفي « تنبيه الطالب » أن الذي بناها نور الدين محمود بن زنكي ، ونسبت الى الملك الناصر صلاح الدين . انتهى

٢٠ **أقول :** ومقابل البيمارستان طريق ، وبأوله من الجهة الشمالية باب مدرسة قديم . وقد كان الحجر الكبير الذي فوقه مكتوباً ، فنحتت الكتابة فلعل هنا محل المدرسة المذكورة . وبالجملة فان جميع المدارس التي كانت بالقرب من البيمارستان قد تناولتها أيدي الخفاء . فهب اليها المختلسون ، كما هبوا لغيرها ، فابتنوها دورا ومساكن ، وأتوا على أوقافها فابتزوها ، وغيروا شروطها شيئا فشيئا ، حتى حولوها ملكا لهم . فأصبح ٢٥ طالب العلم لايجد نفقة ولا مأوى ؛ فقلت الرغبة في الطلب ، حتى صار العلم في زمننا

---

(١) كذا في الأصل بياض .

اسما بلا جسم ، وكلمات بلا معنى . فليس هو الآن الا بالعمائم والدعوى ، وليست وظائفه الا بالارث ، وقولهم : القديم على قدمه ، سواء كان حقا أو باطلا ، طالبا للعلم ذلك الوارث أو جاهلا لافرق . فنرجوه تعالى أن يكشف هذه الغمة ، ويرشد الأمة الى مافيه صلاحها ونجاحها ، وأن يؤيد الحكم الشوروي ، والرأي الدستوري الذي حصلت عليه الأمة في وقتنا هذا . فابتدأت بسببه بقطع دابر الاستبداد ، وابعاد أهل الغي والعناد ؛ حتى شممنا رائحة تقدم العلم ، وانقشاع غيوم الظلم . وسنأتي فيما بعد على شرح ما عليه كنا ، وما اليه وصلنا ، تذكرة لمن يتذكر ، وايقاظا لمن يتدبر . ولقد لوحنا لذلك في خطبة الكتاب والله الهادي .

واقفها وبانيها

نور الدين بن زنكي ٥١١-٥٦٩

ستذكر ترجمة السلطان نور الدين عند الكلام على المدرسة النورية الحنفية ، وترجمة السلطان صلاح الدين في محلها ان شاء الله تعالى . ولم يتصل بنا من أخبار هذه المدرسة سوى أنه درس بها شمس الدين ومجد الدين الكرديان .

تنبيه :

المدارس المسماة بالصلاحية ثلاثة : احداها هذه ، وثانيتها بالقدس . قال الحافظ ابن كثير في « تاريخه » في حوادث ثلاث وثمانين وخمسمائة : وبنى السلطان صلاح الدين بالقدس مدرسة للشافعية سميت بالصلاحية ، ويقال لها : الناصرية .

وقال العماد الكاتب : وفاوض السلطانَ صلاح الدين جلساؤه من العلماء والأكابر الأبرار ، والأتقياء الأخيار أيام فتح القدس ، في أن يبني مدرسة للفقهاء الشافعية ، ورباطاً للصلحاء الصوفية . فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بجسد حنه عند باب أسباط ، وعين دارا لبطرك ، وهي تقرب كنيسة قمامة للرباط ، ووقف عليها أوقافا ، وأسدى بذلك الى الطائفتين معروفا . وارتاد أيضا مدارس الى الطوائف ليضيفها الى ما أولاه من العوارف . انتهى

وقال ابن كثير : وأجرى صلاح الدين على القراء بالقدس ، وعلى الفقهاء بها ،

الجامكيات(١) والجرايات ؛ وأرصد الختم والربعات في أرجاء المسجد الأقصى لمن يقرأ وينظر فيها من المقيمين والزائرين . وتنافس بنو أيوب بما يفعلونه من الخيرات في القدس الشريف القادمين والظاعنين والقاطنين .

وثالثها بالكلاسة ، وهي عبارة عن زاوية كانت بها . ويظهر من كلام ابن شداد على الجامع الأموي أنها كانت مدرسة للشافعية . فانه قال : ذكرنا فيه من المدارس ، مدرسة شافعية بالكلاسة ، والمدرسة الغزالية وتعرف بالشيخ نصر المقدسي ، ومدرسة ابن شيخ الاسلام ، ومدرسة الملك المظفر أسد الدين شافعية ، ومدرسة للمالكية ، ومدرسة ابن منجا حنبلية . انتهى

وهذا كله كان في الجامع الأموي وقد اختفى باختفاء أهله ، وهو ينشد :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامر

المدرسة (التقطائية)

لم يذكرها العلموي في « مختصره » . وقال في « تنبيه الطالب » : هي بالتاء المثناة الفوقية ، ورأيت بقائمة بكشف الأوقاف ، سنة عشرين وثمانمائة : التقطائية من المدارس الشافعية ، وهي داخل الباب الصغير بنحو مائة ذراع شرقية ، غربي بيت الخواجا الناصري ، قبلي منارة الشحم ، لها منارة صغيرة . ثم انه نقل ترجمة شهاب الدين قرطاي عن ابن كثير ، ثم قال : ولم يذكر له مدرسة . ونقل أيضا عن « الوافي » للصلاح الصفدي ترجمة اثنين : أحدهما طقطاي من جماعة صاحب القبجاق ، وثانيهما طقطاي الأمير عز الدين . ثم قال : ولم يذكر لهما مدرسة ولا خانقاه ، ولا غيرهما . وبالجملة فانه لم يتيقن ترجمة باني هذه المدرسة .

ولقد وقفت مكانها ؛ فلم ينادني شيء من أطلالها ؛ ولم تخاطبني آثارها بشيء من أخبارها . فرجعت آسفا حزينا . فتجلّى لي غيرها من المدارس ، ممن هو أعظم منها ، وقد تداولته يد الاختلاس ، فألهاني عنها . « والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » (٢) .

---

(١) مرتبات للمنقطعين الى العلم .

(٢) الأعراف ١٢٧

المدرسة (الطبرية)

يقال : انها كانت بباب البريد . ومن أوقافها : وقف برأس العين ، وحوانيت بالنورية داخل دمشق . وقد تكلم عليها صاحب « تنبيه الطالب » ، فذكر من مدرسيها : الحسين ابن علي الشهير بابن أَلَهْ بفتح الهمزة وضم اللام واسكان الهاء ، ومعناه بالعربية العقاب . توفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . ولم يزد في « التنبيه » على هذا . ٥

والظاهر أنه لم يظفر بترجمة من بناها . وقال العلموي : درس بها شرف الدين ابن هبة الله الأصفهاني . وترجمته لها في « مختصره » تدل على أنها ، دخل الألف وهي موجودة . ثم تناولتها يد من لم يخف الله تعالى من المختلسين ؛ فضمها الى أملاكه ، ومحا أثرها . وبباب البريد جملة من بقية الأبنية التي تشبه أبنية المدارس ؛ ولكن لم يتيسر للباحث أن يفرق بأن هذا أثر المدرسة الفلانية عن يقين ، خصوصا وآثار الكتابة قد محيت والله أعلم . ١٠

المدرسة (الطيبة)

قبلي النورية الحنفية ، وشرقي تربة زوجة تنكز بقرب الخواصين داخل دمشق . وقد تقدم أنها هي المسماة بالشومانية ، وانما غير اسمها تيمنا . وقال الصفدي : الذي بنى الطيبة العابر علي بن أبي بكر . درس بها الفزاري ، ثم درس بها ستة بعده منهم : ١٥ زكي الدين زكريا بن يوسف البجيلي في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة . هذا ماذكره في « التنبيه » ، ولم يزد عليه .

خاقون بنت شومان

وقال في « ذيل العبر » : انشأتها خاتون بنت ظهير الدين بن شومان[1] . أخبرني القاضي ابراهيم الشهير بابن المعتمد أن هذه المدرسة هي المسماة الآن بالطيبة ، سموها بذلك تيمنا . ا.هـ ٢٠

وقال العلموي : قلت : الظاهر أنها شمالي الحمام المتصل ببيت قاضي الشام . ورأيت في « السالنامة السورية التركية » المؤلفة سنة عشر وثلاثمائة وألف رومية شرقية عند الكلام على المدارس ، ما معربه : أن المدرسة الطيبة هي المدرسة الشومانية . ولم نعلم

---

(١) كذا في الاصل وفي « الاعلاق الخطيرة » لابن شداد : « ظهير الدين شومان » .

من تاريخها سوى أنها مدرسة شافعية كانت بجوار المدرسة النورية الكبرى. أ.هـ

وأقول: الذي ظهر لي من التردد الى محلها مرارا ، وتدقيق النظر في موضعها ، أنها اندرست وصارت دورا للسكنى ، وهي الدور التي أمام المحكمة الكبرى المسماة بمحكمة الباب . وأما تربة زوجة تنكز ، فموجود الآن قسم منها . انتحل المنتحلون لها اسم النحلاوي ، وسيأتي الكلام عليها في موضعه . واما الحمام الذي ذكره العلموي فلم نجد هناك حماماً سوى المسمى بحمام الخياطين « وان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » آية ١٢٧/٧ . وأما ترجمة من بناها أو من بنتها ؛ فسيذكران في القسم الأول من هذا الكتاب .

حرف الظاء

المدرسة (الظبيانية)

كانت قبلي المدرسة الشامية الجوانية ، وغربي المدرسة الصالحية التي هي غربي المدرسة الطيبة . قال العلموي : جدارها لصيق بجدار الشامية الجوانية . ا.هـ

وأقول: قد اتخذها المختلسون دورا للسكنى ؛ ولم يبق مما يدل عليها سوى جدارها المبني بالحجارة الضخمة . ولولا متانته لغيَّره المستحلون لاغتصاب الأوقاف ، لتنطمس آثارها بالكلية . ودرس بها الحافظ شهاب الدين ابن حجي سنة أربع وسبعين وسبعمائة . ولم يذكر النعيمي ولا العلموي من بناها . وذكر النعيمي من وقفها : المزرعة بقرية يعقوبا ، والمحاكرات حول الخندق قبلي سور دمشق . وقد انطمست الآن آثارها أيضا ، والمحاكرات شمالي مقبرة باب الصغير . وقد ذهبت المدرسة وما وقف عليها أدراج الرياح ، وانطمس اسم بانيها .

المدرسة (الظاهرية البرانية)

كانت خارج باب النصر بمحلة المنيبع ، شرقي الخاتونية الحنفية ، وغربي الخانقاه الحسامية ، بين نهري القنوات وبانياس على الميدان الأخضر بالشرف القبلي .

أقول: قد انطمست آثارها ، وخفي محلها . والظاهر أنها كانت موضع الثكنة

الخاتونية والحسامية . وقد درس بهذه المدرسة شمس الدين بن معن ثم درس بها بعده العسكرية التي هي موجودة اليوم . وباب النصر قد خفي محله أيضا ، كما اختفى محل ثمانية من العلماء . وقال في « تنبيه الطالب » : وفي ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وثمانمائة ، درس فيها شيخنا شيخ الشافعية في وقته نجم الدين محمد ابن ولي الدين عبد الله الدمشقي الشهير بابن قاضي عجلون ، درس بها « بالمنهاج » من أول كتاب البيع ؛ فظهر عن اتقان وتفنن وتحرير . وهو اذ ذاك يؤلف في كتابه الأعجوبة لشرح « المنهاج » المسمى « بالتحرير » وهو شرح عظيم الشأن ؛ لو بيض لجاء في مجلدات . وله تصحيح كبير على « المنهاج » . وله كتاب « التاج في زوائد الروضة على المنهاج » ، وهو أعجوبة في غاية الاتقان . وله شرح « المنهاج » في قدر العجالة سماه « الفتوح » . وله مصنف في « تحريم لبس السنجاب » ، وآخر في « تحريم ذبائح اليهود والنصارى الموجودين في هذا الزمان » ، وله « شرح العقيدة الشيبانية » . ميلاده سنة احدى وثلاثين وثمانمائة . أخذ عن والده ، وعن تقي الدين ابن قاضي شهبة ، وعن الشرواني ، وعن جماعة آخرين (٢) .

(ابن قاضي عجلون (١))

ترجمة واقفها

(الملك الظاهر غازي ٥٦٨ – ٦١٣)

بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب . قال في « العبر » : ولد بمصر سنة ثمان وستين وخمسمائة . حدث عن جماعة ، وكان بديع الحسن ، كامل الملاحة ، ذا غور ودهاء ، ومصادقة لملوك النواحي ؛ يوهمهم أنه لولاه لقصدهم عمه العادل . ويوهم عمه أنه لولاه لاتفق عليه الملوك . وكان سمحا جوادا ، توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة بحلب . وقال في موضع آخر : كان من خيار الملوك ، وأسعدهم سيرة ، ولكنه كان فيه عسف ، ويعاقب على الذنب شديدا ، وكان يكرم العلماء والشعراء والفقراء .

وقال موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المتفلسف في « رحلته » : كان الظاهر جميل الصورة ، رائع الملاحة ، موصوفا بالجمال في صغره وفي كبره ، وله غور وذكاء ، ودهاء ومكر . وأعظم دليل على دهائه ، معارضته لعمه العادل . وكان لايخليه يوما من

---

(١) أورده المؤلف على الحاشية فأثبتناه للأمانة العلمية .

(٢) بعد هذا الكلام يوجد في الأصل بياض قدره ثلاثة أسطر .

شغل قلب وخوف . وكان يصادق ملوك الأطراف ويباطنهم ويلاطفهم . وكان بتدبيره يستولي على عمه العادل ، وعلى ملوك الأطراف ، ويستعبد الفريقين ، ويشغل بعضهم ببعض . وكان كريما معطيا يرضي الملوك والشعراء .

ومن نوادره : أن الشاعر الحلبي قال له يوما في المنادمة وهو يعبث به ، وزاد عليه :
٥ أأنظم ؟ يهدده بالهجو . فقال له السلطان انثر ؛ وأشار الى السيف . انتهى . أقام في الملك ثلاثين سنة . وقال عز الدين علي بن الأثير الجزري في « الكامل » في حوادث سنة ثلاث عشرة وستمائة : بها توفي الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين بن يوسف بن أيوب . وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام . وكان مرضه اسهالا . وكان شديد السيرة ، ضابطا لأموره كلها ، كثير الجمع للأموال من غير جهاتها المعتادة ، عظيم العقوبة
١٠ على الذنب ، لايرى الصفح ، وله مقصد يقصده . يقصده كثير من أهل البيوتات من أطراف البلاد ، والشعراء وأهل الدين وغيرهم ؛ فيكرمهم ، ويجري عليهم الجاري الحسن . ولما اشتدت علته ؛ عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمد ولقبه الملك العزيز غياث الدين ، عمره ثلاث سنين . وعدل عن ولد له كبير ، لأن الصغير كانت أمه ابنة عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر ودمشق ، وغيرهما من البلاد . فعهد بالملك له ، ليبقي عمه
١٥ البلاد عليه ، ولاينازعه فيها . وأخذ له العهد بالتولية من العادل . ولما توفي الظاهر ، كان قد جعل أتابك ولده ومربيه ، خادما روميا اسمه طغربل ، ولقبه شهاب الدين . وهو من خيار عباد الله ، كثير الصدقة والمعروف . فأحسن السيرة بالناس ، وعدل فيهم . وأزال كثيرا من السنن الجارية . وأعاد أملاكا كانت قد أخذت من أربابها ، وقام بتربية الطفل أحسن قيام . وحفظ بلاده ، واستقامت الأمور بحسن سيرته وعدله . وملك
٢٠ ما كان يتعذر على الظاهر ملكه ، مثل تل ناشر وغيره .

قال ابن الأثير : وما أقبح بالملوك وأبناء الملوك ، أن يكون هذا الرجل الغريب المنفرد أحسن سيرة وأعف عن أموال الرعية ، وأقرب الى الخير منهم . ولا أعلم اليوم في ولاة أمور المسلمين أحسن سيرة منه . ولقد بلغني عنه كل حسن وجميل . ا.هـ

أقول : ليس الحزم وحسن الحال بالآباء والجدود ، وانما هو بالمعدن الحسن الذي
٢٥ يتكون منه الانسان ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام » حديث .

المدرسة (الظاهرية الجوانيـة)

داخل بابي الفرج والفراديس ، بينهما ، جوار الجامع ، وشمالي باب البريد ، وقبلي الاقباليتين والجاروخية ، وشرقي العادلية الكبرى . باباهما متواجهـان يفصل بينهما الطريق . كانت دارا للعقيقي ، فاشتراها من تركته أيوب والد صلاح الدين فكانت دارة.

٥ قال ابن كثير : وفي سنة ست وسبعين وستمائة ، شرع في بناء الدار التي تعرف بدار العقيقي تجاه العادلية ، لتجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر . ولم تكن من قبـل الا دارا للعقيقي وهي المجاورة لحمام العقيقي. وأسس أساس التربة في خامس جمادى الآخرة . وأسست المدرسة أيضا وجعلت على الحنفية والشافعية .

وفي كلام ابن شهبة ما يشـير الى أن الملك الظاهر بيبرس هـو الذي أنشأها ، ١٠ وجعلها دار حديث ومدرسة . وهو مخالف لما ذكره في آخر كلامه ؛ فانه قال : ان هذه المدرسة انشاء الملك السعيد ابن الملك الظاهر ؛ أنشأها بعد موت أبيه بيبرس ، بعد أن سمع خبر موت أبيه . وكان قد تقدم موته ، وبقي مدة بقلعة دمشق الى أن حضر السعيد الى دمشق ؛ فاشترى دار العقيقي ، ثم أنشأ التربة . فبين أول كلامه وآخره مخالفة . والذي يظهر أن الباني لها السعيد لا أبوه . وكان بناؤها سنة تسعين وستمائة . وقد ١٥ درس بها جماعة من الفضلاء منهم : اليونيني ، وأبو حفص عمر الفارقي الدمشقي ، وعلاء الدين ابن بنت الأعز ، ثم الصفي الهندي ، ثم ابن الزَّملكاني ، ثم الجمال القلانسي ، ثم ابن قاضي الزبداني ، ثم محمد بن الشهيد ، ثم أفاضل يطول تعدادهم .

أقول : ان هذه المدرسة باقية الى الآن ، وهي مشهورة معروفة ، وبابها بناؤه من العجائب ، يدخل منه الى ساحتها ، فيكون عن يمين الداخل ، التربة الظاهرية ، وهي في ٢٠ قبة شاهقة في الهواء ، وجدرانها من الرخام الأبيض والأسود ، مزخرفة بالفسيفساء . وفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف ، غيرت بلاطتها وبركتها الكبيرة ، وأبدل ذلك بطراز لطيف . وبالجملة فلم يبق في داخلها من البناء الأول الا الجهة القبلية ، وأما الباقي فقد غير ، وجعل مدرسة لصغار الطلبة سميت باسم نموذج الترقي . وفي سنة ست وتسعين ومائتين وألف ، كان المرحـوم مدحت باشا واليا على سورية ، فاهتم بانشاء ٢٥ المكاتب ، ثم علم أن دمشق كان بها ما لا يعد من خزائن الكتب الموقوفة على المشتغلين بالعلم ؛ فمدت اليها أيدي المختلسين بالنهب والبيع ؛ حتى لم يبق منها الا النذر القليل . فخاف على

الباقي من الضياع ، فكتب الى مقر السلطنة بذلك كتابا يقول فيه : لما كانت الكتب الموقوفة ، والمشروطة لاستفادة العموم قد حصرت بأيدي المتولين ، وحرمت الناس من مطالعتها ؛ كان من اللازم جمعها وجعلها في مكان مخصوص ليكون الانتفاع بها عاما .
فصدر له الأمر بذلك في اليوم الخامس عشر من شباط سنة خمس وتسعين ومائتين وألف رومية الموافقة للتاريخ المذكور . وأعطي القرار من طرف مجلس الادارة على ذلك . ٥
وجمعت الكتب الموجودة من عشر خزائن :

من خزانة المدرسة العمرية التي بالصالحية ، وكان بها كتب عظيمة ؛ فلم تصل يد الذين جمعوها الا الى بعضها .

ومن مدرسة عبد الله باشا العظم . ومكتبتها من وقفه رحمه الله في سنة احدى عشر ومائتين وألف . وكان والده محمد باشا قد كتب وقفها من قبله سنة تسعين ومائة وألف . ١٠
وكان مقرها في مدرسته الا أن نسبتها اشتهرت الى عبد الله باشا .

ومكتبة سليمان باشا العظم : وهي مكتبة وقفها المذكور سنة ست وتسعين ومائة وألف . وكان مقرها في مدرسته في باب البريد .

ومكتبة المنلا عثمان الكردي : وكان مقرها في المدرسة السليمانية .

ومكتبة الخياطين : وهي مكتبة وقفها أسعد باشا العظم بعد سنة خمس وستين ومائة وألف . وكان مقرها في مدرسة والده الحاج اسماعيل باشا في محلة الخياطين، قرب المدرسة النورية . ١٥

ومكتبة المدرسة المرادية .

ومكتبة السميساطية : وهي مكتبة حديثة العهد ؛ وقفها أهل الخير .

ومكتبة المدرسة الياغوشية : وكانت موضوعة في مدرسة سياوش باشا في محلة الشاغور . ٢٠

ومكتبة الأوقاف : وهي مكتبة مجموعة من مكتبات متفرقة تشتت أمرها ، فوضعت في ديوان الأوقاف حفظا لها .

ومكتبة بيت الخطابة : وكانت موضوعة في حجرة الخطابة في جامع بني أمية .

ثم جعل مقر تلك الكتب كلها في تربة الملك الظاهر ، في المدرسة المذكورة لمتانتها وليافتها لتلك الغاية ، وطبع دفتر بأسماء الكتب ، وعين الوالي لها محافظين ، لكل واحد منهما مائتي قرش في الشهر ، وبوابا بخمسين قرشا . ولما أنهى المرحوم مدحت باشا تنظيمها ، وترتيب قانونها ، عزل عن ولاية سورية . وجاء بعده حمدي باشا في أوائل سنة ست وتسعين ومائتين وألف فكتب الحجر الذي على باب المكتبة باسمه . فكم ساع لقاعد سنة الله في خلقه ! والمكتبة المذكورة مفتوحة الباب للمطالعين . وزاد أهل الخير في كتبها ما هو قريب من الأصل . وكان بهذه المدرسة دار حديث ، بين ايوان الحنفية القبلي وايوان الشافعية الشرقي ؛ وقد صارت بيتا منذ التسعمائة والى الآن .

ودرس بها كثير من المدرسين منهم : اليونيني المحدث المشهور ، وعمر الربعي الفارقي ، وابن بنت الأعز ، والصفي الهندي ، وابن الزملكاني ، والقلانسي ، وابن قاضي الزبداني ، وابن الشهيد ، وابراهيم اللوري ، وأحمد بن غنيمة الواسطي ، وغيرهم من المشاهير .

ومن وقف هذه المدرسة : الحصص بالقنيطرة ، ثم كفر عاقب ، والصرمان بكمالها ، والأشرفية قبلي دمشق ، ونصف قرية الاسطبل بالبقاع ، ونصف الطرة والبستان بالصالحية .

ترجمة واقفها المنسوبة اليه

الملك الظاهر بيبرس ٦٢٠-٦٧٦

هو السلطان ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي ، صاحب الفتوحات، وهو الرابع من ملوك الترك . قال في « تحفة الناظرين » : أصله تركي ، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه . ولا زالت الأقدار تساعده ، حتى وصل الى ما وصل . وكان ملكا شجاعا مقداما ، يباشر الحروب بنفسه ، له مع التتار الوقائع الهائلة ثم الافرنج . وقد بنى مدرسة بالقاهرة تجاه المارستان عام اثنتين وستين وستمائة ؛ وتم البناء في سنة سبع . وقد تقلب الزمان على مدرسته بالقاهرة ، الى أن جعلها الافرنج قلعة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف حينما استولوا على مصر وذلك لمتانتها وصلابتها واتقان بنائها ، وقطعوا ما حولها من الأشجار ، وهدموا الأبنية التي كانت بينها . وبنى أيضا قناطر أبي المنجى بالقليوبية ، وقناطر السباع بطريق مصر ، وغير ذلك من قلاع وحصون وقناطر وخانات ، بالشام وغيرها . وأكمل عمارة المسجد النبوي من الحريق . وله فتوحات كثيرة : فتح النوبة ودنقلة ، ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها .

وملك قيسارية ، ولبس التاج ، وضربت باسمه الدنانير والدراهم ، وجدد عمارة جامع الأزهر بعد أن خرب . وله صدقات وأوقاف كثيرة . ولما خرج الى قتال التتار ؛ استفتى العلماء في أخذ أموال من الرعية ، فأفتوه الا النووي فانه امتنع ، وكلمه كلاما شديدا ؛ فغضب منه ، وأمره بالخروج من الشام ؛ فخرج الى بلده نوى . ثم رسم له بالرجوع ، فقال : لا أدخلها والظاهر بها . وفي أيامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية ، فكان أول خليفة بمصر المستنصر ، دخلها سنة تسع وخمسين وستمائة ، فاجتمع بالملك الظاهر ، وأثبت نسبه عند قضاة الشرع ، وبايعه بالخلافة ، وأجرى عليه نفقة ، وليس له من الأمر الا اسم الخليفة ، وأولاده من بعده على هذا المنوال يأتون الى السلطان الذي يريدون توليته ، ويقولون : وليناك السلطنة . هكذا كانوا يفعلون ، ويتلقبون بألقاب الخلفاء ، وكان سلاطين الأقاليم تتبرك بهم ، ويرسلون لهم احسانا ، ويطلبون السلطنة باللسان ؛ فيكتبون لهم تقليدا . وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب الملقب بالمتوكل . ولما افتتحت الدولة العثمانية مصر أخذه معه فاتحها السلطان سليم متبركا به . فلما مات السلطان سليم ، عاد الى مصر الى أن توفي بها سنة خمسين وتسعمائة ، وبموته انقطعت الخلافة العباسية . والذي حكاه في « تحفة الطالب » في ترجمة الملك الظاهر ، أنه ولد في حدود العشرين وستمائة ، وقال : اشتراه الأمير علاء الدين البندقداري ، فقبض الملك الصالح عليه ، وأخذ بيبرس منه ، وطلع شجاعا ضاريا شهد وقعة المنصور ، وكان أميرا في الدولة المعزية ، ثم صار من أعيان البحرية ، وولي السلطنة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، قال : ولولا ظلمه وجبروته في بعض الأحايين ، لعد من الملوك العادلين . توفي في اليوم الثامن والعشرين من محرم ، سنة ست وسبعين وستمائة ، بقصره الأبلق بدمشق ، وخلف من الأولاد : السعيدمحمد، وشلامش ، والخضر ، وسبع بنات . وكان بيلبك قد أخفى موته ، وخرج من دمشق الى مصر بمحفة ، يوهم أن الظاهر بها ، الى أن دخل مصر ، فسلطن الملك السعيد .

الملك السعيد

الملك السعيد
٦٥٦–٦٦٨

قال في « تحفة الطالب » : ميلاده في حدود ست وخمسين وستمائة بظاهرالقاهرة . وتملك بعد أبيه سنة ست وسبعين وستمائة .

قال في « العبر » : وكان شابا مليحا ، حسن الطباع ، فيه عدل ولين واحسان ،

ومحبة للخير . وفي سنة سبع وسبعين وستمائة ، قدم دمشق ، وعملت القباب ، ودخل القلعة ؛ فأسقط ما وظفه أبوه على الأمراء ؛ ففرح الناس به ، ودعوا له . ثم خلع نفسه في سنة ثمان ، وقنع بالكرك . ورتبوا أخاه شلامش في السلطنة وعمره سبع سنين. ثم خلعه أتابكه سيف الدين قلاوون ، ولقب نفسه بالملك المنصور . ثم توفي الملك السعيد شبه فجأة بعد أن أقام شهرا في قلعة الكرك ، ثم نقل بعد شهر الى مقبرة والده ، ودفن بجانبه . وتملك الكرك أخوه خضر بعده . وفي « أخبار الدول للاسحاقي » : أن الملك السعيد توفي سنة ثمان وستين وستمائة ؛ وكان تصرفه في الملك سنتين وثلاثة أشهر . وفي « تحفة الناظرين » : سنتين وثمانية أشهر . ولعل الأول أصح . وحكى المؤرخون سبب خلعه نفسه ، فقالوا : انه لما أتى دمشق ، جرد العسكر منها صحبة سيف الدين قلاوون الصالحي ، وتبعه في تجريد العسكر صاحب حماه . فساروا حتى وصلوا بلاد سيس ، فشنوا الغارة عليها ، وغنموا . وعادوا الى جهات دمشق ؛ فاتفقوا على مخالفة الملك السعيد، وخلعه من المملكة لسوء تصرفه وتدبيره . وعبروا على دمشق ولم يدخلوها . فأرسل السعيد وهو في دمشق اليهم يستعطفهم ؛ فلم يلتفتوا الى استعطافه ، وأتموا السير . فركب الى مصر يحث السير ، فسبقهم اليها ، وصعد الى قلعة الجبل . فحاصره الخارجون عن طاعته ، وأخذت عساكره بالتفرق عنه ، والانضمام الى أعدائه . فلما رأى ضعف نفسه ، خلعها بشرط أن يعطى الكرك . فأجيب الى ذلك ، وأرسل من وقته اليها . فمات بها بعد مدة قليلة . وكان سنه حين تولي الملك ثماني عشرة سنة .

حرف العين

المدرسة (العادلية الكبرى)

هي داخل دمشق ، شمالي الجامع الى الغرب ، وشرقي الخانقاه الشهابية ، وقبلي الجاروخية بغرب ، وتجاه باب الظاهرية يفصل بينهما الطريق .

قلت : هي الآن معروفة . وأما ما كان بجوارها فقد قضي عليه بالاندراس ؛ وتناولته أيدي المختلسين ، فأما الخانقاه الشهابية ، فهي التي بابها مقابل للزقاق المسمى قديما بزقاق اللاقية ، وهو الذي يتوصل منه الى سوق العصرونية . والباب باق على حاله ،

والخانقاه أصبحت بيوتا للسكنى ! وأما الجاروخيــة فهي الآن دور ولا رسم للمدرسة ولا طلل !

وحكى عماد الدين الكاتب سبب بنائها فقال : وفي سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وصل الفقيه الامام الكبير قطب الدين النيسابوري ، وهو فقيه عصره ونسيج وحده ؛ فسر نور الدين به ، وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق . ثم أطلقه الى دمشق ؛ فدرس بزاوية الجامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي وبالغزاليــة ؛ ونزل بمدرسة الجاروق . وشرع نور الدين في انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله ؛ وأدركه الأجل دون ادراك عملها لأجله .

قال أبو شامة في « الروضتين » : قلت : هي المدرسة العادلية الآن التي بناها بعده الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، أخو صلاح الدين ، وفيها تربته . وقد رأيت أنا ما كان بناه نور الدين ومن بعده منها ، وهو موضع المسجد والمحراب الآن . ثم لما بناها الملك العادل ، أزال تلك العمارة ، وبناها هذا البناء المتقن المحكم الذي لانظير له في بنيـان المدارس . وبقي قطب الدين الى أن توفي في الأيام الناصرية في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . وقد وقف كتبه على طلبة العلم ؛ ونقلت بعد بناء هذه المدرسة اليها ؛ فما فاتها ثمرته اذ فاتها مباشرته . انتهى . فعلم من كلامه أن المبتدىء بانشائها نور الدين ، وأن الذي أتمها وأتقن بناءها الملك العادل . وفي كلام القاضي ابن شداد ما يخالفه بعض المخالفة ، فانه قال: أنشأها نور الدين محمود بن زنكي ، وتوفي قبل أن يتمها . ثم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين ، ومات قبل اتمامها أيضا . فأتمها الملك المعظم ، وأوقف عليها الأوقاف التي منها الى الآن : جميع قرية الدريج ، وجميع قرية ركيس ، وثلث قرية نبطا ، والباقي استولى عليه ، لتقادم العهد ، بعض أصحاب الشوكة بطريق ما من طرق الحيل . قال ابن شداد : ثم ان الملك المعظم دفن والده بها ، ونسبها اليه . وبمثل قول العماد ، قال الأسدي وابن كثير . ولا مانع من أن يكون العادل هو الذي بناها . ثم توفي، وجاء بعده ابنه المعظم فأكمل ما تركه والده .

وقد نعت ابن بطوطة هذه المدرسة في « رحلته » فقال ، عند كلامه على مدارس الشافعية : وللشافعية بدمشق جملة من المدارس : أعظمها العادلية ، وبها يحكم قاضي القضاة . وتقابلها المدرسة الظاهرية ، وبهـا قبر الملك الظاهر ، وبها جلوس نواب القاضي . انتهى

وأول من درس بها القاضي جمال الدين المصري . وكان درسا عظيما ؛ حضر عنده السلطان المعظم ، فجلس في الصدر عن شمال المدرس ، وجلس الجلال الحصري عن يمينه ، ثم انتظم الجمع من مثل ابن الصلاح ، والآمدي ، وابن سني الدولة ، وكثير من العلماء والأمراء والكبراء ، حتى امتلأ الايوان بالناس . وكانت هذه عادة الدروس الرسمية في تلك الأزمان . وكانت المناقشات والمناظرات تدور على أصولها ويشتد الخلاف بين الفرق . وقد بقيت بقية من تلك العادة الى زمننا هذا . ولكن صار التدريس اسما بلا جسم ، وجهلا بلا علم ، فلا مناقشات ولا مناظرات ، بل غاية أمر المدرس أن يستأجر من يؤلف له الدرس ، ثم يسرده ولايفهم معنى ما يقول . وفي ترجمة ابن خلكان ، أنه قرأ « صحيح البخاري » في العادلية ؛ وكان يحضر كثير من العلماء منهم : جمال الدين ابن مالك ؛ فاذا وجدت جملة مشكلة من جهة الاعراب ، تكلم فيها وكتبها . حتى أكمل كتابه في « اعراب مشكل البخاري » ، وهو كتاب عظيم الفائدة .

وحكى ابن كثير في « تاريخه » أن العادلية خربت سنة أربع وسبعمائة . ويظهر من كلامه أنها كانت قبلها معطلة . ولم يكن أحد يحكم بها بعد واقعة قازان حيث أنه خربها . ثم في التاريخ المذكور : جددت عمارتها ، فعادت لها أيامها ، ثم انحطت عقب وقائع تيمورلنك ، فخلت من المدرسين ، وتناولتها أيدي المختلسين ، كما أشار اليه ابن قاضي شهبة فانه يقول : ومن وقائع تيمورلنك الى زمنه ، يعني سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، لم يدرس بها أحد . انتهى. وكان جملة من درس بها من قبل تسعة عشر مدرسا . وأنشأ الواقف بها مشيخة اقراء ونحو ؛ وليها جماعات من الفضلاء . ثم تقهقرت أحوالها الى ما بعد الألف ؛ فتولاها بعض المدرسين . ثم اشتهر الشيخ شهاب الدين أحمد المنيني بالعلم والفضل ، فدرس بالسميساطية ، وجعل سكنه بها. وبسبب كثرة مخالطته للكبراء وأرباب المناصب ؛ توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ، وتولية السميساطية والعمرية. فانتقل الى العادلية ، ولم يزل بها الى أن توفي سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف . فاستولى أولاده على المدارس الثلاثة المذكورة . ثم انتقلت الى أولادهم ، الى زمن محمد أفندي المنيني مفتي دمشق . فاستولى عليهما ، واتخذ العادلية بيتا للسكنى ، وجعل مسجدها اسطبلا للدواب ، وتصرف فيها وفي أوقاف المدارس الثلاثة كيفما شاء وشاء له الهوى. ثم مات ؛ فأكمل الاستيلاء ولده توفيق أفندي . وبقيت الى الآن ، أعني الى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الألف تحت سيطرته ونفوذه . وفي أيامنا ، جعل مسجدها

مخزنا لبيع الفحم ، واتخذ أعـوانه ، ممن يعيشون من أكل أموال الأوقـاف ، سلاحا للمدافعة عنها ليعينهم ، هو وشيعته ، على المدافعة عما اختلسوه من الأوقاف . «وان ربك لبالمرصاد» آية ١٤/٨٩ . «ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون» آية ٤٢/١٤

ترجمـة بانيهـا

الملك العادل سيف الدين ٥٤٠-٦١٥

٥ قد علم مما تقدم أن باني المدرسة هو الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي(١) . ولد ببعلبك أيام ولاية أبيه عليها ، ونشأ في خدمة نور الدين مع أبيه . وكان أخوه صلاح الدين يستشيره ، ويعتمد عليه وعلى رأيه وعقله ودهائه . ولم يكن أحد يتقدم عليه عنده . ولما تسلطن صلاح الدين ، استخلف أخاه العادل بمصر ثقة به واعتمادا عليه ، وعلما بما هو عليه من توفر العقل وحسن السيرة .

١٠ فلما توفي صلاح الدين ؛ ملك دمشق ، وبقي مالكا لها . وفي سنة أربع عشرة وستمائة ، قام الافرنج لمحاربته ؛ فقصد هو مرج الصفر . فلما سار الافرنج الى ديار مصر ، انتقل الى عالقين فأقام بها ، ومرض الى أن توفي سنة خمس عشرة وستمائة ، ودفن بتربته في مدرسة العادلية . وكان ، على ما حكاه في ترجمته ابن الأثير في «الكامل» ، عاقلا ذا رأي سديد ومكر شديد وخديعة ، صبورا حليما ذا أناة ، يسمع ما يكره ويغض عليه حتى

١٥ كأنه لايسمعه ، كثير الحرج وقت الحاجة ، لايقف في شيء ، واذا لم تكن حاجة ، فلا . وعاش خمسا وسبعين سنة وشهورا . وملك دمشق سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ومصر سنة ست وتسعين . وكان قد قسم في حياته البلاد بين أولاده : فجعل بمصر الكامل محمدا ، وبدمشق والقدس وطبرية والأردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ، ابنه المعظم عيسى ، وجعل بعض ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط وأعمالها لابنه الملك

٢٠ الأشرف موسى ، وأعطى الرها لولده شهاب الدين غازي ، وأعطى قلعة جعبر لولده الحافظ أرسلان شاه . فلما توفي ، ثبت كل منهم في مملكته ، واتفقوا اتفاقا حسنا ، ولم يجر بينهم من الاختلاف ما كان يجري بين أولاد الملوك بعد آبائهم . بل كانوا كالنفس الواحدة ، كل منهم يثق بالآخر ، ويحضر عنده منفردا من عسكره ولايخافه . فلا جرم زاد ملكهم ، ورأوا من نفاذ الحكم والأمر ما لم يره أبوهم . وستأتي زيادة على هذا عند

٢٥ الكلام على التربة العادلية ، وفي القسم السياسي من هذا الكتاب .

---

(١) كذا في الأصل وقد وردت «شادي بالدال» في «أمراء دمشق في الاسلام» لصلاح الدين الصفدي.

المدرسة (العادلية الصغرى)

هي داخل باب الفرج ، شرقي باب القلعة الشرقي ، قبلي الدماغية والعمادية . كذا عرفها في « تحفة الطالب » . وأما الآن فلا أثر للدماغية ولا للعمادية الا بعض جدران لم تقو الحوادث على مصادمتها . والمدرستان صارتا دورا للسكنى . والعادلية الآن في سوق العصرونية في جانبه الشمالي . ولم يبق بها الا حجرتان في مدخلها ، وبركة ماء في ساحتها ، وايوانان : اتخذ أحدهما للصلاة ، والثاني لاقراء الصغار القرآن . وأصل انشائها أن بابا خاتون بنت أسد الدين شيركوه كانت اشترت داراً وحماما وقرية كامد ، وحصة من قرية برقوم من أعمال حلب ، وحصة من قرية بيت الدار . ثم وقفت ذلك جميعه على نفسها أيام حياتها ، ثم من بعدها على ابنة عمها زهرة خاتون بنت الملك العادل؛ مشترطة عليها أن تكون الدار مدرسة ، ومدفنا ، ومواضع للسكنى ، وأن يكون للمدرسة مدرس ، ومعيد ، وامام ، ومؤذن ، وبواب ، وقيم ، وعشرون فقيها . ثم تصرفت في كتاب وقفها في الجهات المذكورة ؛ فجعلت منها ما هو على مصالح المدرسة ومصارفها ، ومنها ما هو على أقاربها ومعتقيها ؛ وذلك في أوائل شهر رمضان سنة خمس وخمسين وستمائة . كذا قاله ابن قاضي شهبة . ثم ان زهرة أنشأت المدرسة على وفق شروط الواقفة ؛ فانتظمت أحوالها ، ثم نابها الزمان ، وأصابها من جور جارتها القلعة ما أصابها. ففي « مختصر تاريخ الاسلام للذهبي » أنه في سنة تسع وتسعين وستمائة ٦٩٩ دخل التتار دمشق ، وشرعوا في المصادرة والفسق ، ونهبوا الصالحية ، وسبوا أهلها ، وتغير الخلق ووقع الحريق من صاحب سيس والكفرة ، فأحرقوا جامع العقيبة وعدة أماكن ، وحاصروا القلعة ، وعملوا المنجنيق والنقوب ، فأحرق أهل القلعة دار السعادة ، وداري الحديث الأشرفية والنورية ، والعادلية ، وخربت تلك المحلة ، وبقي باب البريد اسطبلاً فيه الزبل نحو ذراع . انتهى . وحاصل القول : ان العادليتين الآن قد استعملتا في غير ما وضعتا له . ودرس بالعادلية المذكورة شرف الدين ابن نعمة المقدسي ، ثم بعده نحو اثني عشر مدرسا ، آخرهم أحمد بن صالح العدوي الزهري البقاعي المتوفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة .

ترجمة بانيها

بابا خاتون بنت أسد الدين

تقدم أن العادلية كانت دارا لرجل يقال له : عبدان الفلكي . فاشترتها بابا خاتون بنت أسد الدين شيركوه ، ثم أوقفتها مدرسة . ولم نظفر بترجمة لبابا المذكورة .

وأسد الدين هذا كان عما للسلطان صلاح الدين . واستوزره السلطان نور الدين محمود ابن زنكي على مصر ، ولقبه بالملك المنصور أمير الجيوش . وأرسل اليه أمير المؤمنين العاضد منشور الوزارة وهو الذي استخدم القاضي الفاضل في الكتابة . وهنأه العماد الكاتب بقصيدة طويلة أولها :

٥ بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب ... كم راحة جنيت من دوحة التعب

وهي طويلة رواها صاحب الروضتين . وتوفي أسد الدين فجأة سنة أربع وستين وخمسمائة . وكانت وزارته شهرين وخمسة أيام . وفوض الأمر بعده في مصر الى ابن أخيه صلاح الدين .

المدرسة (العذراوية)

١٠ كانت بحارة الغرباء داخل باب النصر ، وفيها باب ينفذ اليها . وهي وقف على الشافعية والحنفية . كذا في « تحفة الطالب » .

أقول : هذه المدرسة هي بالقرب من القجماسية ، غربي حمام الست عذرا ، في أوائل الزقاق المسمى بزقاق المبلط . وقد صارت الآن دارا ؛ ولم يبق من أثرها سوى قبر الواقفة . ومحل قبرها استعمل زاوية ، يجمع بها سكان الدار النساء في أيام ١٥ معلومة ويضربون هناك الطبول والمزاهر . ويزعمون أنها طريقة المحيا . وللقبر شباك ينفذ الى حمام الست عذرا . ولولا وجود القبر ، لما علمنا مكانها ولا اتضح لنا أثرها .

ترجمة الواقفة

الست عذراء بنت صلاح الدين ٠٠٠-٥٩٣

هي الست عذراء بنت السلطان صلاح الدين يوسف . توفيت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ودفنت في مدرستها . وكانت تحب الخير وتدأب على فعله . ولأهل دمشق ٢٠ اعتقاد كبير ، حسب عادتهم ، في القبور وتعظيمها ونسبة الولاية لأصحابها . وأول من درس بمدرستها : الفخر بن عساكر ، ثم بعده ثمانية وعشرون مدرسا . ثم تقلبت بها الأحوال الى أن صارت دارا .

وقيل : ان الست عذراء هي بنت الأمير نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أخي السلطان صلاح الدين والأول أصح والله أعلم .

المدرسة (العزيزية)

كانت شرقي التربة الصلاحية، وغربي التربة الأشرفية، وشمالي الفاضلية بالكلاسة، لصيق الجامع الأموي. وقد أصبحت الآن مجهولة الأثر، لايعرف محلها، ولا يدرى مقرها. وأول من أسسها: الملك الأفضل؛ ثم أتمها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين، ونقل والده الى قبة في جوارها. قال العماد الكاتب في رسالته التي سماها «عتبى الزمان»: كان السلطان صلاح الدين لما توفي بالقلعة في منزله؛ جعل ولده الأفضل يتروى في موضع ينقله اليه. واستشار في ذلك؛ فأشير عليه في سنة تسعين بأن يبني تربته عند مسجد القدم، ويبني عندها مدرسة للشافعية. وقالوا: اذا وصل الملك العزيز، استغنى بزيارتها عن الدخول الى دمشق لأجلها. وقالوا: ان السلطان لما مرض سنة احدى وثمانين بحران، كان قد أوصى أن يدفن بدمشق قبلي ميدان الحصى، ويكون قبره على النهج السائل وطريق القوافل؛ ليدعو له الوارد والصادر، والبادي والحاضر، وتجوز عليه في الغزوات العساكر. قالوا: وان تناءت الأرض عن مكان الوصية، فهي منه قريبة. فأمر الأفضل ببناء التربة عند مسجد القدم. قال: فاتفق وصول العزيز تلك السنة للحصار؛ وهم قد شرعوا في عمارتها؛ فخرب ما كان قد ارتفع من البناء. ثم استقرأ الأفضل حدود الجامع ليجعل التربة فيها. فوفق لدار كانت لبعض الصالحين. فاشتراها منه، وأمر بعمارتها قبة، فعمرت ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة. ويقال: انه دفن معه سيفه الذي كان معه في الجهاد؛ وكان ذلك برأي القاضي الفاضل. وقال في «العبر»: وكان للأمير اسامة دار بجنب تربة صلاح الدين، فأمر الملك العزيز القاضي محي الدين ابن الزكي أن يبنيها له مدرسة، ففعل. وفي «الروضتين»: أن العزيز أوقف عليها قرية عظيمة يقال لها: محجة. وأسامة هذا هو ابن مرشد بن علي بن منقذ، أحد الأمراء والشعراء المشهورين. كانت داره معقلا للفضلاء، ومنزلا للعلماء. وهو ذو فضل كثير، وعلم غزير. كان من أبناء ملوك شيزر. وأقام بمصر أيام الفاطميين؛ ثم دخل دمشق، فاحتفل به صلاح الدين، وفضله على سائر الدواوين. وكان في أيام شبابه شهما شجاعا فاتكا، توفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة وسنه ست وتسعون.

أسامة بن منقذ (١) ٤٨٨-٥٨٤

(١) أثبته المؤلف على الحاشية فأوردناه للأمانة العلمية.

ترجمة واقفها

الملك العزيز
ابن صلاح الدين
٥٦٧-٥٩٥

هو أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين . توفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة بداره بالقاهرة . ولما مات والده ، كان نصيبه القاهرة ؛ فملكها خمس سنين وعشرة أشهر . قال موفق الدين عبد اللطيف البغدادي : كان الملك العزيز شابا حسن الصورة، ظريف الشمائل ، قويا ذا بطش زائد وخفة حركة ، حيياً كريما ، عفيفا عن الأموال والفروج . ا.هـ. وفي « العبر » أن العزيز لما كان سلطانا على مصر ، نازعته نفسه بامتلاك دمشق من أخيه الأفضل فسار سنة تسعين وستمائة ، فنزل بنواحي ميدان الحصى. فأرسل الأفضل الى عمه العادل ، صاحب الديار الجزرية ، يستنجده ؛ وكان يثق به ، ويعتمد عليه . فسار العادل الى دمشق ، ومعه كل من أصحاب حلب وحماه وحمص والموصل ، علما منهم أن العزيز ان ملك دمشق أخذ بلادهم . فلما رأى العزيز اجتماعهم، علم أنه لاقدرة له على البلد . فترددت الرسل حينئذ بالصلح ؛ فاستقر الأمر على أن يكون البيت المقدس وما جاوره من أعمال فلسطين للعزيز ، وتبقى دمشق وطبرية وأعمالها الغور للأفضل ، على ما كانت عليه ، وأن يعطي الأفضل أخاه الملك الظاهر جبلة ولاذقية ، وأن يكون للعادل بمصر اقطاعه الأول . واتفقوا على ذلك ؛ وعاد كل الى مقره. ثم حاصر دمشق مرة ثانية في سنة احدى وتسعين ؛ وعاد عنها منهزما ، لما ذكرناه في القسم السياسي . ولما مات العزيز ، أقيم ولده على مقامه ولقب بالمنصور . فاختلف الأمراء عليه ، ولم تنتظم أحواله ، وكان من أمره ما كان ، حتى ملك العادل البلاد .

والمدرسة العزيزية كانت ذات شهرة وافرة ؛ درس بها القاضي محي الدين ابن الزكي، ثم ولده ، ثم أخوه ، ثم من بعدهم اثنا عشر مدرسا منهم : عبد الصمد بن محمد الشهير بابن الحرستاني ، وقد كان العز بن عبد السلام يرجحه على الفخر ابن عساكر . ومنهم: شيخ المتكلمين في زمنه سيف الدين علي الآمدي ، درس بالعزيزية مدة بتولية من الملك المعظم ، ولما ولي أخوه الأشرف موسى ؛ عزله عن التدريس لأنه اتهمه بالفلسفة ، وبالاشتغال بعلوم الأوائل . ونادى الأشرف في المدارس قائلا : من ذكر غير التفسير والفقه ، أو تعرض لكلام الفلاسفة ، نفيته ! فأقام الآمدي خامدا خاملا في بيته ، الى أن توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة .

وقال الذهبي : أقرأ الآمدي بمصر مدة فنسبوه الى دين الأوائل ، وكتبوا محضرا

بباحة دمه ؛ فهرب وسكن حماة ثم دمشق . ولم يكن له نظير في الأصلين والكلام والمنطق . انتهى

وهذه عادة الدهر مع الأفاضل . على أن الآمدي كان من حقه أن يفتخر زمنه به ، ويباهي به الأزمان التي بعده . ومن تأمل مؤلفاته ، وما انطوت عليه من التحقيقات ؛ أذعن لذلك ، ولله في خلقه شؤون . ٥

المدرسة (العصرونية)

داخل بابي الفرج والنصر ، شرقي القلعة ، وغربي الجامع ، بمحلة حجر الذهب عند سويقة باب البريد . كذا في « التحفة » وغيرها .

أقول : هي الآن بسويقة العصرونية ، في الجانب القبلي منها ، وهي مشهورة ، والسويقة مسماة باسمها . وقد تناولتها أيدي المختلسين حينا من الدهر ؛ ثم قيض الله ١٠ لها من استخلص بعضا منها ، وجعله جامعا . وليس بها الآن سوى بركة ماء في ساحتها ، وايوان للصلاة في الجانب القبلي . والمدرسة ينزل اليها بدرج . وباقيها قد صارت حوانيت للبيع والشراء .

قال ابن كثير : هي مقابل دار الباني ، بينهما عرض الطريق . وقد صارت داره الآن قيسارية العمارة للغير ، والأرض لذريته لا للمدرسة . وبقي الى الآن آثار عمارته ١٥ خرابا . انتهى

قلت : أما القيسارية فهي الآن خان للدواب . ومن وقف المدرسة : عشرة قراريط ونصف قيراط من قرية هريرة . ومنه ببعلبك مزرعتان معروفتان بدير النيط ، وقدرهما نحو عشرة قراريط ، شركة الخانقاه السميساطية . ومنه : مزرعة تعرف بالجلدية ، نحو أربعة عشر قيراطا ، كان أهل الجعيدية يزرعونها . ومنه : قيراط ونصف وربع قيراط ٢٠ من قرية حمار بالمرج . ومنه : بالتابتية خارج باب الجابية بدمشق بستان يعرف بالسنبوسكي . وشرط الواقف أن لا يزيد فقهاؤها على عشرين فقيها من الشافعية وغيرهم ، وأن التدريس لذريته ، ويستناب عمن لم يكن أهلا له ، وأن يدرس بها من تصانيفه ، فان تعذرت يكون التدريس في الخلاف . وجعل لأرباب الوظائف قدرا معلوما من القراطيس . قال في «التنبيه» : كذا أخبرني من رأى كتاب الوقف من ذرية الواقف. ٢٥

درس بها ولداه : نجم الدين ، ومحي الدين ، وجماعات من الذرية . قال العلموي :
وكأنه ، والله أعلم ، لما انقطعت الذرية من العلم ؛ تخلل بينهم في التدريس من ليس من
الذرية ، كأحمد بن نصر الله ، وشمس الدين بن غانم ، وجمال الدين القلانسي ، فولده
أمين الدين ، وأمثال من يأكلون حراما . وقد كان ذلك سائغا لو تعذرت الذرية . انتهى

ترجمة الواقف

شرف الدين ابن أبي عصرون ٤٩٢-٥٨٥

هو عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عصرون بن أبي السري
التميمي الموصلي نزيل دمشق . ٥

قال الذهبي : كان أحد الأعلام ، وكان من الصلحاء ، والعلماء العاملين . ولد بالموصل
سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين وأربعمائة .

وقال ابن السبكي في « الطبقات الوسطى » : كان من أفقه أهل عصره ، واليه المنتهى
في الفتاوى والأحكام . تفقه على أبي محمد عبد الله ابن أبي القاسم الشهرزوري ، ١٠
والقاضي أبي علي الفارقي ، وأسعد الميهني ، وغيرهم ، وقرأ الاصول على ابن برهان ، وتفقه
عليه خلق كثير ، وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

وقال الأسدي : قرأ بالسبع وبالعشر ، وتوجه الى واسط ، فتفقه بها واشتغل بالنحو ،
ورجع الى بلده بعلم كثير ؛ وأخذ يدرس به . ثم أقام بسنجار وولي قضاءها ، وقضاء
نصيبين وحران وغيرهما . ١٥

قال السبكي : ودخل حلب ، فأقبل عليه ملكها نور الدين . فلما انتقل الى دمشق
سنة تسع وأربعين ؛ صحبه معه ، وولاه تدريس العادلية . ثم انتقل الى حلب ، وولي
القضاء بسنجار وحران وديار ربيعة . ثم عاد الى دمشق في سنة سبعين أيام صلاح
الدين ؛ فولاه قضاء دمشق ، واستمر فيه الى سنة سبع وسبعين ، فأضر . فولى صلاح
الدين قضاء دمشق لولده محي الدين . ٢٠

قال الشيخ موفق الدين ابن قدامة : كان ابن أبي عصرون امام أصحاب الشافعي في
عصره . وقد بنى له نور الدين مدرسة بحلب ، ومدرسة بحمص ، ومدرسة ببعلبك .
وقد بنى هو لنفسه مدرسة بدمشق ، ودفن بها .

قال ابن الصلاح : توفي وقد بلغ ثلاثا وتسعين سنة . انتهى

وقد صنف كتبا جمة منها : « صفوة المذهب من نهاية المطلب » في سبع مجلدات ، و « الانتصار » في أربع مجلدات ، و « المرشد » في مجلدين ، و « الذريعة في معرفة الشريعة » ، و « التبيين في الخلاف » في أربعة أجزاء ، و « مأخذ النظر » ، و « مختصر في الفرائض » ، و « الارشاد في نصرة المذهب » لم يتم ، وذهب فيما نهب له بحلب ، و « التنبيه في معرفة الأحكام » ، و « فوائد المنذري » في مجلدين . وجمع جزءاً في « جواز قضاء الأعمى » . وقد أورد له العماد الكاتب أشعارا كثيرة منها :

أ آمـل أن أحيا وفي كـل ساعة	تمر بي الموتى تهـز نعوشهـا !
وهل أنا الا مثلهـم غـير أن لي	بقـايا ليال في الزمان أعيشها ؟

ومما ينتظم في سلك هذه الترجمة ؛ ما حكاه في « الروضتين » عن الدولعي ، قال : لما مات الحافظ المرادي كنا ، جماعة الفقهاء ، قسمين : العرب والأكراد . فمنا من مال الى المذهب ، وأراد أن يستدعي الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون وكان بالموصل . ومنا من مال الى علم النظر والخلاف ، وأراد أن يستدعي القطب النيسابوري وكان قد جاء وزار بيت المقدس ، ثم عاد الى بلاد العجم . فوقع بيننا كلام بسبب ذلك ، ووقعت فتنة بين الفقهاء . فسمع نور الدين بذلك ؛ فاستدعى جماعة الفقهاء الى القلعة بحلب. وخرج اليهم مجد الدين ابن الداية عن لسانه ، وقال لهم : نحن ما أردنا ببناء المدارس الا نشر العلم ، ودحض البدع من هذه البلدة ، واظهار الدين . وهذا الذي جرى بينكم لايحسن ولا يليق . وقد قال المولى نور الدين : نحن نرضي الطائفتين ، ونستدعي ابن أبي عصرون والنيسابوري . فاستدعاهما جميعا ، وولاهما مدرستين . فرحمه الله مـن عادل حليم .

المدرسة (العمادية)

داخل بابي الفرج والفراديس ، لصيق المدرسة الدماغية من جهة القبلة . كذا كان تعريفها . وقد اندرست معالمها ، واختفى أثرها ، وتنوسي ذكرها ، وصارت دوراً للسكنى.

واختلف في بانيها ؛ فقال ابن شداد : بناها عماد الدين اسماعيل بن نور الدين ، وأوقف عليها الأوقاف السلطان صلاح الدين . انتهى . ورده النعيمي فقال : انما الذي بناها نور الدين محمود بن زنكي لأجل خطيب دمشق أبو البركات الخضر بن شبل

الحارثي . وقال الذهبي في ترجمة الحارثي : درس بالغزالية ، والمجاهدية ، وبنى له نور الدين محمود مدرسته التي عند باب الفرج فدرس بها ، وهي الآن تعرف بالعمادية .
وقال أبو شامة في « الروضتين » في حوادث سنة اثنتين وستين وخمسمائة : وفي شعبان من هذه السنة قدم دمشق عماد الدين الكاتب أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني مصنف كتابي « الفتح » و « البرق » . فأنزله كمال الدين أبو الفضل محمد ابن عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري بالمدرسة النورية الشافعية عند حمام القصير بباب الفرج ، المنسوبة الآن الى العماد . وانما نسبت اليه ؛ لأن نور الدين رحمه الله ولاه اياها في رجب سنة سبع وستين ، بعد الشيخ الفقيه ابن عبد . وقال الذهبي قريبا من هذا . وهذا يصحح أن المدرسة بناء نور الدين . ودرس بها جماعة منهم : الحارثي ، وولداه : عز الدين ، وتاج الدين ، وعماد الدين الكاتب ، وغيرهم الى أن غدت تنشد قول العماد :

عماد الدين الكاتب ٥١٩-٥٩٧

يوم النوى ليس من عمري بمحسوب	ولا الفراق الى عيشي بمنسوب
ما اخترت بعدك لكن الزمان أتى	كرها بما ليس يا محبوب محبوبي

وحكى النعيمي أنه وقف على قائمة بخط تقي الدين ابن قاضي شهبة تتضمن محاسبة أوقاف العمادية ، مؤرخة في سنة خمس وستين وثمانمائة . والقائمة ذكرها بتمامها . وبها من الأوقاف : حانوت بجوار المدرسة ، وعلوه طبقة ، ومحاكرة المزرعة المعروفة بالعمادية بقصر اللباد بالقرب من حارة السليماني ، ومحاكرة نصف المزرعة بالوادي التحتاني وتعرف بالدماغية ، ومحاكرة الجنينة،ومحاكرة كل من ثلاثة من الديار، ومحاكرة حوانيت قد ذكر أسماء أصحابها ، وليس الآن لذكرهم فائدة لتغير الأسماء والمسميات . ويظهر من القائمة أنه كان بها يومئذ عشرة من الفقهاء يتناولون معلومهم، وانها كانت عامرة ، ولها مدرس ، وامام ، وبواب ، وقيم ، فسبحان الباقي !

حرف الغين

المدرسة (الغزالية)

هي زاوية بالجامع الاموي ، شمالي مشهد عثمان . وكانت قبل ذلك تعرف بالشيخ نصر المقدسي. وانما نسبت الى الغزالي لأنه لما دخل دمشق، قصد الخانقاه السميساطية

ليسكنها ؛ فمنعه الصوفية الذين كانوا بها يومئذ من الدخول لعدم معرفتهم به . فعدل عنها ، وأقام بهذه الزاوية بالجامع . وبعد يسير من استقراره بها ، عرف مقامه ومنزلته، وعلم مكانه . فحضر الصوفية بأسرهم اليه ، وأخذوا في الاعتذار عما بدر منهم ، وسألوه النزول بالسميساطية ، فأجابهم لطلبهم ، فعرفت الزاوية به . أخبر بذلك ابن شداد عند كلامه على الزوايا التي هي بالجامع . ٥

قال ابن كثير : هذه الزاوية يقال لها : الغزالية ، وتعرف بزاوية الدولعي ، وبزاوية القطب النيسابوري ، وبزاوية الشيخ نصر . وكان نصر يدرس بها احتسابا ؛ ولم يكن لها وقف . فلما درس بها الغزالي؛ وقف عليها السلطان صلاح الدين قرية خرم باللوى من حوران، وجعل ريعها على من يشتغل بها بعلم الشريعة ، أو بعلم ما يحتاج اليه الفقيه والحضر ،لسماع الدروس بتلك الزاوية ، وعلى من هو مدرسهم بهذا الموضع من أصحاب الامام الشافعي. ١٠ وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري ، وكان ذلك سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . وقد درس بها جماعة منهم : الشيخ نصري المقدسي ، والغزالي ، وابن خطيب الجامع ، والدولعي ، وأخوه ، والاسعردي ، وعماد الدين شيخ الشيوخ ، والعز بن عبد السلام ، ثم بعدهم عشرون مدرسا منهم : الايكي ، ومحمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران في سنة ثلاثين وسبعمائة . ثم تغيرت أحوالها . قال الاسدي : ومن تيمورلنك الى الآن ، يعني ١٥ الى زمنه ، لم يدرس بها أحد . قلت : وفي زمننا فقدان التدريس بها من باب أولى !

حرف الفاء

المدرسة (الفارسية)

هي والتربة بها ، غربي الجوزية الحنبلية ، تجاه الخارج من باب الزيادة ، وهو الباب القبلي للجامع . والجوزية في زمننا محكمة . ٢٠

وأقول : وقفت على آثارها فلم أر شيئا من المدرسة . وهناك جامع صغير ، مقابل نهاية سوق السلاح ، وبه قبران ؛ وأظنه هو التربة المذكورة . وبجانبه من الغرب ، زقاق له باب قديم ، والظاهر والله أعلم أن المدرسة كانت هناك ؛ ثم تناولتها يد المختلسين فجعلتها دورا ، وأعانت الدهر على محو الاثر !

ترجمة واقفها

سيف الدين فارس

هو سيف الدين فارس الدوادار التنمي ، واقف التنمية بميدان الحصى ، وواقف تربة صحنايا وغيرها . وقد أوقف هذه المدرسة سنة ثمان وثمانمائة على مدرسين ، وعلى عشرة من الفقهاء ، وعشرة من القراء ، وعلى خمسة عشر يتيما ، بشرط أنه اذا حفظ أحدهم القرآن يخرج ويقرر غيره ، وعلى تفرقة زنة ربع قنطار من الخبز في كل جمعة . وجعل مقرئين آخرين أيضا غير العشرة الاول يحضران عقيب الظهر والعصر .

قال ابن حجي السعدي : أوقف عليها حوانيت الى جانبها ، وجعلها وقفا على امام وغيره . ثم اشترى قرية صحنايا في سنة ثمان وثمانمائة باذن السلطان . وأوقفه على جهات بها ؛ فوقفه على شيخين مدرسين للعلم ، على أن يقرأ الطلبة عليهما أنواع العلوم من أهل المذاهب الاربعة . وجعل لكل شيخ في الشهر ثمانين درهما ، وللطلبة خمسة وأربعين ، وجعل عددهم عشرة . وكذلك المقرئة ، وجعل لكل منهم خمسة عشر درهما .

قال ابن حجي : وتمادى الامر الى هذا الوقت ؛ فعين من الجماعة شمس الدين الكفيري ، ونور الدين ابن قاضي ازرعات ، وتقي الدين ابن قاضي شهبة وآخرون . قال : وبلغني أنه جعل لكل يتيم خمسة عشر درهما في كل موسم وعيد ، عدا عما لهم في الشهر .

وقال الأسدي : درس في هذه المدرسة ابن حجي والطيماني سنة احدى عشرة . قال : وفي الوقف شروط للحرمين ، والفاضل بعد ذلك لذريته .

قال في « تنبيه الطالب » : ومن وقفها ، كما أخبرني به جمال الدين العدوي بوابها : ربع قرية فزارة من أعمال الجولان ، والعشر من قرية بالين بالبقاع ، وربع سوق السلاح شركة المدرسة الامينية، وبيت ابن مزلق . ومن مدرسيها : جمال الدين المصري ، ثم ولده، ثم ابن قاضي شهبة ، ثم ولده ، ثم تقي الدين ابن قاضي عجلون . ثم بدأ أمرها بالتقهقر ، الى أن اختلست هي وأوقافها ، أسوة بغيرها من المدارس .

المدرسة (الفتحية)

لم يذكر النعيمي مكانها . وقال العلموي : هي مجهولة المكان . قال النعيمي : انشأها

الملك الغالب فتح الدين

فتح الدين صاحب ماردين(١)، وبها قبر الواقف . ووقفها بالديار المصرية . وجعل نظر التدريس الى القاضي عماد الدين الحرستاني ؛ فدرس بها هو ، ثم ولده محي الدين ، ثم أخذت منه في سنة تسع وستين وستمائة ، وأعطيت لمحمد بن عبد القادر الانصاري . قال ابن شداد : درس بها الباجريقي ، ثم الحسباني . انتهى . ثم جماعات لم يحصر التاريخ أسماءهم . قلت : وقوله : ماردين ، كذا في نسخة العلموي . والذي في « التحفة » : بارين(٢) . وللواقف مدرسة ثانية ستأتي في مدارس الحنفية ، ويأتي ذكر ترجمته هناك . ٥

المدرسة (الفخرية)

كانت بين السوريين من ثمن(٣) العمارة بدمشق ، ولم يبق لها الآن من أثر .

قال ابن حجي في «تاريخه»: تكامل بناء الفخرية في سنة احدى وعشرين وثمانمائة ، وقررت فيها الصوفية ، وفوضت مشيختها للشيخ شمس الدين البرماوي شارح «البخاري»، ودرس الحنفية للقاضي الديري ، والمالكية للقاضي جمال الدين المالكي ، والحنابلة للقاضي عز الدين البغدادي ، ثم المقدسي وتولى معها تدريس المؤيدية . انتهى. ١٠

فظهر من كلامه أن التدريس في المدرسة كان عاما ، لم يختص بمذهب من المذاهب كما كان يفعله أهل القرن الخامس ومابعده ، وأن البرماوي كان شيخ الشافعية بها . ١٥

ثم قال ابن حجي : ولما فتحت أبواب المدرسة للقراءة ، بعد أن تم بناؤها ، لم يستطع بانيها فخر الدين الحضور عند المدرسين لشدة مرضه اذ ذاك ، وتمادى به الأمر في المرض الى أن مات في السنة المذكورة ، ودفن فيها في فسقية اتخذت له بعد موته .

المدرسة (الفلكية)

هي غربي المدرسة الركنية الجوانية، بحارة الافتريس ، داخل بابي الفرج والفراديس ٢٠

---

(١) كذا في الأصل وذكرها النعيمي في « الدارس » : « بارين » .

(٢) وكذلك ذكرها ابن شداد في « الأعلاق الخطيرة » : « بارين » .

(٣) تقدم شرحه .

كذا في «التنبيه» . وقال العلموي : قلت : هي بالزقاق الساكن به القاضي أكمل الدين ابن مفلح . واستفدت اسم الحارة الآن . ا.هـ

أقول : أحالنا على شيء لم يكن معروفا الا في زمنه. وأما الآن فقد اندرست الركنية، والفلكية وتلتهما الفخرية . ولم يرض الزمان أن يعطيها أما نا من أيدي المختلسين . وقد ولي تدريسها : ابن سناء الدولة ، ثم ابن قاضي شهبة ، ثم ولده صدر الدين ، ثم جماعة آخرون . قال ابن شداد : ووقفها قرية الجمان بكمالها . ٥

ترجمة واقفها

فلك الدين سليمان ٠٠٠-٥٩٩

هو شرف الدين[1] أبو منصور سليمان بن شرف بن جلدك أخو الملك العادل لأمه . قال أبو شامة : واليه تنسب المدرسة الفلكية بنواحي باب الفراديس ، وبها قبره . انتهى

١٠ توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة . وكان مقدم العسكر في الدولة الصلاحية . وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وصل عسكر من مصر الى البلاد الشامية يقدمهم فلك الدين ، ومعهم قَفَل[2] وعدة من الأمراء. فأسرى الفرنجة اليهم؛ فواقعوهم بنواحي الخليل ، فانهزم الجند ، ولم يقتل منهم أحد من المشهورين ، وانما قتل بعض الغلمان، وغنم الافرنج خيامهم وآلاتهم .

١٥

حرف القاف

المدرسة (القليجية)

كانت داخل باب شرقي وباب توما ، شرقي المسمارية ، وغربي المحراب والتربة ، وكذا شرقيها . كانت مبنية بحجر مزي منحوت . قال في « تنبيه الطالب » : قد طمست ! كذا ظهر لي أنها هي . وقال العلموي : هي بموضع يعرف بقصر الحديد ، وهي ٢٠ عندي مجهولة .

---

(١) كذا في الأصل وفي « الدارس » : « فلك الدين » . ونرجح أنه الصواب .

(٢) اسم جمع بمعنى القافلة .

قلت: ولئن كانت مجهولة في عصر التسعمائة، فلأن تكون الآن مجهولة من باب أولى. والذي يظهر من «الوافي بالوفيات» أنها كانت للشافعية. درس بها: زكي الدين ابن الكتبي، ومحمد بن علي الشهير بابن غانم، وثمانية مدرسين سواهما. هذا غاية ما اتصل بي من أخبارها.

ترجمة بانيها

٥

مجاهد الدين ابن قليج

قال ابن شداد: المدرسة القليجية والمجاهدية، بناهما مجاهد الدين بن قليج محمد ابن شمس الدين محمود(١).

المدرسة (القواسية)

قد خفي علي مكانها، وصعب علي مشاهدة أثرها بعد الفحص الشديد، لأن الزمان اغتالها، وأخنى عليها، فدرس أطلالها بيد مختلسي الجوامع والمدارس والأوقاف! ١٠

وقد قال في «تنبيه الطالب»: هي بالعقيبة الصغرى بحارة السليماني، بالقرب من مسجد الزيتونة ظاهر دمشق، خارج باب الفراديس. ا.هـ

وأقول: ان الجامع المذكور بجانب محكمة العونية الشرقي، يفصل بينهما الطريق. ولقد تأملت هناك فلم أجد لها أثرا، سوى حجارة كبيرة في بعض الجدران. وعلى كل فقد صارت دورا! ١٥

ترجمة بانيها

عز الدين ابن القواس
٠٠٠-٧٣٣

أنشأها الأمير عز الدين ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد القواس. وكان مباشرا للسر في بعض الجهات السلطانية، وله دار حسنة بالعقيبة الصغرى. فلما حضرته الوفاة، أوصى بأن تجعل تلك الدار مدرسة، ووقف عليها أوقافا كثيرة الريع

---

(١) بعد هذا الكلام في الأصل بياض قدره خمسة أسطر.

والحاصل ، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بسفح قاسيون . وأول من تولى تدريسها باذن من الواقف : العماد الكردي ، وبعده البهاء ابن امام المشهد ، ثم ستة مدرسين ، آخرهم محي الدين الناصري .

(القوصية)

تقدم الكلام عليها في دور الحديث . وليست مدرسة ، وانما هي حلقة بالجامع الأموي . قال ابن شداد : لم يعلم لها واقف . وقال جماعة : ان واقفها مدرسها ، يعني الآتي ذكره . وقيل : واقفها رجل يقال له : جمال الاسلام ، وهو أحد الأمراء . وعينها النعيمي بأنها تجاه البرادة .

قلت : وقد تغيرت الأطلال ، وانطمست الآثار . ويؤخذ من كلام العلموي أنها كانت شرقي المقصورة ، بالقرب من الضريح . **قلت :** ولا مقصورة الآن أيضا . وبالجملة فهي حلقة تدريس . درس بها : القوصي ، ثم العز الأربلي ، ثم تسعة أنفس ، آخرهم الكمال بن حمزة .

ترجمة واقفها

شهاب الدين القوصي ٥٧٤-٦٥٣

على القول بأن مدرسها واقفها ، نقول : هو اسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن ابن المرجان المرحل الأنصاري الخزرجي ، وكيل بيت المال بالشام . ولد بقوص سنة أربع وسبعين وخمسمائة . ورحل الى القاهرة ، ثم استوطن دمشق .

قال الذهبي : كان فقيها فاضلا ، مدرسا اخباريا ، حافظا للأشعار ، فصيحا مفوها ، بصيرا بالفقه . روى الكثير ، وخرج لنفسه معجما في أربع مجلدات ، ولم يقصر فيه ، ويقال : ان فيه غلطا كثيرا ، وأوهاما عجيبة . وتوفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، ودفن في داره التي جعلها دار حديث ، بالقرب من الرحبة ، داخل باب شرقي والله أعلم .

المدرسة (القيمرية الكبرى)

عرفها النعيمي بأنها بالحريميين ، وابن كثير بأنها عند مئذنة فيروز . وبعد الفحص الشديد ، لم أتحقق مكانها ، ولا عرفت الحريميين . ثم فتشت عن المئذنة المذكورة فلم

أعرفها . لكن رأيت في « ثمار المقاصد » لابن عبد الهادي ، وفي « تنبيه الطالب » للنعيمي ، عند الكلام على المساجد التي هي شمالي البلد الى جهة الشرق ، ما لفظه : مسجد فيروز في المقابر ، كان يصلى فيه على الجنائز فخرب ، ثم جددته امرأة الحاجب فيروز . له بركة ومنارة ، وعلى بابه قناة . انتهى . فلم يزدنا التعريف الا جهالة . وفي دمشق الآن محلة كبيرة يقال لها : القيمرية . والظاهر أنها نسبة الى المدرسة المذكورة . وكثيرا ما يحصل ذلك،كقولهم : العصرونية، والخيضرية،وكل منهما نسبةالىمدرستيهما واذا كان كذلك ، فالمدرسة في تلك المحلة . وقد ذكر لي أحد المتقدمين في السن من سكان القيمرية أن الجامع الذي في محلة الحمام الذي يقال له : حمام البكري ، يقال له : جامع فيروز . وكان بالقرب منه مدرسة قد تهدمت ؛ فباعها ناظرها الى النصارى ، فجعلوها كنيسة ومدرسة لهم . فيمكن أن تكون هي القيمرية . وفي أول القيمرية من الجانب الغربي ، مدرسة كبيرة تسميها العامة بالمدرسة العتيقة وبمدرسة القطاط . وهي مشهورة ، وبناؤها متين ، ولها ساحة كبيرة بها بركة ماء كبيرة أيضا . وفيالجانبين الشرقي والغربي حجرات متعددة . وهي عظيمة الأثر . وهذه هي القيمرية الكبرى بيقين ، وما قبله احتمال لايعول عليه .

ترجمة بانيها

ناصر الدين القيمري ٠٠٠-٦٦٥

قال في « التنبيه » : أنشأها الأمير ناصر بن الحسين بن علي القيمري ؛ وأوقفها على القاضي شمس الدين السهروردي . مات سنة خمس وستين وستمائة .

وقال ابن كثير : ان واقف القيمرية الأمير الكبير ناصر الدين أبو المعالي الحسين ابن عبد العزيز ابن أبي الفوارس القيمري الكردي . كان من أعظم الأمراء مكانة عند الملوك ، وهو الذي سلم الشام الى الملك الناصر صاحب حلب حين قتل ثوران شاه ابن الصالح أيوب بمصر . وهو واقف المدرسة القيمرية عند مئذنة فيروز . وعمل على بابها الساعات التي لم يسبق الى مثلها ، ولا عمل على شكلها . ويقال : انه غرم عليها أربعين ألف درهم . ا.هـ

ولا خلاف فيما بين ابن كثير والنعيمي . فان النعيمي نسبه الى جده ، وابن كثير الى أبيه .

وترجمه الصلاح الصفدي فقال : كان من أعظم الناس وجاهة واقطاعا ، وكان بطلا شجاعا . أقطعه الملك الظاهر اقطاعا حميدة ، وجعله مقدم العساكر بالساحل . وكان يضاهي الملوك في مركبه ، ومحمله ، وغلمانه وحاشيته . ا.هـ . ولما أتم بناء القيمرية ، فوض تدريسها الى السهروردي ، والي أولي الأهلية من ذريته . ولنذكر ترجمته لأن المدرسة بنيت لأجله ، فكان من جملة أسباب البناء . ٥

والقيمري[١] نسبة الى قيمر . قال ياقوت في « معجم البلدان » : قيمر ، بفتح القاف وياء ساكنة وضم الميم وراء ، هي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط ؛ ينسب اليها جماعة من أعيان الأمراء بالموصل وخلاط ، وهم أكراد . ويقال لصاحبها : أبو الفوارس . انتهى . والمترجم هو ابن أخت أبي الفوارس كما في « شذرات الذهب » .

السهروردي ١٠

شمس الدين السهروردي ٠٠٠-٦٧٥

هو علي بن محمود بن علي بن محرز بن علي السهروردي شمس الدين الكردي . قال ابن السبكي : هو مدرس القيمرية بدمشق ، وأبو مدرسها الصلاح .

قال الذهبي : هو شيخ فقيه ، امام عارف بمذهب الشافعي ، موصوف بجودة النقل ، حسن الديانة ، قوي النفس ، ذو هيبة ووقار . بنى الأمير ناصر الدين مدرسته بالحريميين ، وفوض تدريسها اليه والى أولي الأهلية من ذريته . وقد ناب في القضاء عن ابن خلكان ، ١٥ وتكلم بدار العدل بحضرة الملك الظاهر عندما احتاط على الغوطة ؛ فقال : الماء والكلأ لله لايملك ، وكل من بيده ملك فهو له . فبهت السلطان لكلامه ، وانفصل الأمر على هذا المعنى . توفي سنة خمس وسبعين وستمائة .

قال النعيمي : وأظن أنه دفن تجاه وجه ابن الصلاح بمقابر الصوفية .

القيمرية الصغرى ٢٠

هي بالقباقبية العتيقة ، غربي المقدمية الحنفية ، وشمالي الحنبلية . كذا في « التنبيه » . **أقول** : القباقبية المذكورة ، هي من باب الفراديس الى أول الطريق الذي ينعطف نحو الجامع الأموي ، وغربي المقدمية . لم يبق الآن منها الا مسجدها ، وأبدل الناس اسمها

(١) في الأصل القيمر وهو سهو من المؤلف .

بالقحفى والديناري . وقد ذهب أكثرها ، وفي أيامنا هدم قسم منها وأدخل في الطريق. وهي تنشد في عالم الخيال قول أبي فراس الحمداني :

تنام فتاة الحي عني خلية	وقد كثرت حولي البواكي السواهر
ويسعدني عير البوادي لأجلها	وان رغمت بين البيوت الحواضر
وما هي الا نظرة ما احتسبتها	بعدَّاب صارت بي اليها المصائر ٥

وهي غير القيمرية المذكورة آنفا ، وغير التي بطريق الشبلية التي قبل الحافظية .

ترجمة بانيها

سيف الدين القيمري ٠٠٠-٦٥٣

هو سيف الدين أبو الحسن علي بن يوسف أبي الفوارس بن يوسك القيمري . كان أكبر الأمراء في آخر عمره، وأعظمهم مكانة ، وأعلاهم همة، وجميع الأمراء القيمرية وغيرهم يتأدبون معه ، ويقفون في خدمته ، وهم بين يديه كالأتباع . وكان مطاعا ، كثير البر ١٠ والمعروف والصدقة .

قال الذهبي : كان أميرا كبيرا محتشما ، بطلا شجاعا من الأبطال المشهورين بالفروسية .

وقال ابن حبيب : أمير نعمته دائرة ، وجلالته ظاهرة ، وهمته مرتفعة ، وكلمة أرباب الدولة على تعطفه منعطفة مجتمعة ، له بر معروف ، ومواقف ووقوف . أنشأ البيمارستان المشهور بجبل قاسيون ، وكان له ببنائه أجر غير ممنون . توفي بنابلس في شعبان سنة ١٥ ثلاث وخمسين وستمائة ، ودفن بتربته الى جانب ما رستانه في القبة التي بجانبه ، كما حكاه الذهبي ، وابن قاضي شهبة . وسنأتي على ذكر بيمارستانه عند الكلام على مدارس الطب .

المدرسة (الكروسية)

هي الى جانب السامرية الشافعية . قال العلموي : قلت : هي مجهولة عندي . ثم ٢٠ أشار اليها باشارة زادتها جهالة ، فقال : والغالب على ظني أنها سكن الشيخ أبي البقاء البقاعي الخطيب الشافعي المتحنف آخرا . انتهى

فالزمان أفنى البقاعي ، وأفنى سكنه ، وجعل المدرسة في خبر كان . والظاهر أنها ذار الحديث الكروسية المار ذكرها عند الكلام على دور الحديث . فراجعها ان شئت . ودرس بها محمد بن نجم الدين ابن أبي الطيب .

ترجمة واقفها

جمال الدين ابن كروس ٠٠٠-٦٤١

٥ قد تقدم أن منشئها محمد بن عقيل بن كروس محتسب دمشق . قال ابن الأثير : كان كيسا متواضعا ؛ توفي سنة احدى وأربعين وستمائة ، ودفن بداره التي جعلها دار حديث ومدرسة .

مدرسة (الكلاسة)

هي ملاصقة للجامع الأموي من الجهة الشمالية ، ولها باب ينفذ اليه ، وموضعها من ١٠ جملة متفرعات الجامع . وكانت أولا موضع عمل الكلس حين ما يحتاج الجامع للاعمار ؛ أعدت لذلك أيام بنائه . فمن ثم جعلت من الزيادات عليه لما ضاق بالناس . فاذا احتيج اليها لخراب جانب منه ، صلى المصلون بها . وبقيت على ذلك الى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، أيام ملك نور الدين محمود بن زنكي دمشق ، فبناها مدرسة في السنة المذكورة . ثم في سنة سبعين وخمسمائة ، تناولتها ألسن النيران ، فاحترقت هي ١٥ والمئذنة التي بجانبها المسماة بمئذنة العروس ، أيام كان صلاح الدين مالكا لدمشق . فأمر بتجديد بنائها ، وجعل عليه أبا الفتح ابن العميد ؛ فجددها وأتقن بناءها . ثم في سنة سبع وأربعين وستمائة ، جدد بركتها جمال الدين بن يغمور ، وبلط أرضها ، وأرض دهليزها . ثم ان النائب جقمق ، باني المدرسة الجقمقية ، فتح لتربته شباكا الى الكلاسة من الايوان ، وأراد عمارتها لكونها أصابها بعض التخريب . فطلب العامل عليها ، وسأله ٢٠ عن مالها ، فقال : أخذه المدرس ، والناظر ، وبعض الفقهاء . فأخذ في حساب ما أخذ ، فوجده خمسة آلاف درهم . فرسم بأن يسترجع ، ويعمر بها . فقيل له : ان هذا الوقف ليس هو وقف الكلاسة ، وانما هو وقف على درس بها . فلم يقبل ذلك ، ولم يسمعه . ورسم على تقي الدين ، صهر الغزي شهاب الدين المدرس بها ، والعامل أن يحبسا بدار السعادة ؛ فحبسا أكثر من شهر ، ثم أطلقا على أن يشرعا في العمارة . قاله ٢٥ في « تنبيه الطالب » وغيره .

قال ابن قاضي شهبة في « الذيل » : وفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، شرع في تعزيل التراب من المدرسة الكلاسة من الايوان الشرقي . انتهى

والظاهر أن واقعة تيمورلنك أتلفتها ، أو جانبا منها ، حينما أحرق البلد والجامع. ثم أعيدت مدرسة . وقد درس بها الكمال الحرستاني ، ثم بعده ثمانية ، آخرهم شهاب الدين الغزي ، ثم ولده . ٥

الشهاب الغزي (١)

أقول : الشهاب المذكور هو أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان بن جابر ابن ثعلب بن ضوء بن شداد بن عامر أبو نعيم العامري الغزي، ثم الدمشقي، ثم المكي القرشي. ترجمه الشيخ رضي الدين الغزي في كتابه « تحفة الناظرين » بترجمة مطولة ؛ وصفه فيها بسعة العلم ، وكثرة الاطلاع ، وأثنى عليه ثناء عظيما ، وذكر له مؤلفات كثيرة ، منها ما كمل ومنها ما لم يكمل . فالذي كمل منها : « مختصر المهمات » في خمسة أسفار ، ١٠ « شرح الحاوي الصغير » في خمسة أيضا ، « منسك » في مجلد ، « شرح جمع الجوامع الأصولي » ، «الجواب الراسي لمسألة الفاسي » ، « تلخيص التنبيه » . والذي لم يكمل : « كتاب في أسماء رجال البخاري » ، « قطعة على منهاج النووي » ، « قطعة على منهاج البيضاوي في الأصول » ، « قطعة على ألفية ابن مالك » ، و « شرح كتاب العمدة » الى أثناء كتاب الصداق ، ثم تممه الرضي الغزي ولد المترجم سنة ستين ١٥ وسبعمائة بغزة . ثم اشتغل بالعلم ، وسكن دمشق ؛ فولي تدريس الكلاسة وغيرها . وتوفي سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة بمكة المكرمة ، رحمه الله تعالى .

ولنرجع الى ما كنا بصدده ، فنقول : ان الكلاسة لم تزل الأيام تتقلب عليها ، حتى صاح بها من يمنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، ويسعى في خرابها : سنريك أيدينا وتجاسرنا ، فكم من مدرسة ابتلعنا أوقافها ، وتركناها خاوية على عروشها ، ثم عمرناها ٢٠ دارا ! وكم من مسجد بعناه وأكلنا ثمنه ! أفنتركك سالمة أيتها الكلاسة ؟! أفتظني أن اعتصامك بالجامع ينفعك !؟ ان الجامع لو كان لقمة صغيرة لأكلناه ؛ ولكن يا للأسف ان جدرانه صخر لايبتلع ! ثم حملوا عليها حملة منكرة ، فأخذوا ساحتها وجعلوها دارا ؛ ثم ابتنوا في جهاتها الثلاثة بيوتا ودورا ، وتركوا الجانب الغربي ساحة لعسر البناء فيه . واتخذوا كلا من الفاضلية والعزيزية وما بينهما دورا للسكنى . وبقي موضع الطهارة ٢٥ من الكلاسة ، وحجرات علوية يسكنها مؤذنو الجامع ، والبعض منهم يؤجر حجرته كأنها

---

(١) كذا أثبت المؤلف على الحاشية .

ملك له . ومختصر القول : أن الكلاسة لم يبق لها من المدرسة الا الاسم . ثم أخنى عليها الزمان فهدمت كلها في أيامنا والله يقلب الأمور كيفما شاء .

الحلقة الكوثرية

نور الدين بن زنكي

تجاه شباك الكلاسة ، تحت مئذنة العروس بالجامع الأموي . وقفها السلطان نور الدين على صبيان صغار وأيتام يقرؤون كل ليلة بعد العصر سورة الاخلاص ثلاث مرات ، ثم يهدون ثوابها للواقف . ولهم على ذلك مرتب يتناولونه من ديوان السبع الكبير الذي كان بالجامع . وان عدة من فيه يومئذ ، يعني في عصر التسعمائة ، على ما استقر عليه الحال ، ثلاثمائة وأربعون أو خمسون نفرا .

قلت : قد كان ذلك ، والحال تغير . وأما الحلقة المذكورة فبناؤها باق ، وقد أضحت حجرة يسكنها متولي الجامع ، ويدرس بها ان كان عالما ، والا جعلها منتدى لأشغاله . وتلك حكمة الله .

حرف الميم والنون

المدرسة (المجاهدية الجوانية)

بالقرب من باب الخواصين . قاله في « التنبيه » . والخواصين ، كان يسمى به قديما محل المدرسة النورية ، وقد أشكل محلها على العلموي المتوفى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، فقال في « مختصره » : لعل هذه المدرسة هي التي وراء سوق جقمق ، وهي الآن سكن الشيخ ناصر الدين الحنفي . وربما تكون المقابلة لباب قيسارية القواسين ، لأني أعلم أن اسمها قديما المجاهدية ، وأما الآن فيسمونها الحجازية ، لأنها كانت منزولا لهم . وأما حينئذ فهي منزول نواب قاضي الشام ، وغيرهم من الأروام . انتهى . ويمكن أن تكون المحكمة المسماة الآن بمحكمة الباب(١) .

ترجمة واقفها

مجاهد الدين الجلالي
٠٠٠-٥٤٨

هو مجاهد الدين أبو الفوارس بزان بن ياسين بن علي بن محمد الجلالي الكردي . كان من مقدمي الجيوش في دمشق في أيام نور الدين محمود بن زنكي . ولما كان فتح

---

(١) في الأصل بياض قدره سبعة أسطر .

صرخد وبصرى ، سلمه صرخد ، وأعطى بصرى الى الحاجب فارس الدولة . فأقام المترجم بصرخد الى أن توفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، كما في « الروضتين » . وقال المؤرخ أبو يعلى : أصابه انطلاق بطن متدارك ، ومرض مفرط ، وفهاق متصل كان به قضاء نحبه . ولما مات دفن في داره .

٥ وقال العلموي : دفن بمدرسته المجاهدية الأخرى بباب الفراديس . انتهى . يعني بدمشق . وفي « تنبيه الطالب » : أنه دفن بصفّة مدرسته في الجهة الشمالية .

قال أبو شامة : كان المترجم من ذوي الوجاهة في الدولة النورية ؛ موصوفا بالسخاء، والبسالة ، والسماحة ، مواظبا على الصلوات ، والصدقات على المساكين والفقراء والضعفاء ، جميل المحيا ، حسن البشر في اللقاء . وله أوقاف على أبواب البر ، منها :

١٠ المدرستان المنسوبتان اليه ، احداهما التي دفن بها ، وهي لصيق باب الفراديس المجدد، والأخرى في صف مدرسة نور الدين . وله وقف على من يقرأ بمقصورة الخضر . بجانب دمشق ، وغير ذلك . انتهى

وقال الذهبي : جعل لنفسه النظر على أوقافه كلها ، واليه ينسب السبع المجاهدي بالجامع بمقصورة الخضر داخل باب الزيادة . انتهى

١٥ **قلت** : وقد ذهبت هذه الآثار كلها الا من القرطاس ، والله أعلم بمن استولى عليها .

وحكى الصفدي أن من وقف المجاهدية : طاحونة اللوان بأواخر المزة ، وذكر أشياء أخر . وقد درس بالمجاهدية منتخب الدين القرشي ، ثم بعده أربعة عشر مدرسا ، آخرهم البرهان المعتمد ، فالزين الاطرابلسي ، فالشمس الكفرسوسي ، فالشريف الموقع الحلبي . ثم كانت كأمثالها على حد قول المعرّي :

٢٠ الدهر ان ينصرك ينصر بعدها ذا اِحْنَةٍ فيحور كل محار

وهواجر الأيام يسلب حرها ما أودعته ذواهب الأسحار

المدرسة (المجاهدية البرانية)

مجاهد الدين الجلالي

بين بابي الفراديس . واقفها الأمير مجاهد الدين المذكور سابقا ، ودفن في صفّتها الشمالية . وقد تقدم أنها لصيق باب الفراديس المجدد . هذا ما حكاه النعيمي والعلموي .

أقول: هذه المدرسة موجودة، وقد غير الناس اسمها ورسمها. أما اسمها: فهم يسمونها الآن جامع السادات. ولم أدر لأي شيء أخذت هذه النسبة! وأما رسمها: فقد نقص المختلسون أطرافها، والباقي منها مسجدها. وفي صفّتها الشمالية قبور، وساحتها موجودة، وبالجانب الغربي منها طباق للسكنى بالأجرة. وبالزاوية الشرقية الشمالية منها منفذ يتصل بدور للسكنى. وأيا ما كانت، فانها تقام بها الصلوات الخمس بجماعة، وتصلى بها الجمعة. وهي ملاصقة لباب الفراديس، مشهورة. وليت المدارس التي ابتلعها المختلسون بقيت مثل هذه المدرسة! وعلى بابها حجر كبير قد نقش عليه:

ان الذي بناها بزان، بالباء الموحدة والزاي ثم ألف ونون، ابن ياسين بن علي بن محمد الخلالي، بالخاء المعجمة، الكردي، بأمر أمير المؤمنين.

ولم يذكر اسمه. وقد خفي موضع التاريخ. وفي الكتابة تطويل واسهاب في المدح تركناه لعدم جدواه.

المدرسة (المسرورية)

لم أقف لها على أثر. وقال العلموي: هي مجهولة عندي. ولم يزد النعيمي على قوله: هي بباب البريد. والله أعلم بما صارت اليه.

ترجمة واقفها

مسرور الطواشي

أنشأها مسرور الطواشي، وكان من خدام الخلفاء المصريين. وقال الأسدي: رأيت بخط شيخنا أنها منسوبة الى الأمير فخر الدين مسرور الملكي الناصري العادلي. وقفها عليه شبل الدولة كافور الحسامي، واقف الشبلية. ووقفت على كتاب وقفها الثاني الذي زاد فيه زيادات على الواقف الأول، تاريخه سابع صفر سنة أربع وستمائة. ثم قال: وشرط الواقف أن له أن يباشر ذلك بنفسه، ويستنيب فيه من أراد ممن هو أهل لذلك، ممن علم دينه، اذا كان فيهم من هو أهل. قال: ولا أعلم وقت وفاته. والمشهور أنه اشترط في المدرس بها أن يكون عالما بفن الخلاف. ودرس بهذه المدرسة ناصح الدين، ثم بعده خمسة عشر مدرسا.

المدرسة (الناصرية الجوانية)

داخل باب الفراديس ، شمالي الجامع الاموي والرواحية بشرق ، وغربي الباذرائية بشمال ، وشرقي القيمرية الصغرى والمقدمية الجوانية . كذا عرفها النعيمي وغيره .

أقول : قد صارت الآن دورا للسكنى ، ولم يبق من آثارها الا جدارها الشمالي ، وهو بناء لم يكد الزمان يقدر على فنائه ؛ لمتانته ، وعظم الحجارة المبني بها ، وحسن احكامها . ومحلها الآن : أنك اذا سرت من أول الطريق من الجهة الغربية الموصل الى الباذرائية ، رأيت عن يمينك بناء هائلا ، وهو الباقي من آثارها . وأهل محلتها يقولون : ان هذا المكان كان سجنا للموتى حتى يقضى عنهم دينهم . وهذا من جملة خرافات العوام . ومخترع أمثالها يقصد به ستر الحقائق ، وتحويل الاسماء ليتأتى له امتلاك الاوقاف.

ترجمة بانيها

الملك الناصر يوسف ٦٢٧-٦٥٩

أنشأها الملك الناصر يوسف بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ وستأتي ترجمته .

قال ابن شداد : وكانت هذه المدرسة تعرف بدار الزكي المعظم . ثم بناها الناصر مدرسة ، وفرغ من بنائها في أواخر سنة ثلاث وخمسين وستمائة . وأول من درس بها : صدر الدين بن سني الدولة بحضرة الواقف وحضرة الامراء والدوادار ونجم الدين الباذرائي ، وأعيان الشام ، وأهل الحل والعقد بدمشق . ثم بعده محي الدين ابن زكي ، ثم ولده النجم ، ثم من بعدهم ، نحو ثلاثين مدرسا منهم : ابن قاضي شهبة ، وابن قاضي عجلون ، وابن غازي ، وابن الفرفور ، وغيرهم من الافاضل .

المدرسة (المجنونية[1])

قال النعيمي : هي شرقي الشامية البرانية بالعقيبة .

أقول : هي الآن بآخر العقيبة ، عن يسار السائر الى سوق ساروجا . وقد انطمست معالمها ، ولم يبق منها الا التربة بجانبها ، ولها شباك الى الطريق . ولقد وقفت عليه ؛ فاذا في أعلاه حجر مكتوب عليه بالخط الحجري البارز بعد البسملة :

---

(١) وردت في « الاعلاق الخطيرة » : « مدرسة سبع المجانين » .

هذه تربة الامير شمس الدين بن شروة بن حسين المهراني ، المعروف بالسبع المجانين ، الحاجي ، الغازي المجاهد في سبيل الله تعالى ، في شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وستمائة . وهو الذي أنشأ المدرسة .

شرف الدين ابن الزرزاري

وقال النعيمي : أنشأها شرف الدين بن شروة بن الذرذاري[1] المعروف بالسبع المجانين ، بعد الثلاثين وستمائة . قال العلموي : والآن معروف بين الناس بالسبع المجاهدين . درس بها عز الدين الموصلي ، ثم بعده ثلاثة مدرسين . ا . ه

قلت : وأهل زماننا يسمونه الشيخ مجاهد . وأغرب من هذا ، أن جماعة من طلبة العلم يزعمون أنه مجاهد التابعي المشهور ، ويقفون أمام قبره ، ويزورونه . والحجر مكتوب فيه اسمه ، وهو نصب أعينهم ، ولا يقرؤونه ، ولا يفرقون بين تاريخ مجاهد المفسر وبين تاريخ هذا الرجل .

المدرسة (المنكلانية)

لم يذكر عنها في «تنبيه الطالب» شيئا . وقال العلموي : ذكر الصفدي مايشعر بأنها مدرسة ، ولم نعلم لها مدرسا ولا واقفا . وهي معروفة قرب القيمرية الجوانية . ا . ه

أقول : مررت في أثناء ذهابي الى محلة باب توما بمسجد ، له صحن لطيف وحرم مثله ، وعن يسار الداخل قبور ؛ ورأيت هناك شيخا يقرىء القرآن ؛ فسألته عن قبر ، فقال لي : هو قبر الشيخ محمد المنكلاني . فاذا صح الخبر ؛ كانت هذه هي المدرسة المنكلانية ، وهي الآن معروفة مشهورة .

محمد المنكلاني

المدرسة (النجيبية)

كانت لصيق المدرسة النورية ، وضريح نور الدين من الجانب الشمالي . وقد اندرست في جملة ماأندرس !

---

(1) كذا في الأصل وذكر ابن شداد أن الذي أنشأها هو : « شرف الدين شروة ابن .... الزرزاري » ، وترك بياضاً بين ابن والزرزاري فكأنه لم يعرف أباه .

ترجمة بانيها

أقوش الصالحي ٦٢٠-٦٧٧

أنشأها أقوش الصالحي النجمي[١] ، مملوك الملك الصالح أيوب ، وكان يعتمد عليه في جميع أموره ، وجعله أستاذ داره في حياته . وولاه الملك الظاهر نيابة دمشق ؛ فأقام بها نحوا من عشر سنين . ثم عزله بعز الدين أيدمر سنة سبعين وستمائة . فعاد الى القاهرة ، وأقام بها وافر الحرمة ، وتوفي سنة سبع وسبعين وستمائة . ومولده في حدود العشرين وستمائة .

قال أبو شامة : كانت مدرسته دارا لابن مرزوق ، فاشتراها أقوش ، وجعلها ضخم الشكل ، جهوري الصوت ، كثير الاكل ، له أوقاف على الحرمين . بنى مدرسة بدمشق الى جانب مدرسة نور الدين ، وبنى بها تربة ، وفتح لها شباكين على الطريق ؛ ولم يقدر دفنه بها .

قال أبو شامة : كانت مدرسته دارا لابن مرزوق ، فاشتراها أقوش ، وجعلها مدرسة للشافعية ، ووقف عليها أوقافا دارة واسعة ؛ لكنه لم يقدر للمستحقين قدرا يناسب ماوقفه عليهم . ومن جملة أوقافه : البستان والاراضي التي وقفها على الجسورة التي هي قبلي جامع كريم الدين ، وعلى ذلك أوقاف كثيرة . وجعل النظر في أوقافه لابن خلكان وقد درس في المدرسة ، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى . قال في «تنبيه الطالب» : وله في دمشق خان ، وخانقاه ، ومدرسة . ولم يخلف ولدا . قاله الذهبي .

وقد كانت أوقاف المدرسة والخانقاه تحت الحوطة . وفي كلام الصفدي ، أن الخانقاه ظاهر دمشق بالشرف القبلي .

قلت : وقد اندرست أيضا ، واختفى أثرها . وقد درس بالمدرسة جماعة ، منهم : العماد اسماعيل بن كثير ، ثم تقي الدين الحريري . ومنهم : الضياء عبد العزيز بن محمد ابن علي الطوسي ، ثم الدمشقي شارح « الحاوي » ، و « مختصر ابن الحاجب » . توفي سنة ست وسبعمائة بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية .

وهذا آخر الكلام على مدارس الشافعية ، حسبما سمح به الزمان ، وقدرت عليه في هذه الايام المعادية للعلم وأهله .

وهذا أول الشروع في مدارس السادة الحنفية .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي « الدارس » : « النجيبي » . ولعله الأصح .

الباب الرابع في مدارس الائمة الحنفية

حرف الهمزة

المدرسة (الاسدية)

كانت بالشرف القبلي ظاهر دمشق ، مطلة على الميدان الاخضر . وتقدم الكلام عليها
٥ في مدارس الشافعية ، وأنها موقوفة عليهم وعلى الحنفية . ودرس بها من الحنفية : تاج
الدين ابن الوزان ، وبعده أربعة منهم .

المدرسة (الاقبالية)

تقدمت الاشارة اليها عند الكلام على الاقبالية الشافعية. وتقدم هناك ذكر لواقفها .
ولم يبق من آثارها اليوم الا بابها ، وفي أعلاه حجر كبير قد كتب عليه بعد البسملة :
١٠ وقف هذه المدرسة المباركة الامير الاجل جمال الدولة اقبال ، عتيق الخاتون الاجلة
ست الشام ابنة أيوب ، على الفقهاء من أصحاب الامام سراج الأمة الشريفة أبي
حنيفة رضي الله عنه . وأوقف عليها : الثلث من الضيعة المعروفة بالسموقة ، والثلث
من مزرعة الافتريس ، والثلث من مزرعة شمالي بيدر زبدين ، وخمسة قراريط وثلث من
كرم يعرف بمديد الدين في الحديثة ، وقيراطا من مزرعة ذرع ماحاط بطريق سالكة من
١٥ ذرع الى بصرى ؛ وذلك في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وستمائة . أعظم
الله أجره. انتهى

وبصرى كانت قرية مابين دمشق والمزة ، وذرع قريب منها ؛ وقد اندرست آثارهما.
وبقية الكلام عليها مر في موضعه .

المدرسة (الآمدية)

٢٠ يؤخذ من كلام النعيمي أنها مندرسة قبل التسعمائة ؛ فانه قال : هي بالصالحية
العتيقة ، جوار الميطورية من الغرب .

قال الأسدي : وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة كان غربي الميطورية ، مدرسة للحنفية يقال لها : الآمدية . حكى لي من شاهدها وهي عامرة ، وعلى بابها طواشية ، وقال لي ناظرها : انها تربة .

وقال ابن طُولون في « تاريخ الصالحية » : وحكى لي بعضهم أن الآمدية قرية ؛ ولعلها مدرسة ، قصد التمويه عنها خوفا من الفقهاء . وقال العلموي : لايعلم محلها . انتهى . ٥

وأيا ما كانت ؛ فقد اندرست ، وانطمست آثارها من عهد بعيد ، ويمكن أن موضعها الآن بستان . ولم أر من تعرض لترجمة واقفها .

حرف البـاء

المدرسة (البدرية)

قبالة الشبلية التي بالجبل ، عند الجسر المعروف بجسر كحيل ثم بجسر الشبلية . ١٠
وفي كلام ابن كثير : أنها جعلت في حدود الأربعين وسبعمائة جامعا فيه خطبة ويوم جمعة . ووقفها : نصف حمام بقرية مسنون ، والبستان بقرب جسر كحيل . كذا رأيته مكتوبا على عتبتها . وقال الشيخ محمود العدوي في « زياداته على مختصر تنبيه الطالب » للعلموي : أقول : البدرية المشهورة بين الناس بجامع البدرية ، قد تغيرت أحواله ، ووقع سقفه ، ودثرت عمارته ، وتصرف في آلاته ، وصار خرابة من الخرابات . وأما وقفه ؛ ١٥ فأضيف الى وقف الجامع المظفري ، يعني جامع الحنابلة المعروف بجامع الجبل . انتهى.
أقول : وبقرب جسر كحيل الذي على نهر تورا ، موضع يعرف الآن بالشبلي والبدري . وقد وقفت على البدري في بستان هناك يقال له : السنبوسكي ، من جهة طريق عين الكرش ؛ فرأيت هناك قبة مهدومة الأعلى منها ، وبها قبران بجانب نهر تورا . وهناك كان محل المدرسة البدرية . ٢٠

ترجمة بانيها

بدر الدين بن الداية

بناها الأمير بدر الدين حسن بن الداية المعروف بلؤلؤ[1] . وكان أميرا معظما ؛ تولى

(1) كذا في الأصل ، وفي « الأعلاق الخطيرة » وردت : « لالا » .

دولة القاهرة ، ومن قبله تولى دولة أبيه مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود ابن زنكي بن آقسنقر . ولما قضى القاهر عز الدين نحبه ، وكان أوصى بالملك لولده نور الدين أرسلان شاه وعمره عشر سنين ، كان المترجم هو الوصي عليه ، والمدير لدولته . فقام بمهمته أحسن قيام ، وضبط المملكة من التزلزل والتغيير ، مع صغر السلطان ، وكثرة طمع أعمام أبيه في الملك . وأحسن السيرة ، وجلس لكشف ظلامات الناس ، وانصاف بعضهم من بعض . وأرسل الخليفة التقليد لنور الدين بالولاية ، ولبدر الدين بالنظر في أمر دولته ، والتشريفات لهما أيضا . وبالجملة فالمترجم موصوف بالعقل والدهاء ، وحسن التدبير والسياسة . ومطول ترجمته يؤخذ من القسم السياسي . ولم أظفر بتحديد وفاته ؛ وقد كانت بعد الستمائة . وقد سكن هذه المدرسة أيام شبابها سبط ابن الجوزي ودرس بها ، ثم زكي الدين بن عقبه ، ثم الصفي بن فرج ، ثم الشمس ابن جبرييل . ثم سلبها الزمان شبابها المستعار ، وأبدلها منه بالشيخوخة والهرم ، ثم بالفناء ومحو الآثار . ويحسن بي أن أزف الى المطالع ترجمة صاحب مرآة الزمان ، وان لم يكن على شرطي هنا ؛ ليكون هذا القسم مع الذي بعده كمنضج صفيف شواء ، أو قدير معجل ، فأقول :

صاحب « مرآة الزمان »

شمس الدين سبط ابن الجوزي ٠٠٠-٦٥٤

هو شمس الدين أبو المظفر يوسف ابن الأمير حسام الدين قزل بن عبد الله ، عتيق الوزير عز الدين بن هبيرة الحنبلي . وأمه بنت جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، الحافظ المشهور ، والواعظ الذي كلامه مأثور . وكان المترجم حسن الصورة ، طيب الصوت ، كثير الفضائل ، والمصنفات . قاله ابن كثير . وقال : وله كتاب « مرآة الزمان » في عشرين مجلدا ، وهو من أحسن التواريخ ، أخذه من كتاب جده ابن الجوزي المسمى « بالمنتظم » ، وزاد عليه ، وذيله الى زمنه ؛ فجاء غاية في بابه . وقدم دمشق في حدود الستمائة ، وحظي عند ملوك بني أيوب ، وقدموه ، وأحسنوا اليه . وكان له مجلس وعظ كل يوم سبت بكرة النهار ، عند باب مشهد علي بن الحسين . فكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع في أيام الصيف ، ويتركون البساتين حتى يسمعوا ميعاده ، ثم يسرعون الى بساتينهم وهم يتذاكرون بما سمعوه من الفوائد والكلام الحسن الذي كان يمليه على طريقة جده . وكان المشايخ يحضرون هذا عند قبة يزيد عند باب البريد ،

ويستهجنون ما يقول ، كما هي عادتهم عند سماعهم ما لا يعرفونه ، واعتقاد كل واحد منهم أن العلم انحصر فيه ، وانه لاعلم الا ما يعرفه من الخزعبلات ، والترهات ، والمقالات الملفقة ، والأساطير المنمقة المزخرفة. ثم تولى تدريس المدرسة العزية البرانية، ومدرسة الشبلية . وفوضت اليه البدرية ، وكان سكنه بها ، وبها توفي سنة أربع وخمسين وستمائة ، وحضر جنازته الملك العزيز . ٥

وأثنى أبو شامة على علومه ، وفضائله ، وحسن وعظه ، وطيب صوته ، ونضارة وجهه ، وتواضعه ، وزهده ، وتودده . وكان عالما فاضلا ظريفا ، منقطعا عن الناس ، منكرا على أصحاب الدولة ما هم عليه من المنكرات . وكان مقتصدا في لباسه ، مواظبا على المطالعة ، والاشتغال بالعلم والجمع والتصنيف ، مضيفا لأهل العلم والفضل ، مباينا لأهل الخزي والجهل . تأتي الملوك وأرباب الدولة اليه زائرين قاصدين . وقد قضى ١٠ عمره في جاه وافر عند الملوك والحكام والعوام في نحو خمسين سنة . وكان مجلس وعظه مطربا ، وصوته فيما يورده حسنا طيبا . قال ابن كثير : وهو ممن ينشد له بعد موته قول الشاعر :

مازلت تكتب في التاريخ مجتهدا   حتى رأيتك في التاريخ مذكورا

ومن لطائفه : أن الملك الناصر صاحب حلب سأله يوم عاشوراء أن يذكر للناس ١٥ شيئا من مقتل الحسين رضي الله عنه ؛ فامتثل وصعد المنبر ، وجلس طويلا لايتكلم ، ثم وضع المنديل على وجهه وبكى ، ثم أنشأ يقول :

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه   والصور في نشر الخلائق ينفخ
لا بد أن ترد القيامة فاطم   وقميصها بدم الحسين ملطخ

ثم نزل عن المنبر وهو يبكي ، وصعد الى الصالحية وهو يبكي . ٢٠

وقال الذهبي في « العبر » : ان للمترجم تفسيرا في تسعة وعشرين مجلدا ، وله « شرح الجامع الكبير » ، وجمع مجلداً في « مناقب أبي حنيفة » . وكان في شبيبته حنبليا ، ثم انتقل الى مذهب أبي حنيفة .

المدرسة (البلخية)

كان محلها قديما يعرف بخربة الكنيسة ، ثم عرفت بدار أبي الدرداء رضي الله عنه، ٢٥

ثم جعلت مدرسة ، ثم اختلست وصارت بيوتا للسكنى . وكانت عند أيام وجودها ، بابها يفتح الى الصادرية .

قال العلموي : وهي داخل الصادرية ، وكان بابها أولا عند حمام باب البريد ؛ فجعل من الصادرية . انتهى

٥ **أقول** : وعلى البلخية ، والصادرية ، والحمام ، السلام ، فقد ذهب الكل وانقضت أيامه !

بانيهـا

برهان الدين البلخي ٠٠٠–٥٤٨

أنشأها كلر(١) الدقاقي بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة للشيخ برهان الدين أبي الحسن علي البلخي الحنفي الواعظ الزاهد . وكان يلقب ببرهان الدين ، واشتهر ١٠ بالزهد ، والاعراض عن الدنيا . وهو الذي قام في ابطال حي على خير العمل ، في الأذان في مدينة حلب . وكان معظما مفخما عند أرباب الدولة. قاله الذهبي في «العبر» . وقال في « الروضتين » : وفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، توفي الفقيه برهان الدين أبو الحسن علي البلخي رئيس الحنفية ، ودفن في مقابر باب الصغير المجاورة لقبور الشهداء . وكان من التفقه على مذهبه ما هو مشهور شائع ، مع الورع ، والدين ، ١٥ والعفاف ، والتصوف ، وحفظ ناموس العلم ، والتواضع ، والتودد الى الناس على طريقة مرضية ، وسجية محمودة .

حرف التـاء

المدرسة (التاجيـة)

هي بزاوية الجامع الأموي الشرقية ، غربي دار الحديث العروية المتقدم بيانها ٢٠ وتعريفها .

قال عز الدين محمد بن عمر الأنصاري : وفي الأيام المعظمية ، جددت المقصورة

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « ككز » .

التاجية المعروفة قديما بابن سنان ، والآن ، يعني في زمنه، بالسلاّرية بتشديد اللام ألف، في سنة أربع وعشرين وستمائة . انتهى

قلت : وقد خفي اليوم محلها ، وأقفلت أبوابها . ولعلها هي التي بجانب المشهد الذي يقال له : مشهد الحسين ، من الجانب الشمالي . وهي الآن منضمة الى دار بني الفزي، وبابها الى الجامع والله أعلم . ٥

الكلام على بانيها

قال العلموي : لعل واقف هذه البقعة المعروفة بالتاجية ، تاج الدين القديم الذي وقف نصف القاسارية الشغرية وما معها على مؤذني الجامع الأموي ، وعلى السبع(١) تجاه مزار سيدنا يحيى يوم الجمعة ، وعلى الدشيشة . وكتاب وقفها موجود . انتهى

وهذه التعريفات غايتها أن واقفها لم يعلم علم اليقين . وأما الدشيشة فهي طعام ١٠ يطبخ بالحنطة ، وقد كان لها وقف ، فانقضت أيامها ، وبقيت أوقافها يأكلها من يكون مفتيا بدمشق ، على وجه حللته بزعمهم الحيل على من يعلم السر وأخفى من السر . وأقول أيضا : لعلها نسبة الى من درس بها ، وهو تاج الدين الكندي زيد بن الحسن ابن زيد بن الحسن البغدادي النحوي الكفوي المقرىء ، شيخ الحنفية والقراء والنحاة بالشام ، ومسند العصر ، فانه درس بها ، وفي أيامه جددت . ١٥

ترجمة الكندي (٢)

تاج الدين الكندي
٥٢٠-٦١٣

قال الذهبي في « العبر » : ولد ، يعني المترجم ، سنة عشرين وخمسمائة، وتوفي سنة ثلاث عشرة وستمائة . وأكمل المترجم القراءات العشر وله عشرة أعوام . قاله الذهبي . وقال : وهذا ، ما لا أعلمه تهيأ لأحد سواه . **قلت :** ويمكن أن يكون هذا من شواذ العادة والجبلة . واعتنى به سبط ابن الجوزي ؛ فأقرأه وحرص عليه ، واشتغل ٢٠ بفن الحديث على عادة أهله يومئذ ، وأتقن العربية ، ونال الجاه الوافر ، وقال الشعر الجيد . وكان الملك المعظم يديم الاشتغال بالعلم عليه ؛ فينزل اليه من القلعة .

---

(١) هو بركة الماء التي كانت موجودة بجانب باب الحرم الكبير . والسبع هو الفوّهة التي يخرج منها الماء ، بتعبير أهل الشام .

(٢) أورد المؤلف كلمة « الكندي » في منتصف الصفحة ، ثم عمد الى وضع كلمة « ترجمة الكندي » على الحاشية ، ولما كانت الكلمتان تهدفان لأمر واحد ، حذفنا الاولى وأثبتنا الثانية في منتصف الصفحة .

قال ابن كثير : كان الكندي حنبليا ، ثم تحنف ، وبرع في النحو واللغة ، وتفنن في بقية الفنون . ووقف سبعمائة وستين مجلدا من الكتب على معتقه النجيب ياقوت ، ثم على ولده من بعده ، ثم على العلماء في الحديث والفقه واللغة ، وغير ذلك . وجعلت في خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحنفية المجاورة لمشهد علي . ثم ان هذه الكتب

٥ تفرقت ، وبيع أكثرها ، ولم يبق في الخزانة الا القليل .

وترجمه الصلاح الصفدي بترجمة طويلة في خمس ورقات ، وقال : انه حاز الدرجة العليا في الاسناد في القراءات ، وازدحم عليه الطلبة ، ودرس ، وصنف ، وأقرأ القراءات ، والنحو ، واللغة ، والشعر . وكان ثقة ، واستوزره فرخان . ثم اتصل بأخيه تقي الدين عمر صاحب حماة واختص به ، وكثرت أملاكه . وقرأ عليه الملك المعظم

١٠ عيسى « كتاب سيبويه » ، و « شرحه » ، و « الحماسة » ، و « الايضاح » ، وغير ذلك . انتهى

المدرسة (التاشية)

التاش الدقاقي

قال ابن شداد : مدرسة التاشي[١] وتعرف بمسجد التاشي[٢] ، انشئت سنة نيف وخمسين وخمسمائة ، أنشأه الأمير التاشي[٣] الدقاقي . انتهى . ودرس بها عز الدين

١٥ الحنفي ، ثم بعده ثمانية من علماء الحنفية .

قال العلموي : قلت : هي مجهولة عندي . انتهى . ولئن كانت مجهولة في القرن التاسع ، فلهي في القرن الرابع عشر أشد جهالة وأكثر خفاء . وربما يأتي لبانيها ذكر في القسم السياسي .

حرف الجيم

٢٠

المدرسة (الجلالية)

عرفها في « تنبيه الطالب » بأنها هي ، والتربة بها ، لصيق البيمارستان النوري . قال : ومن وقفها ، فدان ونصف في قرية الشاهلية .

---

(١)(٢)(٣) كذا في الاصل ، وفي « الأعلاق الخطيرة لابن شداد » : « التاش » ، بحذف الياء .

وقال العلموي : هي لصيق البيمارستان النوري من الجهة الشمالية ، وبها تربة الواقف ، قاضي القضاة جلال الدين أبو المفاخر أحمد ابن قاضي القضاة حسام الدين الرازي . قال : وهي مجهولة أيضا . ثم ذكر لها تعاريف لم تفدنا شيئا أبدا ، جريا على عادته ؛ فقال : بل تحرر أنها التي مقابل بيت مصطفى جلبي ناظر الأموال ، عليها الستاير . ويقولون : انه خادم نور الدين الشهيد ، وليس كذلك . وداخل بيت عبد العزيز الغرابيلي فيها . انتهى

فكأن العلموي جعل « مختصره » لأبناء وقته فقط ! والا فمن أين لبيت الغرابيلي ، ومصطفى جلبي ، أن يبقيا الى زمن طويل ببقاء سكانهما ، ولم يغير الزمان أوصافهما ، كما غير المدرسة وأمثالها !؟

أقول : وقبل البيمارستان النوري من الجهة الشمالية طريق نافذ ، وفي جهته الشمالية مسجد لطيف ، وفيه قبر ينسبه الناس الى الفخر الرازي ، وليس بصحيح . ولعل هذا المسجد مما تركته أيدي المختلسين من المدرسة . والقبر هو قبر الرازي المذكور ، وباقي المدرسة أمسى دورا فسبحان الباقي !

ترجمة واقفها

احمد الرازي
٠٠٠-٧٤٥

تقدم أنه أحمد بن حسام الدين الرازي . قال العلموي : درس بمدرسته ، وبالخاتونية ، وبالريحانية ، وبالقصاعيتين . توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة[1] .

المدرسة (الجمالية)

جمال الدين يوسف

بسفح قاسيون ، أنشأها الأمير جمال الدين يوسف . قال في « تنبيه الطالب » : ولم أقف على ترجمته ، ولا وقفت لها على وقف . وقال العلموي : لاتعرف هي ، ولا ترجمة واقفها ، ولا من درس بها . ورأيت على هامش العلموي بخط بعضهم ، أنها بمحلة السكة ، ثم ذكر أناسا ممن سكنها . ولعلها أصبحت دورا ، وحل بها ما حل بغيرها .

---

(١) بعد هذا الكلام يوجد في الاصل بياض قدره ثلاثة أسطر .

المدرسة (الجقمقية)

هي مدرسة معروفة الآن ومشهورة . وهي شرقي الحديقة التي بها قبة صلاح الدين الايوبي ، وعن يمين الداخل الى الجامع الاموي من بابه الشمالي في أول الطريق . وهي مبنية بالحجر الابلق والابيض . والداخل اليها من الباب الاول ، يجد عن يساره بابا ثانيا ، فيدخل منه الى ساحتها ، فيرى هناك أربع ايوانات ، تعلوهما قبة شاهقة ومسقوفة فلا تدخلها الشمس . ومن نحو خمسين سنة والى الآن ، وهي مكتب لتعليم الشبان والاطفال . وحكى في « تنبيه الطالب » أنه كان بها تربة . **قلت :** وقد اندرست ، وعفت آثارها . وحكى أيضا أنه كان تجاهها من الشمال ، يعني اتجاه بابها ، خانقاه يفصل بينهما الطريق الآخذ الى المدرستين العادلية والظاهرية من جهة الغرب ، والآخذ الى الجامع الاموي من شرقها . ا.هـ **قلت :** وقد درست تلك الخانقاه ، وعفت آثارها ، واتخذها المختلسون لها دورا للسكنى . فأنشأت تخاطب غاصبها ، وتلومه بقول ابن الوردي :

ان أهنى عيشة قضيتها ذهبت لذاتها والاثم حل

فيجيبها بقولـه :

دعني بلذاتي أكن طوع الهوى لاأبالي بعد موتي أين كنت

وكان من قصة هذه المدرسة ، أن المعلم سنجر الهلالي ، وابنه شمس الدين الصائغ قد أسسا التربة أولا ، ثم تقلبت بهما الاحوال ، الى أن غضب عليهما الملك الناصر حسن سنة احدى وستين وسبعمائة . فعاقب سنجر ، وأخذ منه مايزيد عن ألف ألف درهم ، وهو في اصطلاح زمننا مليون من الدراهم ، بدعوى أنه نمي اليه من أنه لايؤدي زكاة ماله ، وأنه يطلق لسانه في ثلب الامراء وذمهم . ثم انه أحاط بما له من الحجج والاملاك والحواصل ؛ فكانت تزيد عن ثلاثة آلاف ألف درهم ، أي ثلاثة ملايين . ولكنه سلم اليه ذلك بعد مدة . فانظر الى هذا الظلم والبغي الذي كان في تلك الايام . وعاقب ابنه محمداً أيضا ، فأخذ تربته التي أنشأها بباب الجامع . ثم أمر السلطان بعمارتها ، فلم يغيروا أساساتها ؛ بل بنوا فوقها ، وجعلوا لها شبابيك من شرقيها ، وبنوا حائطها بالحجارة البيض والسود ؛ فجاءت في غاية الحسن . فالباني لهما انما هو السلطان الناصر حسن . وكان قد رسم بأن يجعل بها مكتبا للايتام ؛ فشرع في بنائه . لكنه قتل سنة اثنتين وستين وسبعمائة قبل أن يتم . ثم صارت بعد موته خانقاه للصوفية . ولها وقف

سنجر الهلالي

يسير جداً . واستمرت على حالتها الى أن احترقت في فتنة تيمورلنك فكانت خاوية على عروشها . الى أن تولي سيف الدين جقمق نيابة دمشق سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، وكانت دمشق في غاية من الخراب الذي لحقها من حروب تيمورلنك ؛ فتوجهت همته لاعمارها بنفسه ، وبالزام الناس بذلك ، وبنقله من سكن خارجها الى داخلها . وشرع في عمارة الطيورين والفسقار ، وعمر التربة التي بباب الناطفانيين، وهو باب الجامع الشمالي ، وهي تربة الجقمقية ، ورتبها حتى صارت في غاية الحسن والزخرفة . وقيل : انه لم يكن في دمشق ، ولا في مصر نظير لها . ووسعها من جهة القبلة ، وجعل لها شبابيك الى الكلاسة ، وشبابيك الى الجهة الشمالية . وبنى في مقابلها خانقاه الى الصوفية . ورتب بها شيخا وصوفية ، ورتب بالتربة المذكورة ميعادا بعد صلاة الجمعة . وجعل في قبلتها مكتبا للايتام ، وقد كان موجودا قبل الفتنة التيمورية ، ولكنه أحياه . ووقف السوق الذي عمره داخل باب الجابية ، والطاحون التي أنشأها بالوادي ، والخان شمالي المصلى . وجعل بعضا من ريع ذلك على نفسه وأولاده ، وبعضا على التربة ، وبعضا على أنواع البر .

قال الاسدي : هذه التربة كان المؤسس لها سنجر ، ثم بناها جقمق، وفرغ من بنائها سنة أربع وعشرين وثمانمائة ؛ فجاءت في غاية الحسن ، وحضر ميعادها الشيخ شرف الدين بن مفلح ، ولكن ظلمة الظلم لائحة عليها .

وقال أيضا : بلغني أن الامير ماماش استقطع وقف جقمق ، وأخذ من التربة البسط والقناديل ، ومنع الصوفية والقراء من الحضور فيها . وقيل : انه أحضر كتاب وقفها فأتلفه . انتهى

وذكر غيره أن جقمق أبدى العصيان سنة أربع وعشرين ، وحاصر بقلعة صرخد ، ولما سئم من الحصار طلب الامان من السلطان ، ونزل من القلعة ، فقبل الارض بين يدي الملك المظفر ؛ فرسم عليه بقاعة القلعة ، وطلب منه المال الذي أخذه . وفي اليوم الثاني ، قيل : انه عوقب ، وقرر على المال . وفي اليوم الثالث ، أرسل مع الخيالة مقيدا ، ثم حبس ، ثم قتل بعد أن عوقب ، وقرر على ما له من الودائع والذخائر ، وبقي ملقى في قلعة دمشق ، ثم دفن في تربته ؛ ولقي ماقدمته يداه . وكان ذكيا ، عارفا بالناس وتراجمهم ، ومهر في الظلم . قال ابن حجر : وكان ظلوما غشوما ، متطلعا على عورات الناس . انتهى

وقد علم مما تقدم أن الذي بناها سنجر ، ثم نسبت الى جقمق لأنه هو الذي بناها بعد أن احترقت . وقد درس بها كثير من الافاضل : كالعز ابن شيخ السلامية ، والعماد ابن السيد عدنان ، وغيرهما. ثم تقلبت بها الايام كغيرها من المدارس ، الى أن صارت كلها مكتبا في أواخر القرن الثالث عشر . وانا لنحمد أيدي الحدثان التي أبقت بناءها ، ولم تخف آثارها كما فعلت بغيرها . ٥

ترجمة واقفها

تقدم أن الذي أنشأها أولا انما هو سنجر وولده شمس الدين ، والملك الناصرحسن . ثم جددها ورممها النائب جقمق ؛ فنسبت اليه . وقد علمت ترجمة كل منهم اجمالا ان لم يكن تفصيلا . وبسطها في القسم السياسي .

سيف الدين جقمق ٠٠٠-٨٢٤

١٠ وقد رأيت صاحب «الضوء اللامع » ترجم جقمق بترجمة مختصرة ، فقال : جقمق سيف الدين من أبناء التركمان ، أخذه بعض التجار صغيرا ، واتفق مع رفيق له على أن يبيعاه ويقتسما ثمنه بينهما ، فباعاه . وكان اذا تكلم بالعربية لايشك سامعه في أنه من أبناء العرب . ثم تنقل في خدم المؤيد حتى صار دوادارا ، وذلك قبل تملك المؤيد . ولما تملك أقره على منصبه ، ثم جعله نائبا لدمشق سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة . ١٥ ولما مات المؤيد أظهر العصيان ، وآل أمره الى أن أمسكه ططر ، وعصره ، وأخذ منه مالا ، ثم أمر بقتله ؛ فقتل صبرا سنة أربع وعشرين ، ودفن بمدرسته التي هي بالقرب من شمالي الجامع الأعظم بحضرة الخانقاه السميساطية . وكان شديدا في دواداريته على الناس . ذكره ابن خطيب الناصرية ، والحافظ ابن حجر . انتهى

ومن تأمل أفعال الأمراء في قرون الخمسمائة وما بعدها ، رأى الاستبداد ضاربا ٢٠ أطنابه ، والظلم والبغي ناشرا أجنحته ، مرفرفا على النوع الانساني ، بالجور وقلة الانصاف . فان الملك اذ ذاك يرخي العنان لنوابه ومأموريه ؛ فيتفننون بفنون الظلم ، وسلب أموال الرعية ، ولايسأله عن أعماله ، ولايفاتحه بها . حتى اذا رأى خزائنه امتلأت ، وثروته امتد رواقها ؛ تناوله بمخالبه ، وأنشب فيه أظفاره ؛ فيميته ميتة وحشية ، ويستولي على ما بيده من الأموال والعقار . كأن لسان حاله يقول : أنا أرسل ٢٥ النائب ليجمع الأموال شيئاً فشيئا على مهل ، ثم أبتزها منه على عجل ، ولا أبالي باتلاف

الخلق واهلاك النفوس . وكانوا يتفننون بأنواع العذاب : فبعضه يكون بالقتل صبراً ، وهو أن يحبس الشخص ، ويمنع الطعام والشراب حتى يموت . وتارة يكون بعصر الأعضاء بالمعصار . ومرة يجعل المعذب حجرا في البناء . وآونة بالحرق ، والخنق ، والضرب بالسيف ، الى غير ذلك من الأفعال الدالة على وحشية الطبع ، وعلى الكبر والجبروت ، وقلة المبالاة بأمر الخالق جل شأنه . نعم كان يتخلل هذه الظلمات نور من عدل بعض الملوك المؤمنين ، كنور الدين ، وصلاح الدين ، وغيرهما . ثم يسدل الظلام، ويمد رواقه ، ويأتي الناس ما ينسيهم أخبار أولئك الصالحين ولله في خلقه شؤون !

المدرسة (الجهاركسية)

يقال لها : الجهاركسية والجركسية . وهي بالصالحية . ومحلتها مشهورة باسمها، لكن العوام صحفوها ؛ فقالوا عنها : السركسية بسينين مهملتين . وذلك أنك اذا سرت في الطريق الذي هو أمام الدلامية ، عند الجسر الأبيض ، وانتهيت الى آخره عند الطريق العام ؛ قابلتك المدرسة المذكورة .

وقال العلموي : هي بطرف السوق ، فوق نهر يزيد ، عند الجامع الجديد . ومكانها معروف مشهور . انتهى

أقول : وقد وقفت عليها ؛ فرأيتها مندرسة الأطلال ، قد جعلتها أيدي المختلسين دورا للسكنى . ولم يبق منها سوى قبتين عظيمتين قد تهدم أعلاهما ، وتحتهما قبور . وعلى جدارها القبلي كتابة منطمسة الحروف تعسر قراءتها ، تشير الى التعريف بها ، وتاريخ بنائها .

وقال في « تنبيه الطالب » : انها موقوفة على الحنفية والشافعية . وقال بعضهم : انه وقف على كتاب وقفها ، وانها على الحنفية فقط .

وأيا ما كانت ، فقد حرمها مختلسها من العلم وأهله ، ومنعها عن الطائفتين . فماذا يفيد كونها على الشافعية ، أو عليهم وعلى الحنفية !؟

ومن وقفها : النصف والثلث من قرية بيت سوا من قرى دمشق ، وكفر العواميد بالزبداني ، وأحكار بيوت بالصالحية في جوارها ، والثلث من المزرعة المعروفة بها ، واثنا عشر سهما من قرية بيت سوا أيضا ، وغير ذلك مما لا يعلم أي يد تناولته واستباحته .

ترجمة واقفها

فخر الدين جهاركس ٠٠ -٦٠٨

قال ابن خلكان : أبو منصور چهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين ، كان من كبراء أمراء الدولة الصلاحية ، وكان كريما ، نبيل القدر ، عالي الهمة بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه . رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها ، وعظمها ، واحكام بنائها . وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا ، وربعا معلقا . وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ، ودفن في جبل الصالحية . وتربته مشهورة هناك ، رحمه الله تعالى .

وچهاركس بكسر الجيم وفتح الهاء وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة، ومعناه بالعربي أربعة أنفس . وهو لفظ أعجمي معربه أستار(١) والأستار أربعة أواقي، وهو معروف به . وفي « مرآة الزمان » : معناه اشترى بأربعمائة دينار . انتهى

قال الذهبي : وكان العادل قد أعطاه بانياس والشقيف ؛ فأقام هناك مدة .

وقال ابن كثير : واليه تنسب قباب شركس بالسفح تجاه تربة خاتون ، وبها قبره.

وقد علم من مدرسي هذه المدرسة : القاضي أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف الشكلي الشافعي .

المدرسة (الجوهرية)

قال في « التنبيه » : هي شرقي تربة أم الصالح داخل دمشق ، بحارة بلاطه .انتهى

أقول : اذا مررت أمام المدرسة الريحانية ، وسرت مغربا ؛ تجد عن يمينك زقاقا غير نافذ ، فاذا توسطته ، وجدت في الجدار الغربي حجرا مكتوبا قد علاه الطين ، ودورا . وأهل تلك المحلة يقولون : ان هناك قبر الجوهري . ولكن بعض هذا التعريف لايفيد ؛ لأن الحجر قد يزيله المختلسون ، وقد يطينون فوقه . وعلى كل فان المدرسة هناك ؛ وقد اختلست من عهد قريب ، وجعلت دورا للسكنى ، وبقي القبر بحاله .

قال النعيمي : ورأيت مرسوما على عتبة بابها البسملة وهذه الألفاظ وهي :

هذه المدرسة المباركة وقف العبد الفقير الى الله تعالى ، أبو بكر بن محمد ابن أبي

---

(١) قاله ابن خلكان .

طاهر بن عباس ابن أبي المكارم التميمي الجوهري على أتباع مذهب أبي حنيفة رضي‌الله عنه . وكان الفراغ من عمارتها ، والتدريس بها في سنة ست وسبعين وستمائة .انتهى

قال : وأنشأ واقفها وظيفة تدريس بمحراب الحنفية الجديد بجامع دمشق‌الكبير، ورتبها بالمكان المذكور . درس بالمدرسة حسام الدين الرازي ، ثم خمسة بعده حنفية .

٥

ترجمة واقفهـا

نجم الدين الجوهري
٠٠٠-٦٩٤

هو نجم الدين أبو بكر المذكور سابقا . توفي سنة أربع وتسعين وستمائة ، ودفن بمدرسته عن سن عالية (١) .

حرف الحاء المهملة

المدرسة (الحاجبيــة)

١٠

هي والخانقاه بها كانت بالصالحية بالسفح ، قبلي المدرسة العمــرية . والتعريف بمكانها : أنك اذا وقفت أمام‌المدرسة العمرية ، وسرت متجها الى القبلة في الطريق الآخذ الى الجنوب ، فانك لاتسير الا قليلا الا وتجد عن يمينك أرضا محوطة بجدار من التراب المسمى باصطلاح ديارنا دكا ، وقد كانت هناك المدرسة الحاجبية فتهدمت ؛ واستولى الناس على حجارتها ، وبقيت أرضا قفرا ، ليس بها الا بعض آثار جدران من الحجرات التي كانت بها . والفضل للذين لم يمتلكوا أرضها فيجعلوها بستانا !

١٥

والناس يسمونها الآن الحاجبية ، وبعضهم يسميها الخانقاه . وهي ملاصقة‌لبستان قصر الفارة من الجانب الشرقي . وأخبرني من أثق به من المعمرين : أنه منذ سنة‌سبعين ومائتين وألف كانت عامرة ، وبها خلاوي(٢) ، ومنارة قائمة فتهدمت . والله أعــلم بما يؤول اليه أمرها فيما بعد . وليست هي بأول مدرسة تناولها المختلسون غنيمة‌باردة، ولا وقفها بأول وقف ابتلعه مدعو الايمان ، والعمل بالشرع وهو بريء منهم .

٢٠

---

(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره أربعة أسطر .

(٢) تقدم بيانها .

ترجمة واقفها

ناصر الدين
ابن مبارك
٨١٠-٨٧٩

أنشأها الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير مبارك الاينالي ، دوادار سودون النوروزي، ويعرف بابن مبارك .

قال السخاوي في « الضوء اللامع » : ولد في حدود عشر وثمانمائة . وأول ما عرف من أمره أنه عمل دواداراً عند زوج أخته سودون النوروزي حاجب الحجاب بدمشق . ثم تنقل بها في الوظائف الى أن صار حاجبا ، ثم صار نائب حماه ، ثم تولى نيابة طرابلس، ثم عزل منها وصودر ؛ ثم صولح على خمسة وثلاثين ألف دينار ، واستمر على الحجوبة بدمشق . وكان مذكورا بالخير في الجملة ، مع نوع فضيلة ومذاكرة . وأنشأ مدرسة للجمعة والجماعات بصالحية دمشق ، وأنشأ بها رباطا فيما أظن . ورام من البرهان القادري أن يكون شيخ صوفيتها ، فأبى ؛ فقرر ولده . ثم لم يلبث أن مات وهو على حجوبته ، وذلك سنة تسع وسبعين وثمانمائة . وحضر ولده ؛ فبذل الأموال ، وسلم من القتل . انتهى

وقال في « تنبيه الطالب » : توجه في حياة سودون الى مصر ، ولم يقم عنده ثلاثة أيام حتى توفي . فاتصل بالسلطان ، وتقدم عنده . ثم عاد الى دمشق وقد صار حاجبا صغيرا بها ، وأميرا على التركمان . وشرع في تجهيز الأغنام الشامية من دمشق، ومن الشمال الى مصر ؛ فحصل غلاء عظيم في اللحم ؛ حتى صار الرطل يباع في دمشق بستة دراهم . ثم استقر في نيابة البيرة(١) . ثم صار حاجبا كبيرا بدمشق ، ثم صار أميرا على التركمان والأكراد .

وقال الجمال ابن عبد الهادي المعروف بابن المبرد في « الرياض » : تولى نيابة طرابلس وحماه ، وتوفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، ودفن بتربته بالقرب من تربة السبكيين ، تحت كهف جبريل بسفح قاسيون . فاختلف التاريخ عما قبله في وفاته اختلافا يسيرا .

وحكى ابن طولون : وكانت المدرسة الحاجبية أولا زقاقا غير نافذ يشتمل على بيوت، فاشتراها الأمير ناصر الدين من أصحابها ، وبناها مدرسة . ولما كمل بناؤها ؛ صادره السلطان ، ورسم عليه بها ، حتى باع موجوده ، ورام فكها . وأول من ولي امامتها :

---

(١) تدعى الآن بيره‌جك ، وهي من بلاد الجمهورية التركية ، قريبة من مدينة حلب .

الشيخ أبو الخير الرملي ، ثم الشهاب العسكري ، ثم ولده الزين عبد القادر ، وشاركه الشهاب الشويكي . وتولى خطابتها : التاج بن عربشاه الحنفي ، ثم الشمس الطيبي ، ثم النجم بن شكم . وأول من ولي تدريسها الشيخ كمال الدين النيسابوري ، ثم صار الى غير أهله . قال : وهذه المدرسة من أحاسن الصالحية ، بل من أحاسن دمشق . وجميع أبنيتها من الحجر الأبيض ، غير مسجدها فانه من الأصفر والأسود . ومحرابها ، وشباكاها القبليان ، وبركتها ، ومئذنتها وأرضها من حجر رخام ومعدزي(١) ، وسقوفها عجمية . وكان في نية واقفها أن يجعل سقفها جملونا(٢) ، ويختار له الخشب الموافق؛ فأدركته المنية ، ولم يتم له ما قصد .

حرف الخـاء المعجمة

المدرسة (الخاتونية البرانية)

رأيت في كتاب « نزهة الأنام في محاسن الشام » لابن المزلق ما نصه : المدرسة الخاتونية هي من أعاجيب الدهر ، يمر بصحنها بانياس ، ونهر القنوات على بابها ، ولها شبابيك تطل على المرجة ، وبها من ألواح الرخام ما لم يسمح الزمان بمثلها ، وبها عدة خلاوى(٣) للطلبة . وبجوارها دار الأمير الأصيل ابن منجك . وهذه المحلة من محاسن دمشق . انتهى

ثم انقضت تلك السنون وأهلها   فكأنها وكأنهم أحلام

ومنه يعلم أن تلك الجهات كانت آهلة معمورة . وقد كانت هذه المدرسة والمسجد بها على الشرف القبلي ، عند مكان يسمى صنعاء الشام ، المطل على وادي الشقراء ، وهو مشهور بدمشق .

وقال ابن كثير : ويعرف ذلك المكان الذي هي فيه بتل الثعالب .

وقال الصفدي : هذه المدرسة من كبار مدارس الحنفية ، وأجودها معلوما ، وهي بأعلى الشرف القبلي . ا.هـ

---

(١) الظاهر أنه الحجر الأحمر .

(٢) أي أنه محدب على شكل يشابه سنام الجمل .

(٣) تقدم بيانها .

أقول: صنعا ، كانت قرية بالشرف القبلي ؛ فاختفى اليوم أثرها . ولقد أخبرني بعضهم أن بعض الأغنياء في زمننا ، لما بنى أبنيته التي على طريق المزة ، ظفر بحمام تلك القرية تحت الردم، وظفر بآثار أبنيتها وحجارتها، والأبنيةظل زائل . وأما الشقراء : فهي من متنزهات دمشق البديعة ؛ وسيأتي الكلام عليها في محلها .

٥ **ونقول** الآن : ان جوانب المرجة الفيحاء تسمى بالشرفين . وقد قال في « نزهة الأنام » : وكل شرف ، للبلد فيه عدة من المدارس والمساجد . ولكل واحد منهما من الأوقاف ما يكفيه . وقد استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء ؛ فأظهروا فيها أنواع المفاسد . وكلا الشرفين يطل على الشقراء ، والميدان ، والقصر الأبلق ، والمرجة ذات العيون والغدران . وما ألطف ما قاله ابن الشهيد :

١٠ لم يحك جلق في المحاسن بلدة ... قول صحيح ما به بهتان
ولئن غدوت مسابقا في غيرها ... ها بيننا الشقراء والميدان

ومن تحرير القيراطي :

سر بي الى الشقراء من جلق ... واثن الى الخضراء منك العنان
فيها جنان لو رأى حسنها ... أبو نواس للهى عن جنان
١٥ وانزل بواديها الذي نشره ... مسك وحصبا(١) النهر منه جمان

قال العلموي : قلت : هذه الخاتونية هي شمالي نهر بانياس ، مطلة على الميدان الأخضر ، وكانت قبلا بمئذنة وبئر . ورأيت ذلك الى آخر وقت الجراكسة ، وأوائل الدولة العثمانية. وأول من خربها وأخذ رخامها ، ومن جملته رخام المحاريب ، سيباي ، ووضع ذلك بمدرسته الكائنة بباب الجابية ، الملقبة بجمع الجوامع . ودرس بها ٢٠ أبو الحسن البلخي ، ثم سبع مدرسين ، منهم الجلال عمر الخجندي : كان فقيها زاهدا ، بارعا عاقلا ، عارفا بالمذهب ، صنف في الفقه والأصلين ، ودرس بالعزية بالشرف الشمالي ، ثم جاور بمكة سنة ، ثم رجع الى دمشق ؛ فدرس بهذه الخاتونية ، الى أن توفي في آخر ذي الحجة سنة احدى وتسعين وستمائة ، عن اثنتين وستين سنة ؛ ودفن الصوفية . ثم درس بها : الشمس الحريري ، ثم البصروي ، ثم ابن قاضي ملطية، ٢٥ ثم ابن فويرة ، ثم الآدمي . انتهى كلامه .

---

(١) في الأصل حصباء وحذفنا الهمزة لوزن الشعر .

ترجمـة الواقفـة

الست خاتون ام شمس الملوك ٠٠٠-٥٥٧

أوقفتها الست خاتون أم شمس الملوك أخت الملك دقاق ، كما قاله ابن شداد .

قال في « العبر » : سمعت الحديث من أبي الحسن علي بن قيس ، واستنسخت الكتب ، وحفظت القرآن ، وبنت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق ، وجاورت بالمدينة المنورة فماتت بها ، ودفنت بالبقيع . انتهى ٥

وقال العلموي : هي زمرد خاتون ، زوجة تاج الملوك نوري . ثم ذكر نحوا مما تقدم، ثم قال : تزوجها أتابك زنكي ؛ فبقيت معه سبع سنين ، ثم حجت وجاورت بالمدينة ، وتوفيت سنة سبع وخمسين وخمسمائة . وهذه غير خاتون بنت معين الدين التي يأتي ذكرها . فرحمها الله تعالى وعفا عنها .

(الخاتونية الجوانيـة) ١٠

كانت بمحلة حجر الذهب . كذا قاله في «التنبيه ومختصره» . والاسماء في زمننا قد تغيرت ، وبدلت . فلا نعرف تلك المحلة الآن ، ولا في أية جهة هي . ولكن يتضح مما ذكره المؤرخون في ترجمة الواقفة .

ترجمة الواقفة

خاتون بنت معين الدين أنر ٠٠٠-٥٨١

١٥ هي خاتون بنت معين الدين أنر(١)، زوجة الشهيد نور الدين محمود بن زنكي ، ثم السلطان صلاح الدين . وليست هي الواقفة . وانما أوقفها عليها أخوها سعد الدين ، ثم من بعدها ، فعلى عقبها ونسلها . وماتت ولم تعقب . وهي التي بنت الخانقاه ظاهر باب النصر ، في أول الشرف القبلي على بانياس .

قال العلموي : هي التي بجانب الطريق ، ويليها جامع تنكز من الغرب ، ومن القبلة الآن الاتون ، ومن الشمال النهر وبابها ، وهي الآن معمل قاشاني . ٢٠

---

(١) أكثر المصادر المخطوطة القديمة على أنه : « أتز » . والمصادر المطبوعة تجعله : « أنر » . ولكن النسخة القديمة « ل » المسماة مخطوطة لندن لكتاب « الأعلاق الخطيرة لابن شداد » تجعلها : « أنر » كالمطبوعات . وفي النعيمي نقل عن الذهبي في « العبر » : « وكتب على أنر ، على الألف ضمة وفتح النون ، وصحعليها ، وجعل الراء مهملة ، فليحرر » . ا.هـ . نقلا عن « الأعلاق الخطيرة » تحقيق الدكتور سامي الدهان.

هذا كلامه. ورأيت على هامش «مختصره» بخط غيره : أن التي صارت معمل قيشاني هي المدرسة الخاتونية الجوانية. انتهى. وعلى هذا ان المدرسة كانت بتلك الجهة ، وهي التي سماها حجر الذهب .

قال العلموي : وقد خربها وبنى مكانها بيتا ، فخر الدين القدسي المالكي ، وصارت نسيا منسيا. ثم ان كيخيا حسن باشا أخذ منه ماعمره قهرا؛ ولم ينله منها الا الاثم .ا.ه ٥

أقول : قد صرح بأن الخاتونية هذه قد اندرست منذ زمن . وأما القاشاني فقد اندرست أمكنته ، وانقرضت من أيدي الدمشقيين صناعته ، ولم يبق منه الا آثار ملصقة بالبناء ، وهي لبهجتها وجمالها تدهش العقول . فسبحان مغير الاحوال ، ومبيد الامم وصنائعها !

١٠ وقد توفيت خاتون المذكورة سنة احدى وثمانين وخمسمائة ، ودفنت بتربتها التي هي تجاه قبة جركس بالجبل .

قال الأسدي في ترجمة خاتون ، بعد أن ذكر المدرسة والخانقاه : وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد مقابل تربة جركس ، ووقفت على هذه الاماكن أوقافا دارة كثيرة . كذا قال في « مرآة الزمان » .

١٥ قال العماد : وكانت من أغض النساء طرفا ، وأعصمهن ، وأجلهن صيانة وحزما ، متمسكة من الدين بالعروة الوثقى ، ولها أمر نافذ ، ومعروف وصدقات ، ورواتب للفقهاء ، وادرارات . وبنت للفقهاء الصوفية مدرسة ورباطا . قال أبو شامة : وكلاهما ينسبان اليها : فالمدرسة داخل دمشق بمحلة حجر الذهب، بالقرب من الحمام الشركسي . والرباط خارج باب النصر ، راكب على نهر بانياس ، في أول الشرف القبلي . وأما ٢٠ مسجد خاتون الذي في آخر الشرف القبلي من الغرب ، فهو منسوب الى زمرد خاتون بنت جاولي ، أخت الملك دقاق لأمه . قال العماد : وهذا سوى أوقافها على معتقيها، وعوارفها ، وأقاربها . فرحمها الله تعالى .

حرف الدال المهملة

المدرسة (الدماغية)

تقدم الكلام عليها ، وأنها على الفريقين : الحنفية والشافعية . ومن مدرسيها من الحنفية : عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون الحنفي ، خطيب النيرب ، وشيخ الاطباء . وكان طبيبا ماهرا حاذقا ، وله شعر وفضائل . توفي سنة أربع وتسعين وستمائة . ٥

حـــرف الراء

المدرسة (الركنية)

أقول : هي بالصالحية بمحلة الاكراد ، قبلي الطريق . ينزل الداخل اليها على درج ؛ فيرى ساحة متوسطة في الانفساح ، وبالجانب الشرقي قبة عظيمة ، وبالجانب الغربي جامع . وكلاهما مبني بالحجارة الضخمة بناء متقنا هائلا . وهي عامرة الى الآن ، لم يغير ١٠ الزمان شيئا من رونقها ؛ الا أن يكون بعض المختلسين أخذ قطعة من جانبها الغربي ، فاختلسها . وهي الآن برسم جامع للصلوات الخمس . قال النعيمي : أوقف بانيها عليها أوقافا كثيرة ، وكان من شرط مدرسها أن يسكن بها .

ترجمة واقفهـــا

ركن الدين منكورس ٠٠٠-٦٣١

١٥ أنشأها الامير ركن الدين منكورس الفلكي ، غلام فلك الدين أخي الملك العــادل . وكان من خيار الامراء، مواظبا على الصلوات في المسجد، مع قلة الكلام، وكثرة الصدقات.

وقال الذهبي في « تاريخ الاسلام » : ناب في الديار المصرية للملك العادل ، وكان محتشما عفيفا ؛ يجيء الى الجوامع وحده ، وله بجبل قاسيون تربة ومدرسة ، ووقف عليها أوقافا كثيرة. انتهى

٢٠ توفي بقرية جرود من أعمال دمشق ؛ وحمل الى تربته في هذه المدرسة ، فدفن فيها سنة احدى وثلاثين وستمائة . وكان بناء المدرسة سنة احدى وعشرين .

وحكى العلموي له كرامات تركناها هنا اختصارا .

ودرس بالركنية وجيه الدين القاري ، ثم بعده أربعة عشر مدرسا .

جوار المدرسة النورية من الجانب الغربي . وقد تقلبت عليها الايام ؛ الى أن استقرت في زمننا هذا مكتبا للاطفال . وأظن أنها لم تسلم من الاستيلاء على شيء من أطرافها . وقد وقف عليها بانيها أوقافا معلومة مشهورة . وقد قرأت الحجر المحفور الموضوع أسكفة(١) لبابها ، فاذا فيه بعد البسملة : ٥

وقف هذه المدرسة المباركة جمال الدين ريحان بن عبد الله على المتفقهة بها على مذهب الامام الاعظم سراج الامة أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، رضي الله عنه . ووقف عليها جميع البستان الخراجي المعروف بأرض الحواري ، والارض المعروفة بدف العناب ، والقرماوي بأرض القطائع ، والجورتين: البرانية والجوانية بأرض الخامس ، والنصف والثلث من الريحانية ، ومن الاسطبل المعروف بعمارية ببستان بقر الوحش وذلك ١٠ معروف مشهور « فمن بدله » الآية ١٨١/٢ ، سنة خمس وسبعين وخمسمائة . وهي معروفة كما قلنا ، ولكن أوقافها مجهولة لم ندر من اختلسها .

وقد درس بها جماعة منهم: الصاحب محمد بن يعقوب الحلبي المشهور بابن النحاس ، وكان من أساطين العلم ، مكبا على الفقه . قال الصفدي :

ترجمة ابن النحاس الحلبي (٢)

١٥ ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، واشتغل بالعلم ببغداد ، وكان صدرا معظما ، متبحرا في المذهب وغوامضه ، موصوفا بالذكاء ، وحسن المحاضرة والمناظرة . انتهت اليه رياسة المذهب بدمشق . ودرس بالريحانية والظاهرية . وولي نظر الدواوين ، والاوقاف ، والجامع . وكان معمارا مهندسا ، كاتبا موصوفا بحب الانصاف في البحث . وكان يقول : أنا على مذهب أبي حنيفة في الفروع ، وعلى مذهب أحمد ٢٠ في الاصول . وكان يحب الحديث والسنة . وفيه يقول علاء الدين الوداعي :

ومن مثل محي الدين دامت حياته … الى مذهب الدين الحنيفي يرشد
لقد أشبه النعمان وهو حقيقة … أبو يوسف في علمه ومحمد

توفي في المزة أواخر سنة خمس وتسعين وستمائة ، وله احدى وثمانون سنة وشهران . قاله الذهبي .

---

(١) تقدم بيانها .

(٢) ذكر ذلك المؤلف على الحاشية فأثبتناه للأمانة العلمية .

ترجمة واقفها

جمال الدين ريحان
٦١٤-٦٩٥

أنشأها ريحان المتقدم ذكره ، وكان طواشيا يخدم السلطان محمود بن زنكي ، وجعله واليا على السجن والقلعة ، وبقي على ذلك الى أن توفي السلطان ، ودخل صلاح الدين لأخذ دمشق . ثم راسله حتى استماله ، وأغزر له نواله ؛ فتملك القلعة منه ، وما زال في الدولة الصلاحية حتى توفي ، رحمه الله تعالى . ٥

المدرسة (الزنجارية)

قال القاضي عز الدين ، والنعيمي : هي خارج باب توما ، وباب السلامة . ويقال لها: الزنجبيلية المسبعة ، تجاه دار الأطعمة . وبها تربة ، وجامع بخطبة بمعلوم على الجامع الأموي . وهي من أحسن المدارس . والذي وجد من أوقافها : حانوتان جوارها ، ولها طاحون بالقرب منها ، وبجوار الطاحون حانوت . قال عز الدين : كذا رأيته في كشف ١٠ مشد الأوقاف لمحمد بن منجك الناصري . انتهى

قال العلموي : وهي التي على بابها هذا الرخام الذي من عجائب الدنيا ، وهذه الصناعات التي كانت كأنها بين أيديهم كالعجين .

وحكى العمري في « ذيله » على « مختصر العلموي » : أن جامعها خطب به الشيخ ابن التينة ؛ فلما مات انقطعت الخطبة منها . وفي أيام قاضي قضاة الشام عبد الرحمن ١٥ أفندي ، كشف على المكان المذكور ؛ فوجده قد تهدم منه القبو . فأمر بعمارته ، وعين خطيبا ، وأقيمت الجمعة كما كانت ؛ وذلك في سنة احدى عشرة وألف .

أقول : هذا التعريف بهذه المدرسة فيما مضى . وأما الآن فاني نقبت عنها ، حتى علمتها بعلاماتها ، وعرفت أن اسمها تغير ؛ والناس يسمونها جامع السقيفة بالتصغير ، وليس بناؤها على طراز بناء المساجد . وكل من له خبرة بأبنية المدارس يحكم بأنها ٢٠ مدرسة . وجدارها الغربي من جهة الطريق هو كما وصفه العلموي به من الرخام المعجن الذي يبهر في اتقانه وحسن بنائه . وهي خارج باب توما . والتربة موجودة ، وبها قبر الواقف . والحانوتان والطاحون كذلك . ويمر بجانبها نهر يسمى نهر الزنجاري ؛ فلعل المدرسة نسبت اليه .

وأما دار الأطعمة ؛ فقد صارت طعام الخراب . وأخبرني بعض جيرانها أنه قد بقي من أوقافها اسطبل ؛ والناظر يؤجره ، ويعطي اجرته للخطيب ليصلي بها يوم الجمعة فقط . وبقية الأوقات يكون غالبا بابها مؤصداً . وهي لاتسلم من أن بعض المختلسين تناول طرفا من جانبها الشمالي والله أعلم . وفي « تنبيه الطالب » : أنه درس بها : حميد الدين السمرقندي ، ثم كمال الدين السنجاري ، ثم بعده عشرة مدرسين حنفية . ٥

أقول : وفي زمننا ، لاتدريس فيها ، ولا صلاة ، الا الجمعة وبعض أوقات للمنفردين .

ترجمة واقفها

عز الدين الزنجبيلي

أنشأها عز الدين عثمان الزنجبيلي صاحب عدن . قال في « الروضتين » نقلا عن العماد الكاتب ما خلاصته : لما توفي الملك المعظم شمس الدين ، أشفق السلطان صلاح الدين من نوابه باليمن ، وذكر ما بين ولاتها من الاحن . ووصل الخبر بما يجري بين ١٠ الأمير عثمان ابن الزنجبيلي والي عدن ، وبين الأمير حطان والي زبيد من الفتن . فندب الى زبيد عدة من الأمراء لحفظ البلاد ، واصلاح الأمور ، ومن جملتهم والي مصر صارم الدين خطلبا . وبقيت الولاية له في غيبته يقوم بها نوابه . قال ابن أبي طي : وكانت نفس طغتكين ، أخي الملك الصالح ، تميل الى اليمن ، ويرغب في أن يصير واليا عليها . فتوسل الى صلاح الدين بالوسائل الفعالة المستميلة ، حتى ولاه عليها سنة ثمان وسبعين ١٥ وخمسمائة ، وجعله واليا على زبيد وعدن واليمن . ثم سار ؛ ولما وصل الى زبيد ، قاوم حطانا حتى أنزله عن رتبته ، ثم سمح له بالخروج بجميع أمواله ومن يلوذ به . ولما أخذ جميع ما كان يملكه ، وصار خارج البلد ؛ كر عليه ، فأخذ منه جميع ما بيده . ولما انتهى الخبر الى عثمان ابن الزنجبيلي ؛ فر من عدن بأمواله الى الشام ، فنجى بها وبنفسه . ٢٠

قال أبو شامة : قلت : ولهذا الأمير أوقاف وصدقات بمكة ، واليمن ، ودمشق . واليه تنسب المدرسة والرباط المتقابلان بباب العمرة بمكة ، والمدرسة التي خارج باب توما بدمشق .

قال ابن كثير : وكان قد حصل من اليمن أموالا عظيمة جدا . وحكى ابن الأثير : أن المترجم لما سمع بما جرى على حطان بن منقد المذكور خاف ، فسار نحو الشام خائفا ٢٥

يترقب . وسير معظم أمواله في البحر ؛ فصادفهم مركب فيها أصحاب طفتكين ، فأخذوا كل ما للمترجم ، ولم يبق له الا ما صحبه في الطريق . وصفت زبيد ، وعدن ، وجميع بلاد اليمن لطفتكين .

حرف السين

المدرسة (السفينية)

هي بجامع دمشق . ولم يذكر النعيمي ، ولا العلموي موضعها . والظن الراجح أنها حلقة كانت بالجامع .

قال النعيمي : لم يعلم لها واقف . ودرس بها : أكركن بن سلطان ، ثم الصدربن عقبة ، ثم محي الدين ، ثم التاج السنجاري ، ثم الصدر ، ثم العماد ابن الشماع . وسيأتي الكلام عليها عند الكلام على الجامع .

المدرسة (السيبائية)

عرفها النعيمي بأنها خارج باب الجابية ، وشمالي بئر الصارم . والتربة بها ، والزاوية أيضا . كذا قال . ولعل الصحيح أن التربة والبئر شماليها .

قال العلموي : بناها واقفها من سنة خمس عشرة وتسعمائة الى سنة احدى وعشرين . وجعلها جامعا ، ومدرسة ، وزاوية ، وتربة . عمرها بالحجر الأبلق ، والرخام . ولم يدع بدمشق مسجدا مهجورا ، ولامدفنا معمورا الا وأخذ منه من الأحجار ، والآلات ، والرخام ، والعواميد ما أحب وأراد . وتقلد ذلك ، حتى سماها علماء دمشق جمع الجوامع . ثم انه لم يهنأ بها ، وسافر مع الغوري الى مرج دابق . وتصاف العسكران به . فما احتمل عسكر الجراكسة لحظة حتى انكسر الغوري ، وقتل سيباي ، ولم يدفن بمدفنه .

ولا يخفى ما في كلام العلموي من التحامل والحط على الباقي ؛ لأنه أخذ أنقاض المدارس المتهدمة ، والترب التي كان بناؤها على خلاف أمر الشريعة المحمدية ، كما سنوضح ذلك في أول الكلام على الترب ، ان شاء الله تعالى .

هذا وقد نص جمهور من الفقهاء على أن الوقف اذا تعطلت منافعه ؛ يجوز بيعه ، واستبداله بوقف آخر . وعلى أنه يجوز نقل حجارة المسجد وترابه اذا خرب الى مسجد آخر . وبعض الفقهاء الجاحدين لايعلمون بأن غالب أدلة الفقه ظنية ؛ فيخطئون كل من خالف مشربهم ، بل يدعون أنه لاحكم لله الا ما قاله من قلدوه . وهذا من الجهل والبعد عن العلم ، أنقذنا الله من الغفلة ! وأما المدرسة المترجمة، فهي الآن موجودة بباب الجابية. وقد اشتهرت باسم الجامع المعلق ، وباسم الجامع السيبائي . والعوام يحرفون اللفظة فيقولون : جامع السباهية . ولها باب من الطريق العام ؛ يصعد اليه بدرج ، وباب آخر من طريق القنوات . وهي واسعة الأرجاء ، متقنة البناء ؛ الا أنها معطلة لاتقام بها الجماعة، ولاينتفع بها . غير أن قسما منها قد جعل مكتباً للأطفال ، والباقي مقفل . وما حقها أن يفعل بها هذا الفعل . لكن حسن موقعها ، واتقان بنائها ينادي على أن يجعل لها شأن عظيم . وسيكون ذلك بعونه تعالى .

ترجمة بانيها

سيباي ٠٠٠-٩٢٢

انشأها نائب الشام سيباي الذي كان أمير السلاح بمصر . ويعلم من كتاب تحفة الناظرين » أنه كان مقربا عند الملك الأشرف قانصوه الغوري . وكان قانصوه شديد الطمع ، كثير الظلم والعسف ، يصادر الناس في أموالهم ، واذا مات أحد أخذ جميع ماله ؛ فبطل في زمنه الميراث ، وصار وارثا لجميع رعيته . ولم يكف ظلمه حتى اتخذ مماليك يعينونه على ظلم الناس . ثم انه صار بينه وبين السلطان سليم ؛ فقصد كل منهما الآخر ، واجتمعا بعسكرين عظيمين في مرج دابق سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة. فوقع الغوري تحت سنابك الخيل ، وانهزم عسكره ، وقتل سيباي في تلك الواقعة. وكان السلطان سليم هو السيف المسلط على الجراكسة حتى أفناهم .

حرف الشين

المدرسة (الشبلية البرانية)

قال ابن شداد في كلامه على المدارس الخارجة عن البلد : المدرسة الشبلية الحسامية بسفح جبل قاسيون ، بالقرب من جسر ثورا . ا.هـ

أقول: وقد أبهم موضعها ، ولم يبين أي جسر ؛ أهو الجسر الأبيض أم غيره !؟والذي يظهر أنها بالقرب من البدرية ؛ وقد مر بيانها . ولقد وقفت عند البدرية أسأل أطلالها عنها ، وعن الشبلية ؛ فوجدت بستانا يسميه العامة بالشبلي وببستان الشبلية ، وهو على طريق عين الكرش بالقرب من جسر نهر ثورا . فدخلت البستان ؛ فاذا في جانبه بناء له أربعة جدران قائمة ، وبها قنطرتا ايوانين . وبجانب هذا البناء قبة ، تحتها قبر . فناداني ذلك البناء المتداعي للسقوط : تلك آثار المدرسة التي تبحث عنها ؛ وقد حال الحال ، وتغيرت الرسوم ، ولم يبق الا ما نشاهده ، ولربما بعد مدة لاترى شيئا مما تراه الآن ! فقلت عليك ياشبلية السلام عدد ما سكنك من طلاب العلوم . ومن أوقاف هذه المدرسة قرية بيت نائم بأواخر الغوطة .

ترجمة واقفها

شبل الدولة كافور ٠٠٠-٦٢٣

أوقفها شبل الدولة كافور الحسامي الرومي ، نسبة الى حسام الدين عمربن لاجين ولد ست الشام . وهو الذي كان مستحثا على عمارة الشامية البرانية لمولاته ست الشام .

قال ابن كثير : وهو الذي بنى الشبلية الحنفية ، والخانقاه على الصوفية الى جانبها، وكان محلها منزله . ووقف القناة ، والمصنع ، والساباط ، وفتح للناس طريقا من عند المقبرة التي هي غربي الشامية البرانية ، الى عين الكرش . ولم يكن للناس قبله طريق الى الجبل من هناك ؛ وانما كانوا يسلكون اليه من عند مسجد الصفي بالعقيبة . توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ودفن في تربته التي أنشأها .

ودرس بهذه المدرسة صفي الدين السنجاري ، ثم بعده اثنا عشر مدرسا ، آخرهم شمس الدين ابن الرضي ، ومنهم : سعيد بن علي بن سعيد البصروي الحنفي . قال الذهبي : هو مدرس الشبلية ، أحد أئمة المذهب ، وكان دينا ورعا ، نحويا شاعرا . توفي سنة أربع وثمانين وستمائة وقد قارب الستين . قال ابن كثير : له تصانيف مفيدة ، ونظم حسن منه :

قل لمن يحذر أن تدركه ... نكبات الدهر، ما يغني الحذر

أذهب الحزن اعتقادي أنه ... كل شيء بقضاء وقدر

وقال الصفدي : كان اماما مفتيا ، مدرسا بصيرا بالمذهب ، جيد العربية ، متين الديانة ، شديد الورع ؛ عرض عليه القضاء ، أو ذكر له ؛ فامتنع . ومن شعره قوله :

استجر دمعك مااستطعت معينا فعساه يمحو ما جنيت سنينا

أنسيت أيام البطالة والهوى أيام كنت لذي الضلال قرينا

٥ ثم ان الصفدي روى له قصيدة طويلة في هذا المعنى .

(الشبلية الجوانية)

قال ابن شداد : هي مقابل الأكزية الشافعية . انتهى

قلت: قد تقدم فيما مر أن الأكزية غربي الطيبة والتنكزية ، وشرقي تربة أم الصالح. وخلاصة القول في أمرها : انها كانت في الجدار القبلي من الطريق المار أمام المحكمة ١٠ الكبرى المسماة بمحكمة الباب . والمار أمام المحكمة سائرا الى الجهة الغربية ، تكون عن يساره . وقد انطمست الآن معالمها ، وعفت آثارها ، وأمست دورا للسكنى ، ولم يبق من آثارها سوى حجارة من جدارها الشمالي تنشد قول قعنب الفزاري بصوت ضعيف :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لايعدم على الغي لائما

فيجيبها مختلسها بقول المتلمس :

١٥ وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما

شبل الدولة كافور

والذي أنشأها شبل الدولة المعظمي[١] صاحب المدرسة التي قبلها. ودرس بها ابن النجاد ثم خمسة مدرسين بعده .

حرف الصاد

المدرسة (الصادرية)

٢٠ هي داخل دمشق ، بباب البريد على باب الجامع الأموي الغربي . قاله في « تنبيه الطالب » . وقال : وهي أول مدرسة أنشئت بدمشق سنة احدى وتسعين وثلاثمائة .

---

(١) هو كافور الحسامي المتقدم ذكره .

وفي بعض نسخ « التنبيه ومختصره » ابدال الثلاثمائة بأربعمائة وهو خطأ من الناسخ.

أقول : هذه المدرسة من جملة ماالدرس من المدارس ، واسمها مشهور معلوم . ولم يبق من أطلالها الا بعض من صحنها ، وبه بركة الماء ، وفي جانبها بئر من الماء ، وفي الجانب القبلي تربة في حجرة صغيرة ، والباقي قد اختطفته يد المختلسين ، فصار دورا للسكنى . ومحلها يقال له : الصادرية . وآثارها الباقية تنشد قول ذي الرمة : ٥

اذا غيَّر النأي المحبين لم يكد   رسيس الهوى من حب مية يبرح

ترجمة واقفها

شجاع الدولة صادر

لم أر لمنشئها ترجمة في « تاريخ الحافظ ابن عساكر » . والذي رأيته في غيره كلمات يسيرة وهي : أنشأها شجاع الدولة صادر بن عبد الله . وهي أول مدرسة أنشئت بدمشق سنة احدى وتسعين وثلاثمائة . ودرس بها علي بن زنكي الكاساني ، ثم ١٠ أبو الحسن البلخي صاحب المدرسة البلخية لصيقها ، ثم بعدهما اثنا عشر مدرسا ، منهم : رشيد الدين الغزنوي ، وبرهان الدين الغزنوي . انتهى . وعسى أن نظفر بأكثر من هذا البيان فنثبته هنا . ومن جملة من درس بها : محمد بن أسعد بن الحكيم العراقي الواعظ ؛ كان له القبول التام في الوعظ بدمشق ؛ وروى المقامات عن الحريري ، وصنف لها شرحا ، وصنف تفسيرا للقرآن الكريم . وتوفي سنة سبع وستين وخمسمائة عن ١٥ نيف وثمانين سنة . قاله الذهبي .

قال الأسدي في ترجمته : بنى له الأمير معين الدين أنر مدرسة . وترجمه الحافظ ابن عساكر بنحو ما تقدم .

حرف الطاء

المدرسة (الطرخانية) ٢٠

كانت قبلي المدرسة الباذرائية . وقد عفت رسومها ، ومحيت أطلالها ، وأخنى عليها الزمان ، وأمست دورا للسكنى تنتقل من يد الى يد .

قال ابن شداد : كان محلها يعرف بدار طرخان ؛ فاشتراها سنقر الموصلي ، وجعلها

مدرسة لأصحاب أبي حنيفة . وكان انشاؤها لأجل البرهان علي البلخي سنة خمس وعشرين وخمسمائة . وهو أول من درس بها ، ثم من بعده أحد عشر مدرسا ، آخرهم شهاب الدين بن فزارة . وتقدم بعض الكلام على البرهان البلخي في المدرسة البلخية.

ومن أفاضل مدرسي هذه المدرسة : اسماعيل بن ابراهيم بن أحمد بن غازي بن محمد القاضي الشيباني المارداني الدمشقي الحنفي المعروف بابن فلوس . ولد ببصرى سنة ٥ أربع وأربعين ، واشتغل بالفقه ، وسمع الحديث ، وناب بالحكم بالمدرسة الطرخانية بجيرون ، ودرس بها ، وكان شيخا دينا لطيفا . قاله الأسدي . وقال : بعث اليه الملك المعظم يأمره بإباحة الأنبذة . قال ابن كثير : أمره بإباحة نبيذ التمر وماء الرمان ؛ فأبى ، وقال : لا أفتح على أبي حنيفة هذا الباب ؛ وأنا على مذهب محمد في تحريمها ؛ وقد ١٠ صح عن أبي حنيفة أنه ما شربها قط ، وحديث ابن مسعود لايصح ، وما روي فيه عن غيره لايثبت . فغضب الملك المعظم وأخرجه من الطرخانية ، وأعطاها للزين محمد ابن البقال . فلم يتأثر ، وأقام في بيته ، وأقبل على التحديث والفتوى والافادة ، الى أن توفي سنة ثلاثين وستمائة .

ترجمة واقفها

سنقر الموصلي ١٥ تقدم أن الذي أنشأها سنقر الموصلي[١] .

المدرسة (الطومانية)

كانت تجاه دار الحديث الأشرفية بدمشق ، غربي الشريفية والفقاعية . وقد اندرست ، واندرست معها الشريفية ، وأجابتهما الفقاعية ؛ فذهب الكل أدراج الرياح ، وأمسى مخازن وحوانيت ، ودورا للسكنى .

٢٠ قال في « تنبيه الطالب » : لم أقف على ترجمة واقفها. ووقفها نصف قرية قصيفة، غربي المعوفس ، وقبلي أهه من اللجاه . وجوانب جوارها جراب . وقد احترق بعضها في بعض الفتن . ولعل واقفها طومان النوري بن ملاعب بن عبد الله الأنصاري الخزرجي ، الأمير الكبير صاحب الرقة .

طومان النوري
٠٠٠-٥٨٥

---

(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره ستة أسطر .

قال الأسدي : كان شجاعا ، جوادا محبا للخير كثير الصدقات ، مائلا الى العلماء والفقهاء . وبنى بحلب مدرسة للحنفية . توفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وقد جاوزت سنه المائة ، ودفن قبل العاصية في صور ؛ وقبره يزار . وقد بنى الخان المعروف بطريق حلب . هذا كلام « التنبيه » . ولا يخلو التعريف بوقفها عن تحريف لم يظهر لي تحريره أثناء الكتابة ؛ لكثرة مافي النسخة التي اطلعت عليها من الاغلاط ، ولكن الأمر سهل لأنه تعريف عن شيء قد تلاشى واندرس .

حرف الظاء

المدرسة (الظاهرية الجوانية البيبرسية)

قد تقدم ذكر محلها ، وأنها هي الظاهرية الجوانية بعينها . ولما كانت على الفريقين: الشافعية والحنفية ، كرر ذكرها هنا .

وقد درس بها : صدر الدين الأذرعي صاحب الجامع الصغير، ثم بعده ستة مدرسين، منهم : ركن الدين السمرقندي وكان شيخ الحنفية في زمنه . سطا عليه بعض أعدائه فخنقه ، وألقاه في بركتها ، وأخذ ماله . وبعد التدقيق عن الفاعل ، علم أنه بوابها علي الحوراني ؛ فصلب على بابها .

وترجم صاحب « التنبيه » الأذرعي ، فقال : هو سليمان ابن أبي العز بن وهب ابن عطاء أبو الربيع الحنفي الأذرعي ، صاحب الجامع الصغير ، شيخ الحنفية في زمنه، وعالمهم شرقا وغربا. أقام يدرس مدة في دمشق ، ويفتي ، ثم انتقل الى الديار المصرية . ولد سنة أربع وستين وخمسمائة . وتفقه على الجمال الحصيري ؛ وولي قضاء القاهرة أيام الظاهر بيبرس تولية عامة حيث حلت ركاب السلطان . وكان يحبه ويعظمه ، ولايفارقه في غزواته . ثم استعفاه من قضاء القاهرة ، وعاد الى دمشق . فأقام بها مدة يدرس بالظاهرية . ولما مات ابن العديم عرض عليه منصبه فقبل ، وباشره ثلاثة أشهر . ومات ليلة الجمعة سادس شعبان سنة سبع وستين وستمائة ، ودفن بالقرب من الجامع الأفرم . ومن لطيف شعره ما قاله في مملوك تزوج احدى جواري الملك المعظم :

يا صاحبي قفا لي وانظرا عجبا | أتى به الدهر فينا من عجائبه
البدر أصبح فوق الشمس منزلة | وما العلو عليها من مراتبه
أضحى يماثلها حسنا يشاركها | كفوا وسار اليها في مواكبه
وأشكل الفرق لولا وشي نمنمة | بصدغه واخضرار فوق شاربه

٥ ويوجد بين ما تقدم من سنة ميلاده ، وبين ما حكاه ابن كثير ، خلاف واضح . فانه قال : ولد سنة خمس وسبعين . ولعل السبعين تصحيف وأنها ستون ، أو أحدهما مصحف . وحكى ابن كثير في ترجمته : أن السلطان بيبرس ، لما أراد أن يوقع الحيطة على أملاك الناس ؛ أراد من الاذرعي أن يحكم بمقتضى مذهبه ؛ فغضب من ذلك ، وقال : هذه الاملاك بيد أربابها ، ولايحل لمسلم أن يتعرض لها ؛ ثم نهض من المجلس ١٠ وذهب . فغضب السلطان من ذلك غضبا شديدا ، ثم سكن غضبه . وكان يثني عليه بعد ذلك ، ويمدحه ويقول : لاتثبتوا كتابا الا عنده . ثم قال ابن كثير : وكان المترجم من العلماء الأخيار ، كثير التواضع ، قليل الرغبة في الدنيا .

الجوبري

الجوبري
٦٥٣-٧٢٨

ترجم الصلاح الصفدي الجوبري ، مدرس الظاهرية الحنفية ، فقال : هو محمدابن ١٥ عثمان ابن أبي الحسن الجوبري الدمشقي ، قاضي القضاة ، شيخ المذهب . ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة . وتفقه وبرع ، وحفظ الهداية ، وأفتى ، ودرس وتميز ، مع الوقار والسمت الحسن ، وحسن الهدي ، والفتوة والهيبة ، وانطلاق العبارة ، وولي القضاء وكان صارما به ، توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

حرف العين

٢٠
المدرسة (العذراوية)

تقدم الكلام عليها . وذكرت هنا لأنها على الفريقين : الشافعية والحنفية . وعلم من مدرسي الحنفية بها ثمانية ، آخرهم جلال الدين الدارمي الرازي .

المدرسة (العزيزية)

هي بجوار المعظمية بالصالحية . وسيأتي الكلام على ما انتابها وما وصلت اليه في زمننا ، عند الكلام على أختها المعظمية .

وحكى في « تنبيه الطالب » ان المعظمية انشئت سنة احدى وعشرين وستمائة ؛ والعزيزية سنة خمس وثلاثين وستمائة . ودرس بها : صدر الدين ابن برهان الدين مسعود ، ثم أخوه مجد الدين ، ثم كمال الدين السنجاري . ثم ظهر كتاب وقفها وفيه : أن مدرسها يكون مدرس المعظمية . فاشتغل بها شمس الدين الأذرعي ، ودرس بها شمس الدين بن عزيز ، ثم بدر الدين الحسيني ، ثم الأذرعي أيضا . 5

ترجمة واقفها

الملك العزيز ابن العادل ٠٠٠-٦٣٠

انشأها الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل ، شقيق الملك المعظم . وكان صاحب بانياس ، وتلك الحصون التي هناك . وهو الذي بنى قلعة الصبيبة بين بانياس وتبنين وهونين . وكان موته بالناعمة ، وهي بستان له بيت ببيت لهيا . ويظهر من تاريخ الأسدي أن قرية الكتيبة وقف على هذه المدرسة . والكلام على بسط ترجمته في القسم السياسي من هذا الكتاب . 10

المدرسة (العزية البرانية) (١) 15

كانت فوق عين الوراقة بالشرف الاعلى ، شمالي ميدان القصر خارج دمشق . قاله النعيمي .

أقول : أما عين الوراقة ، فهي مشهورة الآن، والميدان هو المرج الاخضر غربي التكية . وموضعها كان قصر الملك الظاهر بيبرس . وأما المدرسة ، فقد وقفت على رسومها وأطلالها ، وخاطبتها ، فأجابتني بقول أحد أدباء بغداد من معاصرينا في رثاء المدرسة المستنصرية بدار السلام : 20

(١) ذكرت في « الاعلاق الخطيرة » : « مدرسة الامير عز الدين » .

بكيت بها عهدا مضى في عراصها كريما فليت العهد لم يك ماضيا
بكيت بها المدفون في حجراتها من العلم حتى بل دمعي ردائيا

ومعالمها المدرسة الآن في أول زقاق الصخر ، بالقرب من المكان الذي بني محلا لمجمع الأضواء الكهربائية ، جنوبي الطريق. وقد بقي منها بابها ، ومكتوب على أسكفته[1] كتابة قاربت الانطماس . وهي على حجرين ، والأعلى منهما مكتوب عليه :

لا اله الا الله محمد رسول الله . بسم الله الرحمن الرحيم . « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » آية ٢/١١٠ . وتاريخه سنة ست وعشرين وستمائة .

والأسفل منهما مكتوب عليه :

أوقف هذه المدرسة المباركة وأبدها وحبسها ، الامير الكبير الغازي المجاهد أبو الفضل عز الدين أيبك ، على الفقهاء والمتفقهة ، من أصحاب الامام الأعظم سراج الأمة أبي حنيفة رضي الله عنه ، وعلى المقرئين والمحدثين والمستمعين ، تقبل الله منه . وهذا الباب قريب الاندراس . ولما دخلتها ، رأيت ثمار العلوم التي كانت تجتنى منها قد بدلت بثمرات الأشجار ، وجعلت أمكنة حجراتها ومسجدها وساحتها بستانا . ولما تتبعت آثار جدرانها ، لم أجد شيئا باقيا منها سوى أساس الجدار الشمالي ؛ وقد أقيم عليه دك البستان ، والباب مسدود . ولاح بخاطري أن أعلم مساحة أرضها ؛ فرأيت طولها من الشرق الى الغرب نحوا من ستين خطوة ، والعرض مقدار النصف من ذلك . وهي تشرف على واد عميق ، وجدارها الجنوبي مؤسس من أسفل ذلك الوادي ؛ وقد بقي سالما الى ما يسامت أرضها . وفي الزاوية الجنوبية منها قبة عظيمة قائمة في الهواء ، صبرت على مر الرياح وكر القرون ؛ فلم تؤثر بها الحوادث شيئا . ومساحة داخلها سبع خطوات في سبع . وفي وسطها قبر عز الدين ، وارتفاعه عن الارض نحوذراعين. وللقبة شباكان مطلان على ميدان القصر . وكلها مبني بالحجر الأصفر . وهذهالمدرسة كانت في أيام سعودها نزهة للأبصار ، وملعبا للنسيم اللطيف العليل ؛ تهدي لساكنها أبهج المناظر الدمشقية . يقون لسان حالها : عجبا لمن يسكنني ولم تتفجر من فؤاده ينابيع الحكمة والعلم ؛ فسبحان الباقي !

---

(١) تقدم بيانها .

ترجمة واقفها

عز الدين أيبك
٠٠٠-٦٤٦

تقدم أن الذي بناها الأمير عز الدين أيبك استاذ دار(١) المعظمي المعروف بصاحب صرخد ، سنة ست وعشرين وستمائة . وكان من العقلاء الأمجاد .

وقال ابن كثير : استنابه الملك المعظم على صرخد ؛ فظهر منه نهضة وكفاءة . ووقف القريتين : البرانية والجوانية . ثم ان الملك الصالح أيوب أخذ منه صرخد ، وعوضه عنها . فأقام بدمشق على خير وتقى . ثم تناوله الوشاة بألسنتهم ، واتهموه بأنه يكاتب الملك الصالح اسماعيل ؛ فاحتيط على جميع أمواله وحواصله . فأخذ منه القهر كل مأخذ ؛ فمرض ، وسقط على الأرض وقال : هذا آخر عهدي . وكان قد فر الى مصر في مبدأ التهمة ، ومات بها سنة ست وأربعين وستمائة ، ودفن بباب النصر بها . ثم نقل الى دمشق ، ودفن في تربته التي أنشأها بمدرسته . كما أفاد ابن كثير ، وصاحب « مرآة الزمان » .

ودرس بهذه المدرسة الشمس ابن فلوس ، ثم بعده نحو أحد عشر مدرسا ، آخرهم شهاب الدين ابن الفصيح . وكان بها دار حديث وليها ابن المظفر وغيره .

ابن الفصيح

فخر الدين
ابن الفصيح
٦٨٠-٧٥٧

قال عبد الحي اللكنوي في « الفوائد البهية في طبقات الحنفية » مانصه : أحمد ابن علي بن أحمد فخر الدين أبو طالب الهمذاني المعروف بالفصيح . كان اماما علامة ، جامعا للعلوم العقلية والنقلية ، انتهت اليه رئاسة المذهب في زمانه ؛ وكان مدرسا بمشهد أبي حنيفة . أخذ عن الحسن السغناقي صاحب « النهاية » ، عن حافظ الدين الكبير محمد البخاري ، عن الكردي ، عن صاحب الهداية . ودرس ببغداد ودمشق ، وأفتى ، وصنف نظم « الكنز » و « الجامع » و « السراجية » في الفرائض ، و « المنار » في الأصول . وكانت وفاته بدمشق سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، ومولده سنة ثمانين وستمائة . وتفقه عليه ابن وهبان . انتهى

وذكره الذهبي في « معجمه المختص » ، وقال : هو الامام الفقيه النحوي ، تفقه وبرع ، وأفتى ، وتخرج وأفاد ، وأقرأ العربية بالمستنصرية .

---

(١) في « الدارس » : « استادار » ، وفي « مختصره » : « أستاذدار المعظم » .

المدرسة (العزية الجوانية)

لم أدر موضعها ، ولكن قال ابن شداد : هي بالكشك ، ويعرف مكانها من قبل بدار ابن منقذ . انشأها الأمير عز الدين أيبك المتقدم ذكره . وقال ابن كثير : هي بدرب ابن منقذ .

٥ وقال العلموي : درس بها المجد قاضي الطور ، وبعده نحو من أحد عشر مدرسا ، آخرهم شمس الدين ابن الجوزي ، ثم ولده داود. هذا ما اتصل بي من خبرها ، والظاهر انه أصابها ما أصاب التي قبلها من انطماس الأثر ، والله أعلم .

المدرسة (العزية) أيضا

كانت بجامع دمشق ، وقد أوقفها عز الدين المتقدم . وكان قد بنى مدرسة في ١٠ مدينة القدس ، وشرط في كتاب وقفها أنه متى كان القدس بيد الكفار ، كان حاصل المدرسة عائدا الى المدرسة التي بالجامع. فان عاد الى المسلمين ، عاد حاصل وقف مدرسة القدس اليها . ولما كانت مدينة القدس بيد الافرنج ؛ درس بالمدرسة العزية هذه ابن قاضي الطور ، وبعده مدرسون ثلاثة . ولما فتح بيت المقدس تعطلت ، وعاد ما كان يصرف عليها الى المدرسة المقدسية . ومن هنا يعلم أنها كانت مدرسة مؤقتة ، وحلقة ١٥ نائبة عن غيرها ، ولم تكن مدرسة مستقلة .

المدرسة (العلمية)

كانت شرقي جبل الصالحية ، وغربي الميطورية . وقد تناولتها أيدي الجفاء ، وحل بها وبالميطورية الخراب ، فكان كل منهما نسيا منسيا . وهي من أبنية الأمير علم الدين سنجر المعظمي في سنة ثمان وعشرين وستمائة . ودرس بها الصدر أبو الدلالات ، ٢٠ ثم ستة مدرسين ، آخرهم شرف الدين الواني . كذا نسب بناءها الى علم الدين جماعة، منهم عز الدين الحلبي المؤرخ المشهور[1].

المدرسة (الفتحية)

قال ابن شداد ، وصاحب « التنبيه » : هي برحبة خالد . أنشأها الملك الغالب فتح

---

(١) بعد هذا الكلام يوجد في الاصل بياض قدره ستة أسطر ، والحلبي هذا هو المعروف بابن شداد صاحب « الاعلاق الخطيرة » .

الدين صاحب بارين ، نسيب صاحب حماه ، في السنة التي توفي بها ، وجعل لها أوقافا في الديار المصرية . وأنشأ مدرسة ثانية وقد مر ذكرها في مدارس الشافعية .

قال الصفدي في « تاريخه » : وذكر أبو الحسين الرازي أن الدار والحمام المعروفين بخالد في رحبة خالد : هو خالد بن أسد .

وقال ابن عساكر : يشبه أن يكون نسبة الى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، ٥
بفتح الهمزة وكسر السين ، لأنه كان بدمشق مع عبد الملك . وهو من أهل دمشق ، وداره بها ، وهي الدار الكبيرة التي في مربعة القبر بقرب القدم ، بدار الشريف الزيدي . واليه ينسب الحمام الذي هو مقابل قنطرة سنان بباب توما . وهو الذي قتل جعيد ابن درهم . وكان جوادا سخيا ، ممدحا فصيحا . الا أنه كان رجل سوء ، كان يقع في علي رضي الله عنه ، ويذم بئر زمزم وكان نحوا من الحجاج . مات سنة ست وعشرين ١٠
ومائة بعد أن عصرت قدماه ، ثم ساقاه حتى انقصفتا ، ثم صلب فمات حينئذ .

وقال ابن عساكر أيضا : خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي له صحبة ، قيل : هو الذي نسبت اليه رحبة خالد بدمشق . ا.هـ

وأيا ما كان ، فان نسبة تلك الرحبة لم تتحقق لرجل بعينه . ١٥

قال العلموي : ودرس بالفتحية المذكورة بهاء الدين بن عباس ، ثم ثلاثة أنفس بعده. ومن شعره :

اذا شئت أن تعطي الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل أحسن موقعه
فلا تصنع المعروف مع غير أهله فظلمك وضع الشيء في غير موضعه

أقول : ولقد خفي علي مكانها ، وسألت عن رحبة خالد كثيرا من أهل دمشق ؛ فلم ٢٠
يخبرني بها أحد لتطاول الزمان ، وانطماس الآثار . ولعلي ان عثرت على محلها الحقه ببحثها .

ولنا مدرسة ثالثة اسمها الفتحية : وهي حديثة العهد ، وهي مشهورة بمحلة القيمرية . حسنة البناء ، ذات حجرات وغرف ومسجد حسن . ويظهر لمن تأملها أنه كان لها مطبخ يتناول منه المجاورون بها طعامهم المخصص لهم من وقفها اعانة على طلب ٢٥

العلم ، لكن الناظرين على وقفها اختلسوا أوقافها ، ومنعوا الطلبة من حقهم ، وباعوا جانبا منها . فلم تسلم هي ولاغيرها من المدارس من تعديات المختلسين للأوقاف ؛ بحيث أصبح ذلك الفعل سنة متبعة عند المتأخرين من الدماشقة ، وعند قضاتهم . ولقد تأملتها ، فرأيت مكتوبا على أسكفة بابها ما صورته :

٥ قد وفق الله من حباه ... في كل ما يرتضي مراده
بناه لكسب العلوم دارا ... ومسجد أشيد للافاده
فجاء تاريخه ببيت ... قد أحكمته يد الاجاده
لله ما قد بنى وأحيا ... من مسجد الفتح للعباده

وتاريخ البناء سنة ست وخمسين ومائة بعد الألف . ومكتوب أيضا على أسكفة
١٠ باب المسجد :

من كان للخيرات أهلا نجا ... والله كاف من اليه التجا
حسن به الظن تنل بره ... فهو ولي النعم المرتجى
يا ناظر اترك على العين الذي ... وفق للمعروف لها الحجى
قد أتوا أرخ طالب الدعا(١) ... الواقف الفتح بباب الرجا

١٥ ## ترجمة واقفها

فتحي الحنفي
٠٠٠-١١٥٩

قال المرادي في تاريخه « سلك الدرر » ما ملخصه : فتحي بن محمد بن محمد ابن محمود الحنفي القلاقنسي الأصل ، الدمشقي المولد ، الدفتري ، الصدر الكبير . كان بدمشق صدر أعيانها ، اشتهر بمحاسن الشيم والشهامة والجرأة والاقدام ، وكان ذا نباهة وذكاء وثروة، وصار دفتريا بدمشق مدة سنوات، وتولى تولية وقفي السليمانية.
٢٠ وتصدر بدمشق مدبر الامور والملأ والجمهور ، وكان ذا خدم وأتباع واتساع دائرة ؛ يصطحب من العلماء والأفاضل شرذمة أجلاء ، ومن الأدباء زمرا . وكان عنده فئة من الكتاب المتقنين للخطوط ، ومن أرباب المعارف والموسيقي والألحان ، ومن المضحكين . وبالجملة فقد كانت داره متنزه الأرواح ، ومنتدى الأفراح . وامتدحه الشعراء من

(١) كذا ورد والله أعلم !

البلاد ، واشتهر صيته في الآفاق . وقد جمع مدائحه أحد ندمائه الشيخ سعيد السمان ، في كتاب سماه « الروض النافح فيما ورد على الفتح من المدائح » .

قال المرادي : ان المترجم كان ظلمه عاما ؛ وأتباعه مشهورون بالفساد والفسوق، وشرب الخمر ، وهتك المحرمات . وهو أيضا متجاهر بالمظالم لايبالي ، ولايتجنب الأذى والتعدي . ومن آثاره في دمشق : المدرسة التي في محلة القيمرية ، والحمام في محلة ميدان الحصى ، وتجديد منارتي السليمانية ، وغير ذلك . ثم أورد له المرادي نظماً كثيرا ، منه :

بدا مثل بدر ثم يبسم عن در	غزال ومنه الفرق كالكوكب الدري
بقد كخوط البان رنحه الصبا	فاذرى اعتدالا بالمثقفة السمر
أغن كأن الله أبدع حسنه	ليستلب الأرواح بالنظر الشزر
سقى الله دهراً مر لي بوصاله	ولم يلو جيد الود عني الى الهجر
فكم بات يسقيني المدام عشية	ويمزجها من ريقه العاطر النشر
الى أن به شط المزار وقد محى	سطور الأماني بيننا حادث الدهر
وسرت قلوب الحاسدين وطالما	لعبن بها عند الدنو على الجمر

وله في الشيب :

لاتغضبن لشيب منك حل على	مسك العذار فان الشيب آثار
أما ترى الغصن مذ لاحت أزاهره	زادت نضارة ذاك الغصن أنوار

وهو مأخوذ من قول دعبل :

لايرعك المشيب أن زار وهنا	فهو للمرء حلية ووقار
انما تحسن الرياض اذا ما	ضحكت في خلالها الأنوار

وللمترجم في طول النهار في الصيام :

ولرب يوم صمته فكأنه	يوم المعاد وليس منه مهرب
وقفت به شمس النهار ولم تغب	فكأنما قد سد عنها المغرب

وله :

وأغيد قد أمال السكر قامته	والليل محتبك بالأنجم الزهر
دنا الي وكأس الراح في يده	ممزوجة بلماه الطيب العطر
وقال خذ وارتشف ماء الحياة ولا	تبق للائمك اللاحي سوى الكدر

ولما كان المترجم ذا يد طولى، وعلو قدر، يتصدى للاستطالة في أقواله وأفعاله؛ كثر أعداؤه. ولما توفي الوزير سليمان باشا العظم والي الشام وأمير الحج، وجاء الأمر من قبل الدولة بضبط أمواله ومتروكاته؛ نسب المترجم الى أمور في ذلك الوقت؛ فخرج منها بتولية أسعد باشا العظم واليا على دمشق. ثم ان المترجم كان منتميا الى
٥ أوجاق البرلية؛ وكانوا على غاية من الاستبداد والشقاء والفساد؛ الى أن كتب أسعد باشا بأفعالهم الى الآستانة؛ فجاء الامر بقتلهم كلهم، واستئصالهم، فقتلوا. الا أن أسعد باشا أخفى المترجم عنده مدة. ثم جرت أمور الى أن ورد الامر بقتله أيضا؛ فجيء به الى سرايا دمشق، وخنق في احدى جهاتها، وقطع رأسه وأرسل للدولة، وطيف بجثته في دمشق ثلاثة أيام، في شوارعها وأزقتها، مكشوف البدن عريانا.
١٠ وضبطت الدولة أملاكه؛ فكان شيئا كثيرا. وكان ذلك خامس عشر جمادى الثانية سنة تسع وخمسين ومائة وألف. ودفن بتربة الشيخ أرسلان(١).

المدرسة (الفرخشاهية)

تعرف بعز الدين فرخشاه، والتي أوقفتها والدته خطلخير خاتون بنت ابراهيم ابن عبد الله، وهي زوجة شاهنشاه بن أيوب أخي صلاح الدين.

١٥ قال ابن كثير: هي بالشرف الشمالي الاعلى، والى جانبها التربة الامجدية لولده، وهي على الحنفية والشافعية. وقال الأسدي: انها على الحنفية فقط. ا.هـ

لكن صاحب «تنبيه الطالب» وغيره لم يذكروا من درس بها من الشافعية؛ ولم يتقدم لها ذكر في مدارسهم. وهذا الخلاف لاطائل تحته بعد ما صارت بستانا. ولقد وقفت على ما بقي من آثارها؛ فقرأت كتابة في حائط قبتها الشرقي فوق الشباك؛
٢٠ فاذا هي، بعد البسملة:

أمر بانشاء هذه التربة المباركة الفقيرة الى الله تعالى خاتون والدة الملك المنصور، معز الدنيا والدين، فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب الملكي الناصري. وتوفي مستهل جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

ثم دخلت القبة؛ فاذا لها باب صغير من الجانب الغربي، وهي متسعة، وقد سقط

---

(١) المعروفة الآن بالشيخ رسلان ظاهر باب توما.

أعلاها ، وبنى بها أصحاب البستان الذي كان مدرسة اسطبلا صغيرا وحجرة ، وجعلوا فوقهما غرفتين . وجدران تلك القبة الأربعة في غاية المتانة ، مبنية بالحجارة الضخمة. وفي جدارها القبلي باب يتوصل منه الى قبة ثانية أصغر منها وهي على حالها لم يتغير شيء من بنائها ، وهي التربة الأمجدية ، وبها قبر مبني بالحجارة الكبيرة ، وارتفاعه عن الأرض أكثر من ذراع . ولها باب في الجانب الغربي . وأمام القبتين الآن من الجانب الغربي ، بركة صغيرة يمر منها الماء. وأما المدرسة فهي الآن بستان ، ولم يبق من آثارها سوى أساس جدارها الذي كان محيطا بها ؛ وقد جعل أساسا لذلك البستان . ولسوف تذهب تلك الآثار أيضا . فلم يبق لها ذكر الا في القرطاس .

ترجمة واقفها

عز الدين فرخشاه ٠٠٠-٥٧٨

قال شاهنشاه في « تاريخه » : وفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة توفي عزالدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك . وكان ينوب عن صلاح الدين بدمشق؛ وهو ثقته من بين أهله . وكان شجاعا كريما فاضلا ، وله شعر جيد . ووصل خبر موته الى صلاح الدين وهو ببلاد الجزيرة ؛ فأرسل الى دمشق شمس الدين بن محمد المقدم ليكون بها ؛ وأقر بعلبك على بهرام شاه بن فرخشاه المذكور . انتهى

وحكي في الروضتين عن ابن أبي طي أنه قال : كان فرخشاه من أكرم الناس ، وأطهرهم أخلاقا ، وأسدهم رأيا ، وأشجعهم قلبا . ومما يحكى من كرمه أنه دخل الحمام يوما ، فرأى رجلا قد قعد به الزمان ؛ وكان يعرفه من أهل اليسار ، وشاهد عليه ثيابا رثة يبين منها بعض جسده . فاستدعى بجميع ما يحتاج الرجل الى لبسه ، وأمر له بغلام وبغلة مسرجة وبألف دينار ، وقال لبعض غلمانه : اجعل هذا كله في موضع ثياب الرجل ، وخذ ثيابه ، واجعل هذا الغلام والبغلة له . ففعل . ولما اغتسل الرجل وخرج ؛ رأى موضع ثيابه تلك الثياب ؛ فسأل الحمامي عن ثيابه ، فقال : تبدلت بتلك الثياب . فتقدم اليه الغلام ، وأخبره بجميع ما صنع عز الدين معه ، وأخبره بأنه قد صنع له معيشة عشرين دينارا في كل شهر . فلبس الثياب ، وخرج من الحمام غنيا .

وكان فرخشاه مضافا الى شجاعته كونه عالما متفننا ، كثير الأدب ، مطبوع النظم والنثر . فمن شعره قوله :

أنا في أسر السقام	من هوى هذا الغلام
رشأ ترشق عينا	ه فؤادي بالسهام
كلما أرشفني فا	ه على حر الاوام
ذقت منه الشهد بالثل	ج المصفى في المدام

٥ وكان المترجم يصحب الشيخ أبي اليمن الكندي . وامتدحه الشعراء بقصائد غراء؛ ذكر بعضها صاحب الروضتين ، وذكرها هنا يخرجنا عما قصدناه من الاختصار .

وقد درس في هذه المدرسة من الحنفية : عماد الدين ابن الفخر ، ثم سبعةمدرسين آخرهم شمس الدين بن الصفي . وممن له أثر يذكر منهم :

ابن الحريري

١٠ هو محمد بن عثمان بن أبي‌الحسن بن عبد الوهاب الأنصاري‌المعروف بابن‌الحريري . ولد في دمشق سنة ثلاث وخمسين وستمائة . كذا قاله نجم الدين الطرسوسي في شرحه على منظومته . وتفقه على جماعة ، وشرح « الهداية » ، وعلق فوائد فقهية ، ودرس بعدة مدارس ، وولي القضاء ، وتوفي بمصر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

وقال صاحب « الفوائد البهية في تراجم‌الحنفية » : كان المترجم عالما فاضلا ، فقيها ١٥ عارفا بالمذهب ، انتهت اليه الرئاسة في زمانه ، وتولى قضاء دمشق . انتهى

حرف القاف

المدرسة (القجماسية)

قال في « التنبيه » : هي داخل باب النصر ودار السعادة . انتهى

أقول : أما باب النصر ، فقد كان في السوق المعروف الآن بسوق الأروان[١] . ويظهر ٢٠ من « الروضة الغناء » لنعمان أفندي القساطلي أن المتأخرين سموا هذا الباب بباب السرايا ؛ فانه قال : باب السرايا بقي كما كان قبلا الى سنة ثلاث وستين وثمانمائةوألف للتاريخ المسيحي ، عندما أصلحت الطرقات في أيام شرواني باشا فهدم . انتهى

أقول : وهذه المدرسة باقية الى الآن مشهورة ومعروفة ، وليس بها من أثر قديم يستحق الذكر .

---

(١) كذا في الاصل وهو المعروف حاليا بسوق الاروام .

ترجمة بانيها

قجماس الاسحاقي
٠٠٠–٨٩٢

أنشأها نائب الشام يومئذ ، يعني واليها ، قجماس الاسحاقي الجركسي . كفل دمشق سبع سنين وثمانية أشهر . فعمر هذه المدرسة ، ورتب فيها أربعين مقرئا ؛ بعد عصر كل يوم يقرأ كل منهم جزءا من الربعة ، وجعل لهم شيخا ، ورتب بها أيضا مجاورين ، وعين لهم شيخا ، وأوقافا دارة . **قلت** : وقد انقرض كل هذا . توفي المترجم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ، ودفن بتربته التي أنشأها بالمدرسة المذكورة عند بيته .

وترجمه السخاوي في « الضوء اللامع » فقال ما ملخصه : قجماس الاسحاقي الظاهري جقمق ، نائب الشام ، نشأ في خدمة أستاذه ، وكتب الخط الحسن ، وتقدم في المناصب ، وأقامه الظاهر خشقدم خازن دار أركيسي . ثم أمره بلباي على عشرة بعد أن توجه لنقل المنصور الى دمياط للاذن للمؤيد بالركوب . فلما استقر الأشرف قايتباي، رقاه وأسكنه بيته ؛ ثم أرسله الى الشام لما تركها نائبها الشمقدار ودواداره أبو بكر . ثم استقر في نيابة الاسكندرية . وأضاف اليه مولاه وهو بها تقدمة ، ثم نقله من النيابة لامرة أخور . وتحول الى الديار المصرية ، وسافر أثناء هذه المدة أميرا على الحاج ، ثم توجه لعمارة برج السلطان في بابل ، وعمر لنفسه جامعا في الاسكندرية ظاهر الباب المسمى بباب رشيد . وجعل هناك تربة وخانا لأبناء السبيل ؛ لأن المسافرين كانوا اذا وصلوا الى هناك بعد الغروب ، لايقدرون على الوصول للاسكندرية لعدم أمن الطريق ؛ فحصل من الخان نفع كبير . وجعل بجانب التربة بستانا هائلا . وجدد أيضا جامع الصواري ظاهر باب السدرة . وعمر خارجها بالجزيرة ، خارج باب البحر على شاطىء بحر السلسلة هيئة رباط ، وأودع به أسبلة ونحوها . وعمر ، وهو أمير أخور ، مدرسة هائلة بالقرب من خوخة أيدغمش ، وجعل لها متصدرا وقارئا للبخاري . وبنى تربة أيضا ، وعمل خيرات كثيرة . ثم نقل الى نيابة الشام بعد أسر قانصوه اليحياوي ؛ فبنى بجوار باب السعادة داخل باب النصر منها مدرسة ، وقرر لها صوفية ، وعمل بجانبها مطبخا للدشيشة . وسافر لعدة غزوات ، ومات سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة . انتهى . بحذف أشياء لاطائل تحتها .

ولا بأس بتقييد أشياء تاريخية هنا لتكون كالشرح لما تقدم وهي :

ان الظاهر خشقدم هو الملك الظاهر أبو سعيد الناصري ثم المؤيدي ، وهو السلطان

الأول من الأروام بمصر أن لم يكن المعز أيبك التركماني منهم . وكانت مدة سلطنته ست سنين وخمسة أشهر وأياما . وتوفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة .

وأما بلباي ، فهو الملك الظاهر أبو سعيد بلباي العلائي . تولى مصر يوم وفاة خشقدم . فأقام سبعة وخمسين يوما ، وخلع ، وجهز الى الاسكندرية ؛ فأقام بها حتى مات .

٥ وأما قايتباي ، فهو الملك الأشرف ابو النصر قايتباي الظاهري المحمودي ، نسبة للخواجا محمود الذي اشتراه ، وللظاهر جقمق معتقه ، وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة ، والحادي والأربعون من ملوك الترك . بويع له يوم خلع الظاهر تمربغا سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ؛ فأقام تسعة أشهر وأربعة وعشرين يوما . وتوفي سنة احدى وتسعمائة .

١٠ قال الشرقاوي في تاريخه « تحفة الناظرين » : كان قايتباي ملكا جليلا ، له اليد الطولى في الخيرات ، وكانت أيامه كالطراز المذهب ، وهو واسطة عقد ملوك الجراكسة ، وسار في المملكة بشهامة ما سار (بمثلها(١)) أحد قبله من عهد الناصر محمد بن قلاوون . وله في مصر العمارات الكثيرة من مساجد ومدارس ورباطات وغيرها . ومن هنا تعلم أن مملكة مصر والشام كانت ميراثا للمماليك يديرونها كيف شاءوا ؛ الى أن كانت سلطنة
١٥ بني عثمان فأخذت الأمور في الضبط رويدا رويدا الى الآن .

المدرسة (القصاعية)

خطلشاه بنت كوكجا

هي بحارة القصاعين ، كما في « تنبيه الطالب » . والظاهر ان القصاعين هي محلة الخيضرية أو الخضرية وما والاها . أنشأتها خطلشاه(٢) بنت ككجا سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

٢٠ قال عز الدين في « تاريخه » : والذي رأيته مكتوبا بنقرة في صخرة فوق بابها أن اسمها فاطمة بنت الامير كوكجا . وكذا هو في كتاب الوقف ، كما أخبرني به عاملها القاضي بهاء الدين الحجيني . وشرط الواقف أنه اذا تعذر الحضور بالمدرسة ، فليكن بالجامع الأموي بالرواق الشمالي . وان شرط المدرس بها أن يكون أعلم الحنفية بالأصلين .

(١) لم ترد في الاصل والمعنى لايكتمل بدونها .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « خطبلسي » .

ودرس بها شهاب الدين الكاشي . ثم درس بها سبعة ، آخرهم حسام الدين الرازي ، ثم بعد السبعة اثنا عشر مدرسا أيضا ، آخرهم محب الدين ابن القصيف .

أقول : قد فتشت عن مكانها فلم أظفر به ، ولم أجد سوى جدران تدل على أن هناك كان مدارس . فأصبحت مأوى لريم أو لكبش ؛ فسبحان الباقي بعد فناء خلقه !

المدرسة (القاهرية) (1)

هي بالصالحية على حافة نهر يزيد ، لصيق دار الحديث القلانسية المشهورة الآن بالخانقاه ، يفصل بينهما الطريق ، وغربي المدرسة العمرية . قال النعيمي ولم يزد على هذا .

أقول : وقفت على أطلالها ؛ فلم أجد باقيا منها سوى الجدار الغربي ، وهو مبني بالحجارة الصفراء ، ولونها فاقع ، ينعي لسان حالها زمنها الماضي ، وعصرها الذاهب. وبها تربة ، قرأت على باب شباك منها ما صورته :

هذه تربة الشهيدة الفقيرة الى رحمة ربها ، الست الجليلة عين الشمس زوجة الشهيد السلطان الملك المعظم ابن الملك العادل ، وابنتها ربيعة بنت السلطان ابن الملك؛ توفيت سنة احدى وثلاثين وستمائة . ولم أظفر بشرح أحوال هذه المدرسة بأكثر مما ذكرته .

المدرسة (القليجية)

قال ابن شداد : الموصي بوقفها الأمير سيف الدين علي بن قليج النوري الى القاضي صدر الدين ابن سني الدولة الشافعي . وعمرها بعد وفاة الموصي سنة خمس وأربعين وستمائة .

قال الأسدي : وبها قبر الواقف ، توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة . وهي قبلي الخضراء ، شمالي الصدرية ، غربي تربة القاضي جمال الدين المصري . درس بها : شمس الدين ابن قاضي العسكر ، ثم أولاده ، ثم بعدهما ستة مدرسين .

---

(1) في « القلائد الجوهرية » لابن طولون أن الذي أنشأها هو الملك القاهر اسحق ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

قال ابن شهبة في «تاريخه» : كان سيف الدين أميرا كبيرا ، صالحا فاضلا ، شاعرا. وأورد من شعره في « التاريخ » ، ولايحضرني الآن. واحترقت في فتنة تيمورلنك سنة ست وثمانمائة . واستمرت كوم تراب الى حدود سنة أربع وستين وتسعمائة . قال ابن شهبة : وتعذرت اعادتها لعدم وقف لها . بلغني أن جميع وقفها كان سقفا داخل البلد ؛ فاحترق في الفتنة المذكورة . ثم قيض الله لها بمباشرة أهل الخير المرحوم محمد جلبي قاضي الشام ابن المفتي أبي السعود صاحب « التفسير » ؛ فصرف مائة سلطاني على نقل تراب ، وضرب لبن واقامة بعض القناطر والعضائد ، ووقف أمرها. ثم سنح للشيخ أحمد ابن الشيخ سليمان أن ينتقل من زاوية له كانت ضيقة ، ومن بيته بمحل الشلاحة اليها ؛ وأن يعمرها . فصرف عليها من ماله ماشاءالله؛ ثم ساعده فيها أركان الدولة . وجيء بخشبها من غيضة السلطان وماله . وتمت وكملت في غاية الحسن والسعة والبركة . وأقيمت فيها الأذكار والموالد والجمعيات ؛ وذلك في حدود سبعين وتسعمائة . وقال المحبي في ترجمة أحمد المذكور : انه عزل التراب الذي كان فيها من بقايا الخراب في فتنة تيمور ، وعمرها ، وأنشأ سبيلا في جوار تربتها سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة . وقال مامية الرومي مؤرخا بناء السبيل :

هذا السبيل الأحمدي ... لله ما فيه خفا
وقد أتى تاريخه ... اشرب هنيئا بل شفا

هذا ما كان من أمرها . وأما حالتها الآن : فقد وقفت على أطلالها أسائلها ؛ فأعيت جوابا ، وما بالربع من أحد . ما بالربع سوى الجدار القبلي . ومن جهة الغرب منه باب المدرسة وهو مبني على هندسة جميلة ؛ وقد قسم الآن بابين لدارين ؛ والبناء القديم يلوح من أعلاهما . وبجانب ذلك الباب من الجانب الشرقي التربة المذكورة ؛ وهي قبة عظيمة ، وبناؤها قائم الى الآن ، ولها شباكان على الطريق ، ومحفور على صخرة فوق الشباك الأيمن : قال الأمير المجاهد الكبير ، المرابط الاسفهلار ، السعيد الشهيد سيف الدين أبو الحسن علي بن قليج بن عبد الله هذه الأبيات ، وأمر أن تكتب على تربته بعد وفاته . وعلى عتبة الشباك الأيسر ما صورته :

هذه دارنا التي نحن فيها ... دار حق وما سواها يزول
فاعتمر مااستطعت دارا اليها ... عن قليل يفضى بك التحويل
واعتمد صالحا يؤنسك فيها ... مثل ما يؤنس الخليل الخليل

وبعد هذين الشباكين ، شباكان أيضا مسدودان ، يظهران للناظر . والجدار شاهق البناء ، مبني بالاحجار الكبيرة الصفراء ، جمال منظره يقول : ان هناك كان مدرسة كبيرة أنفقت الأموال الكثيرة في بنائها . ثم بعد رؤيتي لذلك ، دخلت بابا وسرت في زقاق ضيق ؛ فوصلت الى فسحة واحدة في وسطها بركة ماء ، وبعض حجرات معدة للحياكة . فسبحان الباقي ! ٥

ترجمة واقفها

سيف الدين بن قليج ٠٠٠-٦٤٣

هو الأمير سيف الدين علي بن قليج النوري ، توفي سنة ثلاث واربعين وستمائة. قال ابن كثير : ودفن بتربته التي بمدرسته المذكورة التي كانت سكنه بدار الفلوس . قال ابن قاضي شهبة في « تاريخ الاسلام » : علي بن قليج بن عبد الله الظاهري الأميري الكبير الفاضل سيف الدين أبو الحسن ، كان أميرا جليلا ، وعنده فضيلة . قال الشهاب ١٠ القوصي : جمع بين الامرة والسيادة وجزالة الرأي ، وما قدم على جيش الا ولمّ شعثه. أنشد لنفسه في التحذير من احتقار العدو :

لاتحقرن عدوا لان جانبه … وأن تراه ضعيف البطش والجلد
فللذبابة في الجرح المديد يد … تنال ما قصرت عنه يد الأسد

وقال : ان دار الفلوس التي كانت داره ، سميت في أيام تنكز بدار الذهب ، وهي ١٥ دار خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهي قبلي المدرسة .

ترجمة القاضي محمد جلبي

قال الغزي في « الكواكب السائرة » : هو محمد بن محمد بن محمد أحد الموالي الرومية وابن مفتيها الملا أبي السعود ، كان فاضلا بارعا ، ترقى في المناصب حتى أعطي قضاء القضاة بدمشق في سنة خمس وستين وتسعمائة . وكان سخيا ، ما أتانا من ٢٠ الروم أسخى منه ، وكان ودودا . قال : واجتمعت الخصال المحمودة فيه . ومر يوما بسوق الأساكفة غربي باب البريد ؛ فوقفوا وشكوا اليه ما هم فيه من هم العوارض من الصفين الغربي والشرقي ؛ فأزالها ، ولم يسأل عن غنيهم ولا عن فقيرهم . ا.هـ . وما ذكرت هذه الحكاية الا لأبين أن وظيفة البلدية في ذلك الزمان كان بعضها الى القضاة . ٢٥

ترجمة مرممها الأخير

احمد بن الصواف
٩٢٥-١٠٠٥

هو الشيخ أحمد بن الشيخ سليمان . قال في « الكواكب » ما خلاصته : كان المترجم يعرف بابن الصواف ، وكان شافعيا على طريقة القادرية ، معتقدا بين الناس ، وله مريدون يداخل الناس في الاصلاح بينهم ؛ فيترددون عليه . وكان وقورا حسن الخلق
٥ بشوشا . يتردد على الحكام ، ويعتقدون فيه ؛ ويكتب للناس الحروز فيقبلون عليه . توفي سنة خمس بعد الألف عن ثمانين سنة ، ودفن بزاويته جوار سيف الدين . ومات له ولد قبله ؛ فدفن بجواره . وقد قام الناس عليه لذلك ؛ ثم اطمأن .

المدرسة (القيمازية)

كانت داخل بابي النصر والفرج ؛ فاختفت آثارها ، كما اختفى باب النصر . وربما
١٠ يؤخذ من كلام العماد الكاتب شيء من التعريف بها ، فانه قال في ترجمة واقفها ما نصه: وداره بدمشق هي التي بناها الملك الأشرف أبو الفتح موسى ابن العادل دارا للحديث في سنة ثلاثين وستمائة . وخرب الحمام الذي كان مجاورا لها ، وأدخله في ريعها ؛ وذلك في جوار قلعة دمشق ، بينهما الخندق والطريق . وهناك مدرسته المعروفة بالقيمازية .

وقال ابن كثير نحوا من هذا ، ومنه : والمدرسة شرقي القلعة المنصورة . ولما خرب
١٥ الأشرف الحمام ؛ بناه مسكنا للشيخ المدرس بمدرسة دار الحديث . فالمدرسة تحقق أنها كانت بالقرب من دار الحديث الأشرفية، ولكنها أخنى عليها الزمان ، ولم يعلم لها أثر . وهناك الآن مسجد لطيف ولعله باق من آثارها والله أعلم !

ترجمة واقفها

صارم الدين قايماز
٠٠٠-٥٩٦

بناها صارم الدين قايماز النجمي . قال في « الروضتين » نقلا عن العماد الكاتب في
٢٠ حوادث سنة ست وتسعين وخمسمائة : وفي هذه السنة توفي في داره في دمشق الأمير صارم الدين قايماز النجمي ، وكان متولي أسباب صلاح الدين في مخيمه وبيوته، وعمل عمل أستاذ الدار . وكان صلاح الدين اذا فتح بلداً سلمه اليه ، واستأمنه عليه؛ فيكون أول من افتض عذرته ، وشام ديمته . وحصل له من بلد آمد عند فتحه ، ومن ديار مصر عند موت عاضدها أموال عظيمة . وتصدق في يوم واحد بسبعة آلاف

دينار مصرية عينا ، وأظهر أنه قضى ما في ذمته من حقوق الله . وهو بالعرف معروف ، وبالخير موصوف . يحب اقتناء المفاخر ببناء الربط والقناطر ، ومن جملتها : رباط خسفين ، ورباط نوى . وله مدرسة مجاورة داره . ولما كفى الله دمشق الحصر ؛ نهض وراء العادل الى مصر ؛ فرده الى دمشق ليلازم خدمة الملك ولد المعظم ، ويكون من أقوى عدده وأوفى عدده . وكان في خلقه ذعارة(١) ، وكان خصّافته(٢) مستعارة . ٥
قال : ولما دفن ؛ نبشت أمواله ، وفتشت رحاله ، وحضر أمناء القاضي وضمناء الوالي ؛ وأخرجوا خبايا الزوايا ، وسموط النقود ، وخطوط النسايا ؛ وغيروا رسوم المنزل ومعالمه ، واستنبطوا دنانيره ودراهمه ، وحفروا أماكن في الدار ، وبركة الحمام في الجوار ، فحملوا أوقارا من النضار . وظهروا على الكنوز المخفية ، والدفائن الألفية ؛ فقيل : زادت على مائة ألف دينار . وهو قليل في جنب ما يحرز به من كذا وكذا قنطاراً . ١٠
واستقل ماطواه الحزن(٣) وأخفاه الدفن . وقيل : كان يكنز في صحارى ضياعه ، ومغارات اقطاعه . قلت : واتهم بعده جماعة بأن له عندهم ودائع ؛ وتأذى بذلك المتأبي منهم والطائع . انتهى

قلت : وأيا ما كان ، فان تلك العصور هي العصور السود ، فما هذه الأعمال ؟ عامل يترك وشأنه حتى ينهب الأمة ، ويفرق أموالها في جوف الأرض ؛ ثم تأتيه النكبات والبليات في حياته أو بعد مماته ؛ فلا تستريح الأمة منه في حياته ولا بعد مماته !؟ وما هذه العقول التي تحب المال حبا جما ، ثم تجعل بطن الأرض مأواها ؟! ولله في خلقه شؤون ! ١٥

ودرس بهذه المدرسة حميد الدين السمرقندي ، ثم بعده سبعة ، آخرهم عماد الدين الطرسوسي . ٢٠

عماد الدين الطرسوسي

عماد الدين الطرسوسي ٠٠٠-٧٣٢

هو علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد ، قاضي القضاة عماد الدين الطرسوسي . تولي القضاء بدمشق سنة سبع وعشرين وسبعمائة ؛ ثم تركه

---

(١) عيوب وخبث .

(٢) اجتهاده في تكلف ما ليس عنده .

(٣) ما غلظ من الارض .

لولده . ودرس بعدة مدارس . وذكر القاري أنه مات سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة.
وفي «الشقائق النعمانية » : أن المترجم هو صاحب « الافتتاح شرح المصباح » في النحو ،
وشرح « مراح الأرواح » في الصرف .

حرف الميم

المدرسة (المرشدية)

٥

هي على نهر يزيد بصالحية دمشق ، جوار دار الحديث الأشرفية . وهي الآن
مفقودة في صورة موجودة ، ينشد لسان حالها :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم　　　فيها صدور مراتب ومجالس
وتفقهوا حتى ينالوا فرصة　　　من أخذ مال مساجد ومدارس

١٠

ولقد وقفت عليها ؛ فرأيت بابها بابا عظيما ، والجدار الشمالي منها عجيب البناء
جدا ، الا أن داخلها خراب . وقد اختلسها قوم فاتخذوها للسكنى . واذا وفق الله لها
من يلم شعثها ؛ أصبحت مدرسة بديعة زاهرة .

ودرس بها أيام عزها : شمس الدين بن عطاء الله الأذرعي ، ثم أربعة آخرهم شمس
الدين الحريري .

ترجمة البانية

١٥

خديجة بنت الملك المعظم ٠٠٠-٦٦٠

أنشأتها بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل سنة أربع وخمسين
وستمائة . قال ابن قاضي شهبة : واسمها خديجة . توفيت ببستان الماردانية سنة
ستين وستمائة ، ودفنت بتربتها التي أنشأتها جوار تربة الشيخ الفرنتي بالجبل .

أقول : والتربة مشهورة . ولما وقفت على تلك المدرسة مرة ثانية ؛ وجدت منقوشا
على حجر بأعلى بابها ما صورته بعد البسملة :

٢٠

هذا ما أوقفت الست الجليلة عصمة الدين خاتون بنت السلطان الملك المعظم شرف
الدين عيسى ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب . وذلك حصة من
الحمام الكائن أسهمه خمسة وثلاثين ، وخمس وسبع سهم من طاحون الطرف الخميس،

ودار بجبل الصالحية ، وحصة بقصر تقي الدين سبعة أسهم ونصف سهم وربع سهم وثمن سهم وثلث عشر سهم ، وحصة بقرية الطره ثلثا سهم وثلث وسبع سهم ، وحصة بخان ثمانية أسهم ونصف ، وحصة بحبة عسال من قصير معلولا ثلاثة أسهم ، ومن الجية سهم ونصف ، ومن القربانية سبعة أسهم ، وبستان المردانية بكماله . وذلك في سنة خمسين وستمائة . هذا ما وجدته مكتوبا ؛ ولعل في بعضه تصحيفا لعسر قراءة حروفه من الحجر . ٥

المدرسة (المعظمية)

هي بالصالحية بسفح قاسيون الغربي ، جوار المدرسة العزيزية . وقد درس بها مجد الدين قاضي الطور ، ثم درس بها عشرة بعده آخرهم شرف الدين الأذرعي .

أقول : ولم يتيسر لي الآن معرفة مكانها ؛ ولئن عرفته ألحقته هنا (١) . ١٠

ترجمة واقفها

الملك المعظم عيسى ٥٧٦-٦٢٤

أنشأها الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . قال الذهبي في « العبر » في حوادث سنة أربع وعشرين وستمائة : وفي هذه السنة توفي الملك المعظم صاحب دمشق . وكان مولده بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمائة . وكان أديبا فقيها على مذهب النعمان بن ثابت . حفظ القرآن ، وبرع في الفقه ، وشرح « الجامع الكبير » في عدة مجلدات باعانة غيره ، ولازم الاشتغال زمانا ، وسمع « مسند الامام أحمد بن حنبل » كله . وله شعر كثير . وكان عديم الالتفات الى النواميس(٢) وأنفة الملوك . ويركب وحده مرارا ؛ ثم يتلاحق به مماليكه بعده . وكان فيه خير وشر كثير . ١٥

وقال ابن الأثير في « تاريخه الكامل » في حوادث السنة المذكورة : توفي المعظم بمرض الدوسنطاريا وكان ملكه لمدينة دمشق من حين وفاة والده الملك العادل ، عشر ٢٠

---

(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره أربعة أسطر .

(٢) النماموس .

سنين وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوما . وكان عالما بعدة علوم فاضلا ، منها : الفقه على مذهب أبي حنيفة؛ فانه كان قد اشتغل به كثيرا، وصار من المتميزين فيه . ومنها : علم النحو ؛ فانه اشتغل به أيضا اشتغالا زائدا ، وصار به فاضلا ، وكذلك اللغة وغيرها؛ وكان قد أمر أن يجمع له كتاب في اللغة جامع كبير فيه كتاب « الصحاح » للجوهري، ويضاف اليه ما فات « الصحاح » من « التهذيب » للازهري و « الجمهرة » لابن دريد وغيرهما . وكذلك أيضا ، أمر بأن يرتب «مسند الامام أحمد بن حنبل» على الأبواب ، ويرد كل حديث الى الباب الذي يقتضيه معناه . مثاله أن يجمع أحاديث الطهارة ، وكذلك يفعل في الصلاة وغيرها من الرقائق والتفسير والغزوات ؛ فيكون كتابا جامعا . وكان قد سمع « المسند » من أصحاب ابن الحصين . ونفق العلم في سوقه ، وقصده العلماء من الآفاق ؛ فأكرمهم ، وأجرى عليهم الجرايات الوافرة ، وقربهم ، وكان يجالسهم ، ويستفيد منهم ويفيدهم . وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره ؛ لم يسمع أحد ممن يصحبه منه كلمة سوء . وكان حسن الاعتقاد ، يقول كثيرا : ان اعتقادي في الأصول ما سطره أبو جعفر الطحاوي . ووصى عند موته بأن يكفن في البياض، ولايجعل في أكفانه ثوب فيه ذهب ، وأن يدفن في لحد ولايبنى عليه بناء ، بل يكون قبره في الصحراء تحت السماء . ويقول في مرضه : لي عند الله تعالى في أمر دمياط ما أرجو ان يرحمني به . ولما توفي ، ولي بعده ابنه داود ويلقب بالملك الناصر ، وكان عمره عشرين سنة .

وترجمه ابن كثير بنحو ما ذكره ابن الأثير ، وقال : كان شجاعا عاقلا فاضلا ، وكان محفوظه « مفصل الزمخشري » ، وكان يصل من يحفظه بثلاثين دينارا . وقد جمع الله له بين الشجاعة والسماحة والبراعة والعلم ومحبة أهله .

وترجمه الأسدي في « تاريخه » فقال : تفقه الملك المعظم على الحصيري ، ولازم التاج الكندي مدة . وكان ينزل الى داره بدرب العجم من القلعة ، والكتاب تحت ابطه، فيقرأ عليه «كتاب سيبويه» و«شرحه» للسيرافي . وأخذ عنه الحجة في «القراءات» لأبي علي الفارسي ، و « الحماسة » وغير ذلك من الكتب المطولة . وحفظ « الايضاح » في النحو ، و «المسند»، وصنف في العروض . وله ديوان شعر مشهور . وكان يحب «كتاب سيبويه» وطالعه مرارا . وكان يحب الفضيلة ؛ جعل لمن يحفظ « المفصل » مائة دينار، ولمن يحفظ « الجامع الكبير » مائتي دينار ، ولمن يحفظ «الايضاح» ثلاثين دينارا ،

سوى الخلع . وحج سنة احدى عشرة وستمائة . وجدد البرك والمصانع ، وأحسن الى الحجاج . **قلت :** وبركة المعظم في طريق الحجاز تنسب اليه . قال : وبنى سور دمشق ، والطارمة التي على باب الحديد . وبنى بالقدس مدرسة ، وبنى عند قبر جعفر الطيار مسجدا .

5 قال أبو المظفر ابن الجوزي : بنى بمعان دار مضيف وحمامين . وكان قد عزم على تسهيل طريق الحجاز ، وأن يبني في كل منزلة مكانا . وكان يتكلم مع العلماء ويناظر ويبحث . واعتد للجواسيس والقصاد ؛ فان الافرنج كانوا على كتفه ؛ فلذلك كان يظلم ويعسف ويصادر . وخرب القدس لعجزه عن حفظها من الافرنج . وكان يملك من العريش الى حمص والكرك .

10 قال ابن الأثير : وكان جنده ثلاثة آلاف فارس ؛ ومع ذلك كان يقاوم اخوته . ولما مات ، دفن بالقلعة . ثم أخرجه الملك الأشرف لما قدم دمشق ، ودفنه مع والدته بالقبة بالمدرسة المعظمية ، وفيها أخوه المغيث .

وترجمه ابن خلكان بنحو ما تقدم ، وقال : وكانت له رغبة في الأدب . وسمعت أشعارا منسوبة اليه ولم استثبتها .

15 وترجمه القاري في « طبقات الحنفية » ، وذكر أنه حفظ « المسعودي » ، وصنف كتابا سماه « السهم المصيب في الرد على الخطيب » وهو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، فيما تكلم به في حق أبي حنيفة في « تاريخ بغداد » . وقد كان أمر الفقهاء أن يجردوا له مذهب أبي حنيفة دون صاحبيه ؛ فجردوه ، فحفظه .

ويمكن أن يكون لسان العرب هو كتاب اللغة الذي أمر بجمعه الملك المعظم .

٢٠ المدرسة (المعينية)

هي بالطريق الآخذ الى باب المدرسة العصرونية الشافعية بحصن الثقفيين . قاله في « تنبيه الطالب » وغيره .

أقول : وقد انمحت آثارها ورأيت في كتاب وقف فضل الله العمري مايدل على أنها كانت مقابل باب الفرج . وتاريخ الكتاب المذكور سنة ٧٣٢ . وشاهدت بعيني آثار
25 مدرسة وراء الحوانيت المقابلة لباب الفرج . فيمكن أن تكون هي .

وأيام حياتها درس بها رشيد الدين الغزنوي ، ثم بعده أحد عشر مدرسا ، آخرهم نجم الدين النعماني .

وحصن الثقفيين قد بقي جداره الشرقي ، وهو في أول الطريق الذي يمر شرقي المدرسة العادلية الصغرى .

٥ ## ترجمة بانيها

معين الدين أنر ٠٠٠ـ٥٤٤

انشأها معين الدين أُنَر ، أتابك محب الدين أو مجير الدين صاحب دمشق ، في سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

قال الذهبي في « العبر » : الأمير معين الدين بن عبد الله الطغتكيني مقدم عسكر ١٠ دمشق ، مدبر الدولة ، كان عاقلا سائسا مدبرا حسن السياسة ، ظاهر الشجاعة ، كثير الصدقات ، وله مدرسة بالبلد .

وقال في « مختصر تاريخ الاسلام » : والأتابك ملك الامراء معين الدين أنر واقف المعينية ، وبنته خاتون هي واقفة الخاتونية . وضبط الذهبي أنر بضم الهمزة وفتح النون وبعدها راء .

١٥ وترجمه في « الروضتين » فقال ما حاصله : قال أبو يعلى التميمي : فصل معين الدين بعسكره من حوران ، ووصل الى دمشق لأمر أوجب ذلك ودعا اليه ؛ فأمعن في الأكل ؛ فلحقه عقيب ذلك انطلاق أودى به . ثم حمله اجتهاده فيما يدبره على العود الى عسكره بحوران ، وهو بهذه الحالة . فضعفت قوته ، وأصابه مرض في الكبد ، فعاد الى دمشق في محفة ، فمات بها ، ودفن في ايوان الدار الأتابكية التي كان يسكنها؛ ٢٠ ثم نقل بعد ذلك الى المدرسة التي عمرها .

قال أبو شامة : قلت : قبره في قبة بمقابر العونية ، شمالي دار البطيخ الآن ، واسمه مكتوب على بابها . فلعله نقل من ثم اليها . وفيه يقول مؤيد الدولة أسامة ابن منقذ ، لما لقي المترجم الافرنج في أرض بصرى وصرخد مع نور الدين :

كل يوم فتح مبين ونصر ... واعتلاء على الأعادي وقهر

٢٥ صدق النعت فيك أنك معين الدين ان النعوت فأل وزجر

أنت سيف الاسلام حقا فلا كلَّ غراريك أيها السيد دهر

لم تزل تضمر الجهاد مسرا ثم أعلنت حين أمكن جهر

كل ذخر الملوك يفنى وذخرا ك هما الباقيان أجر وشكر

وقال أيضا : ان أنر كان مملوكا لطغتكين ، لكنه كان الحاكم والمدبر لدمشق وللعسكر أيام ولايته مجير الدين آبق بن محمد بن بوري بن طغتكين على دمشق . وكان عاقلا دينا خيرا حسن السيرة . وقال أسامة بن منقذ في كتاب « الاعتبار » : أبلى الأمير معين الدين في حرب الألمان ، لما أتوا دمشق ، بلاء حسنا ، وظهر من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهد في غيره .

المدرسة (الماردانية)

على حافة نهر ثورا لصيق الجسر الأبيض بالصالحية ، وهي معروفة مشهورة . والذي وجد من وقفها سنة عشرين وستمائة بكشف محمد بن منجك الناصري : بستان بجوار الجسر الأبيض ، وبستان آخر جوار المدرسة المذكورة ، وثلاثة حوانيت بالجسر المذكور ، والأحكار جوارها أيضا . ومن شرط مدرسها ألا يكون مدرسا بغيرها . وممن دفن بها أسنك ، بالسين المهملة والنون ، ابن ازدمر ، مات سنة ست عشرة وثمانمائة. واشترى أخوه الأمير أسبك ، بالباء الموحدة ، وقفا ، ووقفه على مقرئين يقرؤون على تربته . واشترى للمدرسة بسطا .

ودرس بها الصدر الخلاصي ، ثم درس بها نحو عشرة ، آخرهم تاج الدين الماردانى.

ثم رأيت فيما زاده محمود بن محمد العمري على « مختصر العلموي » أن وقف المدرسة الآن أعني في القرن الحادي عشر : بستان المحمديات الفوقاني ، وبستان المحمديات التحتاني ، وحكر أرض من الجسر الأبيض ، وأرض الجنائن التي بالجسر الأبيض ، المعلوم ذلك من دفتر المحاسبة . انتهى

ترجمة البانية

عزيزة الدين أخشا خاتون

أنشأتها عزيزة الدين أخشا(١) خاتون بنت الملك قطب الدين(٢) صاحب ماردين ، زوجة الملك المعظم سنة عشر وستمائة . ووقفها كان سنة أربع وعشرين بعد الستمائة.

---

(١) كذا في الاصل وذكرها ابن شداد : « أخشاو » .

(٢) يظن ابن طولون في كتابه « القلائد الجوهرية » أن والدها هو قطب الدين مودود ابن أتابك زكي، أخو نور الدين الشهيد .

وواقفة المكان لم تدفن فيه ؛ لأنها رجعت بعد موت المعظم الى ماردين . كما قاله ابن قاضي شهبة . وقيل : انها حجت ، واستمرت مقيمة بمكة حتى افتقرت ، ولم يبق معها شيء من المال ، وصارت تسقي الماء . فمر بها من كان يعرفها وهي بدمشق ، ورآها على هذه الحالة . فلما رجع الى دمشق ، أخبر من كان متوليا على أوقافها ومصالحها ؛ فجمع لها شيئا من المال ، ثم أرسله اليها . فقالت : أي شيء هذا ؟! فقالوا: هذا من وقفك . فقالت : الذي خرجت عنه لله لا أعود فيه . وقالت : أعطوا كل ذي حق حقه . فرحمها الله رحمة واسعة .

المدرسة (المقدمية الجوانية)

داخل باب الفراديس ، وهو الباب الحديدي الذي في محلة العمارة المسماة قديما بالقباقبية . ومكانها معروف ، وهي مشهورة . لكن استولى عليها بنو السفرجلاني ؛ فسكنوا البيت الذي بها ، وتصرفوا بمسجدها . ولم يبق منها الا ساحتها الواسعة ، وايوان في الجانب الشمالي للصلاة ، وبركة ماء واسعة .

قال الصفدي في « تحفة ذوي الألباب » في ترجمة واقف المقدمية : وله الدار الكبيرة التي داخل باب الفراديس ، والى جانبها المدرسة المقدمية ، وله تربة ومسجد وخان . كل ذلك داخل باب الفراديس .

قال العلموي : قلت : صارت الدار الكبيرة دورا متعددة ، وهي المعروفة الآن ببوابة خوندالآن . ثم تملك بعضها ، وتعطل الآخر .

وقال العدوي الدمشقي : أقول : ثم في حدود سنة تسعين وتسعمائة ، خرب غالب المدرسة الشيخ أحمد بن الأكرم ، وغير صيغة الواقف ، وتصرف فيها تصرف الملاك . فلما فعل ذلك منعه قاضي الشام ، وأرسل نائبه مصطفى چلبي ؛ فكشف عليها ، ومنع المتعدي ، وهدم ما بناه ، وأمر باعادته كما كان . فلم يزل يكابر ويعمر ما أحب وأراد حتى توفاه الله سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ؛ ولم يكمل العمارة ، ولم يفرح بها ولم يهنأ؛ وانما تممها أولاده من بعده .

وحكى القصة النجم الغزي في « الكواكب » بنحو هذا ؛ فانه قال في ترجمة ابن الأكرم : هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن الأكرم الحنفي ، كان من الرؤساء

بدمشق ، وكان في زي العلماء ، ولم يكن في العلم بذلك . ولي تدريس المقدمية الجوانية بدمشق ، وانتسب الى واقفها ، وعمر له فيها سكنا . فأنكر عليه ذلك قاضي القضاة منلا أحمد الكردي الأنصاري ، وكشف عليها بنفسه فوجده قد غير فيها وبدل، وحصل لصاحب الترجمة منه تعزير ومشقة بسبب ذلك . ثم ان المترجم تزهد وتعمم بالصوف ، وربى شعر رأسه ، وسكن الحجرة الحلبية لصيق الجامع الأموي الى أن توفي سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة . انتهى ٥

أقول : ثم دار دورها الى أن تصرف بها وبأوقافها بنو السفرجلاني ، واغتصبوها بلا منازع ولا مدافع . ولم أدر بأية وسيلة وصلوا اليها ! والدهر كشاف المخبآت .

والوقف على هذه المدرسة كل من قريتي المحمدية وجسرين بغوطة دمشق .

ترجمة واقفها ١٠

شمس الدين ابن المقدم ٠٠٠-٥٨٣

هو شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم . كان من أكبر الأمراء في دولة السلطان صلاح الدين . وله وقائع وأخبار ننشرها في القسم السياسي عند الكلام على الدولتين الصلاحية والنورية . وهو الذي سلم سنجار لنور الدين ، ثم امتلك بعلبك أيام صلاح الدين ، بأمر منه ، سنة أربع وسبعين وخمسمائة . ولم يمض على امتلاكه لها مدة حتى طلبها ثوران شاه من أخيه صلاح الدين . فلم يمكنه منع أخيه عنها ؛ فأرسل للمترجم يأمره بتسليمها ؛ فعصي بها ، ولم يسلمها . فأرسل اليه عسكرا ، وحاصره بها وطال الحصار ، الى أن أجاب المترجم لتسليمها على عوض ؛ فعوض عنها ، وتسلمها السلطان ، وأقطعها أخاه . قاله صاحب حماة في « تاريخه » . ولما توفي السلطان نور الدين ، وقام ابنه الملك الصالح اسماعيل بالملك بعده وعمره احدى عشرة سنة ، وحلف له العسكر بدمشق ، وأقام بها ، وأطاعه صلاح الدين بمصر ، وخطب له بها ؛ كان المترجم هو المتولي لتدبير الملك الصالح ، وتدبير دولته . ولما رأى صلاح الدين وهو بمصر أن الملك الصالح طفل لايقدر على النهضة بأعباء الملك ، ولايستقل بدفاع الأعداء عن البلاد ؛ تجهز للخروج الى الشام ، وكاتب المترجم . ووصل البلاد مطالبا بالملك الصالح ليكون هو الذي يتولى أمره ، ويربي حاله ؛ فيقوم له ما اعوج من أمره . فأجابه المترجم لذلك . فوصل دمشق ، ولم يشق عليه عصى . ودخلها بالتسليم في سنة سبعين وخمسمائة ؛ وتسلم قلعتها . ثم آل أمر المترجم الى أن مات قتيلا .

وسببه على ما رواه ابن الأثير في « الكامل » أنه لما فتح المسلمون البيت المقدس أيام صلاح الدين ، وكان ابن المقدم مع العساكر ؛ طلب من السلطان الاذن بالحج والاحرام من القدس ليجمع بين الجهاد والحج ، وزيارة سيدنا ابراهيم الخليل وزيارة سيدالمرسلين؛ فأذن له بذلك . وكان قد اجتمع في تلك السنة في الشام ، من حجاجها وحجاج البلاد والعراق والموصل والجزيرة وخلاط وبلاد الروم وغيرها ، خلق كثير . فجعل السلطان الأمير عليهم المترجم ؛ فسار بهم حتى أوصلهم سالمين الى عرفات . ولما كانت عشية عرفة ؛ تجهز هو وأصحابه ليسيروا من عرفات . فأمر بضرب كؤوساته التي هي علامة الرحيل ؛ فضربها أصحابه فسمعها أمير الحاج العراقي مجير الدين طاشتكين ؛ فنهاه عن الافاضة من عرفات قبله ، وأمره بأن يكف أصحابه عن ضرب الكؤوسات . فأرسل اليه يقول : اني ليس لي معك تعلق ، أنت أمير الحاج العراقي ، وأنا أمير الحاج الشامي؛ وكل منا يفعل ما يراه ويختاره . ثم سار ولم يقف ، ولم يسمع قوله . فلما رأى طاشتكين اصراره على مخالفته ؛ ركب في أصحابه وأجناده ، وتبعه من غوغاء الحاج العراقي وبطاطيهم وطماعتهم العالم الكثير والجم الغفير . وقصدوا الحاج الشامي مهولين عليهم . فلما قربوا منهم ؛ خرج الأمر عن الضبط ، وعجزوا عن تلافيه . فهجم أهل العراق على الركب الشامي ، وقتلوا ، وفتكوا ، ونهبوا ، وسبوا النساء الا أنهن رددن بعد ذلك . وجرح ابن المقدم عدة جروح ، وكان يكف أصحابه عن القتال ؛ ولو أذن لهم به لانتصفوا منهم وزادوا ؛ ولكنه راقب الله وحرمة المكان . فلما أثخن بالجراحات؛ أخذه طاشتكين الى خيمته ، وأنزله عنده ليمرضه ويستدرك الفارط في حقه . وساروا تلك الليلة من عرفات . فلما كان الغد مات بمنى ، ودفن بمقبرة المعلى ، ورزق الشهادة وذلك سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، فرحمه الله تعالى .

المدرسة (المقدمية البرانية)

قال في «تنبيه الطالب» : هي تجاه الركنية بسفح قاسيون، شرقي الصالحية. انتهى.
أقول : أخبرني الثقات أن هناك لم توجد مدرسة . ويمكن أن يكون الزمان قد اخنى عليها ، فسلمها لأيدي المختلسين ، فجعلوها كأمثالها دورا للسكنى .

وقد أنشأ هذه المدرسة ابن المقدم الذي مرت ترجمته سابقا ، ووقف عليها أزوارا بأرض حماة معروفة .

ودرس بها نجم الدين بن فخر الدين الفازي . ثم تغلب عليها أولاد الواقف ؛ فتعطل الدرس مدة . ثم بعد ذلك درس بها الصفي البصروي ، ثم بعده أربعة ، آخرهم فخر الدين بن الوليد . ثم سارت سيرا كان آخره ما علمت من انطماس آثارها ، وانمحاق هلال النفع بها .

٥ ولنا مقدمية ثالثة ، وهي تربة بمرج الدحداح تعرف بتربة ابن المقدم . أنشأها ولد المترجم سابقا ابراهيم بن محمد بن عبد الملك ، ودفن بها سنة سبع وتسعين وخمسمائة. قال الأسدي : كان ابراهيم شجاعا عاقلا ؛ ولي القلعة بماردين ، وعدة حصون وله بها نواب . فمد عينه اليها الملك الظاهر غازي ؛ فأخذها . وبقيت له ماردين . انتهى

ابراهيم بن عبد الملك
٠٠٠-٥٩٧

المدرسة (المنجكية)

١٠ هي المنجكية الحنفية بالخلخال قبلي الصوفية الى الغرب كذا في « التنبيه » و «مختصره» . والوقف عليها حمام منجك المشهور ، والفرن الى جانبه ، والربع فوقهما.

ودرس بها جمال الدين ابن القطب ، ثم شرف الدين الأنطاكي ، ثم ولده ، ثم قوام الدين العجمي .

أقول: لم يبق لهذه المدرسة أثر يتعين .

١٥ وقد رأيت في آخر « مختصر العلموي » ما لفظه : ان هذه المدرسة اندرست ، وانخربت تلك البنايات المؤسسة ، وصار مكانها بستانا . كأن الذي خربها وحرثها أخذ من الله ثم من الدهر أمانا . وصار وقفها الحمام والفرن والطباق ، على بلاءة البرش موقوفا ، ومنفقا عليهم كالراتب لهم مصروفا .

فالله تعالى غيور ... وبيده مقاليد الأمور

٢٠ وأما الخلخال فهو متنزه غربي مرجة دمشق . وكان به سويقة وحوانيت وفرن وحمام . وكان في الأزمان السالفة ، هو والمنيبع ، مسكن الأتراك ، وبه تدق طبلخاناتهم. وبالخلخال كانت زاوية الأدهمية والهنود ؛ تحف بهما الناس والأعيان .

وفيه يقول جمال الدين ابن نباتة :

يا حبذا يومي بـوادي جلق وفرجتي مع الغزال الحـالي
من أول الجبهـة قد قبلته مرتشفـا لآخـر الخلخـالي

فارتشف حلاوة تلك التـورية ؛ فان الجبهة والخلخال متنزهان بـين نهر بردى ونهري القنوات وبانياس ، واسمان لجبهة المحبوب وخلخاله ، على قاعدة الزمن الماضي من أن الغلمان كانوا يلبسون الخلخال . أو أنه أطلق الحال وهو الخلخال ، وأراد المحل، على طريقة المجاز المرسل بعلاقة الحالية والمحلية ؛ وقد تأتى له مـع حسن التـورية الانسجام .

ترجمـة واقفهـا

سيف الدين منجك ٠٠٠-٧٧٦

أنشأها الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري . أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون . نشأ مملوكا ؛ ثم تنقلت به الأحوال الى أن صار أميرا بمصر . ثم ولي حجوبة الحجاب بدمشق سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ؛ فظل بها مدة يسـيرة . ثم توجه الى مصر ، وصار مقدما ، وولي الوزارة . ثم قبض عليه وسجن . ثم أطلق عند زوال دولة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون . ثم ولي نيـابة طرابلس سنة خمس وخمسين . ثم صار نائبا على حلب سنة سبع وخمسين ، ثم بصفد ، ثـم طلب الى مصر ، فأكرم هناك اكراما عظيما وأطلق . وأقام بالقدس ، فعمر بها خانقاه ومدرسة . ولما أظهر نائب الشام بيدمر العصيان ؛ كان المترجم متوليا قتاله . فقبض عليه وسجنه، ثم أطلقه . ثم صار نائبا في طرسوس سنة ست وستين . ثم نقل الى طرابلس ، ومنها الى نيابة دمشق عوضا عن بيدمر بعد قتل يلبغا ؛ فاستمر بها سبع سنين . ثم طلب الى مصر سنة خمس وسبعين ؛ فولي نيابتها . واستمر بها الى أن توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة ، ودفن بتربته التي أنشأها بالقرب من الجبل .

وقال ابن حجي : عمر الأمير منجك المدارس والخوانق والخانات ، وأصلح القناطر، ومهد السبل والطرقات ، وأقام بالاماكن المخوفة الخفراء .

وقال العلموي : كان من الأكابر المعتبرين المعتمدين ، له ذكر قديم ، وفضل جسيم، ومآثر وصدقات ، وكان حسن الملتقى خصوصا لأهل العلم . وقال النعيمي : جمعت في ترجمته كراسة ، **قلت :** ولم أرها .

شرف الدين الأنطاكي

من مدرسي هذه المدرسة شرف الدين محمود الأنطاكي الحنفي ، شيخ وقته في النحو والتصريف . اشتغل عليه أعيان البلد ، وتنبهوا وفضلوا . جلس في أول الأمر لنفع الناس . وكان يتردد على الأكابر ويقرئهم بالأجرة ، ويشهد ، ويكتب خطا حسنا؛ ولايزال فقيرا يضرب به المثل في الفقر ، وازداد فقره بعد الفتنة ، الى أن كان يلبس عدلا . وكانت له اليد الطولى في النظم والنثر والتكلم ، وكلما ازداد فضلا ازداد تأخرا، وكان رث الهيئة والملبس ، وقل نفعه في آخر عمره ، وكان في غاية الظرف ، لهكلمات مأثورة ، وتنديدات حسنة . توفي سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ودفن بالصالحية .

المدرسة (الميطورية)

كانت بالجانب الشرقي من جبل الصالحية ، بينها وبين القابون . والميطور الشرقي في وقفها . ثم هدمت ؛ واشتري بدلا عنها مكان أمام الجامع المظفري بالقرب من التربة الصارمية ، وجعل مدرسة . وقد أقفرتالمدرسة أيضا ، وبقيتالآن خاويةعلىعروشها مثل غيرها .

وقال الأسدي : كان الميطور مزرعة ليحيى بن احمد بن يزيد بن الحكم ، وكان له به روزنا[1] يسكنه ؛ وهناك كان موضع المدرسة الميطورية . ثم انها في سنة احدى وعشرين وثمانمائة هدمت ، وأخذت أنقاضها وآلاتها ؛ وحصل بسببها تشنيع كثير على الفقهاء . قال النعيمي : ثم اشتري مكانها موضع أمام باب الجامع المظفري . انتهى .

قلت : وقد شاهدتها فوجدتها خرابا يبابا . وجدارها الشرقي باق ، لكنه يريد أن ينقض . وبستان الميطور معروف بأرض الصالحية الى يومنا هذا . وواقفة الميطورية هي الست فاطمة خاتون بنت السَّلاَّر سنة تسع وعشرين وستمائة . والسلار كلمة فارسية معناها قائد الجيش .

فاطمة خاتون بنت السلار

ودرس بها : حميد الدين السمرقندي ، ثم ولدهمحي الدين،ثم محي الدين بنعقبة.

---

(١) كذا في الاصل وذكره ابن شداد : « أرزونا وهو الميطور الشرقي » .

المقصورة (الحنفية)

كانت هذه المقصورة بالجانب الغربي من الجامع الأموي . وكان محراب الحنفية فيما سلف بين باب الزيادة وهذه المقصورة . ثم تغيرت وأوقف بها درسا القاضي فخر الدين كاتب الممالك ، وهو محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بمصر ، أصله قبطي ثم أسلم ، وأوقف أوقافا كثيرة ، وجعل جهات احسان وبر الى أهل العلم ؛ واليه تنسب المدرسة الفخرية بالقدس . توفي سنة ثلاثين وسبعمائة .

حرف النون

المدرسة (النورية الكبرى)

موضعها كان يسمى بالخواصين . وهي معروفة الآن مشهورة ؛ فلا نطيل الكلام على وصفها . قال النعيمي : كان موضعها قديما دارا لمعاوية بن أبي سفيان . وكانت لمعاوية دار ثانية بباب الفراديس تحت السقيفة، يقال : انها الدار المعروفة الآن بابن المقدم. انتهى. يعني المحلة التي بها المدرسة المقدمية . ويؤخذ من كلام الذهبي أن دار معاوية بالخواصين صارت لهشام . وفي « الكواكب الدرية » : أنها صارت بعده لسليمان بن عبد الملك . ولم تزل تنتقل من يد الى يد ، الى أن بنى بعضها الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي ، المدرسة المعروفة الآن بالنورية . بناها لأصحاب الامام أبي حنيفة . ثم نقل والده اليها ، فدفنه في قبر معروف به ، بعد أن كان مدفنه في القلعة . وفي المدرسة يقول عرقلة الشاعر المشهور :

ومدرسة سيدرس كل شيء	وتبقى في حمى علم ونسك
تضوع ذكرها شرقا وغربا	بنور الدين محمود بن زنكي
يقول وقوله حق وصدق	بغير كناية وبغير شك
دمشق في المدائن بيت ملكي	وهذي في المدارس بيت ملكي

أقول : صورة ما هو مكتوب على أُسكفّة بابها بعد البسملة :

أنشأ هذه المدرسة المباركة الملك العادل الزاهد نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي ابن آق سنقر ضاعف الله ثوابه . ووقفها على أصحاب الامام سراج الأمة أبي حنيفة

رضي الله عنه . ووقف عليها ، وعلى الفقهاء والمتفقهة بها جميع الحمام المستجد بسوق القمح ، والحمامين المستجدين بالوراقة ظاهر باب السلامة ، والدار المجاورة لهما ، والوراقة بعونية الحمى ، وجسر الوزير ، والنصف والربع من بستان الجوزة بالأرزة ، والاحدى والعشرين حانوتا خارج باب الجابية ، والساحة الملاصقة لها من الشرق ، والستة حقول بداريا ، على ما نص وشرط . فكتب الوقف رغبة في الآخرة والثواب ، وتقدمة بين يديه يوم الحساب . « فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم » ٢/١٨١ وذلك في مدة آخرها شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة. ٥

وعلى تلك المدرسة الرونق والبهاء ؛ ولكن بعض جيرانها اختلس بعض حجراتها . وهي الآن كبقية المدارس خالية من طلبة العلوم الحقيقيين . فلعل الزمان يساعدها فتصبح روضة زاهرة بالعلم وأهله ، فانها تستحق ذلك . ١٠

ودرس بها في أول أمرها : بهاء الدين ابن العقاد ، ثم ثلاثة بعده ، ثم وليها جمال الدين الحصيري ، ثم ولده قوام الدين ، ثم أخوه نظام الدين ، ثم خمسة آخرهم شمس الدين الصفدي .

ترجمة بانيها

نور الدين بن زنكي ٥١١-٥٦٩

اختلف المؤرخون في تعيين بانيها ؛ فقال في « الروضتين » : بنى نور الدين المدرسة النورية لأصحاب أبي حنيفة بجوار الخواصين ، في الشارع الغربي . وقال ابن شداد : أنشأها الملك نور الدين . قال النعيمي : وفيه نظر ! انما الذي أنشأها الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين محمود بن زنكي في سنة ثلاث وستين وخمسمائة . انتهى . والذي في « العبر » للذهبي : أن الذي بناها نور الدين . ١٥

ويلوح لي أن بانيها الأول انما هو نور الدين . ولعل ولده بنى التربة التي بها ، وتمم بعضما كان ناقصا منها ، فنسبت اليه . وأيا ما كان فعلى روح منشئها الرحمة والرضوان . ٢٠

الملك الصالح اسماعيل

قال تاج الدين شاهنشاه بن أيوب في«تاريخه» في سنة ست وسبعين وخمسمائة:

الملك الصالح اسماعيل ٥٥٧-٥٧٦

توفي الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر صاحب حلب وعمره نحو تسع عشرة سنة . ولما اشتد به مرض القولنج ، وصف له الأطباء الخمر ؛ فمات ولم يستعملها . وكان حليما ، عفيف اليد والفرج واللسان ، ملازما لأمورالدين، لايعرف شيئاً مما يتعاطاه الشباب . وأوصى بملك حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل . فلما مات ؛ سار مسعود ومجاهد الدين قيماز من الموصل الى حلب، واستقر بملكها . ثم كاتبه أخوه عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار في أن يعطيه حلب ، ويأخذ منه سنجار . فأشار عليه قيماز بذلك ؛ فلم يمكن مسعود الا موافقته ؛ فأجاب الى ذلك . فسار عماد الدين الى حلب ، وتسلمها ، وسلم سنجار الى أخيه مسعود ، وعاد مسعود الى الموصل .

نور الدين

نور الدين بن زنكي ٥١١-٥٦٩

قال الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : محمود بن زنكي بن آق سنقر ابن أبي سعيد قسيم الدولة الذكي الملك العادل نور الدين وناصر أمير المؤمنين ، كان جده آق سنقر قد ولاه السلطان أبو الفتح ملك شاه بن الب أرسلان حلب ؛ وولي غيرها من بلاد الشام . ونشأ أبوه قسيم الدولة بعده بالعراق . وندبه السلطان محمود بن محمد ابن ملكشاه بن ألب أرسلان، برأي الخليفة المسترشد بالله أمير المؤمنين، لولاية ديار الموصل والبلاد الشامية ، بعد قتل آقسنقر البرسقي وموت ابنه مسعود ؛ فظهرت كفايته ، وظهرت شهامته في مقابلة العدو ، وثبوته عند ظهور متملك الروم ونزوله على شيزر ، حتى رجع الى بلاده خائبا . وحاصر أبوه قسيم الدولة دمشق مرتين ؛ فلم يتيسر له فتحها . وفتح الرها والمعرة وكفر طاب وغيرها من الحصون الشامية ، واستنقذها من أيدي الكفار .

فلما انقضى أجله ؛ قام ابنه نور الدين مقامه في ولاية الاسلام . ومولده ، على ما ذكر لي كاتبه أبو اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي المعري ، وقت طلوع الشمس من يوم الأحد سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة . ولما راهق لزم خدمة والده الى أن انتهت مدته ليلة الأحد السادس من شهر ربيع الآخر سنة احدى وأربعين وخمسمائة على قلعة جعبر ؛ وكان محاصرا لها . ونقل تابوته الى مشهد الرقة ، فدفن بها . وسير صبحة الأحد الملك ألب أرسلان ابن السلطان محمود بن محمد الى الموصل مع

جماعة من أكابر دولة أبيه ، وقال لهم : ان وصل أخي سيف الدين غازي الى الموصل ، فهي له وأنتم في خدمته . وان تأخرنا أقرر أمور الشام وأتوجه اليكم . ثم قصد حلب ، ودخل قلعتها المحروسة على أسعد طائر وأيمن بركة يوم الاثنين سابع ربيع الآخر .

ورتب في القلعة والمدينة النواب ، وأنعم على الأمراء وخلع عليهم . وكان بعض الأمراء قد عمل على أخذ الرها ، وحصل في البلد ؛ فوجه اليه أمراء دولته حتى استنقذها منه ، وخرج هاربا منها .

ولما استتب له الأمر ؛ ظهر منه بذل الاجتهاد في القيام بأمر الجهاد والقمع لأهل الكفر والعناد ، والقيام بمصالح العباد . وخرج غازيا في أعمال ناشر ؛ فافتتح حصونا كثيرة . وافتتح قلعة عليم ، وقلعة عزاز وتل ناشر ودلوك ومرعش ، وقلعة عينتاب ونهر الجوز وغير ذلك ، وحصن البارة ، وقلعة الدلوندان ، وقلعة تل خالد ، وحصن كفرلانا ، وحصن سرنوب بجبل بني قامية . وغزا حصن أنب ؛ فقصده الابرقس متملك أبطاله ، وكان من أبطال العدو وشياطينهم ؛ فرحل عنها ، ولقيهم دونها ؛ فكسره وقتله وثلاثة آلاف افرنجي معه . وبقي ابنه صغيرا مع أمه بانطاكية . وتزوجت بابرنس[1] آخر . فخرج نور الدين في بعض غزواته ؛ فأسر الابرنس الثاني ، وتملك أنطاكية . ووقع في أسره ابن الابرنس الأول في نوبة حارم ؛ وباعه نفسه بمال عظيم أنفقه في الجهاد .

وأظهر بحلب السنة ، حتى أقام شعائر الدين ، وغير البدعة التي كانت لهم في الأذان ، وقمع بها الرافضة المبتدعة ، ونشر بها مذاهب أهل السنة الأربعة ، وأسقط عنهم جميع المؤن ، ومنعهم من التشوب في الفتن . وبنى بها المدارس ، ووقف الأوقاف ، وأظهر بها العدل والانصاف . وقد كان صالح المعين الذي كان بدمشق ، وصاهره ؛ واجتمعت كلمتهما على العدو . ولما وازره ، وحاصر دمشق مرتين ؛ فلم يتيسر له فتحها . ثم قصدها الثالثة ؛ فتم له صلحها ، وسلم اليه أهلها البلد لغلاء الأسعار ، والخوف من استعلاء كلمة الكفار ؛ فضبط امورها ، وحسن سورها ، وبنى بها المدارس والمساجد ، وأفاض على أهلها الفوائد ، وأصلح طرقها ، ووسع أسواقها . وأدر الله على رعيته ببركته أرزاقها . وبطل منها الانزال ، ودفع عن أهلها الأثقال . ومنع ما كان يومئذ منهم من المغارم كدار البطيخ ، وسوق البقل ، وضمان النهر ، والكيالة ، وسوق الغنم ، وغير

---

(1) كلمة أعجمية معربها الأمير .

ذلك من المظالم . وأمر بترك ما كان يؤخذ على الخمر من المكس ، ونهى عن شربها وعاقب عليه باقامة الحد والحبس . واستنقذ من العدو ثغر بانياس ، وغيره من المعاقل المنيعة كالمنيطرة وغيرها بعد الاياس .

وبلغني انه في الحرب رابط الجأش ، ثابت القدم ، شديد الانكماش ، حسن الرمي بالسهام ، صليب الضرب عند ضيق المقام . يقدم أصحابه عند الكرة ، ويحمي منهزمهم عند الفرة ، ويتعرض بجهده للشهادة لما يرجو بها من كمال السعادة . ولقد حكى عنه من خدمه مدة ، ووازره على فعل الخيرات أنه سمعه يسأل الله تعالى أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير .

ولقد أحسن الى العلماء وأكرمهم ، وقرب المتدينين واحترمهم ، وتوخى العدل في الأحكام والقضايا ، وألان كتفه ، وأظهر رأفته بالرعية . وبنى في أكثر مملكته دور العدل، وأحضر لها القضاة والفقهاء للفصل . وحضرها بنفسه في أكثر الاوقات ، واستمع من المتظلمين الدعاوى والبينات ، طلبا للانصاف والفصل ، وحرصا على اقامة العدل .

وأدر على الضعفاء والأيتام الصدقات، وتعهد ذوي الحاجة من أولي التعفف بالصلات، حتى وقف وقوفا على المرضى والمجانين ، وأقام لهم الأطباء والمعالجين ، وكذلك على جماعة العميان ، ومعلمي الخط والقرآن ، وعلى ساكني الحرمين، ومجاوري المسجدين .

وأكرم أمير المدينة الحسين ، وأحسن اليه ، وأجرى عليه الضيافة لما قدم عليه ، وجهز معه عسكرا لحفظ المدينة ، وقام لهم بما يحتاجون اليه من المؤونة . وأقطع أمير مكة اقطاعا سنيا ، وأعطى كلا منهما ما يأكله هنيا مريا . ورفع عن الحجاج ما كان يؤخذ منهم من المكس ، وأقطع أمراء العرب الاقطاعات لئلا يتعرضوا للحجاج بالنخس . وأمر باكمال سور المدينة ، واستخراج العين التي بأحد وكانت قد دفنتها السيول . ودعي له بالحرمين ، واشتهر صيته في الخافقين . وعمر الربط، والخانقاهات، والبيمارستانات . وبنى الجسور في الطرق والخانات .

ونصب جماعة من المعلمين لتعليم يتامى المسلمين ، وأجرى الأرزاق على معلميهم بقدر مايكفيهم . وكذلك صنع لما ملك سنجار، وحران ، والرها، والرقة ، ومنبج ، وشيزر، وحماة ، وحمص ، وبعلبك ، وصرخد ، وتدمر . فما من بلد منها الا وله فيه حسن أثر، وما من أهلها أحد الا نظر له أحسن نظر .

وحصل الكثير من كتب العلوم ، ووقفها على طلابها ، وأقام عليها الحفظة من أهلها وأربابها . وجدد كثيرا من قني السبيل ، وهدى بجهده الى سواء السبيل .

وأجهد نفسه في جهاد أعداء الله ، وبالغ في حربهم . وتحصل في أسرة جماعة من أمراء الافرنج كجوسلين وابنه ، وابن القنس ، وقومش اطرابلس ، وجماعة من حزبهم . وكان متملك الروم قد خرج من قسطنطينية، وتوجه الى الشام طامعا في تسلم أنطاكية. فشغله عن مرامه الذي رامه بالمراسلة ، الى أن وصل أخوه قطب الدين في جنده من المواصلة . وجمع له الجيوش والعساكر ، وأنفق فيهم الأموال والذخائر . فأيس الرومي من بلوغ ما كان يرجو ، وتمنى منه المصالحة عساه ينجو . فاستقر رجوعه الى بلاده ذاهبا ، فرجع من حيث جاء خائبا . ولم يقتل بالشام مع كثرة عسكره مقتله ، ولم يرع فيها من زرع خادم أو أمير سنبله . وحمل الى بيت مال المسلمين من التحف ما حمل ، ولم يبلغ وضل ما عمل . وغزا معه أخوه قطب الدين في عسكر الموصل وغيرهم من المجاهدين . فكسر الافرنج والروم والأرمن على حارم ، وأذاقهم كؤوس المنية بالأسنة والصوارم ؛ فأبادهم حتى لم يفلت منهم غير الشديد الذاهل ، وكانت عدتهم ثلاثين ألفا بين فارس وراجل . ثم نزل على قلعة حارم ، فافتتحها ثانية وحواها . وأخذ أكثر قرى انطاكية ، وسبى أهلها . وكان قبل ذلك قد كسرهم بقرب بانياس ، وقتل جماعة من أبطالهم ، وأسر كثيرا من فرسانهم .

وقد كان شاور السعدي أمير جيوش مصر ، فوصل الى جانبه مستجيرا لما عاين الذعر . فأحسن جواره وأكرمه ، وأظهر بره واحترمه، وبعث معه جيشا كثيفا ليرده الى درجته ؛ فقتلوا خصمه . ولم يقع منه الوفاء بما قرر من جهته ؛ فاستجاش جيش العدو طلبا للبقاء في السمو . ثم وجه اليه بعد ذلك جيشا آخر . فأصر على المسابقة له ، واستنجد بالعدو فأنجدوه ، وضمن لهم الأموال الخطيرة حتى عاضدوه . وانكفا جيش المسلمين الى الشام راجعا ، وحدث متملك الافرنج نفسه بملك مصر طامعا؛ فتوجه اليها بعد عامين راغبا في انتهاز الفرصة؛ فأخذ بلبيس، وخيم من مصر بالعرصة. فلما بلغه ذلك تدخل جهده في توجيه الجيش اليها ، وخاف من تسلط عدو الدين عليها. فلما سمع العدو بتوجه جيشه ، رجعوا خائبين ، وأصبح أصحابه بمصر لمن عاندهم غالبين . وأمل أهل أعمالها بحصول جيشه عندهم ؛ وزال عنهم ما كانوا قد خشوا . واطلع من شاور على المخامرة ، وأنه قد راسل العدو طمعا منه في المظافرة ، وأرسل

اليهم ليردهم ليدفع جيش المسلمين بجيشهم . فلما خيف من شره ومكره لما عرف من
غدره وختره ، واتضح الأمر في ذلك واستبان ؛ تمارض الأسد ليقتنص الثعلبان فجأة ،
قاصدا لعيادته ، جاريا في خدمته على عادته . فوثب جرديك وبرحش موليا نورالدين
فقتلا شاورا ، وأراحا البلاد والعباد من شره . وأما شاور فانه أول من تولى القبض عليه،
٥ ومد يده الكريمة اليه بالمكروه . وصفي الأمر لأسد الدين ، وملك ، وخلعت عليه الخلع ،
وحل . واستولى أصحابه على البلاد ، وجرت أموره على السداد ، وظهرت منه حميد
السيرة وحسن الآثار ؛ وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار .

وظهرت كلمة أهل السنة بالديار المصرية ، وخطب فيها للدولة العباسية بعد
اليأس . وأراح الله من بها من الفتنة ، ورفع عنهم المحنة . ومع ما ذكرت من هذه
١٠ المناقب كلها ، وشرحت من دقها وجلها ؛ فانه كان رحمه الله حسن الخط والبنان متأتياً
لمعرفة العلوم بالفهم والبيان ، كثير المطالعة ، مائلا الى نقل الكتب ، مواظبا وحريصا على
تحصيل كتب « الصحاح » و «السنن» ، مشتريا لها بأوفر الأعواض والثمن ، كثير
المطالعة للعلوم الدينية ، متبعا للآثار النبوية ، مواظبا على الصلوات في الجماعات ،
مراعياً لأدائها في الاوقات ، مؤديا لفروضها ومسنوناتها ، معظما لها في جميع حالاتها ،
١٥ عاكفا على تلاوة القرآن على الأيام ، حريصا على فعل الخير من الصدقة والصيام ، كثير
الدعاء والتسبيح ، راغبا في صلاة التراويح ، عفيف البطن والفرج ، مقتصداً في الانفاق
والخرج ، متحرياً في المطاعم والمشارب والملابس ، متبرئاً من التباهي والتمادي
والتنافس ، عرياً عن التكبر والتجبر ، بريئا من التطير ؛ مع ما جمع الله له من العقل
المتين ، والرأي الصواب الرصين ، والاقتداء بسيرة السلف الماضين ، والتشبه بالعلماء
٢٠ والصالحين ، والاقتفاء لسيرة من سلف منهم في خير سمتهم ، والاتباع لهم في حفظ
حالهم ووقتهم . حتى روى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأسمعه. وكان قد
استجيز له ممن سمعه وجمعه حرصا منه على الخير في نشر السنة والتحديث ،
ورجاء أن يكون ممن حفظ على الأمة اربعين حديثا لما جاء في الحديث .

فمن رآه شاهد من جلال السلطنة ، وهيبة الملك ما يبهره ؛ فاذا فاوضه ، راى من
٢٥ لطافته وتواضعه ما يحيره . وقد حكى عنه من صحبه في سفره وحضره ، أنه لم يسمع
منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره ، وان أشهى ما يكون اليه كلمة حق يسمعها ،
أو ارشاد الى سنة يتبعها . يحب الصالحين ويؤاخيهم ، ويزور مساكنهم لحسن ظنه

فيهم . فاذا احتلم مماليكه ؛ أعتقهم ، وزوج ذكرانهم باناثهم ، ورزقهم . ومتى تكررت الشكاية اليه من أحد ولاته ؛ أمر بالكف من أذى من تكلم بشكاية . فمن لم يرجع منهم الى العدل ؛ قابله باسقاط المرتبة والعزل . وقد جمع الله له من شريف الخصال ، ماييسر له جميع ما يقصده من الأعمال ، وسهل على يديه فتح الحصون والقلاع ، ومكن له في البلدان والبقاع ؛ حتى ملك حصن شيزر ، وقلعة دوسر وهما من أحصن المعاقل والحصون ، واحتوى على ما فيهما من الذخر المصون ، من غير سفك محجمة من دم عليهما ، ولا قتل أحد من المسلمين بسببهما . وأكثر ما أخذه من البلدان ، تسلمه من أهله بالأمان ، ووفى لهم بالعهود والأيمان ؛ فأوصلهم الى مأمنهم من المكان . واذا استشهد أحد من أجناده ؛ حفظه في أهله وأولاده ، وأجرى عليهم الجرايات ، وولى من كان أهلا منهم للولايات . وكلما فتح الله عليه فتحا ، وزاده ولاية ؛ أسقط عن رعيته قسطا ، وزادهم رعاية ؛ حتى ارتفعت عنهم الظلامات والمكوس ، واتضعت في جميع ممالكه الغرامات والنحوس . ودرت على رعاياه الأرزاق ، ونفقت عندهم الأسواق ، وحصل بينهم بيمينه الاتفاق ، وزال ببركته العناء والشقاق . فان فتكت شرذمة من الملاعين ؛ فانها لما علمت منه من الرأفة واللين . ولو خلط لهم شدته بلينه لخاف سطوته الأسد في عرينه ؛ فالله يحقن به الدماء ، ويسكن به الدهماء .

ثم قال ابن عساكر بعد أن دعا الله له : ومناقبه خطيرة ، وممادحه كثيرة ؛ ذكرت منها غيضا من فيض ، وقليلا من كثير . وقد مدحه جماعة من الشعراء ؛ فأكثروا وان لم يبلغوا وصف آلائه ، بل قصروا . وهو قليل الابتهاج بالشعر زيادة في تواضعه لعلو القدر .

انتهى ما قاله الحافظ ابن عساكر بحذف بعض جمل يسيرة . وقد حكى في خطبة « تاريخه » أنه جمع منه أولا شيئا كثيرا ، ثم تركه . فأقبل الناس يشوقونه على الاتمام ، الى أن وصل خبره الى نور الدين ؛ فحينئذ اهتم باكماله .

وقال ابن الجوزي في « تاريخه » : ولي الشام سنين ، وجاهد الثغور ، وانتزع من الصليبيين نيفا وخمسين مدينة وحصنا ، وبنى بيمارستان بالشام . وعاهد صاحب طرابلس بعد أن قبض عليه على أن يطلقه بشرط أن يدفع ثلاثمائة ألف دينار ، وخمسمائة حصان ، وخمسمائة زردية ، ومثلها أتراس ، ومثلها قنطاريات ، وخمسمائة أسير مسلم ،

وبأن لايغير على بلاد المسلمين سبع سنين وسبعة اشهر ؛ واخذ بناته رهنا على الوفاء مع بعض أولاد الافرنج وبطارقتهم ؛ وان نكث أراق دماءهم . وعزم على فتح بيت المقدس فتوفي .

وقال الفيلسوف عبد اللطيف البغدادي : كان نور الدين يأكل من عمل يده ؛ ينسج تارة ، ويعمل علبا تارة ثانية . ويلبس الصوف ، ويلازم السجادة والمصحف . وكان حنفيا ، ويراعي مذهبي الشافعي ومالك .

وقال ابن الأثير : كان نور الدين كثير اللعب بالكرة ؛ فكتب اليه رجل يدعي الصلاح ينكر عليه ، ويقول : تتعب الخيل في غير فائدة . فكتب اليه بخطه : والله ما أقصد اللعب، وانما نحن في تعب، فربما وقع الصوت فتكون الخيل قد أمنت . ا.هـ

قلت : ولم يخل وقت من اعتراض بعض من يدعي الصلاح على ما لا يعرفونه ولا يعنيهم ؛ بل يعترضون على الذرة ويبتلعون الجبل . ومما يسطر في تاريخ نورالدين مع الفخر ما ذكره ابن الأثير : أنه كان يوما يلعب في ميدان دمشق ؛ فجاءه رجل وطلبه الى الشرع ؛ فجاء معه الى مجلس الشريعة وكان به القاضي مجد الدين الشهرزوري ، فأرسل اليه السلطان حاجبه يقول للقاضي : لاتنزعج ، واسلك معه ما تسلكه مع آحاد الناس . فلما حضر ؛ سوى بينه وبين خصمه ، فتحاكما . فلم يثبت للرجل عليه حق، وكان يدعي ملكا في يد نور الدين . فلما فرغت المحاكمة قال : هل ثبت له حق ؟ قالوا : لا ! قال : فاشهدوا علي أني قد وهبت له ما ادعى به ؛ وانما حضرت معه لئلا يقال عني : اني دعيت الى الشرع فأبيت . ودخل بيته يوما فرأى مالا كثيرا ، فسأل عنه ، فقالوا له : بعث به القاضي كمال الدين من فائض الأوقاف ؛ فقال : ردوه وقولوا له : ان رقبتي رقيقة لا أقدر على حمله غدا، وأنت رقبتك غليظة تقدر على حمله . ولما قدم أمراؤه دمشق، اقتنوا الأموال واستطالوا على الناس ؛ وكان أعظمهم استطالة شيركوه ؛ فبنى السلطان دار العدل ، وكان يحضرها في الاسبوع أربع مرات ، ويحضر معه العلماء والفقهاء ، ويأمر بازالة الحجاب والبوابين . فانتصف أمراؤه من أنفسهم خوفا من دار العدل والسلطان . ولما وقع ملك الافرنج في أسره ؛ أطلقه على ثلاثمائة ألف ؛ وبنى بها البيمارستان المشهور في دمشق ، وجعله على كافة الناس من غني وفقير . وبنى بها أيضا المدرسة النورية ، ودار الحديث المار ذكرها .

قال ابن واصل : كان السلطان من أقوى الناس بدنا وقلبا ، وأنه لم ير على ظهر فرس أشد منه ، كأنما خلق عليه فلا يتحرك . وكان اذا حضر القتال أخذ قوسين وتركاشين وباشر القتال بنفسه ، وكان يقول : طالما تعرضت للشهادة فلم أدركها . قال الذهبي : قلت : وقد أدركها على فراشه . وبقي ذلك في أفواه الناس تراهم يقولون : نور الدين الشهيد ، وما شهادته الا بالخوانيق !   ٥

قال ابن الجوزي : كان السلطان يخيط الكوافي ، ويعمل السكاكر ويعطيها للعجائز فتبيعها له سرا ، وكان يوم يصوم يفطر على أثمانها .

قال ابن كثير : وكان يجلس يوم الثلاثاء بالمسجد المعلق الذي بالكشك ، ليصل اليه كل أحد من المسلمين وأهل الذمة . وقد عمدالى الأوقاف التي لايعرف واقفها ، ولاتعرف شروطهم فيها ؛ فأضافها الى أوقاف الجامع ، وجعلها قلما واحدا سماه قلم المصالح ؛   ١٠
ورتب منه مرتبا لذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والأرامل والايتام ، وما أشبه ذلك .

قال الصلاح الكتبي في « تاريخه » : كان نور الدين يحلف بالله أن جميع ما بناه من المدارس والأوقاف والربط وغيره ، انما هو من مال المفاداة يوم قارم ، وليس فيها من بيت المال الدرهم الفرد .   ١٥

هذا ما قصدناه من ترجمة نور الدين ومن أراد الزيادة فعليه « بالبرق الشامي » وغيره من مؤلفات العماد الكاتب ، و « بالروضتين » لأبي شامة ، و « الدر الثمين » و « الكواكب الدرية » للأسدي . ويجدر بي الآن أن أذكر حكاية قد تداولتها ألسن الناس ، فزادوا بها وأكثروا ، وغيروا وبدلوا ، وكثيرا ما كنت أسمعها من والدي مغيرة مبدلة ، وأدأب في التنقيب عنها حتى ظفرت بها في كتاب « تحفة الأنام » للبصروي ،   ٢٠
فنقلتها كما رأيتها ، والعهدة على الراوي .

قال : ان السلطان نور الدين رأى ليلة النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يقول له : يا محمود ! اليَّ من هذين ، وأشار الى اثنين في زي العجم ؛ فاستيقظ من منامه فزعا مرعوبا . ثم تكررت الرؤيا ثلاثا ؛ فتحركت همته للسفر ، فأحضر الهجن وركبها مع فرقة قليلة من العسكر ، وسار مسرعا حتى وافى المدينة ، وأظهر أنه يريد الزيارة ؛   ٢٥
فزار المسجد وجلس لايدري ما ذا يصنع . فقال له وزيره : أتعرف الشخصين اذا

رأيتهما ؟ قال : نعم ! فطلب الناس للصدقة ، وفرق عليهم الذهب والفضة ، ثم قال : لايتخلف أحد من أهل المدينة . فجاؤوا كلهم ، وقالوا له : لم يبق الا رجلان مجاوران من أهل الأندلس ، نازلان في الناحية التي تلي قبلي الحجرة، خارج رأس عمر بن الخطاب، التي تعرف اليوم بدار العشرة . فطلبهما للصدقة ؛ فامتنعا ، وقالا : نحن على كفاية ما نقبل شيئا ! فجد في طلبهما ؛ فجيء بهما . فلما رآهما عرفهما ، وقال للوزير : هذان هما ! فسألهما عن حالهما ، وما جاء بهما ؟ فقالا : لمجاورة النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : أصدقاني ! وتكرر السؤال حتى أفضى الحال الى معاقبتهما . فأقرا أنهما من النصارى ، وأنهما أتيا لكي ينقلا النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الحجرة الشريفة بالاتفاق مع ملوكهما . ووجدهما قد نقبا نقبا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي ، وهما واصلان الى جهة الحجرة ، وقد جعلا التراب في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه . فضرب عنقيهما عند الشباك الذي في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم خارج المسجد ، ثم أحرقهما بالنار آخر النهار ، ثم ركب متوجها الى الشام . فصاح من كان نازلا خارج السور ، واستغاثوا ، وطلبوا أن يبني لهم سورا يحفظ أبناءهم ومواشيهم؛ فأمر ببناء هذا السور المجدد اليوم ؛ فبني سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وكتب اسمه على باب البقيع ؛ فهو باق الى اليوم . هذا ما قاله البصروي في « تحفته » والله أعلم .

المدرسة (النورية الصغرى)

هي بجامع قلعة دمشق . كذا في « تنبيه الطالب » . وقال العلموي : هي تجاه **قلعة دمشق** ، بناها السلطان نور الدين المتقدم . درس بها بهاء الدين بن عياش ، ثم بعده تسعة أنفس ، آخرهم عماد الدين الطرسوسي .

أقول : أيا ما كانت ؛ فلم أر لمكانها أثرا ! فان كانت في جامع القلعة ، فلعلها كانت حلقة أو هي مقام الصحابي الجليل أبي الدرداء . وان كانت تجاه القلعة ؛ فاما أن يعني بها مدرسة دار الحديث النورية المتقدم ذكرها ، واما أن تكون أدخلت في الجامع المسمى الآن بسيدي خليل ، لأن بناءه يدل على أنه مدرسة . واما أن تكون أيدي الزمان تلاعبت بها كما تلاعبت بغيرها ، فجعلتها دارا أو دكانا أو غير ذلك ، والله أعلم !

حرف اليـاء

المدرسة (اليغمورية)

قال في « تنبيه الطالب » : هي بالصالحية للحنفية ؛ ولم أقف على ترجمة بانيها . ولكن قال في « العبر » في حوادث سنة ثلاث وستين وستمائة : جمال الدين بن يغمور الباروميِ(١) ، ولد بالصعيد سنة تسع وتسعين وخمسمائة . وكان من أعيان الامراء ؛ ولي نيابة مصر ، ونيابة دمشق .

جمال الدين ابن يغمور ٥٦٩-٦٦٣

٥

قال ابن كثير : دخل ابن يغمور دمشق من جهة الملك الصالح أيوب ؛ فنزل داخل باب الجابية ، وأمر النائب بتخريب الدكانين(٢) المحدثة في وسط باب البريد ، وأمر أن لايبقى فيه دكانين سوى ما في جانبيه الى جانب الحائطين القبلي والشمالي ، وأن يهدم ما في وسط الطريق فهدم . ا.هـ

١٠

قال العدوي فيما كتبه زيادة على العلموي : اليغمورية هي بالسكة غربي الصالحية، بالقرب من خان السبيل من جهة الغرب بقبلة .

وقال ابن كثير أيضا : وفي السنة المذكورة أرسل الصالح أيوب الى نائبه ابن يغمور بدمشق أن يخرب دار أسامة المنسوبة الى الناصر ، وأن يأتي بستانا بالقابون ، وهو بستان القصر ؛ فيقطع أشجاره ، ويهدم القصر . ورأيت في «زيادات العدوي»: أن المدرسة اليغمورية تشتمل على حرم بشباكين مطلين على نهر يزيد ، وباب يفتح الى الشمال ، قدامه ثلاث قناطر ، وبشرقها ايوانان لطيفان ، وبئر ماء ينتفع الناس به أيام انقطاع النهر، وشمالي هذه القناطر الطريق السالك . وكانت لم تزل مغلوقة ، الى أن سكن الشيخ محمد بن رمضان الحنفي تلك المحلة ففتحها ودرس بها . انتهى

١٥

أقول : أما الآن فقد اندرست آثارها ، ولم يبق من أطلالها الا حجارة ضخمة في أساس أبنية بنيت على أنقاضها ، قال لها المختلسون : كوني دورا ، فكانت ! وأما خان السبيل ، فلم يزل موجودا الى الآن فسبحان الدائم الباقي ! وهذا آخر الكلام على مدارس الحنفية .

٢٠

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الباروقي » نقلا عن الذهبي في العبر .

(٢) كذا في الاصل والأصح دكاكين .

الباب الخامس في مدارس المالكية

من الهمزة الى الراء مهمل

حـرف الزاي

(الزاويــة)

هي ملاصقة للمقصورة الحنفية في الجامع(١) الغربي من الجامع الأموي . والمقاصير قد تغيرت ، والاوضاع تلاشت ، وقد جاء زمن غير ذلك الزمن ؛ فلا حاجـة الى كثرة التنقيب عن أمثال هذه المواضع بعد ما احترق الجامع مرارا ، واعتراه الهدم والحريق أيام تيمورلنك وغيره . ٥

واقفهـا

صلاح الدين الأيوبي ٥٣٢-٥٨٩

١٠ أوقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب المشهور . ودرس بهـا جمال الدين ابن الحاجب ، وجماعة كثيرون .

ابـن الحاجب

هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الرولي ، ثم المصري . قال ابن كثير في « تاريخه » في حوادث سنة ست وأربعين وستمائة : كان أبوه حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحي ، وكان كرديا. واشتغل هو بالعلم ، وقرأ القرآن ، وحرر النحو تحريرا بليغا ، وتفقه ، وساد أهل عصره ، وكان رأسا في علوم كثـيرة منهـا : الأصول ، والفروع ، والعربية ، والنحو ، والتصريف ، والعروض ، والتفسير ، وغير ذلك . وكان قد استوطن دمشق سنة سبع عشرة وستمائة ، ودرس بها للمالكية في الجامع ، حتى كان خروجه صحبة الشيخ عز الدين بن عبد السلام سنة ثمان وثلاثين فسار الى الديار المصرية ؛ فتوفي بالاسكندرية ، ودفن بالمقبرة التي بين المنارة والبلد . ١٥ ٢٠

---

(١) كذا في الاصل ، ولعلها الجانب .

قال أبو شامة : وكان من أذكى الأمة قريحة ، ثقة حجة ، متواضعا ، عفيفا ، كثير الحياء ، منصفا ، محبا للعلم وأهله ناشرا له ، محتملا للأذى ، صبورا على البلوى ، وله « مختصر » في فقه مالك من أحسن المختصرات ، و « مختصر » في أصوله استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الآمدي ، وله « الأماني في الحديث وفي النحو » ، وله « شرح المفصل للزمخشري » ، و « المقدمة » المشهورة في النحو اختصر فيها « المفصل وشرحه » ، وله « الشافعية وشرحها » ، وقصيدة في العروض على وزن «الشاطبية» .

وقال ابن خلكان في تاريخه : كان ابن الحاجب مالكيا ، وأتقن علوم القرآن غاية الاتقان . ولما درس بجامع دمشق في زاوية المالكية ؛ أكب الخلق على الاشتغال عليه ؛ والتزم لهم الدروس . وتبحر في الفنون ، وكان الأغلب علم العربية . قال : وكل تصانيفه في غاية الحسن والافادة . وخالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم اشكالات والزامات تبعد الاجابة عنها . وكان من أحسن خلق الله ذهنا . ثم عاد الى القاهرة وأقام بها ، والناس ملازمون للاشتغال عليه . ثم انتقل للاسكندرية للاقامة بها ؛ فلم تطل مدته هناك ، وتوفي بها سنة ست وأربعين وستمائة . وكان مولده في آخر سنة سبعين وخمسمائة بأسنا وهي ، بفتح الهمزة وسكون السين المهملة ، بليدة صغيرة من أعمال القوصية بالصعيد الأعلى من مصر .

حرف الشين

من الزاي الى الشين مهمل

المدرسة (الشرابيشية)

شهاب الدين الشرابيشي ٠٠٠-٧٣٤

عرف النعيمي مكانها بأنها بدرب الشعارين لصيق حمام صالح ، شمالي الطيوريين داخل باب الجابية . أنشأها شهاب الدين ابن نور الدولة بن محاسن الشرابيشي التاجر السفار سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

درس بها : تاج الدين الزواوي ، ثم صدر الدين البارزي .

قال البرزالي : وفي السنة المذكورة توفي أحمد ابن نور الدولة المذكور ، ودفن بالمكان الذي أوقفه والده خارب الباب الصغير ، قبالة جامع جراح .

حـرف الصـاد

المدرسة (الصلاحية)

صلاح الدين الأيوبي

أنشأها السلطان صلاح الدين بالقرب من البيمارستان النوري ؛ وسماها ابن قاضي شهبة بالنورية . وهي اليوم دور ومساكن ، وبابها يظهر في جدارها الجنوبي ، لكنه خفي ولسوف يزول . ٥

ودرس بها أيام حياتها : جمال الدين المعروف بحمار المالكية ، ثم العلامة ابن الحاجب، ثم زين الدين الزواوي ، ثم جمـال الدين الزواوي .

المدرسة (الصمصامية)

بمحلة حجر الذهب ، شرقي دار القرآن الوجيهية ، وقبلي المسرورية الشافعية ، وشمالي الخاتونية العصمية الحنفية . قال العلموي : وهي التي وضع يده عليها سنان ١٠ الرومي ناظر البيمارستان في حدود ثماني وستين وتسعمائة . والآن لايعرف مكان الصمصامية . وقال المحبي في « تاريخه » في ترجمة احمد بن سنان صاحب التاريخ المشهور « بالقرماني » : قدم أبوه سنان الى دمشق ، وولي نظارة البيمارستان ، ونظارة الجامع الأموي . وانتقد عليه أنه باع بسطا للجامع الأموي وحصرا، وانه خرب مدرسة المالكية بالقرب من البيمارستان النوري وتعرف بالصمصامية وحصل به الضرر في مدرسة ١٥ النورية ببعلبك ؛ فقتل بسبب هذه الامور هو وناظر السليمية حسين في يوم الخميس رابع عشر شوال سنة ست وستين وتسعمائة جميعا معا بدار السعـادة بشاشيهما وعمامتهما على رأسهما . انتهى . فقول العلموي : سنة ثماني وستين سهو أو غلط من الناسخ . وأما حجر الذهب فهو اسم لمحلة بالقرب من البيمارستان النوري كما في المحبي . ٢٠

ووقف درسا عليها الصاحب شمس الدين غبريال سنة سبع عشرة وسبعمائة ، وتوفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة . ولم يذكر النعيمي ولا العلموي اسم بانيها .

قلت : والوجيهية ، والمسرورية ، والخاتونية ، والصمصامية صارت دورا ، وانمحت آثارها . فالتطويل في تراجمها لايجدي نفعا . وهذا آخر الكلام على مدارس المالكية .

الباب السادس في مدارس الحنابلة

حرف الجيم وما قبله مهمل

المدرسة (الجوزية)

هي بالبزورية المسمى قديما بسوق القمح . وقد اختلس جيرانها معظمها ، وبقي منها الى الآن بقية ، ثم صارت محكمة الى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الألف . وهي الآن مقفلة لا ندري ما يصنع بها الزمان فيما بعد . ٥

ودرس بها : ابن المنجا ، والجمال المرداوي ، وابن قاضي الجبل ، والبرهان ابن مفلح وغيرهم .

قرأت كتابة على حجر موضوع في أسكفة احدى حجراتها ؛ فاذا فيه : فرغ من عمل هذه المدرسة المباركة سنة اثنتين وخمسين وستمائة . تقبل الله من منشئها الصاحب محي الدين رحمه الله تعالى . ١٠

ترجمة واقفها

محي الدين ابن الجوزي ٥٨٠-٦٥٦

يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله الجوزي القرشي البكري البغدادي ، الفقيه الأصولي ، الواعظ الشهيد . قرأ بالروايات واشتغل بالفقه والخلاف والأصول ، وبرع في ذلك ، وكان أمهر من أبيه فيه ، وابوه ابن الجوزي المشهور . ووعظ في صغره على قاعدة أبيه ، وعلا أمره ، وعظم شأنه ، وولي الولايات الجليلة . ١٥

قال الذهبي : كان اماما كبيرا ، وصدرا معظما ، عارفا بالمذهب ، كثير المحفوظ ، ذا سمت ووقار ، درس وأفتى وصنف . وأما رياسته وعقله فمنقولان بالتواتر ، حتى أن الملك الكامل مع عظم سلطانه قال : كل أحد يعوز زيادة عقل الا محي الدين ابن الجوزي فانه يعوز نقص عقل . وله تصانيف : منها « معادن الابريز في تفسير الكتاب العزيز » ، ومنها « المذهب الأحمد في مذهب أحمد » . ٢٠

قال برهان الدين بن مفلح في « المقصد الأرشد » : ولما دخل هولاكو ملك التتار الى بغداد ، فقتل الخليفة المستعصم وغالب أولاده ، وقتل معه أعيان الدولة والامراء

وشيخ الشيوخ ، وقتل المترجم وأولاده الثلاثة ، وذلك في صفر سنة ست وخمسين وستمائة بظاهر سور كلواذا .

وقال ابن كثير : كان المترجم أنجب أولاد الحافظ ابن الجوزي ، وأصغرهم . وعظ بعد أبيه ، واشتغل وحرر وأتقن ، وساد أقرانه ؛ وباشر حسبة بغداد ، وكان رسول الخليفة الى الملوك بأطراف البلاد ولاسيما الى بني أيوب بالشام ؛ فحصل منهم من الأموال والكرامات ما ابتنى منها المدرسة الجوزية التي بدمشق . ثم صار أستاذ دار الخليفة المستعصم سنة أربعين وستمائة ، واستمر مباشرها الى أن قتل مع الخليفة . وله نظم حسن . ومدرسته التي في دمشق من أحسن المدارس ، وقد احترقت في سنة عشرين وثمانمائة على ما ذكره ابن قاضي شهبة ؛ ثم أعاد عمارتها القاضي شمس الدين النابلسي ، وبها اعادة ، وقراءة حديث ، وامامة .

والذي علم من وقفها : نصف دير أبي عصرون، قريةعند القصير ، وفدانان بقريةبالا، وأرض بقرية يلدا .

وترجمه الحافظ ابن رجبوأطال في مدحه بالعلموالفضل ، وأورد شيئا منأشعاره في الغزل ، وقال : ولي تدريس المستنصرية . وذكر من مؤلفاته زيادة عما تقدم ، كتاب « الايضاح في الجدل » .

حادثة بغداد

هي الحادثة الفظيعة ، وان كان محلها القسم السياسي ؛ فاننا نذكرها هنا مختصرة حسبما رواها عبد الرحيم بن شقدة في « مختصر شذرات الذهب » لتعلقها بترجمة ابن الجوزي ، ونترك بسطها وايضاحها الى محلها فنقول : ان الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء بالعراق كان قد استوزر ابن العلقمي ، وكان على ما ذكره المؤرخونرافضيا. وفي أيامه أهينت الرافضة بالنهب وضياع الحقوق . فحقد ابن العلقمي لذلك ، وأضمر في نفسه أن يبدل الخلافة العباسية بخلافة علوية ؛ فجعل يرسل أخاه ومملوكه الى هولاكو ، ويشوقه الى امتلاك بغداد ، على أن يكون نائبا له عليها . ففطن لذلك لؤلؤ صاحب الموصل ، فأخذ يهيء للتتار الاقامات والمقابلة ، ويراسل الخليفة سرا . فكان ابن العلقمي يخفي المكاتبات ، ولا يطلع الخليفة عليها . وعلى فرض اطلاعه عليها ، فانه لايجدي نفعا لقلة رأيه وتغفله ، ورد جميع أموره الى وزيره . ولما نجحت حيلة ابن العلقمي ؛ بعث ولد محي الدين ابن الخوارزمي رسولا الى هولاكو يعده بالأموالوالغنائم .

فركب في مائتي ألف من التتار والكرج ، ومدد من صاحب الموصل مع ولده الصالح اسماعيل . فخرج ركن الدين الدوادار وتقابلا ، فكانت الكسرة للعساكر البغدادية. ونزل جيش هولاكو في شرقي بغداد ، فاضطرب الخليفة لذلك ، واستشار ابن العلقمي ، فأشار عليه بأن يرسله اليهم لتقرير الصلح . فخرج ، وتوثق لنفسه ، ورجع فقال : ان الملك قد رغب في أن يزوج ابنته بابنك الأمير أبي بكر ، وأن تكون الطاعة له ، كما كان أجدادك مع الملوك السلجوقية ، ثم يترحل . فراجت المكيدة على المستعصم ، وخرج في أعيان الدولة . ثم استدعى الوزير العلماء والرؤساء ليحضروا العقد ، فخرجوا ، فضربت رقاب الجميع ، وصار كلما خرجت طائفة تضرب أعناقهم ، حتى بقيت الرعية بلا راع . فلما خلا الجو للتتار ، دخلوا بغداد ، وبذلوا السيف في أهلها ؛ فاستمر القتل والسبي نحو أربعين يوما ، ولم يسلم الا من اختفى في بئر أو قناة . وقتل الخليفة رفسا . ويقال : أن هولاكو أمر بعدّ القتلى ؛ فبلغ عددهم ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة . وبعد هذه المقتلة ، نودي بالأمان . وقال سبط التعاويذي في بعض مراثي بغداد :

بادت وأهلوها معا فبيوتهم ببقاء مولانا الوزير خراب

وما ينفع الندب بعد فقد الميت ، والعويل بعد الخراب والدمار ! ولما فرغ هولاكو من فناء أهل بغداد ، أقام نوابا على العراق . وكان ابن العلقمي حسن لهم أن يجعلوا خليفة علويا ، فلم يوافقوه ، واطّرحوه ، وعاملوه معاملة بعض الغلمان ، الى أن مات حزنا وأسفا ، وتلك عاقبة الخيانة . ثم ان هولاكو أرسل الى الناصر كتابا يتهدده فيه ، ويقول له : أجب ملك البسيطة ، ولا تقولن : قلاعي المانعات، ورجالي المقاتلات ! وجرت أمور طويلة نستوفيها في القسم السياسي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

الجمال المرداوي

الجمال المرداوي
٧٠٠-٧٦٩

من مدرسي الجوزية يوسف بن محمد بن عبدالله بن محمد بن محمود المرداوي. قال في «المقصدالأرشد» : كان اماما عالما علامة ، صالحا خاشعا ، اشتغل بالحديث والفقه والعلوم ، وباشر وظيفة قضاء الحنابلة بالشام سبع عشرة سنة .

قال الذهبي في « المعجم المختص » : هو الامام المفتي الصالح ، امام في المذهب ،

وله اعتناء بالمتن والاسناد . وقال ابن حجي : كان عفيفا ورعا ، صالحا ناسكا خاشعا ، ذا سمت ووقار ، ولم يغير ملبسه وهيئته ، يركب الحمار ، ويفصل الحكومات بسكون ولا يحابي أحدا ، ولايحضر مع النائب يعني الوالي الا يوم دار العدل ، وأما في العيد والمحمل فلا يركب . وكان مع ذلك عارفا بالمذهب ، لم يكن في الحنابلة في وقته مثله، مع فهم وكلام جيد في النظر والبحث ، ومشاركة في أصول وعربية . وجمع كتابا في أحاديث الأحكام حسنا سماه « الانتصار » ، وبوبه على أبواب « المقنع » . توفي سنة تسع وستين وسبعمائة . وحكى في « مختصر الشذرات » أن له كتابا سماه « الواضح الجلي في نقض حكم ابن قاضي الجبل الحنبلي » وذلك أنه اختار جواز بيع الوقف لمصلحة وحكم به .

وترجمه ابن حبيب في « تاريخه » فقال : هو عالم ، علمه زاهر وبرهان على الدين ، ورعه ظاهر ، وامام تتبع طرائقه ، وتغتنم ساعاته ودقائقه ، الى أن قال : صنف ، وناظر وأفاد ، وكان ذا حظ من زهد وتعفف ، مع صيانة وورع ودين متين .

ابن قاضي الجبل

ابن قاضي الجبل
٦٩٣-٧٧١

من مدرسي الجوزية أيضا أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر محمد بن أحمد ابن قدامة . قال البرهان ابن مفلح في « المقصد الأرشد » : هو الشيخ العلامة جمال الاسلام صدر الأئمة الأعلام ، شيخ الحنابلة ، المقدسي الأصل ، ثم الدمشقي المعروف بابن قاضي الجبل ، كان مولده على ما كتب بخطه يوم الاثنين تاسع شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة . كان من أهل البراعة والفهم ، متفننا عالما بالحديث وعلله ، والنحو واللغة ، والأصلين ، والمنطق ، وكان له في الفروع القدم العالي . قرأ على الشيخ تقي الدين شيخ الاسلام أحمد بن تيمية عدة مصنفات في علوم شتى ؛ منها « المحصل » للرازي ، وأذن له الشيخ بالافتاء وهو شاب . ودرس بعدة مدارس في مصر والشام ، وصار رئيسا على أقرانه ؛ انتهى ملخصا . وقال ابن كثير : ولي القضاء ، ولم تحمد مباشرته ، ولافرح به صديقه ، بل شمت به عدوه . وباشر القضاء دون الأربع سنين الى أن مات وهو قاض . وقال ابن مفلح : كان عنده مداراة وحب للتعصب . وذكره الذهبي في « معجمه » فقال فيه : هو مفتي الفرق ، سيف المناظرين . وبالغ ابن رافع وابن حبيب في مدحه . وكان فيه مزح ، وانكاء في البحث ، ومن انشاده وهو في القاهرة :

الصالحية جنة والصالحون بها أقاموا
فعلى الديار وأهلها مني التحية والسلام

وله أيضاً :

نبيي أحمد وكذا امامي وشيخي أحمد كالبحر طامي
واسمي أحمد وبذاك أرجو شفاعة سيد الرسل الكرام ٥

وكان يقول : أحفظ عشرين الف بيت من الشعر . وله اختيارات في مذهب أحمد، والف كتابا فيه سماه « الفائق » ، وشرح « المنتقى » للمجد ابن تيمية ، ولم يتمه . والف كتابا في الأصول لم يتمه أيضا . توفي بمنزله بالصالحية رابع عشر رجب سنة احدى وسبعين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة جده أبي عمر .

١٠ وترجمه في « شذرات الذهب » بنحو ما تقدم ، ثم قال : وله عدة مصنفات، منها كتاب « المناقلة في الأوقاف وما في ذلك من النزاع والخلاف » . وتبعه على ذلك جماعة، وكلهم تبعوا الشيخ تقي الدين بن تيمية .

شمس الدين النابلسي

شمس الدين النابلسي
٠٠٠-٨٠٥

ومن مدرسيها محمد بن احمد بن محمود النابلسي . قال في « المقصد الأرشد »: ١٥ قرا العربية وأحكمها ، والفقه ، وجد في طلب العلم ؛ واشتهر أمره ، وعلا صيته ، وكان له معرفة تامة ، وكتابة حسنة . ولم يزل يترقى حتى عزل قاضي القضاة ابن المنجا ، وجلس مكانه . وكانت له حلقة لاقراء العربية يحضرها الفضلاء . درس بدار الحديث الأشرفية والحنبلية ، وله حرمة عظيمة ، وأبهة زائدة . لكن باع من الأوقاف كثيرا . توفي خمس وثمانمائة ، ودفن بالصالحية . انتهى ملخصا .

٢٠ وقال ابن حجي : ولم يكن بالرضي في شهاداته ، ولا في قضائه ، وباع كثيرا من الأوقاف بدمشق . قيل : انه ما بيع من الأوقاف في الاسلام مثل ما بيع في أيامه ، وقل ما وقع منها شيء صحيح في الباطن ، وفتح على الناس بابا لاينسد أبدا . ولما جاء تيمورلنك ، دخل مع أعوانه في أمور منكرة ، ونسب اليه أشياء قبيحة من السعي في أذى الناس وأخذ أموالهم .

عز الدين الخطيب

عز الدين الخطيب
٠٠٠–٨٢٠

من مدرسيها ، محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد الخطيب . قال ابن مفلح : هو الشيخ الامام العلامة ، قاضي القضاة ، خطيب الجامع المظفري ، تفقه في مذهب أحمد ، وكان خطيبا بليغا ، له مؤلفات حسنة، وله كتاب« النظم المفيد الأحمد في مفردات مذهب الامام أحمد » . ناب في القضاء عن ابن المنجا ، وتوفي سنة عشرين وثمانمائة . ٥

وقال ابن شقدة في «مختصر الشذرات» : حفظ المترجم « المقنع » ، وبرع في الفقه والحديث ، وأخذ عن الحافظ ابن رجب ، وكان له النظم الرائق ، وألف مؤلفات حسنة .

القاضي عز الدين

القاضي عز الدين
٠٠٠–٨٤٦

من مدرسيها ، عبد العزيز بن علي بن العز بن عبد العزيز بن عبد المحمود ، العالم المفسر ، قاضي القضاة عز الدين ، البغدادي الأصل ثم المقدسي . اعتنى بالوعظ ، وكان يستحضر كثيرا من « تفسير البغوي » ، واعتنى بعلم الحديث ، وله مشاركة في الفقه والحديث . اشتغل ودرس وكتب على الفتاوى يسيرا ، وله مصنفات منها : أنه اختصر « المغني » ، وشرح « الشاطبية » ، وصنف في المعاني والبيان ، وجمع كتابا سماه« القمر المنير في أحاديث البشير النذير » . وولي بعد الفتنة قضاء بيت المقدس ، وطالت مدته وجرى له فصول . ثم ولي قضاء دمشق مدة مديدة ، ثم صرف عنه ، وولي تدريس المؤيدية . ثم ولي قضاء مصر مدة ، ثم ولي قضاء دمشق ، وكان منظورا لم تحمد سيرته في القضاء . توفي سنة ست وأربعين وثمانمائة . قاله ابن مفلح . ١٠ ١٥

وقال عنه ابن شقدة : قاضي الأقاليم ، وسمي بذلك لأنه تولى قضاء بغداد ، والعراق ، وبيت المقدس ، ومصر ، والشام . قال : وكان فقيها دينا ، عديم التكلف في ملبسه ومركبه ، له معرفة تامة . ولما ولي قضاء مصر ، صار يمشي لحاجته في الاسواق ويردف عبده على بغلته ، وأشياء من هذا النسق . وكان جميع ولاياته من غير سعي . قاله العليمي . ٢٠

برهان الدين ابن مفلح

برهان الدين
ابن مفلح
٨١٠–٨٨٤

من مدرسيها ، صاحب « المقصد الأرشد » ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح بن محمد بن مفلح . بالغ عبد الحي بن العماد في « شذرات الذهب » في مدحه، ٢٥

فقال عنه : الشيخ الامام ، البحر الهمام ، العلامة القدوة الرحلة ، الحافظ مجتهد الأمة، شيخ الاسلام ، سيد العلماء والحكام ، الى غير ذلك من ألقاب المدح ، الى أن قال : باشر قضاء دمشق مرارا ، وصنف « المبدع شرح المقنع » في الفقه ، و « المقصد الأرشد في طبقات أصحاب الامام أحمد » مرتبة على حروف المعجم ، وصنف كتابا في الأصول . توفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة . انتهى . ٥

ورأيت بخط حفيده محمد بن ابراهيم بن عمر ابن المترجم ، ترجمته في آخر « الطبقات » ، فقال ما ملخصه : مولده سنة عشرة وثمانمائة في دار الحديث العالمة قبالة الجامع الأفرم ، وحفظ القرآن و « المقنع » و « الفيتي ابن مالك والعراقي » و « الانتصار » و « مختصر ابن الحاجب » الأصولي . ومن مشايخه : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وابن نصر الله . وصار اليه المرجع ، وسلم اليه العلماء من أصحاب المذاهب، وكان المعول عليه . ثم ذكر من مؤلفاته : « المبدع » و « الطبقات » و « مرقاة الوصول الى علم الأصول » . وسود في الفروع والاصول ، والنحو وغيرها شيئا كثيرا . مات قبل تبييضها . انتهى . ١٠

وقال الأسدي في « تاريخه » : هو أفضل أهل مذهبه في عصره ، ودرس بمدرسة أبي عمر ، وبدار الحديث الأشرفية وكان بها منزلة ، وبمدارس كثيرة . ١٥

حرف الجيم

المدرسة (الجاموسية)

قال النعيمي : هي غربي العقيبة بدمشق ، لم أعرف واقفها . وحكى نظام الدين ابن مفلح أن وقفها على الحنابلة . وقال يوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد : ان الاخبار تواترت بذلك ، وان الوقف عليها : الثلث من الحانوت بالعقيبة الكبرى ، والبستان المعروف بالطبرزية ، وجنينة الرصاص ، ومحاكرة الجنينة بمساطب الطرق ، ومحاكرة البستان بقرية جسرين ، ومحاكرة تمر ابن الأمير وابن الرملي جوار المدرسة ، والمحاكرة جوارها باسم ابن نور الدين، والبستان فوق حمام الورد. انتهى. قال العلموي : قلت : قد تسلط عليها محمود ولد تاج الدين السلطي ، وفكها فطمسها ! ٢٠

حـرف الشين

المدرسة (الشريفية الحنبلية)

كانت عند القباقبية العتيقة المعروفة اليوم بالعمارة ، بالقرب من الجامع الأموي. وقرأت بهامش « طبقات الحنابلة لابن رحب » ، عند ترجمة بانيها ما صورته :

٥ وهذا عبد الواحد هو باني المدرسة الحنبلية داخل باب الفراديس ، وهي سكن الشيخ محمد الأسطواني يومئذ وهي سنة ٩٧١ مع سبق سكناه بها من حدود ٩٤٥ . انتهى . وهي الآن لا أثر بها ولعلها صارت دورا للسكنى . قال النعيمي : والوقف عليها : البستان والحصة في الحولة ، وأرض في جهة حلبون وعسال . ثم ان الشيخ شعيب ابن ميكائيل التركماني الجاكيري كان رجلا حنبليا مباركا صالحا ، اتجر بالكتب مدة ، ١٠ ثم ضعف وعجز عن الحركة ، فاشترى بما كان معه ملكا ووقفه على نفسه ، ثم على المدرسة الحنبلية ، وتوفي سنة سبعمائة واثنتين وثلاثين . قال : ولا تغتر بقول ابن شداد حيث قال : مدرسة شيخ الاسلام أخي صلاح الدين يوسف بن أيوب بالقرب من مدرسة الرواحية داخل باب الفراديس . انتهى . فانه نسب الحنبلية لغير أهلها !

ترجمة واقفهـا

شرف الاسلام الشيرازي ٠٠٠-٥٣٦

١٥ قال في « شذرات الذهب » ما مختصره : وفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة توفي شرف الاسلام عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج الحنبلي عبد الواحد بن محمد الأنصاري الشيرازي ثم الدمشقي ، الفقيه الواعظ ، شيخ الحنابلة بالشام بعد والده ، ورئيسهم ، وهو باني المدرسة الحنبلية داخل باب الفراديس .

وقال ابن رجب في « الطبقات » : توفي والد عبد الوهاب وهو صغير ، فاشتغل ٢٠ بنفسه ، وتفقه وبرع ، وناظر وأفتى ، ودرس الفقه والتفسير ، ووعظ ، واشتغل عليه خلق كثير . وكان فقيها بارعا ، وواعظا نافعا ، وصدرا معظما ، ذا حشمة وحرمة ، وسؤدد ورياسة ووجاهة ، وهيبة وجلالة ، كان ينشد على الكرسي في جامع دمشق اذا طاب وقتـه :

سيـدي علل الفـؤاد العليـلا   وأحينـي قبـل أن تراني قتيلا

٢٥ ان تكن عـازما على قبض روحي   فتـرفـق بهـا قليـلا قليـلا

وله تصانيف في الفقه والأصول ، منها « المنتخب في الفقه » مجلدان ، و« المفردات » و « البرهان » وغير ذلك . انتهى

ولما بنى مدرسته الحنبلية ، جرى له أمور في بنائها . ووالده هو الذي نشر مذهب احمد في القدس والشام . قال ابن مفلح : والأشهر انه من ولد سعد بن عبادة رضي الله عنه . ٥

ابن المنجــا

ابن المنجا
٠٠٠-٦٤١

من مدرسيها ، عثمان بن أسعد بن المنجا بن بركات بن الموصل التنوخي الفقيه . اخذ عنه ابن الحاجب وغيره ، وكان تاجرا ذا مال وثروة ، توفي سنة احدى وأربعين وستمائة(١) . وقال الحسيني في « الذيل » : برع في علوم كثـيرة أصولا وفروعا وعربية وتفسيرا ، وصنف في الأصول ، وشرح « المقنع » ، وله تعاليق في التفسير . ١٠ انتهى .

وقال غيره : انتهت اليه رياسة مذهب أحمد ، مع التبحر في العربية وغيرها من العلوم ، وأخذ النحو عن ابن مالك ؛ وسئل ابن مالك شرح كتابه « الخلاصة » فقال : شرحها لكم ابن المنجا . وجلس في الجامع للفتوى نحو ثلاثين سنة . .

ابن شيخ السلامية ١٥

ابن شيخ السلامية
٧١٦-٧٦٩

من مدرسيها ، حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين بن بدران . قال في « المقصد الأرشد » : هو العلامة المعروف بابن شيخ السلامية ، درس بالحنبلية وبمدرسة السلطان حسن ، وأفتى ، وصنف تصانيف عدة ، منها كتاب « الاستدراك على اجماع ابن حزم » وشرح « منتقى الأحكام » للمجد ابن تيمية ، ولم يكمل . وكان له اطلاع جيد ، ونقل مفيد على مذاهب العلماء المعتبرين ، واعتناء جيد بمنصوص أحمد ، ٢٠ وفتاوى تقي الدين بن تيمية ، وله فيه اعتقاد صحيح ، وقبول لما يقوله، وينصره ويوالي عليه ، ويعادي فيه .

---

(١) ذكر النعيمي في « الدارس » نقلا عن السيد الحسيني رحمه الله في « ذيل العبر » أن زين الدين عثمان بن المنجا ولد سنة احدى وثلاثين وستمائة ، وتوفي سنة خمس وتسعين وستمائة .

قال ابن قاضي شهبة : ووقف درسا بتربته بالصالحية ، وكتبا ، وعين لذلك الحافظ ابن رجب . توفي سنة تسع وستين وسبعمائة ، ودفن عند جامع الأفرم بتربته .

وقال الصلاح الصفدي في « تاريخه » : ان المترجم ينسب الى الفتح بن خاقان وزير المتوكل ، توفي والده وهو في الجيش يباشر مشارفته بدمشق . ثم ان الأمير تنكز أخذ منه مبلغ مائة ألف درهم فيما أظن من غير ذنب ولا جناية ، لكن نقم على والده . فترك المترجم المناصب ، وزهد فيها ، وأقبل على العلم الى أن صار علامة في المنقول ومذاهب الناس ، وشرح « مراتب الاجماع » لابن حزم في عشرة أسفار ، واستدرك عليه قيودا أهملها ، وحسبك بمن يستدرك على ابن حزم ! وشرح « أحكام مجد الدين » في مجلدات كثيرة .

الحافظ ابن رجب

الحافظ ابن رجب ٧١٦-٧٦٩

من مدرسيها ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، العلامة الحافظ الزاهد ، شيخ الحنابلة ، البغدادي ، قدم به والده من بغداد الى دمشق وهو صغير ، ولازم ابن النقيب والنووي وغيرهم ، واشتغل بسماع الحديث ، وشرح « الترمذي » و «الأربعين النووية» وزادها الى الخمسين ، وشرح مازاده ، وشرع في كتاب سماه « فتح الباري شرح البخاري » ، ونقل فيه كثيرا من كلام المتقدمين ولم يتمه . وله كتاب « اللطائف في الوعظ » وكتاب « أهوال القبور » وكتاب « التخويف من النار والتعريف بدار البوار » و « القواعد الفقهية » و « اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى » و « نور الاقتباس من مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس » وله « الذيل على طبقات القاضي أبي يعلى » و « غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع » وغير ذلك . وكان لايعرف شيئا من أمور الناس ، ولايتردد على أحد من أرباب الولايات، وكان يسكن المدرسة السكرية بالقصاعين . توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة بأرض الحميرية ببستان كان استأجره ، ودفن بباب الصغير .

وقال في « شذرات الذهب » : كانت مجالس تذكيره للقلوب صادعة ، وللناس نافعة ، اجتمعت الفرق عليه ، ومالت القلوب بالمحبة اليه .

وقال ابن حجي : أتقن المترجم فن الحديث ، وصار أعرف عصره بالعلل وتتبع الطرق ، تخرج به غالب الحنابلة بدمشق .

حرف الصاد

مدرسة (الصاحبة)

هي بسفح قاسيون من الشرق ، وهي الآن معروفة مشهورة في حارة الأكراد ، وبناؤها عظيم يدل على الأبهة والجلالة ، وهي من الآثار التي تدل على ارتقاء الفن المعماري في ذلك الزمن .

قال النعيمي : والذي علم من وقفها : غالب قرية جبة عسال ، والبستان الذي تحت المدرسة ، والطاحون ، وحكورة غالب تلك الحارة في جوارها .

قال ابن كثير : وكان في خدمة الواقفة الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي ، وكانت فاضلة لها تصانيف ، وهي التي أرشدتها الى وقف المدرسة الصاحبة على الحنابلة ، ثم صودرت لأجلها .

وقال الصفدي بعد أن ذكر ما تقدم : حصلت منها أموالا عظيمة ، وأشارت عليها بناء المدرسة ؛ فبنتها ، ووقفتها على الناصح والحنابلة ، ودفنت بمدرستها تحت القبو . ولقيت العالمة شدائد ؛ فحبست ثلاث سنين بالقلعة . انتهى . وتزوجها الأشرف صاحب حمص ؛ فسافرت معه الى الرحبة وتل ناشر ، ثم توفيت ، ووجد لها بدمشق جواهر وذخائر نفيسة تقارب ستمائة ألف درهم غير الأملاك والاوقاف .

وقال ابن مفلح في ترجمة الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي الأنصاري : ان الصاحبة ربيعة خاتون لما بنت له المدرسة درس بها ، وكان يوما مشهودا ، وحضرت الواقفة من وراء ستر . وقال أيضا : كان الناصح فقيها واعظا ، شرع في الاشتغال بالعلم ، ورحل الى بغداد وأصبهان والموصل وبلاد كثيرة لأخذ العلم ، وحضر فتح بيت المقدس مع السلطان صلاح الدين ، وانتهت اليه رئاسة المذهب بعد الشيخ موفق الدين عبد الله بن قدامة ، وكان يساميه في حياته ، وبينهما

مراسلات ، وله مصنفات . توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون . ومن مصنفاته ، كما في « طبقات ابن رجب » و « شذرات الذهب » : كتاب « أسباب الحديث » في مجلدين ، وكتاب « الاستفسار بمن لقيهم من صالحي العباد في البلاد » وكتاب « الانجاد في الجهاد » . وقال الدبيتي في « تاريخه » : له خطب ، ومقامات ، وكتاب « تاريخ الوعاظ » ، وكان حلو الكلام، جيد الايراد، مهيبا صارما،وكان رئيس المذهب في زمنه في دمشق .

العـالمة أمة اللطيف

العالمة امة اللطيف ٠٠٠-٦٤٠

من الأسف أن مؤرخينا لم يعتنوا بتراجم النساء الفاضلات ، ولم أظفر من ترجمة هذه الفاضلة الا بما ذكره ابن شقدة في « مختصر الشذرات » ؛ فانه قال : وفي تربة بني الشيرازي دفنت أمة اللطيف صاحبة التصانيف ، من جملتها : كتاب « التسديد في شهادة التوحيد » ، وكتاب « بر الوالدين » . وأنشأت دارا بالقرب من هذه التربة، بالصف القبلي من الطريق الآخذ لجامع الأفرم قبل أن تصل الى مدرسة الناصرية بشيء يسير ، ومنقوش اسمها واسم والدها الشيخ عبد الرحمن على أسكفة أحد أبوابها ، وجعلت هذه الدار دار حديث ، وتوفيت في رجب سنة نيف وأربعين وستمائة . وقيل : دفنت بالمدفن المواجه لخان السبيل ، بالقرب من التربة ، وعلى مدفنها قبة عظيمة العمارة ، ملاصق ذلك للطريق الآخذ الى نهر يزيد لمن ورد النهر وهو الأصح .

ترجمـة الواقفـة

ربيعة خاتون ٠٠٠-٦٤٣

أنشأتها ربيعة خاتون الصاحبة أخت صلاح الدين والعادل . قال ابن شقدة : توفيت وقد نيفت على الثمانين ، ودفنت بمدرستها ، وكانت وفاتها سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

ابن عبد القوي

ابن عبد القوي ٠٠٠-٦٩٩

من جملة المدرسين في الصاحبة ، محمد بن عبد القوي بن بدران المقدسي الفقيه المحدث . كان من العلماء الأعلام ، درس وأفتى وصنف ، وتخرج به جماعة ، وقرأ عليه

العربية شيخ الاسلام ابن تيمية ، وله مؤلفات أكثرها منظومة ، منها : « منظومة الآداب كبرى وصغرى » ، وله كتاب « النعمة في الفقه » جزآن ، و « الفرائد في الفقة » على حرف الدال في خمسة آلاف بيت ، وكتاب « المفردات » نظم فيه المسائل التي انفرد بها الامام أحمد عن سائر الأئمة ، وتبلغ ألف مسألة ، توفي سنة تسع وتسعين وستمائة

٥

المدرسة (الصدرية)

كانت بدرب يقال له : درب الريحان ، بجوار تربة القاضي جمال الدين المصري . ويؤخذ من كلام الذهبي أن محلها كان دارا للواقف ، فجعلها مدرسة ، ووقف لها أوقافا ، ودفن بها .

قلت : وتربة الجمال المصري هي عند القبور التي يزعم الناس أن من جملتها قبر معاوية ، ولا مدرسة هناك اليوم . والمحقق أن الصدرية محيت آثارها وصارت دورا !

١٠

ترجمة واقفها

صدر الدين ابن المنجا
٥٩٨-٦٥٧

أنشأها أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي ثم الدمشقي .

قال الذهبي : كان رئيسا محتشما متمولا ، ووقف داره مدرسة تسمى الصدرية على الحنابلة ، ووقف عليها ، ودفن بها . اعتنى بالحديث . ولي نظر جامع بني أمية ، وثمَّر له أموالا كثيرة ، وله آثار حسنة . توفي سنة سبع وخمسين وستمائة .

١٥

أفاضل مدرسيها :

ابن عبد الهادي

ابن عبد الهادي
٧٠٥-٧٤٤

من مدرسيها ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي ابن يوسف بن محمد بن قدامة الجماعيلي ثم الصالحي ، الفقيه المقرىء الحافظ ، النحوي المتفنن .

٢٠

قال ابن مفلح : عني بالحديث وفنونه ، ومعرفة الرجال والعلل ، وبرع في أصل الدين

وأصل الفقه ، ولازم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأخذ عن الذهبي ، وله مصنفات كثيرة في فنون شتى . توفي سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

قال الحسيني في « ذيل العبر » : كان المترجم من أجل أصحاب ابن تيمية . وسمعت شيخنا الذهبي يقول : والله ما اجتمعت به قط الا استفدت منه . انتهى .

٥ ومن مؤلفاته : « تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق » مجلدان ، « الأحكام الكبرى » سبع مجلدات ، « الرد على الخطيب » مجلد ، « المحرر في الأحكام » مجلد ، « فصل النزاع بين الخصوم في الكلام على حديث أفطر الحاجم والمحجوم » ، « شرح ألفية ابن مالك » ، وله غير ذلك من الأجزاء يطول سردها ، وقد استوفاها الحافظ ابن رجب في ترجمته من « الطبقات » .

١٠

ابن ابن القيم

ابن ابن القيم
٧١٩-٧٦٧

من مدرسيها ، ابراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن الامام المعروف بابن القيم . اشتغل في أنواع العلوم ، وأفتى ، ودرس ، وناظر ، ودرس بالصدرية والتدمرية ، وله كتاب « ارشاد السالك الى حل ألفية ابن مالك » ، وكان له أجوبة مسكتة . توفي سنة سبع وستين وسبعمائة .

١٥

ابن القيم

ابن القيم
٦٩١-٧٥١

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي ثم الدمشقي ، الفقيه الأصولي المفسر ، النحوي العارف ، الشهير بابن قيم الجوزية . ولد سنة احدى وتسعين وستمائة .

قال ابن رجب ما حاصله : تفقه في المذهب وبرع ، وأفتى ، ولازم شيخ الاسلام
٢٠ ابن تيمية وأخذ عنه ، وتفنن في علوم الاسلام ، وكان عارفا بالتفسير لايجارى فيه ، وبأصول الدين ، واليه فيهما المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لايلحق في ذلك ، وبالفقه وأصوله ، وبالعربية وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام وغير ذلك ، وعالما بعلم السلوك ، وكلام أهل التصوف واشاراتهم ودقائقهم ، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى .

قال الذهبي في « المختص » : عني بالحديث ومتونه وبعض رجاله ، وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره ، وفي النحو ويدريه ، وفي الأصلين . وقد حبس مدة لانكاره شد الرحيل الى قبر الخليل ، وتصدر للاشتغال ونشر العلم .

قلت : وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى ، وتأله ولهج بالذكر ، وشغف بالمحبة والانابة ، والافتقار الى الله والانكسار له ، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته . لم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علما ، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق القرآن منه ، وليس هو بالمعصوم ، ولكن لم أر في معناه مثله . وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس مع شيخ الاسلام في المرة الأخيرة بالقلعة منفردا عنه ، ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ . وكان في مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ؛ ففتح الله عليه من ذلك خيرا كثيرا ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم ، وتآليفه ممتلئة بذلك .

وقال برهان الدين الزرعي عنه : ما تحت أديم السماء أوسع علما منه ، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره ، فمن تصانيفه : « تهذيب سنن أبي داود » وايضاح مشكلاته والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة مجلد ، كتاب « سفر الهجرتين وباب السعادتين » مجلد ضخم ، كتاب « مراحل السائرين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين » مجلدان وهو شرح منازل السائرين ، كتاب « الكلم الطيب والعمل الصالح » ، كتاب « شرح أسماء الكتاب العزيز » ، كتاب « رد المسافرين الى منازل السعداء » ، كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد » أربع مجلدات ، كتاب «حلي الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام»، كتاب «بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل » ، كتاب « نقد المنقول والمحل المميز بين المردود والمقبول » ، كتاب « أعلام الموقعين عن رب العالمين » ثلاث مجلدات ، كتاب « بدائع الفوائد » مجلدان ، « الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية » وهي النونية مجلد ، كتاب « الصواعق المنزلة على الجهمية المعطلة » مجلدان ، كتاب « حادي الأرواح » مجلد ، كتاب « نزهة المشتاق وروضة المحبين » مجلد ، كتاب «الداء والدواء»، كتاب « تحفة المودود في أحكام المولود » ، كتاب «مفتاح دار السعادة» ، كتاب «اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية » ، كتاب « مصايد الشيطان[1] » ، كتاب

---

(١) كذا ذكره ، والصحيح « اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان » في ثلاث مجلدات .

« الطرق الحكمية » ، كتاب « رفع اليدين في الصلاة » مجلد ، « نكاح المحرم » مجلد ، « تفضيل مكة على المدينة » ، كتاب « فضل العلم » ، كتاب « عدة الصابرين » ، كتاب « الكبائر » ، كتاب « حكم تارك الصلاة » ، كتاب « نور المؤمن وحياته » ، « حكم اغمام هلال رمضان »، « التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير » ، « جوابات عابدي الصلبان وأن ما هم عليه دين الشيطان » ، كتاب « بطلان الكيمياء من أربعين وجها » ، « الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه » ، كتاب « عقد محكم الاحفاء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع الى رب السماء » ، « الفتح القدسي » ، « التحفة المكية » ، كتاب « أمثال القرآن » ، « شرح الأسماء الحسنى » ، « ايمان القرآن » ، « المسائل الطرابلسية » مجلدان ، « الصراط المستقيم في أحكام القرآن » مجلدان ، كتاب « الطاعون » مجلد لطيف ، كتاب « الفروسية » .

توفي ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير . وترجمه العدوي فقال : هو المجتهد المطلق ، المفسر المتفنن في علوم عديدة. انتهى .

حرف الضاد

المدرسة (الضيائية) [1]

هي بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري ، بناها واقفها من ماله ، وأعانه عليها بعض أهل الخير ، وجعلها دار حديث ، وأن يسمع فيها جماعة من الصبيان ، وأوقف عليها كتبه وأجزاءه . وفيها من وقف موفق الدين بن قدامة ، والبهاء عبد الرحمن والحافظ عبد العزيز ، وابن الحاجب ، وابن سلام ، وابن هامل ، والشيخ علي الموصلي. وقد نهبت في نكبة الصالح أيام قازان ، وذهب منها شيء كثير ، ثم تمايلت وتراجعت . قاله الذهبي .

وقال غيره : بناها للمحدثين ، والغرباء الواردين مع الفقر والقلة ، وكان يبني منها جانبا ويصير الى أن يجتمع معه ما يبتني به غيره ، ويعمل فيها بنفسه ، ولم يقبل من أحد شيئا تورعا . انتهى .

(1) كذا في الأصل ، وذكرها النعيمي في « الدارس » : « الضيائية المحمدية » ، وكذلك ابن شداد في « الأعلاق » .

قلت : رأيت شرقي الجامع المظفري جداراً عظيما ، وفيه أربعة شبابيك الى القبلة، وفيه الباب ، ويفصل الطريق بين هذا البناء وبين الجامع ، ولعل هذه المدرسة المذكورة .

ترجمة واقفها

ضياء الدين المقدسي ٥٦٧-٦٤٣

أنشأها محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن منصور السعدي المقدسي ، الحافظ الكبير ، محدث عصره ، ووحيد دهره ، وشهرته تغني عن الاطناب في مدحه . يقال : انه كتب الحديث عن أزيد من خمسمائة شيخ . ٥

وقال ابن النجار : هو حافظ متقن ثبت صدوق نبيل حجة ، عالم بالحديث وأحوال الرجال ، له مجموعات وتخريجات ، وهو ورع تقي زاهد مجاهد في سبيل الله ، وله مؤلفات ، منها كتاب للأحاديث المختارة وهي الاحاديث التي تصلح أن يحتج بها سوى ما في الصحيحين ، خرجها من مسموعاته ، قال بعضهم : هي خير من صحيح ١٠ الحاكم ، وله مؤلفات كثيرة ذكرها ابن رجب . توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وأثنى عليه ابن الحاجب والذهبي والمزي . ومن مصنفاته كتاب « فضائل الأعمال » . وكان الوقف على المدرسة الضيائية : غالب دكاكين السوق الفوقاني ، وحوانيت وجنينة في النيرب ، وأرض بسقبا ويؤخذ لأهلها ثلث قمح ضياع وقف دار الحديث الأشرفية، وبالجبل الدير والدوير والمنصورة والتليل والشرقية . ١٥

قال العلموي : كان الضياء عابدا زاهدا ، ما أكل من وقف قط ، ولا دخل حماما ، وكان يعمل بمدرسته بنفسه ، ولما فرغ من بنائها درس بها ، ودرس بعده بها جماعة منهم : تقي الدين بن غرس الدين ، وعز الدين التقي ، وشمس الدين خطيب الجبل ، والقباقيبي المرداوي .

المدرسة (الضيائية المحاسنية) ٢٠

ضياء الدين محاسن

هذه المدرسة ذكرها النعيمي ، ولم يبين محلها ، ولم يذكر الا قول ابن شداد ، واليك ما حكاه :

قال ابن شداد : مدرسة ضياء الدين محاسن، كان رجلا صالحا، بنى هذه المدرسة، وجعلها موقوفة على من يكون أمير الحنابلة يذكر فيها الدرس ؛ ثم قال : قلت : ولعله

الشرابيشي والد نور الدولة واقف الشرابيشية المالكية ، وواقف التربة قبالة جامع جراح فليحرر . ثم نقل عن « المقصد الأرشد » ترجمتين لاعلاقة لهما بالمدرسة .

هذا ما وقفت عليه في شأنها ؛ وقد أضرب العلموي عن ذكر تلك المدرسة !

حرف العين

المدرسة (العمرية الشيخية)

٥

هي موجودة بالصالحية ، مشهورة معمورة الجدران ، لاظل للعلم فيها ولا أثر ، يسكنها قوم من ذوي المتربة ، ويمر بها نهر يزيد ، وداخلها مدرسةلطيفة، وبهما مايقرب من تسعين خلوة . وقد كان بها خزانة كتب لانظير لها ، فلعبت بها أيدي المختلسين ، الى أن أتى بعض الطلبة النجديين فسرق منها خمسة أحمال جمل من الكتب وفر بها ؛ ثم نقل ما بقي ، وهو شيء لايذكر بالنسبة لما كان بها ، الى خزانة الكتب في قبة الملك الظاهر في مدرسته . وكذلك لعبت أيدي المختلسين في أوقافها فابتلعوها . هذه حالتها اليوم .

١٠

وأما حالتها في ابان صباها وشبابها ، فقال عز الدين : هي بالجبل في وسط دير الحنابلة . وقال ابن كثير : وقف عليها سيف الدين بكتمر درسا . وقال ابن الزملكاني : ان أحمد بن زريق المعروف بابن الديوان وسع مدرسة أبي عمر من الجهة الشرقية، ويمكن أن تكون هي المدرسة الصغيرة داخلها . انتهى .

١٥

وعمر ناصر الدين محمد بن منجك الجانب الشرقي من المدرسة فجاء في غاية الحسن . قال الشيخ جمال الدين بن عبد الهادي : هذه المدرسة عظيمة لم يكن في بلاد الاسلام أعظم منها . والشيخ أبو عمر بنى بها المسجد ، وعشر خلاوي فقط . وقد زاد الناس فيها ، ولم يزالوا يوقفون عليها من زمنها الى اليوم ، قل سنة من السنين تمضي الا ويصير اليها فيها وقف ، فوقفها لايمكن حصره ، فمن جملته : العشر من البقاع ، والمرتب على داريا من القمح ستين غرارة ، ومن الدراهم خمسة آلاف للغنم في شهر رمضان . ومما رأيناه وسمعنا به من مصالحها : الخبز ، لكل واحد من المنزلين بها رغيفان ، والشيخ الذي يقريء أو يدرس ثلاثة وهو مستمر طول السنة ؛ والقمصان

٢٠

في كل سنة لكل منزل فيها قميص ، وقد رأيناه ؛ والسراويل لكل واحد سروال[1] ، سمعنا به ولم نره ؛ وطعام شهر رمضان بلحم ، وكان الشيخ عبد الرحمن ينوع لهم ذلك ، ويوم الجمعة العدس ، ثم انقطع التنوع ؛ واستمرت القمحية وزبيب وقضامة ليلة الجمعة ، يفرق عليهم بعد قراءة ما تيسر ، رأيناه ، ووقفه دكانان تحت القلعة ؛ وكل سنة مرة زبيب ، وقفها خارج عن وقف المدرسة ؛ وفراء وبشوت[2] في كل سنة ، ووقفها خارج عنها أيضا ؛ ودراهم ، لها وقف ، تفرق على من يقرأ في السبع في كل شهر ، وهو خارج عن وقفها أيضا ؛ وحلاوة دهنية من وقفها ، سمعنا به ولم نره ؛ وحصر لبيوت المجاورين ، مستمرة ؛ وصابون ، سمعنا به ولم نره ؛ وختان من لم يكن مختونا ، في كل سنة من المجاورين بها الفقراء والأيتام ، رأيناه ثم انقطع ؛ وسخانة يسخن بها الماء في الشتاء لغسل من احتلم ؛ وكعك ، سمعنا به ولم نره ؛ ومشبك بعسل في ليلة العشرين من شهر رمضان ، ثم نقلت الى النصف ، مستمرة ؛ وقنديل يشعل طول الليل في المقصورة للمدرس ، مستمر ؛ وحلاوة في الموسم في شهر رجب لوزية وجوزية وغيرهما ، مستمرة في نصف شعبان ؛ وأضحية في عيد الأضحى ، مستمرة ؛ وطعام في عيد الفطر حامض ولحم وهريسة وأرز حلو ، مستمر الى الآن . انتهى . وكان بها حلقة الثلاثاء ، والوقف عليها نصف حمام الشبلية ثم خرب فعمر بالنصف فبقي الربع ، والجنينة خلفه ، والبيت فوقه .

وفي تاريخ الأسدي : أن ابن حجي استجد لخطاب العجلوني الشافعي درسا بالعمرية ، وجعل له في الشهر مائة وخمسين درهما ، فتوقف الناظر في ذلك ، ثم اتفق الحال على أن قرر له في الشهر سبعين درهما ، فشق ذلك على الحنابلة .

قال يوسف بن عبد الهادي : وفي مدرسة أبي عمر وقف على الحنابلة لم يدخل فيه غيرهم قط ؛ وأخبرت أنه في أيام القاضي ابن قاضي الجبل أراد غيرهم الدخول ، فقال : لا والله لاتنزلوا فيها أحدا الا أنزلنا في الشامية الكبرى مثله ! فلما كان في أيام عبد الرحمن بن داود ، ووقع بينه وبين الحنابلة ، أدخل فيها غيرهم من المذاهب ؛ فشق ذلك على الحنابلة ، وأما أنا فرأيته حسنا ؛ فان فضل الشيخ كان على الحنابلة فقط ، فصار على الأربعة مذاهب . وكان شهاب الدين بن عبد الرزاق قصد اخراج غيرهم منها ، وأرسل الى مصر ليخرج مراسيم بذلك ؛ فأدركته المنية . ودرس للشافعية بها :

(١) كذا في الأصل وصحيحها سراويل .

(٢) جمع بشت وهو العباءة الرقيقة تلبس في الصيف .

الشيخ خطاب ، ثم ابن قاضي عجلون ، ثم أخوه تقي الدين ، وللحنفية : عيسى البغدادي، ثم الزين ابن العيني في الايوان الشمالي ؛ وجدد القاضي المالكي درسا بها ثم انقطع . انتهى .

وأما شيوخ اقراء القرآن بها ، فكان داخلها سبعة أماكن معدة لذلك : أحدها على الخزانة الغربية استجده ابن مبارك واقف الحاجبية ، والآخر على الشرقية ، وآخر بينهما ، وشيخ المدرسة في المحراب ، وآخر شرقيه ، واثنان غربيه ، وحلقة ابن الحبال لاقراء القرآن والعلم بين بابي المدرسة والسلم الشرقيين .

قلت : وجميع هذه المرتبات درست وانقرضت وماتت بموت أهلها . وكان يقال : لم يكن شيء من أنواع البر الا وهو موضوع في العمرية . ثم لم تزل الأيام تأتي على أوقافها ومرتباتها بالنقصان الى أن تولى نظرها الشهاب أحمد المنيني ، ثم صارت في زمننا الى توفيق المنيني من ذريته ، فابتلع الوشل(١) الذي بقي من أوقافها ، وأهلكها هلاكا لايرجى له برء .

ترجمة واقفها

اختلف في بانيها ، فقال النعيمي : الظاهر أن هذه المدرسة أصلها من بناية نورالدين محمود بن زنكي ، لما حكاه في « مرآة الزمان » عن الشيخ أبي عمر أنه قال : كان نورالدين يزور والدي أحمد في المدرسة الصغيرة التي على نهر يزيد المجاورة للدير ، ونور الدين بنى هذه المدرسة والمصنع والفرن . قال : فجاء نور الدين لزيارة والدي ، وكان في سقف المسجد خشبة مكسورة ، فقال له : يانور الدين ، لو كشفت السقف وجددته ! فنظر الى الخشبة وسكت، فلما كان من الغد جاء معماره ومعهخشبة صحيحة، فوضعها موضع المكسورة ومضى . قال : فعجب الجماعة . فلما جاء الى الزيارة ، قال بعض الحاضرين : يا نور الدين ، فاكرتنا في كشف سقف واعادته ! فقال : لا والله ، وانما هذا الشيخ أحمد رجل صالح ، وأنا أزوره لأنتفع به ، وما أردت أن أزخرف له المسجد ، وانقض ما هو صحيح ، وهذه الخشبة يحصل بها المقصود ؛ فدعوني مع حسن ظني فيه ، فلعل الله ينفعني به .

ولكن التحقيق والصواب أن هذه المدرسة التي بناها نور الدين هي المسجد

---

(١) الوشل : الماء القليل

المسمى بمسجد ناصر الدين غربى المدرسة العمرية، يفصل بينهما الطريق، وهي صغيرة بالنسبة الى العمرية ، ومرتب فيها عشرون من الطلبة . والدير المذكور يعرف بدير الحنابلة أيضا ، وعليه أوقاف ، منها قرية الهامة فقيل : انها وقف على الدير ، وقيل : على أهله من الحنابلة، وعليه غير ذلك . والمصنع المذكور قبلي الدير ، يفصل بينهما النهر . والحاصل أن باني المدرسة هو أبو عمر . ٥

الشيخ أبو عمر

الشيخ أبو عمر المقدسي ٥٢٨-٦٠٧

هو محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي . ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بجماعيل ، ثم هاجر به والده وبأخيه الموفق وبأهليهم الى دمشق لاستيلاء الافرنج على الأرض المقدسة ، فنزلوا بمسجد أبي صالح ظاهر باب شرقي ، فأقاموا به نحوا من سنتين ؛ ثم انتقلوا منه الى ١٠ سفح الجبل وليس به من العمارة سوى دير الحوراني . قال أبو عمر : فقال الناس : الصالحية الصالحية ! ينسبوننا الى مسجد أبي صالح لأننا صالحون . ذكره ابن رجب وابن مفلح . ثم ان أبا عمر حفظ القرآن ، وقرأه بحرف أبي عمرو ، واعتنى بالحديث ورحل لأجله الى مصر، وحفظ «مختصر الخرقي» ، وتفقه في مذهب أحمد ، وأخذ النحو عن ابن بري صاحب «حواشي الصحاح» . وكان سريع الكتابة ربما كتب في اليوم كراسين ١٥ بالقطع الكبير . وكتب « الحلية » لأبي نعيم و « تفسير البغوي » و « المغني » لأخيه الموفق ، و « الابانة » لابن بطة ، وكتب مصاحف كثيرة لأهله ، وكتب الخرقي للناس ، والكل بغير أجرة . فانظر الى هذه الهمة والغيرة على العلم . وكان له معرفة في الفقه والفرائض والنحو ، مع الزهد والعمل وقضاء حوائج الناس . وترجمه ابن رجب بترجمة مطولة كلها ثناء وذكر مناقب . وقال سبط ابن الجوزي : كان المترجم على ٢٠ مذهب السلف الصالح ، حسن العقيدة ، متمسكا بالكتاب والسنة والآثار المروية ، ويمرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين . قال : وأنشدنا لنفسه، نفعنا الله ببركاته :

أوصيكم في القول بالقرآن	بقول أهل الحق والايقان
ليس بمخلوق ولا بفان	لكن كلام الملك الديان ٢٥
آياته مشرقة المعاني	متلوة في اللفظ باللسان
محفوظة في الصدر والجنان	مكتوبة في الصحف بالبنان

والقول في الصفات يا اخواني	كالذات والعلم مع البيان
امرارها من غير ما كفران	من غير تشبيه ولا عدوان

قلت : وهذه الأبيات جمعت سائر عقيدة السلف . وبالجملة فان المترجم كان من العباد الصالحين ، والأولياء المتقين . توفي ثامن عشر ربيع الاول سنة سبع وستمائة .

المدرسة (العالمة)

شرقي الرباط الناصري، غربي سفح قاسيون، تحت جامع الأفرم . قاله النعيمي[1] .

أقول : أما جامع الأفرم فهو حديث مضى وانقضى فانه لم يبق منه أثر ، والمدرسة تبعته فصارت بستانا . ولقد وقفت تحت جامع الأفرم ، وسرت في الطريق الى جهة الغرب ، فرأيت بناء في الجانب القبلي شاهقا مبنيا بالحجر الأحمر ، وله باب شاهق لطيف الصنع والهندسة ، وداخله قبة عالية . فتأملت الجدار ، فلم أر فيه كتابة ، وسألت بعض أهل الصالحية عنه ، فقال لي : اسمه خاتون . وبالجملة فقد ضاعت العالمة وغيرها ، وسيلحقها هذا الأثر .

والوقف عليها : بستان بجسر البطة، والغيضة الثانية ، وحكر ابن صبح عند الشامية . وحكى القاضي برهان الدين أنها محصورة في عشرين من أعيان الطلبة . وكان بهذه المدرسة دار حديث ، درس بها محمد بن هامل الحراني ، وكان له عناية كلية بالحديث ، وكتب الكثير ، وتعب وحصل ، ووقف أجزاءه بالضيائية . وفي «شذرات الذهب» ما ملخصه: محمد بن عبد المنعم بن عمار بن هامل بن موهوب الحراني الحنبلي نزيل دمشق . قال الذهبي : عني بالحديث عناية كلية ، وكتب وحصل ، وأسمع الحديث ، وفيه دين وحسن عشرة . وقال الدمياطي : هو الامام الحافظ ، سمع منه جماعة من الاكابر ، توفي سنة احدى وسبعين وستمائة . **ودرس بها** أيضا يوسف بن يحيى ابن الناصح عبد الرحمن الشيرازي الأصل ثم الصالحي الحنبلي ، وهو من بيت مشهور بالعلماء والفضلاء . قال ابن قاضي شهبة : ولي مشيخة العالمة ، والنظر عليها وعلى الصاحبة ، ودرس بها ،

---

(١) كما قال أيضا : « ان واقفتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الشيخ ناصح الحنبلي ». انتهى . وقد تقدمت ترجمتها .

وكان محدثا فاضلا ، توفي سنة احدى وخمسين وسبعمائة بالصالحية ، ودفن بسفح قاسيون .

حـرف الميـم

المدرسة (المسمارية)

قبلي القيمرية الكبرى ، داخل دمشق ، قرب مئذنة فيروز . قال العلموي : مئذنة فيروز هي التي جددت الآن مع المدرسة مسجدا ، جددها علي جلبي الدفتردار ، ووقف لها وقفا ، وجعل لها امامين ومؤذنا . ورأيت بخطه على هامش « طبقات ابن رجب »: 5

المسمارية هي التي بمحلة القيمرية ، جددها علي جلبي دفتردار التمار ، وجعل لها منارة في سنة سبعين وتسعمائة ، وتسمى مدرسة شرف الاسلام . انتهى .

قلت : والمدرسة اليوم معلومة ، ولكنها خربة ، والوقف عليها : الحكر المعروف بها 10 وحده من طريق جامع تنكز الى مقابر الصوفية الى الطريق الذي فيه القنوات الى الطريق الآخذ الى مدرسة شادي بك ويعرف قديما ببستانها ، وحكر الزقاق وهو المعروف بالساقية بأرض مسجد القصب .

ترجمـة واقفهـا

الحسن الهلالي
٠٠٠-٥٤٦

أنشأها الحسن بن مسمار الهلالي الحوراني المقريء التاجر . قال ابن عساكر : 15 قرأ بالروايات ، وسمع الحديث ، ورحل الى بغداد ، وكان يصلي بجامع دمشق التراويح بحلقة الحنابلة ، ويقرأ فيها بعدة روايات يخلطها ويردد الحرف المختلف فيه؛ فأنكروا ذلك عليه ، وقالوا : هذا مذهب يغير ترتيب النظم من القرآن الكريم . وكان مثريا ، مقترا على نفسه . بلغني أنه أوصى عند موته باخراج جملة من زكاة ماله اجتمعت عليه من سنين كثيرة حتى أمر باخراجها . توفي سنة ست وأربعين وخمسمائة . قال 20 الذهبي : وقد بنى الشيخ هذه المدرسة لأجل الشيخ أسعد بن المنجا ، ووقفها عليه .

ابن المنجا

أسعد ويسمى محمد بن المنجا بركات بن المؤمل التنوخي المعري ثم الدمشقي القاضي وجيه الدين أبو المعالي . قال الذهبي : ارتحل الى بغداد ، وتفقه بها على مذهب أحمد ، وأخذ الفقه عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وتفقه وأخذ عنه الشيخ موفق الدين المقدسي ، وروى عنه المنذري وابن خليل وابن النجار . توفي سنة ست وستمائة .

قال في « الشذرات » : وهو واقف الوجيهية التي بباب البريد ، وهي مدرسة قريبة من مدرسة الخاتونية الجوانية ، وبها خلاوي كثيرة ، ولها وقف كثير اختلس .

قال الناصح ابن الحنبلي : درس ابن المنجا بالمسمارية ، وكان له اتصال بالدولة وخدمة السلاطين ، وأسن وكبر ، وكف بصره في آخر عمره ، وله تصانيف منها : كتاب « الخلاصة في الفقه » مجلد ، و « النهاية في شرح الهداية » في بضعة عشر مجلدا ، قال ابن رجب :وفيها فروع ومسائل كثيرة غير معروفة في المذهب ، والظاهر أنه كان ينقلها من كتب غير الأصحاب ، ويخرجها على ما يقتضيه المذهب عنده ، وله « العمدة في الفقه » . وقال الأسدي : ولي قضاء حران في آخر دولة نور الدين. قال ابن رجب : قرأت بخط السيف بن المجد الحافظ ، قال : حدثني الشيخ الموفق ، حدثني القاضي أبو المعالي أسعد بن المنجا ، قال كنت يوما عند الشيخ أبي الثناء وقد جاء ابن تميم ، فقال له : ويحك ! الحنابلة اذا قيل لهم : من أين لكم أن القرآن بحرف وصوت ؟ قالوا : قال الله تعالى : الم ، حم ، كهيعص ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات » ، وقال صلى الله عليه وسلم: « يجمع الله الخلائق فيناديهم بصوت » الحديث . وأنتم اذا قيل لكم : من أين قلتم : ان القرآن معنى في النفس قلتم : قال الأخطل : ان الكلام لفي الفؤاد . فالحنابلة أتوا بالكتاب والسنة ، وقالوا : قال الله ، قال رسوله .وأنتم قلتم : قال الأخطل ، وهوشاعر نصراني ، وخالفتم قول الله وقول رسوله. وقال أبو محمد ابن الخشاب : فتشت دواوين الأخطل ، فوجدت البيت : ان البيان من الفؤاد ، فحرفوه وقالوا : ان الكلام . انتهى .

(المنجـاية) [1]

زاوية بالجامع الأموي كانت تعرف بابن المنجا ، ووقفها ينسب للعلامة عثمان ابن أسعد بن المنجا المترجم سابقا . قال العلموي : ووقفها يبلغ ارتفاعه نحو مائة سلطاني كل سنة . انتهى . **قلت :** والسلطاني لم نعرف ما يساوي اليوم .

تتمـة

قد عرفنا من مدارس أصحاب المذاهب الأربعة المذكورة فيما وقفنا عليه من كتب التاريخ الى سنة التسعمائة ، والتقطنا أثناء المطالعة مواضع لم تذكر سابقا ، وسنسردها هنا اتماما للفائدة ، فنقول :

ذكر الأسدي في ترجمة القاضي نظام الدين ابن مفلح أنه اشترى بيت ابن الشهيد، وبناه دار قرآن ، وكان يأخذ على القضاء على وجه شنيع ، ويصرفه في العمارة . ثم قال : وبنى مدرسة شرقي الصالحية ، جوار حمام العلاني، ورتب فيها مشيخة للحديث. توفي سنة سبعين وثمانمائة .

وللحنابلة أوقاف كثيرة . قال النعيمي : منها وقف التزويج ، يعطى منه كل من تزوج من فقراء الحنابلة ، وكان بيد القاضي علاء الدين المرداوي .

ووقف الاعراض بكسر الهمزة ، يعطى منه كل من حفظ كتابا على مذهب أحمد وعرضه على أحد شيوخ المذهب .

ووقف المراودة من أولاد العجوز وفقراء جماعيل من الحنابلة ، وهو قرية الكتيبة من بلاد حوران . فرق هذا الوقف زمنا ، ثم تغلب عليه بنو عبد الملك ، ثم حكم بانتزاعه منهم القاضي محب الدين ، وكان النظر عليه لخطباء الجامع المظفري ، وفرق منه سنة ثمان وسبعين وسبعمائة .

وقال الأسدي عندما عد مدارس الحنابلة : وللحنفية والحنابلة حلقة الأوزاعي ، وللحنابلة حلقة السفينية وحلقة المحراب ، وكلها بالجامع الأموي .

---

(١) ذكرها النعيمي في « الدارس » باسم « المدرسة المنجائية » .

الباب السابع

في مدارس الطب

المدارس المختصة بعلم الطب القديمة في دمشق كلها مندرسة ، ولم يبق لها الآن أثر ، وتبعها فن الطب في الاندراس حتى صار بيد الدجالين والمخرقين والعجائز والعطارين ، اللهم الا أفراداً كان لهم به المام ، الى أن اشتهر في زمننا اشتهارا كبيرا ، وأخذ في الرقي ، وبنيت لأجله المدارس . ونحن ذاكرون تراجم المدارس وان كانت مندرسة ، ليعلم القوم ما كان عليه سلفهم من الاعتناء بالعلم وترقيه ، وبذل الأموال فيه ، وبه تعالى العون :

المدرسة (الدخوارية)

كانت بالصاغة العتيقة قرب الخضراء بدرب العميد ، قبلي الجامع الأموي . قال العلموي : وبستان الدخوار عند أراضي الجامع الأموي من قصر اللباد شماليها ، وحده شمالا نهر ثورا . ا.هـ .

ترجمة واقفها

المهذب الدخوار ٥٦٥-٦٢٨

قال ابن شقدة في «منتخب شذرات الذهب» : المهذب الدخوار عبد الرحيم بن علي ابن حامد الدمشقي ، شيخ الطب ، وواقف المدرسة التي بالصاغة العتيقة على الاطباء. ولد سنة خمس وستين وخمسمائة ، وأخذ عن الموفق ابن المطران والرضي الرحبي ، واخذ الأدب عن الكندي ، وانتهت اليه معرفة الطب ، وصنف التصانيف فيه ، وحظي عند الملوك . ولما تجاوز سن الكهولة ، عرض له خرس حتى بقي لايكاد يفهم كلامه ، واجتهد في علاج نفسه ، فما أفاد بل ولد له أمراضا ، وكان دخله في الشهر مائة وخمسين دينارا ، وله اقطاع تعدل ستة آلاف وخمسمائة دينار . ولما ثقل لسانه ، كان الجماعة يبحثون بين يديه ، فيكتب لهم ما أشكل عليهم في اللوح . واستعمل

المعاجين الحادة ؛ فعرضت له حمى قوية أضعفت قوته ، وزادت الى أن سالت عينه .

وترجمه أحمد بن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ترجمةمطولة، وأثنى عليه ثناء عظيما ، وبالغ في مدحه ، وقال : أتعب نفسه في الاشتغال ، وكد خاطره في تحصيل العلم حتى فاق أهل زمانه في صناعة الطب ، وحظي عند الملوك ، ونال من جهتهم من المال والجاه ما لم ينله غيره من الاطباء الى أن توفي ، واشتغل بالعربية،وحصل العلوم ، وخدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب في صناعة الطب ، ثم صار رئيسا على أطباء مصر والشام ، وتولى التدريس بالبيمارستان النوري الكبير ، واشتغل بالتدريس ، قال : وكان يظهر من ملح صناعة الطب ، ومن غرائب المداواة ، والتقصي في المعالجة ، والاقدام بصفات الأدوية التي تبرىء في أسرع وقت ، ما يفوق به أهل زمانه ؛ ويحصل من تأثيرها شيء كأنه سحر . ولازم سيف الدين الآمدي في الاشتغال عليه بالعلوم الحكمية ، وحفظ شيئا من كتبه ، وحصل معظم مصنفاته ليشتغل بها ، ونظر في علم الهيئة والنجوم ، واقتنى من آلاتهما ما لم يكن عند غيره ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وستمائة . قال : ووقف داره التي بدمشق عند الصاغة العتيقة، شرقي سوق المناخليين، وجعلها مدرسة يدرس فيها من بعده فن الطب ،ووقف لها ضياعا وعدة أماكن يستغل منها ما ينصرف في مصالحها ، وفي جامكية المدرس ، وجامكية المشتغلين بها . ووصى أن يكون المدرس بها الحكيم شرف الدين علي ابن الرحبي ؛ ثم درس بها المظفر ابن قاضي بعلبك . وألف الدخوار كتبا منها : « اختصار الحاوي في الطب للرازي » ، و «اختصار كتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج الأصبهاني » ، ومقالة في « الاستفراغ » ، وكتاب « الجنينة في الطب » ومسائل وتعاليق وشكوك طبية رد أجوبتها له ، وكتاب « الرد على شرح ابن صادق لمسائل حنين » ، ومقالة يرد بها على رسالة أبي الحجاج يوسف الاسرائيلي في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها . انتهى منتخبا من « طبقات الأطباء » .

الرخّي

من المدرسين بهذه المدرسة ، يوسف بن حيدرة ، شيخ الطب بالشام ، وأحد من انتهت اليه معرفة الفن ، ويقال له : الرخي بتشديد الخاء المعجمة نسبة الى الرخناحية

بنيسابور . قال ابن شقدة : قدم دمشق مع أبيه حيذرة الكحال في سنة خمسين وخمسمائة ، ولازم الاشتغال على المهذب ابن النقاش ، فنوه باسمه ، ونبه على علمه ، وصار من أطباء صلاح الدين ، وامتدت أيامه ، وصارت أطباء البلد تلامذته حتى أن من جملة أصحابه المهذب الدخوار ، وعاش سبعا وتسعين سنة ممتعا بالسمع والبصر . توفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . قاله في « العبر » .

الموصلي

ومن مدرسيها ، علي بن أحمد بن مقبل الموصلي . قال ابن كثير : كان شيخ الحديث ، وأعلم أهل زمانه بالطب ، وله فيه تصنيف حسن ، وكان كثير الصدقة ، حسن الأخلاق ، توفي سنة عشر وستمائة .

السويدي

ومن مدرسيها ، ابراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري الدمشقي ، ولد سنة ستمائة . سمع من الشمس العطار وابن ملاعب وطائفة ، وتأدب على ابن معطي ، وأخذ الطب عن المهذب الدخوار وبرع فيه ، وصنف ، وفاق الأقران ، وكتب الكثير بخطه المليح ، ونظر في العقليات ، وألف كتاب « الباهر في الجواهر » ، وكتاب « التذكرة في الطب » ، وتوفي سنة تسعين وستمائة . قاله في « منتخب الشذرات » نقلا عن « العبر » ، وقال عنه : السويدي الحكيم ، شيخ الأطباء ، وهو منسوب الى السويداء بلدة بحوران(١) .

ابن النفيس

هو العلامة علاء الدين علي ابن أبي الحزم القرشي ابن النفيس الدمشقي ، شيخ الطب بالديار المصرية ، وصاحب التصانيف ، من انتهت اليه معرفة الطب مع الذكاء المفرط ، والذهن الخارق ، والمشار اليه في الفقه والأصول والعربية والمنطق . قال الذهبي : ألف في الطب كتاب « الشامل » وهو كتاب عظيم ، تدل فهرسته على أن يكون ثلاثمائة مجلدة ، بيض منها ثمانين مجلدة ، وكانت تصانيفه يمليها من حفظه ولا يحتاج الى مراجعة لتجرده في الفن .

---

(١) كذا في الاصل ، والسويداء كما هو معروف الآن مركز لمحافظة السويداء التي كانت تسمى قبلا جبل الدروز .

وقال السبكي في « الطبقات » : هو امام الأطباء ، ذو التصانيف الفائقة ، ذكر أنه كان يكتب تصانيفه من صدره من غير مراجعة كتاب حال التصنيف . وبالجملة أجمع الناس على أن الأعين لم تر مثله في الطب ، ولا من يدانيه لا في زمانه ولا قبله بمائتي سنة ، وكان اشتغاله بالطب بدمشق على مهذب الدين الدخوار ، وقد صنف في أصول الفقه ، وفي الفقه والحديث ، والعربية والبيان ، ومات سنة سبع وثمانين وستمائة بالقاهرة .

وقال الأسنوي في « طبقات الشافعية » : كان ابن النفيس امام وقته في فنه شرقا وغربا بلا مدافعة ، أعجوبة زمانه ، وصنف في الفقه ، وفي أصوله ، وفي العربية والجدل والبيان ، وانتشرت عنه التلامذة .

وقال : في « العبر » : ووقف أملاكه وكتبه على المارستان المنصوري ، ولم يخلف بعده مثله .

وقال ابن كثير : شرح القانون لابن سينا ، وصنف « الموجز في الطب » .

الدنيسرية

كانت غربي باب المارستان النوري والصلاحية ، بآخر الطريق من قبله . ويظهر من كلام العلموي أنها تهدمت ، وتغيرت صورتها ، قال : وهي المسجد الذي بناه محمد بك قاضي القضاة بدمشق ، وجعل به مكتبا فليحرر . ا.هـ. **قلت :** وحررت ، فلم أقف له على أثر ، والله أعلم بما صار اليه !

ترجمة واقفها

محمد الدنيسري
٦٠٥-٦٨٦

ترجمه ابن أبي أصيبعة في « طبقات الاطباء » بترجمة حافلة ذكر فيها كثيرا من نظمه ، وقال : محمد بن عباس بن أحمد بن عبيد الربعي الدنيسري ، ذو النفس الفاضلة ، والمروءة الكاملة ، والأريحية التامة ، والعوارف العامة ، والذكاء الوافر ، والعلم الباهر ، ولد بمدينة دنيسر سنة خمس وستمائة ، واشتغل بصناعة الطب الى أن برع فيه ، وتفقه على مذهب الشافعي ، وأقام بدمشق ، وخدم البيمارستان النوري ، ثم أورد له شعرا كثيرا منه :

عـذارك المخضر يامنيتي — لما بـدا الخـد ثم أستـدار
أقام عذري عند أهل الهوى — وصح ماقيـل عن الاعتـذار
وكـان فـي ذاك لنـا آيـة — اذ جمـع الليـل مـع النهار

وله من الكتب : « المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة » ، وكتاب « نظم الترياق
٥ الفاروقي » ، كتاب في « المتروديطوس » ، كتـاب في « تقدمة المعـرفة لابقراط »
أرجوزة ، وله ديوان شعر . وقال في « الشذرات » : صحب المترجم البهـاء زهير مدة،
وتأدب به ، وصنف ، وقال الشعر ، وبرع في الطب والأدب ، ومن شعره :

فيما التعلل بالألحاظ والمقـل — وكم أشير الى الغـزلان والغزل
وكم أعرض من فرط الغرام به — عن قده بغصون البان في الميـل
١٠ ما لذة العيش الا أن أكـون كما — قد قيل فيما مضى من سالف المثل
صرحت باسمك يا من لاشبيه له — أنا الغريق فما خوفي من البلل
يا عاذلي كف عن عذلي فبي قمر — قد حجبوه عن الأبصار بالأسل
معقرب الصدغ في تكوين صورته — معنى يجل عن الادراك بالمقـل

ولـه :

١٥ مـن يكن شافعي الى حنبـلي — وهـو والله مـالكـي لا محـالة
حنفـي بوصـله عـن كئيـب — وعـلى قتلـه أقـام الدلالـة
بثقـات مـن الجمال شهـود — حسن القـول فيهـم والعـدالة
ناظر فـاتن وطـرف كحيـل — وجبين هـاد ودمـع أسـاله
قـد تذللت اذ تدلـل حتـى — صرت أهـوى تذللي ودلالـه
٢٠ وطلبت الوصـال منـه فنادى — مت بذا الهـوى على كل حـاله
قمـر تخجـل البـدور لديـه — وغـزال تغـار منـه الغـزاله
رشـأ بالجمال نبـيء فينـا — ثم أوحـى الى القـلوب رسـاله
أهيف بالجنـون أسهر جفنـي — كيف صبري وقد رأيت جمـاله
قد أمـال القلوب قسـرا لديه — واذا مـال فـالنسيـم أمـالـه
٢٥ لامني فيـه عـاذلي وتعـدى — أنـا مـالي وللعـذول ومـالـه
توفى سنة ست وثمانين وستمائة .

المدرسة (اللبودية) [1]

هي مدرسة كانت خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري . قال العلموي : هذه المدرسة شرقي بستان الشموليات وبستان اللبودي[2] وكلاهما وقف الجامع الأموي عند جسر النهر الصغير الخارج من حمام الفلك مقابل بابه ، وهي الآن رحبة خراب ، ورسم بابها موجود ، ورسم شباكها بل ودمنة المقبرة بالمدرسة موجودة الى الآن . ا.هـ. ٥

قلت : وهذا كان في زمنه ، وأما الآن فلا رسم ولا طلل لها ولا للحمام « وان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده » آية ١٢٧/٧ .

ترجمة واقفها

نجم الدين ابن اللبودي ٦٠٧-٦٧٠

١٠ يحيى بن محمد بن عبدان الدمشقي اللبودي هو واقف اللبودية التي عند حمام الفلك ، المبرز على الأطباء ولديه فضيلة بمعرفة الطب ، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق .

وقال العلموي : كان علامة وقته في العلوم الحكمية ، مفرط الذكاء والفطنة ، توفي سنة احدى وستين وسبعمائة[3] عن سبع وخمسين سنة ، وشرح « محصل الرازي »، و « فصول ابقراط » ، ودفن بتربته بطريق المزة .

١٥ وقال في « عيون الأنباء » : هو الحكيم السيد العالم الصاحب نجم الدين ابوزكريا يحيى ابن الحكيم محمد بن عبدان بن عبد الواحد ، أوحد في الصناعة الطبية ، قدوة في العلوم الحكمية ، مفرط الذكاء ، فصيح اللفظ ، شديد الحرص في العلوم ، متفنن في الآداب ، قد تميز في الحكمة على الأوائل ، وفي البلاغة على سحبان وائل ، له النظم البديع ، مولده بحلب سنة سبع وستمائة ، وأتى به أبوه الى دمشق وهو صغير ، ولازم

---

(١) كذا في الأصل ووردت في « الدارس » : « المدرسة اللبودية النجمية » .

(٢) « ان المدرسة اللبودية مجهولة ، وفي أراضي باب السريجة بستان يعرف ببستان اللبودي » كذا ذكره الأمير جعفر الحسني في تحقيقه « للدارس » .

(٣) كذا في الأصل وقد ذكر ابن شداد أن هذه المدرسة أنشأها ابن اللبودي في سنة أربع وستين وستمائة . وذكر ابن أبي أصيبعة أن وفاته كانت سنة سبعين وستمائة . وقال في « عيون الانباء » : ان مولده كان سنة سبع وستمائة .

المهذب عبد الرحيم الدخوار بصناعة الطب ، وتميز في العلوم حتى صار أوحد زمانه ، وخدم الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه بن شاذي صاحب حمص ، ولم تزل أحواله تنمو عنده حتى استوزره وفوض اليه أمور دولته ، وكان لايفارقه لافي سفر ولا في حضر . ولما توفي الملك المنصور اتصل بخدمة الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وهو
٥ بالديار المصرية ؛ فجعله ناظرا على الديوان بالاسكندرية ، وجعل مقرره في كل شهر ثلاثة آلاف درهم ، وبقي على ذلك مدة ، ثم توجه الى الشام وصار ناظرا على الديوان بجميع الاعمال الشامية . وأورد له في « عيون الأنباء » نثرا وقصائد في مدح سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، ومن كلامه :

اذا ضاق أمر فاصبر سوف ينجلي ... فكم حر نار أعقبت بسلام

١٠ ولا تسأل الأيام دفع ملمة ... فلست ترى أمرا حليف دوام

ومن مؤلفاته : « مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سينا » ، « مختصر كتاب المسائل لحنين بن اسحاق » ، « مختصر كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا » ، « مختصر كتاب عيون الحكمة لابن سينا » ، « مختصر كتاب الملخص ابن خطيب الري»،
١٥ « مختصر كتاب المعاملين في الأصولين » ، « مختصر كتاب أوقليدس » ، « مختصر مصادرات أوقليدس » ، كتاب « اللمعات في الحكمة » ، كتاب « آفاق الاشراق في الحكمة » ، كتاب « المناهج القدسية في العلوم الحكمية » ، « كافية الحساب في علم الحساب » ، « غاية الغايات في المحتاج اليه من أقليدوس والمتوسطات » ، « تدقيق المباحث الطبية في تحقيق المسائل الخلافية على طريق مسائل خلاف الفقهاء » ، «مقالة
٢٠ « في البر شعثا » ، كتاب « ايضاح الرأي السخيف من كلام الموفق عبد اللطيف » وألف هذا الكتاب وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، « غاية الاحكام في صناعة الأحكام»، « الرسالة السنية في شرح المقدمة المطرزية » ، « الأنوار الساطعات في شرح الآيات البينات » ، كتاب « نزهة الناظر في المثل السائر » ، « الرسالة الكاملة في علم الجبر والمقابلة » ، « الرسالة المنصورية في الأعداد الوفقية » ، « الزاهي في اختصار الزيج
٢٥ الشاهي » ، « الزيج المقرب المبني على الرصد المجرب » . هذا كلام « عيون الأنباء » ملخصا ، ولكنه لم يذكر أنهبنى مدرسة .

تتمة في ذكر البيمارستانات

يحسن بنا أن نردف الكلام على مدارس الطب بما كان في دمشق من البيمارستانات[1]؛ لانها بنيت للغاية التي بنيت لأجلها مدارس الطب وزيادة وهي أنها كانت مأوى المرضى ومجتمع العقاقير ، فنقول :

البيمارستان (الصغير)

قال ابن شقدة في « منتخب شذرات الذهب » : البيمارستان الصغير بدمشق أقدم من البيمارستان النوري ، وكان محله قبلي مطهرة الجامع الأموي . وأول من عمره بيتا ، وخرب رسوم البيمارستان منه أبو الفضل الاخنائي ؛ ثم ملكه بعده أخوه البرهان الاخنائي ، وهو تحت المئذنة الغربية بالجامع الأموي من جهة الغرب ، وينسب الى أنه عمارة معاوية وابنه . انتهى . **قلت :** ولا رسم له الآن ولا طلل !

البيمارستان (النوري)

نور الدين بن زنكي

بناه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، وأوقف عليه جملة كبيرة من الكتب الطبية ، وكانت في الخزانتين اللتين في صدر الايوان . وقد تقدم الكلام عليه في ترجمته ، وهو مشهور لم يزل الى الآن . وقد كان الاطباء يردون اليه ، وينام فيه المرضى الى قرب الثلاثمائة بعد الألف ، الى أن عمرت الحكومة مستشفى الغرباء بمحلة البرامكة ، وتناوبته الأطباء ، وقصده المرضى من الفقراء والغرباء ؛ فاتخذته الحكومة مدرسة للأناث فلم ينقطع منه النفع ، فرحم الله بانيه وأسكن روحه فراديس الجنان .

البيمارستان (القيمري)

هو بالصالحية بدمشق بالقرب من جامع الشيخ محي الدين محمد بن عربي الطائي الحاتمي الأندلسي ، وهو باق الى الآن ، ولكنه قد تناولته يد المختلسين ، وعلى بابه مكتوبة أوقافه واسم بانيه ، وهو يدعو أهل الهمة والغيرة لترميمه والانتفاع به ولو بجعله مدرسة ؛ وسأتشبث بذلك ان أعانني الله تعالى .

---

(١) في الأصل المارستانات .

والذي مكتوب على بابه :

١ ـ خان التوتة بحكر السماق بكماله . ٢ ـ وحصة بطاحونة بـاب توما أربـع قراريط . ٣ ـ وخان شمالي البيمارستان يشتمل على بيوت جماعة . ٤ ـ وقاعـة شرقي البيمارستان . ٥ ـ وحوانيت ومسلخ بباب البيمارستان حانوت ١٧ . ٦ ـ وقاعة وحجر واصطبل تحت وقف أمير الدين بدا .

ترجمـة بـانيـه

سيف الدين القيمري ٠٠٠-٦٥٣

قال ابن شقدة : هو سيف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس القيمري صاحب البيمارستان بصالحية دمشق ، كان مـن أجلة الأمراء وأبطالهـم المذكورين وصلحائهم المشهورين ، وهو ابن اخت صاحب قيمر ، توفي بنابلس ، ونقل فدفن بقبته التي بقرب مارستانه بالصالحية سنة ثلاث وخمسين وستمائة . وتقدمت ترجمته عند الكلام على مدرسته .

هذا هو المكتوب على الأحجار كل حجر بمفرده ، والباقي سطران وهما :

هذا ما أوقفه وحبسه وأبده الأمير سيف الدين القيمري رحمه الله تعالى على هذا البيمارستان :

فمن المرج نصف قرية البحدلية ، وكذلك قرية المسعودية بكمالها ، وأيضا قرية المعضادية ، وأيضا من قرية بالا تسعة قراريط ، ونصف الحصص من الاضاع الحولانية، دير أيوب عليه السلام بكمالها ، دير الهرير وطواحينها بكمالها ، ودير السوج بطواحينها، والحصة النصف والربع منها ، ومن قرية عترة الربع ، ومن قرية فادا النصف والثمن سـرية ، ثـلاثة قراريـط ونصف مـن المسقف ، حصـة برامخشي ، بقيـسـارية قيراطين ، وحانوت بالفسقار مضمونة ، برستم الشوى وصفة نوح سبعة عشر حانوتا، الحصة من اللط ربع قيراط .

أوابد وضم شوارد تليق بالمقام في أولية فن الطب

حكى الوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي في كتابه « اخبار العلماء بأخبار

الحكماء » في ترجمة اسقلبيوس الحكيم كلاما طويلا في شأن أولية الطب ؛ فمخضنا زبدته واثبتنا نتيجته ، واليك ذلك :

ان الكلام في الأوليات عموما ، وفي أولية الطب ومن أحدثه وفي أي زمن وجد ، عسر جدا ؛ وذلك أن الذين يقولون بقدم العالم يقولون : ان الطب قديم بقدم العالم ؛ لأن الطب ملازم للانسان في حالة وجوده والانسان قديم ؛ فالطب قديم . والفرقة الاخرى التي تعتقد حدوث الأجسام تقول : الطب محدث ؛ لان الاجسام التي يستعمل فيها الطب محدثة . وأصحاب الحدوث ينقسمون في القول الى قسمين : فالقسم الواحد يقول : ان الطب خلق مع الانسان اذ كان من الأشياء التي بها صلاحه ، وبعضهم يقول : ان الطب خلق بعد خلق الانسان . وأجاب هؤلاء عن قول بعض الحكماء: ان اسقلبيوس هو مخترع الطب ، بأن حديثه ليس الا على سبيل السمر ، هذا مع اجماع الأطباء الأول على أنه أول من استخرج الطب واستنبطه ، وقالوا : جاءه الطب على لسان الوحي . فأما حصر زمانه وزمان من جاء بعده؛ فقد ذكروا من عدة السنين مما بينه وبين جالينوس ما يزيد على خمسة آلاف سنة ، فهذا يدل على أنه كان قبل الطوفان ، وكل ما هو قبل الطوفان لم تعلم حقيقته لعدم المخبر به على الوجه الصحيح . على أن جالينوس قال في تفسير كتاب « العهود لابقراط » : الذي يتناهى الينا من قصة اسقلبيوس قولان: أحدهما لغز ، والآخر طبيعي . أما اللغز فيذهب فيه الى أنه قوة من قوى الله تعالى ، واشتق لهذا الاسم من فعلها وهو منع اليبس . وزعم ابن جلجل انه كان تلميذاً لهرمس المصري . وذكر ابقراط في كتاب « ايمانه وعهده » أن هذا الاسم في لسان اليونانيين مشتق من البهاء والنور ، والطب صناعة اسقلبيوس ، يعني لايجب تعاطيها الا لمن كان على الطهارة والعفاف والتقى ، وأنه لايجب أن يعلم للأشرار ولا لذي الأنفس الخبيثة ، وانما يجب أن يتعلمها الأشراف والمتألهون العارفون بالله . ثم ان الأولين منذ نشأة الطب كان بينهم العهود والمواثيق أن لايعلموا صناعة الطب غريبا . وحكى القفطي في ترجمة بقراط أو ابقراط أن الطب كان استنباطه بالتجربة ؛ وذلك أن امرأة ابتليت بضعف المعدة وامتلاء الصدر بالأخلاط ، فاتفق أن أكلت الرأس بشهوة منهالة، فذهب وجعها، ورجعت الى صحتها ، وكانت من أهل مصر ؛ فانتبهوا لذلك ، وأقبلوا على فن الطب بالتجارب. وذكر هذا اسحاق بن حنين في « تاريخه » . انتهى .

قلت : ومثل هذا هو الصواب ؛ لأن فن الطب الى الآن ولم يزل يتقدم بالتجربة

والاكتشاف والاختراع ، وثم أقوال كثيرة في كتب الاطباء . وتقدم أن الاطبــاء الذين كانوا قبل ابقراط كانوا يبخلون بتعليم هذا الفن ، ولا يعلمونه للغرباء حتى جاء ابقراط ؛ فكان أول من علمه الغرباء وجعلهم كأولاده لما خاف على الطب أن يفنى من العالم ، كما ذكر ذلك عن نفسه في كتاب عهده الى الأطباء الغرباء ، وألف التآليف الغريبة النافعة فيه ، وشاع ذلك الفن . ثم جاء بعده جالينوس ، ولكن بنحو ستمائة سنة ، فاستنبط علم التشريح ولم يسبقه اليه أحد ، وألف فيه سبع عشرة مقالة ، وكانت له بمدينــة رومية مجالس مقامية يخطب فيها ، ويظهر من علمه بالتشريح ما يعرف به فضله ، وكان لايقنع من علم الاشياء بالتقليد دون المباشرة ، ولولاه ما بقي علم الطب ولكان مندرسا وأثرا من العالم جملة ، ولكنه أقام أوده ، وشرح غامضه ، وبسط مستصعبه ، وكان متصفحا لجميع كلام المؤلفين فلم يسلم أحد من القدماء منه الا مشدوخا ، وكانت وفاته قبل المسيح بسبع وخمسين سنة .

وقال عبيد الله بن بختيشوع : ظهر جالينوس أيام الملك انطونينوس باني مدينة ايليوبوليس المسماة ببعلبك ، وهو الذي استخدم جالينوس .

وقال اسحاق : ان بين وفاة جالينوس الى سنة تسعين ومائتين للهجرة ثمانمائة وخمس عشرة سنة . وعاش جالينوس ، على ما ذكره اسحاق بن حنين في «تاريخه» ونسبه الى يحي النحوي ، سبعا وثمانين سنة ، وهذا أعدل ما يمكن علمه .

وفي كتاب « التوضيح في أصول التشريح » ليوحنا ورتبات : أن صناعة التشريح كانت معدومة في الأزمنة القديمة ، الى أن قامت مدرسة الاسكندرية الشهيرة التي أنشأها بطليموس الأول الذي تولى مصر بعد الاسكندر الكبير قبل التاريخ المسيحي بنحو ثلاثمائة سنة ، وهي أول مدارس العالم في ذلك الوقت ؛ فجمعت فيها مكتبة عظيمة ، وأدوات التعليم في الهيئة والطب ، ودعي اليها المعلمون ، وأمرت الحكومة بدفع جثث المقتولين بسبب جرائمهم الى المدرسة الطبية لأجل التشريح ، وبقي الاسم الأول لهذه المدرسة الى ما بعد التاريخ المسيحي بنحو ثلاثمائة سنة . ويظهر أن معارف الرومانيين كانت منقولة عنها بالتدريج .

ثم اضمحلت العلوم في المغرب من القرن السابع بعد المسيح الى القرن الثاني عشر؛ فأخذها الاسلام في المشرق ، وازدهرت بينهم الى أن بلغوا فيها الرتبة الأولى ، الا أنهم لم

يتقدموا على من سبقهم في علم التشريح ، بل اكتفوا بما نقلوه من الكتب اليونانية لانهم كانوا يأبون تشريح الموتى .

ومن القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر بنيت عدة من المدارس الكلية في أوربا ، وأضيف لكل واحدة منها مدرسة طبية . وكان أول من شرح الجثة البشرية فيها تشريحا مشتهرا المعلم موندني مدرس التشريح في مدرسة بولونيا وذلك نحو سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف مسيحية . ومن ذلك الوقت أخذ علم التشريح في التقدم، لكنه خاصا بالمدارس الى بداية القرن الثامن عشر ؛ فظهر ظهورا عاما الى أن وصل لدرجة لايكاد يكون عليها مزيد ؛ وكثرت فيه المؤلفات الى أن صار الآن أوضح وأثبت العلوم الطبية . هذا ما قيل عن التشريح .

وأما الطب فانه تأخر في القرون الاولى الى أن صارت له شعشعة في مدرسة الاسكندرية ، ثم تضاءل وصغر الى أيام الخلفاء العباسيين ؛ فأقبل الملوك على احياء آثاره ، وترجمت كتبه أيام المأمون ؛ فبرع المسلمون وغيرهم فيه براعة زائدة ، كما يعلم من «طبقات الأطباء» الى أن بنيت مدرسة بولونيا ؛ فصار ظله يتقلص من الشرق ، ويظهر نوره في الغرب ، الى أن انتقضت قواعده الاولى ، وظهر في طور جديد .

وفي نصف القرن الثالث عشر للهجرة بدأ الشرق يسترد ما سلب منه شيئا فشيئا، الى أن رد اليه بعض شبابه في زمننا هذا ، وأكثرت الدولة العثمانية من بناء مدارسه ، وبنيت بدمشق مدرسة الطب على الطراز الجديد في نحو الألف وثلاثمائة وعشرين ، وقد قضى الله أنه لايسلب من أحد شيء الا ويرد اليه بعد حين .

خاتمة في ذكر ما أنشىء في دمشق من المعاهد العلمية وذكر ما هو موجود منها الآن مما تقدم ذكره

يعلم المطالع لهذا الكتاب أن الزمان أخنى على معظم ما مر ذكره من المدارس والمعاهد العلمية ، ولم نذكر ما أباده الا للتذكار ولتنبيه القوم على ما أسسه أسلافهم من المجد، ثم قام من بعدهم خلف أضاعوا العلم ودياره ، وطمسوا معالمه وآثاره ، حتى أصبح العلم عندهم جبة وعمامة كبيرة ، واحتفاظا برسوم ابتدعوها وتداولوها ، وحفظ خرافات يأخذونها عن العوام وعجائز البيوت ، وفخفخةوأنسابا ما أنزل الله بها من سلطان،واختراع

كرامات للعظام الرفات ، وعقولا جامدة وأفهاما كاسدة . هذا وقد بنى جماعة بعض مدارس لم يذكرها من تصدر لجمع هذا النوع في كتاب مستقل وانما ذكرت في غضون التراجم ؛ وقد أحببت أن أفرد لها في كتابي هذا موضعا خاصا بها لتتم الفائدة ، فأقول:

المدرسة (المراديـة)

٥ هي في باب البريد مشهورة معروفة ، ذات مدرستين صغرى وكبرى ، والثانية ذات حجرات سفلى ووسطى وعليا ، والاولى ذات حجرات أيضا سفلى وعليا . وكانت محط رحال الأفاضل ، معمورة بالعلماء وطلاب العلم ولهم من أوقافها ما يكفيهم ، وكان بها مكتبة عظيمة حتى كانت يقال لهـا : أزهر دمشق . ثم ان نظارها باعوا جانبا مـن أوقافها ، وقطعوا راتب الطلبة ، وأمست في عصرنا هذا كأمثالها خالية من دراسة العلم ، ١٠ معطلة عن الانتفاع بها ، يسكنها بعض الفقراء وبعض من لاشغل له . وكان انشاء هـذه المدرسة سنة ثمان ومائة وألف . وحكى المرادي في ترجمة الشيخ أحمد المنيني أن جده باني هذه المدرسة لما بناها أقام الشيخ عبد الرحمن أخا الشيخ أحمد ناظرا على العمال والصناع بها ، وجعله على أوقافها كاتبا وأمينا على كتبها وعلى وظائفها ، وبقي الأمر على أولادهم أعني أولاد عبد الرحمن وأحمد .

١٥ ترجمـة واقفهـا

مراد الحسيني ١٠٥٠-١١٣٢

قال خليل أفندي المرادي في تاريخه « سلك الدرر » : هو مراد بن علي بن داود ابن كمال الدين بن صالح بن محمد الحسيني الحنفي البخاري النقشبندي نزيل دمشق وقسطنطينية ، كان آية في العلوم العقلية والنقلية خصوصا في التفسير والحديث والفقـه ، وكان معظما مبجلا ، يتقن الفارسية والتركية والعربية ، قيل : كان يحفظ ٢٠ أكثر من عشرة آلاف حديث ، وكان دائما مكشوف الرأس . ولد سنة خمسين وألف ، وكان والده نقيب الأشراف في سمرقند ، ولما تم له من العمر ثلاث سنين حصلت له نزلة على قدميه وساقيه فعطلتهما وبقي مقعدا ، ثم اجتهد في اكتساب العلوم والكمالات ، وقرأ العلوم العربية والفنون العلمية ، ورحل الى بلاد الهند وتلقى بها الطريقة النقشبندية عن الشيخ محمد معصوم الفاروقي ، ثم قدم الى بلاد الحجاز حاجا ، ثم عاد الى بغداد ٢٥ واستقام بها مدة ، ثم رحل الى مصر ، ثم منها الى دمشق وقطن بها . وفي سنة اثنتين

وتسعين وألف قصد التوجه لبلاد الروم ؛ فارتحل الى القسطنطينية ، فأقبل عليه الناس وأخذوا عنه الطريق ، فأقام بها خمس سنين . وأخذ من السلطان مصطفى خان قرى بدمشق اقطاعا بمال يدفعه للخزينة الأميرية في كل سنة ، وهو الآن المعروف بالمالكانات.
ومن آثاره بدمشق المدرسة المعروفة به ، وكانت قبل ذلك خانا يسكنه أهل الفسق والفجور ، وشرط في كتاب وقفه أنه لايسكنها أمرد ولا متزوج ولا شارب للتتن[1]. 5
وكذلك بنى مدرسة في داره بمحلة سوق صاروجا وتعرف بالنقشبندية البرانية ، مع مسجد كذلك هناك . وله من التآليف « المفردات القرآنية » في مجلدين تفسير للآيات، وجعله بالعربية ثم بالفارسية ثم بالتركية ، وله رسائل كثيرة في الطريقة النقشبندية ، وتحريرات ومكاتبات . وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف في القسطنطينية، ودفن في المدرسة المعروفة في محلة نيشانجي باشا . انتهى ملخصا [2] 10

الزاوية (الخلوتيــة)

منصور الخلوتي
١١٣٦-٠٠٠

رأيت بخط خليل أفندي المرادي أثناء ترجمته لمنصـور بن مصطفى بن منصور السرميني الحلبي الخلوتي ما صورته :

ان الشيخ منصور المذكور اختلى على عادة مشايخ الطرائق ، ولزمه جماعة وأخذوا عنه ، وأقبل عليه الناس واشتهر ، واستقام بدمشق بعياله قدر عشرين سنة ، قال : 15
وكان والدي اشترى المكان المبني تجاه باب جيرون بالجامع الأموي ، وأوقفه على المترجم، وبعده على من يصير خليفة بعده من المشايخ البكرية الخلوتية ، وكان القاضي بالحكم سليمان بن أحمد الخطيب المحاسني الحنفي .

وحكى المرادي ما خلاصته : ان الشيخ المذكور كان مولده سنة ست وثلاثين ومائة وألف بسرمين ، ونشأ بحلب ، وطلب العلم وقرأ على أساتذة زمنه في حلب ومصر ، 20
وأخذ الطريق عن الشيخ مصطفى البكري ، وألف رسالة في البسملة سماها « كشف الستور المسدلة عن ألف وجه من أسرار البسملة ، وكشف اللثام والستور عن مخدرات أرباب الصدور » .

---

(١) التبغ .

(٢) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره سبعة أسطر .

المدرسة (السليمانيـــة)

سليمان العظم

هي بمحلة نور الدين بالقرب من باب البريد معروفة هناك ومشهورة . أوقفها بعد أن بناها الحاج سليمان باشا ابن ابراهيم بك العظم محافظ مدينة الشام يومئذ وأمير الحاج ، وكان برتبة مشير على ما هو اصطلاح الدولة العثمانية . ورأيت تاريخ وقفها أنه
٥ كان في سابع عشر جمادى الاولى سنة خمسين ومائة وألف . وحكى في كتاب وقفها أنه جعل بها بركة ماء يجري ماؤها من نهر القنوات ، ومسجدا ، وست‌عشرة‌خلوة سفلية وعلوية ؛ فالسفليات قبو ، والعلويات مسقفة بالخشب ، وبها مطبخ وبيت لأدوات‌المطبخ . وجعل لها خزانة كتب وأوقف عليها كتبا كثيرة ، وسرد في كتاب وقفها أسماءها ولم نذكرها هنا لشيئين : أولهما أن تلك الكتب قد فقدت بالكلية فلم يبق منها في خزانتها ولا
١٠ ورقة ؛ فقسم منها الله أعلم بما صار اليه ، وقسم آخر أودع في‌خزانة الكتب التي أنشئت في قبة الملك الظاهر بدمشق . وثانيهما أن تلك الكتب ليس فيها ما هو نادر سوى « حاشية الجابردي على الكشاف » و « معالم التنزيل للبغوي » و « فتاوى مؤيد زاده » و « حاشية عزمي على الدرر » وحصة من « تفسير ابن كمال باشا » ، وكتاب « الأبحر السبعة في اللغة » و « منتخب مجمع الزوائد » و « بهجة الناظرين للشيخ مرعي‌الكرمي
١٥ الحنبلي » و « شرح ديوان أبي العلاء المعري لابن الدرة » ، وباقي الكتب على كثرتها كلها مطبوع « كاحياء علوم الدين » و « الشفاء للقاضي عياض » وشروحه ، وامثال ذلك .

أوقـــافهـــا

أوقف عليها الدار التي هي لصيقها وهي دار كبيرة بها حمام ، والدار الصغرى وهي جنوبي الدار الكبرى ، ودارا ثالثة تجاه الدار الثانية ، ودارا بمحلة الخراب بالشارع
٢٠ السلطاني تجاه قناة الفضة ، وحماما عند طالع الفضة ، وفرنا لصيق الحمام من الجانب الشآمي ، والمصبغة الملاصقة لذلك ، والطباق التي على الأقميم والحاصل والمصبغـة وعدتها ثلاثة طباق ، ومشرقة ، ومرتفقا ، وقاعة نشاء داخل بـاب الشاغور الجواني بزقاق بني المزلق وما يتبع القاعة ، وطاحونا بالصالحية بزقاق جري باشي ، وطاحونا بمحلة سوق صاروجا لصيق المدرسة الشامية ، وطاحونا بالشرف الأدنى بمرجة‌دمشق،
٢٥ وطاحونا بقرب المزاز المعروف بالشيخ أرسلان، وطاحونا بالقرب‌من قرية الدوير وتعرف بطاحون العشبية ، وطاحوناً بأرض قرية الدوير وتعرف بطاحون البيدر ، وطاحون دارة

الرحى الكائنة بقرية القصير العتيقة بالقرب من الخان وتعرف بالمكيسرة (تنبيه : هذه الطواحين الثلاث موجودة الى الآن ، وهي راكبة على النهر الذي يسقي أرض قرية عذرا، وهذا النهر يخرج من سفح الجبل المطل على الدوير من الجانب الشمالي ، وفي محل نبعه ثلاث عيون : أحدها من الجانب الشرقي هذا النهر ، وبجانبه الى الغرب النهر الذي يسقي مزارع قرية الدوير ، وبالقرب منه نهر ثالث مشترك بين قريتي القصير والريحان: الثلثان منه للاولى ، والباقي للثانية . ومن خصائص هذه الأنهر أن ماءها على مقدار معين لاينقص لافي الصيف ولا في الشتاء ، وأنه يخرج من ينبوعه معتدل الحرارة دائما، ففيه دليل على أنه ماء معدني ، ويقال لهذه العيون : عيون فاس ريا) . وأما الدوير فقد كانت زمن هذا الوقف قرية عامرة ، وأما الآن فلا أثر لها . وأما القصير فالذي يظهر من كتاب وقف هذه المدرسة أنها كانت قرية عامرة بالقرب من الخان على جانب نهر عذرا من الجهة الجنوبية ، ثم خربت وعمر بدلا عنها قرية أخرى تبعد عنها الى الشمال بنحو خمس عشرة دقيقة مقابل طاحون القصير ، ثم خربت أيضا وانتقل أهلها الى قصبة دوما وبقيت مزارعها في أيديهم . وذكر ياقوت في « معجم البلدان » البلدة العتيقة فقال : القصير ضيعة أول منزل لمن يريد حمص من دمشق ، ولم يزد على هذا ، ومنه يظهر أنها قرية قديمة كانت مشهورة . وقال في « القاموس » وشرحه « تاج العروس » : القصير بلدة بدمشق على فرسخ منها . انتهى . وليس بصواب بل بينها وبين دمشق نحو من أربع ساعات بسير الابل . وأخبرني بعض الثقات ممن آباؤه من القصير أن الجيش العثماني لما توجه من طريق البر الى طرد الفرنسويين من مصر سنة أربع عشرة ومائتين وألف ، جعل معسكره عند ثنية العقاب بالقرب من نهر عذرا ؛ فجعلت العساكر تأتي قرية القصير ، وينهبون أهلها ويتعدون عليهم ؛ فسار كبراء القرية وشكوا أمرهم الى القائد ؛ فأرسل لهم من يحفظهم مدة وجود الجيش هناك . ولما رحل القائد بعسكره عنهم ، اغتنم الأعراب الفرصة فغاروا على القرى ، وجعلوا يأخذون من أهلها الخفارة ويظلمون وينهبون ؛ فسئم أهل القرى الصغيرة وأخذوا ينضمون الى القرى الكبيرة المجاورة لهم ليقدروا على مقاومة الأعراب ودفع شرورهم ؛ فانضم أهل القصير الى أهل دوما وسكنوا معهم ، وكذلك أهل قرية بتوانه والدوير وغيرهما ؛ فكبرت دوما حينئذ ، وضمت الى أرضها أرض أهل القرى المنضم أهلها اليها ، وهذا هو سبب خراب القرى الصغيرة في الغالب .

رجعنا الى سر أوقاف المدرسة ، ومن وقفها : الدار بدمشق بزقاق الوزير شمالها المدرسة الجوهرية ، وجميع غراس المقسم الغربي المغروس من بستان القصير البكروجي بالقرب من قرية القدم ويعرف بنصبة حمزة ، وجميع غراس قطعتين من الأرض لصيق البستان المذكور تعرف الاولى ببني قيصر والثانية بحليلة ، وبستان بأرض قرية المزة ٥ أرضا وغراسا وماء ويعرف بالعتيقة ، وجميع جنينة الحبراصي بالمزة وتعرف بالحبراصيات ، وبستان الصابوني بالمزة أرضا وماء وغراسا ، وغراس مزرعة القصير البكروجي ، وأربع قطع سلايخ بأرض القطايع معروفة بالقرنة ، وجميع غراس بستان بأرض الشاغور البراني بالقرب من مزار شمعون وبستان الحاجبية والعبَّارة بأرض الشاغور البراني أرضاً وماء وغراساً ، وبستان الدولابي كذلك ، وقطعتا ١٠ أرض تعرف أولاهما بالعوجاء والثانية بالقويصات تابع الدولابي . ثم بين في كتاب أنه أوقف على هذه المدرسة أرض النحاسية ، وأشار ذلك الكتاب الى أن هذه الارض كانت مواتا من مدة تقرب من مائتي سنة ، وهي من أرض بلاد المرج ؛ فأحياها الواقف ، وحفر لها قناة لسقيها وأصلحها ، ثم أوقفها مع قناتها ، وأوقف ذلك على طلبة العلم المجاورين بالمدرسة وعلى الواردين اليها لطلب العلم ، وجعل المدرس الشيخ محمد التدمري ، وعين ١٥ له في كل يوم خمسة عشر درهما عثمانيا ، وعين للامام ستة دراهم كل يوم ، وأقام بها شيخ قراء وخازن كتب ولهما كل يوم ستة قروش ، ومعيدا وقارىء عشر ولهما أربعة دراهم كل يوم ، وجعل وظيفة الامامة ومشيخة القراء ووظيفة خزانة الكتب وقراءة العشر للشيخ ابراهيم ابن الشيخ عباس ، وجعل طبخ طعام للمجاورين ، وعين للطباخ والشعال كل يوم أربعة دراهم ، وللكناس وللبواب كل واحد درهمين في اليوم ، ولخادم ٢٠ ماء المدرسة درهمين .

تنبيـه : قد مر ذكر شمعون آنفا . قال الشيخ جلال الدين عبد الرحمن ابن علاء الدين البصروي في كتابه « تحفة الأنام » : شمعون بن زيد الأزدي خليف الأنصار أبو ريحانة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبره بدمشق خارج باب الصغير ، وبأرض الشاغور ضريح يعرف بشمعون ؛ فيحتمل أن يكون هو وأن يكون غيره . انتهى . وحكى ٢٥ الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » خلافا في سكنى شمعون ؛ فحكى عن خليفة ابن خياط أنه قال : هو من ساكني مصر . وقال البرقي : كان يسكن بيت المقدس . وأكثر الروايات على أنه كان يسكن الشام . ولم يذكر الحفاظ : ابن عساكر في « تاريخه »

وابن عبد البر في « الاستيعاب » ، وابن حجر في « الاصابة » موضع قبره .

وشرط الواقف أن لايسكن المدرسة الا طلبة العلم المتجردون عن التزويج ، وأن يكونوا من أهل الدين والصلاح ، ومتى تزوج أحدهم يخرجه الناظر ويسكن غيره في حجرته . وعين لساكني حجراتها الست عشرة الذين هم ستة عشر طالبا كل يوم أربعة أرطال من الخبز بالوزن بالرطل الدمشقي ، ورطلين من الأرز يطبخ لهم شوربة[1] يوما أرز ويوما نصف مد من العدس يطبخ برطل من اللحم . هذا في سائر الايام ما عدا شهر رمضان ، وأما في الشهر المذكور ؛ ففي كل يوم منه يطبخ لهم رطلان من الأرز في أربع أواق من السمن ، ورطل من اللحم يطبخ بنصف مد من الحنطة شوربة ، ولكل واحد من الطلبة في الشهر ثماني أواق من الزيت ، وللمدرسة ثلاثة أرطال من الزيت لشعل ثلاثة قناديل ، وفي شهر رمضان يشعل كل يوم ثلاثون قنديلا وشمعتان بجانبي المحراب زنتهما رطلان . وعلى المجاورين قراءة ختم قرآن في صباح يوم الجمعة ، ويهدون ثواب القراءة لروح الواقف وروح والديه . واشترط أن يكون توجيه الوظائف والاسكان في الحجرات بيد الناظر لايشاركه غيره في ذلك . هذا ما رأيناه في كتاب وقف المدرسة ثم رأيت في كتاب وقف آخر أوقفه على ذريته بعد الكتاب الأول أنه جعل من وقف الذرية لكل طالب مقيم في مدرسته قرشا لكل واحد منهم ، وجعل الطلبة ستة عشر ، وجعل لهم كل يوم رطلا من الخبز زيادة على الأربعة أرطال المار ذكرها ، وعين كل يوم مصرية يشترى بهار للطبخ ، وثلاثة قروش كل يوم لمن يقرأ دلائل الخيرات ، وقرشين كذلك لمن يقرأ القرآن في الشهر مرتين ويهدي ثواب قراءته لروح الواقف . هذا ما قرأته في كتاب وقفها .

ورأيت مكتوبا على أسكفة بابها نقشا على حجر ما صورته :

للخير والعلم والطلاب مدرسة	قد شادها أوحد الدنيا سليمان
أعني الوزير أمير الحج سيدنا	من كل أفعاله بر واحسان
بالقرب من داره الزهراء أوقفها	وشيد منها على الاخلاص بنيان
أثابه الله في الدارين صالحة	كذا له السعد والتوفيق أعوان
وهاتف البشر بالاخلاص أرخها	أس القبول على الاشراق عنوان

(١) الكلمة من العامية وصوابها الحساء .

مكتوب على أسكفة بابها(١) :

أحسن بمدرسة زهت بلباسها — وتفاخرت عزا على أجناسها
قد شادها المولى الوزير محمد — شمس المعارف من أجل أناسها
لله وقفا والقبول مؤرخ — ناش على التقوى مجيد لباسها
١١٩٣

مدرسة عبد الله باشا العظم

انما نذكر هنا ما قرأناه في كتاب وقفها المحفوظ في سجل أوقاف سورية الجديد في عدد ١٧٦ ، فنقول : واقف هذه المدرسة عبد الله بك ابن الوزير محمد باشا محافظ الشام وأمير الحاج ابن مصطفى بك العظم ، أوقفها عن والده بالوكالة عنه ، وكانت قبل ذلك قاعة غربية من دار الواقف الوكيل مع مساكن تابعة لها من داخلها وخارجها ؛ فهدم تلك المساكن ، وبنى مكانها المدرسة المذكورة من ماله، وجعل لها بابا خاصا بها بقنطرة من حجر ، وجعل الباب مصفحا بالنحاس ، وجعل لها شبابيك مطلة على الزقاق ، وجعل في الأسفل حجرات وجامعا وبنى فوقه حجرات أيضا بقبو ، وجعل في الأعلى حجرات أيضا ، وجعل القصر الذي بين الطبقة الثانية والثالثة الراكب على الطريق خاصا بالمدرس الذي يكون في المدرسة ، وجعل للمدرس ستين غرشا عن كل شهر خمسة غروش ، وللامام ثمانية عشر غرشا في السنة عن كل شهر غرش ونصف ، ولخازن الكتب خمسة عشر غرشا عن كل شهر غرش وربع ، وتسعة وثلاثين غرشا لمن يكون شيخا للربعة وقراءة جزء شريف في السنة ، وستة غروش في السنة لمن يكون معيدا للمدرس، وأربعة وعشرين غرشا لمن يقرأ دلائل الخيرات ، وجعل للساكنين في الخلاوي لكل خلوة في السنة خمسة عشر قرشا(٢) ، ولمن يكون في المدرسة أربعة وعشرين غرشا في السنة ، وجعل للطباخ كل شهر غرشين ، ورتب للمطبخ مدا من الارز كل يوم ، ويزاد عليه مد آخر من الارز كل يوم للشوربا ، وخمسة أرطال من الخبز كل يوم للمجاورين بها ، وجعل مائة وثمانين غرشا ليشترى منها كل يوم نصف رطل من اللحم للشوربا وغرارتان وربع حنطه للشوربا ، وجعل اثنى عشر رطلا وربع رطل من الزيت في كل شهر لايقاد قناديل المدرسة وخلاويها ، وزاد عليها في رمضان خمسة أرطال من الزيت

---

(١) كذا رتب المؤلف ، وهذه الأبيات تعود الى المدرسة المذكورة بعدها (أي مدرسة عبد الله باشا العظم).
(٢) هو الغرش وهو من نقود العثمانيين .

توقد في حرم المدرسة ، وعشرة أرطال من السمن لأجل الأرز في رمضان ، وسبعة أرطال من الحطب كل يوم لأجل طبخ ذلك ، وخمسة عشر قرشا في كل سنة ثمن بهار ولوازم لأجل دق الحنطة ، ومائة وخمسين غرشا مرتبة لجهة الحرمين توزع على المقيمين فيهما . وجعل تولية النظر على وقفه لنفسه مدة حياته ، ثم على عقبه من بعده ، واشترط على المتولي أن يبدأ بتعمير المدرسة وترميمها واصلاح المحال الموقوفة ، وأن لاتؤجر أوقافها أكثر من ثلاث سنين ، وأنه تجوز الزيادة والنقصان في الوظائف والمبرات ، وشرط في سكان المدرسة أن يكونوا ممن له رغبة في طلب العلم وتحصيله ، وأن يكون من أهل الصلاح والتقوى ، وأن لايكون متزوجا ولا أمرد ولا محترفا بحرفة ولا ذا سفه ، وأن يكون مقيما في المدرسة لايغيب عنها غيبة غير شرعية كالحج وصلة الرحم ، واذا تزوج يخرجه المتولي ويسكن غيره مكانه(١) .

التكية (الأحمدية)

رأيت في بعض المجاميع ما نصه : تاريخ تكية أحمد باشا بن قزل الخالدي التي تجاه قلعة دمشق :

رب بالاحسان جازي من بنى	للفقرا تكية سائدة
وانظر بعين اللطف في تاريخه	وأنزل علينا ربنا مائدة(٢)

سنة ٩٦٣

(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره سبعة أسطر .

(٢) بعد هذا الكلام يوجد ثماني ورقات بيضاء ، يظن أن المؤلف كان يريد أن يذكر فيها اضافات جديدة ولم يفعل . وقد قارنا مخطوطتنا على مصورة مخطوطة الاوقاف الموجودة حاليا في المجمع العلمي بدمشق فوجدنا أنه لازيادة في تلك على نسختنا هذه .

البـاب الثامن في الخوانق

الخانقـاه ، ويقال : الخانكاه بالقاف والكاف ، وهي كلمة أعجمية : دار الصوفية . قاله النعيمي . وقال الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل » : خانقاه بالقاف : ربـاط الصوفية ، معرب مولد استعمله المتأخرون . ا.هـ. وجمعه الناس على خوانق .

٥

حـرف الهمزة

الخانقـاه (الأسدية)

أسد الدين شيركوه

قال ابن شداد : هي بدرب الوزير . وقال في « الروضتين » : هي داخـل باب الجابية بدرب الهاشميين المعروف بدرب الوزير ، أنشأها أسد الدين شيركوه منشىء المدرسية الأسدية بالشرف القبلي ظاهر دمشق المطلة على الميدان الأخضر ، وقد تقدمت ترجمته في مدرسته .

١٠

تنبيـه : ليعلم الواقف على هذا المكان أني لم أنقب عن محال تلك الخوانق لعلمي بأن غالبها قد اندرس ؛ فلا يمكن الوقوف على محله ، ولا على تراجم أصحابها في الغالب لعدم الجدوى وصعوبة المنال ، اللهم اذا كان ثمة نفع فاني لا أتأخر كما تعلمه مما يأتي .

الخانقاه (الاسكافيـة)

١٥

شرف الدين ابن الاسكاف

قال ابن شداد : أنشأها شرف الدين محمد بن الاسكاف على نهـر يزيد بسفح قاسيون .

الخانقـاه (الأندلسية)

هي من المفقودات ، كانت شرقي العزيزية والأشرفية ، وخلاء[1] الكلاسة لصيق الجقمقية ، وغربي السميساطية قبالتها .

---

(١) كذا في الاصل ، وذكر الأمير جعفر الحسني في الطبعة المحققة « للدارس » أن الصواب فيهـا : « داخل الكلاسة » .

قال بعضهم : وقفها مختلط مع السميساطية ، وهي تعرف بأبي عبد الله محمد ابن أحمد بن يوسف الأندلسي ، ولم يذكر النعيمي سنة وفاته . **قلت :** وهي الآن موجودة يجلس بها متولي الجامع الأموي .

حرف الباء

الخانقاه (الباسطية)

٥

بالجسر الأبيض غربي المدرسة الأسعردية ، وشمالي الخانقاه العزية ، أنشأها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش الاسلامية في زمنه والخوانق والكسوة ، وكانت هذه الخانقاه دارا له ، فلما توجه السلطان الملك الأشرف برسباي الى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة خاف من نزول العسكر بها ؛ فجدد لها محرابا وأوقفها. ثم اجتمع ببرسباي واتصل به ، وصار له به علاقة عظيمة حتى صار الحل والعقد بيده فلا يبرم الأشرف أمرا الا برأيه . وشرع في عمارة بلاد السلطان فزاد متحصلها بذلك، وكان سعيد الحركة ، عمَّر المدارس بالحرمين والقدس ومصر ودمشق ، وأوقف عليها أوقافا حسنة ، ورتب في ركبي الحج المصري والشامي سحابتين وما يحتاج اليه فيهما من الجمال والرجال للفقراء والمساكين ، والسحابتان : خيمتان كبيرتان على صفة الجملون ، وجعل لكل سحابة خمسة وعشرين قنطارا من البقسماط[1] وما يكفيهما من أحمال الماء ، توفي بمصر سنة أربع وخمسين وثمانمائة . كذا ترجمه النعيمي .

١٠

١٥

وقال العلموي : والوقف الخاص بالباسطية : بستان الشياح بقرية كفر بطنا من غوطة دمشق ، والجنات الثلاث الملاصقات والمقابلات لها من الجانب القبلي ، وحكر طاحون الدورة ، وحكر طاحون ثانية بأرض المرجة، وحكر بستان الناعمة ، وحكر طاحون ابن الجاموس التي في مقابلة طاحون الأنصار ، وقاعة بباب البريد ، ونصف الدكاكين في مقابلة المؤيدية في دمشق : ستة عشر دكانا ، وحكر بجانب الجنينة التحتانية لصيق الخانقاه العزية ، وتاريخ كتاب وقفها سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة .

٢٠

وكتب قاضي القضاة برهان الدين الباعوني الى شرف الدين كاشف ثغر صيدا يوصيه بجهات الخانقاه الباسطية قائلا : أوصيك به ، وبالاحسان الى أهل بلادك عموما ، والى أهل يسيل خصوصا فانه من جملة أوقاف الخانقاه المذكورة .

٢٥

(١) هو الكعك الناشف .

وأول من ولي مشيخة هذه الخانقاه ابراهيم بن أحمد بن ناصر بن خليفة المقدسي الشافعي الناصري الباعوني الدمشقي ، سمع من العراقي ، ولازم البلقيني ، واشتغل بالعلم كثيرا ، وبرع في الأدب ، وكان خطه حسنا ، وولي خطابة الجامع الأموي ، وأنشأ ديوان خطب ، وله ديوان شعر ، واختصر « صحاح الجوهري » اختصارا حسنا ، توفي ٥ سنة سبعين وثمانمائة .

ثم تنقلت هذه الخانقاه جماعة منهم : الشيخ اسماعيل النابلسي والد الشيخ عبد الغني ، ثم الى أخيه الشيخ يوسف ، ثم الى الشيخ محمود العدوي ، ثم الى أناس أكلوا أوقافها وأهلكوها .

حرف الحاء المهملة

١٠ الخانقاه (الحسامية)

شمالي المدرسة الشبلية البرانية عند جسر كحيل ، ينسب بناؤها لأم حسام الدين لاجين المشهورة بست الشام أخت السلطان الناصر . ودفن حسام الدين بالتربة التي أنشأها بمحلة العونية بالشامية البرانية بالقبر الأوسط على والدة صلاح الدين ، وتوفي في الليلة التي توفي بها تقي الدين عمر سنة سبع وثمانين وخمسمائة . وتولى مشيختها ١٥ جماعة منهم الشيخ شرف الدين نعمان .

حرف الخاء

الخانقاه (الخاتونية)

عصمة الدين خاتون ٠٠٠-٥٨١

ظاهر باب السعادة ، أول الشرف القبلي على بانياس ، شرقي جامع تنكز ولصيقه، وبابها يفتح الى القبلة . قاله في « تنبيه الطالب » . ورأيت على هامشه ما صورته : ٢٠ هي التي يقال لها : اللطفية . انتهى . واليوم لم نعرف الخاتونية ولا اللطفية. وبناؤها ينسب الى خاتون بنت معين الدين،زوجة نور الدين الشهيد. قال ابن شقدة فيحوادث سنة احدى وثمانين وخمسمائة : وفيها توفيت عصمة الدين خاتون بنت الأمير معين الدين أنر ، زوجة نور الدين ، ثم صلاح الدين ، وواقفة المدرسة التي بدمشق للحنفية.

وبنت خانقاه للصوفية على الشرف القبلي خارج باب النصر ، وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد تجاه قبة جركس ، ودفنت بها ، وهي في يومنا هذا داخل الجامع الجديد بالصالحية ، وأوقفت على هذه الأماكن أوقافا كثيرة . انتهى . قال النعيمي : ولي مشيخة الخاتونية ونظرها الشهاب الدلجي المصري ، فباشرها مباشرة مذمومة . وقال ابن قاضي شهبة في حوادث سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة : في هذه السنة نزل الشهاب الدلجي الزنديق عن مشيخة خانقاه خاتون ونظرها لابن قاضي عجلون بعوض أخذه ، وكان وقع له قضية بسببها ، وقام معه ابن حجي وساعده ، ووقع بينه وبين علاء الدين البخاري بسبب ذلك ؛ فكتب الشيخ في القاضي الى مصر فعزل ، ثم بعد أيام وقعت له قضية قبيحة صار بها من أبين الناس ، وبعد مدة يسيرة أشهد عليه ابن قاضي عجلون أن الوظيفة المذكورة يختص بها أخوه ولي الدين دونه .

حرف الدال

الخانقاه (الدويرية)

ابو الفرج حمد ٠٠٠-٤٠١

لاشك في أن الزمان سلمها ليد المختلسين فجعلوها دورا للسكنى ، وكانت بدرب السلسلة بباب البريد ، وتعرف بدويرة حمد نسبة لصاحبها حمد بن عبد الله بن علي أبي الفرج الدمشقي المقرىء المعدل . حكى الذهبي في « تاريخه » انه وجد هو وزوجته وصبي من أقربائه مذبوحين بباب البريد سنة احدى وأربعمائة .

ولها أوقاف كثيرة ذكرها في « تنبيه الطالب » نقلا عن حجة وقف اطلع عليها وحكم بها عبد الله بن مفلح ، ولابأس بسردها وان لم يكن به فائدة سوى الاستبصار ، فمنه النصف شائعا من جنينة بني وهبان بالطريق الوسطاني الآخذ الى المزة ، ونصف البستان المعروف بالصوفية من أرض اللوان ، ونصف البستان المعروف بدفوف الأصابع ، وجميع أرض البستان المعروف بحسين الآمدي ، والربع والسدس ونصف الثمن من مزرعة العصامية بزقاق الماء ، وسهم من أربعة وعشرين سهما من بستان القاطوع ، ومثله من جنينة قريبة من القاطوع يفصل بينهما نهر داريا والمزة ، ومثله من الجنينة الملاصقة لحمام العوافي ، ومثله من أرض بستان الخرار ، وجميع ذلك بأرض المزة ، وعلى البستان حكر يساوي ستين درهما ، ونصف سهم من أصل أربعة وعشرين من

دار كانت تسمى الشهابية بوادي النيرب قبلي بردى، وقطعة سليخة في أرض قصور داريا من أراضي كفرثوثا . والنصف من قطعتي الدورة والطويلة بأرض الشاغور ، ونصف جنينة الوتار ، وربع حقل الفرس ، وربع المكان المعروف بالمطبخ شمالي وقف الشامية البرانية ، وسهم من ثمانية وأربعين سهما من مزرعة الصفوانية شمالي بردى وطاحون الشيخ ، وسهم من اثنى عشر سهما من قرية البويضة بوادي العجم ، والسدس من حقل قافية ، ومن حقل محفوظ ، ومن حقل عبيد ، والثلاثة بأرض داعية ، وسهم من أربعة وعشرين سهما من وقف القاطوع بأرض بيت رانس وهي سبعة خراجيات : الكرم الصغير ، وحقل الزيتون ، والماحل اثنتان ، والتبوكية ، والقطنية ، والبرانس ، وحصة من أرض حوانيت بالبزورية ، وجميع قرار أرض الاسطبل بدرب السلسلة بجوار الخانقاه ، والطباق التي فوقه ، وحكر الأقرع بسوق ساروجا وبحارة السودان بالقرب من تربة يونس ، وحصة من حجة . انتهى . هذا وقفها ولا يستفاد من ذكره الا الاصطلاحات والأسماء .

حرف الراء

الخانقاه (الروزنهارية)

أبو الحسن الروزنهاري ٠٠٠ـ٦٥٠

كانت بالبرج المجدد خارج باب الفراديس الأول والتربة ، أنشأها أبو الحسن علي الروزنهاري المتوفى سنة عشرين وستمائة ، ودفن بالمكان المنسوب اليه بين السورين عند باب الفراديس. قاله ابن كثير . وقال الذهبي : دفن بالبرج الذي عن يمين باب الفراديس بالخانقاه التي أنشأها .

حرف السين

الخانقاه (السميساطية)

بسينين وطاء مهملات ، وهي معروفة مشهورة عند باب الجامع الأموي الشمالي ، وكان هذا الباب يسمى بباب الناطفيين(١) . وحكى النعيمي أنها كانت في مبدأ أمرها دارا لعبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ثم انتقلت الى ابنه عمر بن عبد العزيز ، وكان ذلك

(١) في الاصل الناطفانيين .

مكتوبا على عتبة بابها ، ولم تزل الأيدي تتناولها الى أن قدم أبو القاسم السميساطي دمشق وسكن بدرب الخزاعية واليه كان يفتح باب هـذه الدار ، وعرف الدرب به ، فاشترى الدار المذكورة ، وبنى بها الصفة القبلية وجنبها لاغير ، وبقي باقيها ساحة . قال ابن شداد : ولما ملك تاج الدولة تتش ، سألوه أن يفتح لها بابا في دهليز الجامع فأذن لهم ، ففتح حيث هوالآن . ثم عمرت،وكان أول من ابتدأ في عمارتها الوزير الفلكي، ٥
فبنى البركة والصفة الغربية والطباق على دهليزها ، ثم مجد الدين ابن الـداية وكان مدرسا بها ، فأخذ يجمع ما يأخذه من راتبه من وقفهـا ويبني بها حتى عمر الصفة الشرقية .

وقال ابن عساكر : ان السميساطي وقف هذه الخانقاه على الفقراء الصوفيــة ، ووقف علوها على الجامع ، ووقف أكثر نعمته على وجوه البر . انتهى . ١٠

وقرات الحجر المكتوب في أسكفتها ؛ فاذا فيه بعد البسملة :

هذه الدار وقف على الفقراء المتجردين من الصوفية ، أثاب الله من وقفها.

ثم انها لم تزل مقررة على الصوفية ، والنظر فيها لمن يلقب بشيخ الشيوخ الىسنة اربع وعشرين وثمانمائة . قال الأسدي : وفي هذه السنة أسقط القاضي نجم الدين ابن حجي المتزوجين من الخانقاه السميساطية ، وأهل البلد ، وقرر فيها عزاباً وغرباء ، ١٥
وكان قد تقرر فيها الفقهاء وصارت مدرسة ، وقل الحاصل ثم انقطع أخيرا ، ثم أعيد الحضور سنة خمس وعشرين الى ما كان عليه قبل فتنة تيمورلنك في أول النهار ، وكان الحضور في هذه المدة لسماع القراء والمداح ، وكل من يرد من البلاد يعمل فيها ويسمعه الناس . انتهى .

ثم انها صارت مدرسة أيضا . وفي نحو الألف ومائة هجرية سكن في أحد حجراتها ٢٠
أحمد بن علي المنيني ، وكان فيما بعد مدرسا بها الى أن توجه عليه تدريس العادليــة الكبرى ؛ فانتقل اليها ودرس بها ، ثم صارت عليه توليتها وتولية العمرية ، ولم تزل التوليتان تنتقلان في نسله الى يومنا هذا ؛ فضاعت أوقاف المدرستين !

ومن كلام الوداعي يمدح الأمير سنجر التركي لما اتخذ هذه المدرسة بيتاً له :

لدويرة الشيخ السميساطي من / دون البقاع فضيلة لاتبخل[1]

هي موطن للأولياء ونزهة / في الدين والدنيا لمن يتأمل

كملت معاني فضلها مذ حلها ال / فرد الغياث العالم المتبتل[2]

اني لأنشد كلما شاهدتها / ما مثل منزلة الدويرة منزل

٥ وتقدم عند الكلام على المدرسة الغزالية أن الامام حجة الاسلام الغزالي لما دخل دمشق قصد الخانقاه السميساطية ليدخل فيها ، فمنعه الصوفية من الدخول لعدم معرفتهم به ؛ فعدل عنها وأقام بزاوية الشيخ نصر الى أن علم مكانه وعرفت منزلته ، فحضر الصوفية بأسرهم اليه واعتذروا له ، وتلطفوا به الى أن أدخلوه الخانقاه .

ترجمة واقفها

أبو القاسم السميساطي ٣٧٧-٤٥٣

١٠ قال ابن عساكر في «تاريخه» : علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن زكريا أبو القاسم السلمي الحبيشي المعروف بالسميساطي، صاحب دويرة الصوفية، روى عن أبيه وعن عبد الوهاب بن الحسن ، وكان جده يحيى بن محمد قد كتب الحديث عن عثمان بن محمد بن علان الذهبي ، روى عنه أبو بكر الخطيب وجماعة ، وخرج ابن عساكر لصاحب الترجمة حديثا . وحكى أبو محمد بن صابر عن أبي القاسم ١٥ النسيب أنه سأل أبا القاسم السميساطي عن مولده فقال : في شهر رمضان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . وقال الأكفاني : سنة ثمان وسبعين ، يعني وثلاثمائة . وكان متقدما في علم الهيئة والهندسة ، مطلعا على علوم الشريعة وعلى أقاويل الأوائل . قال ابن طاهر : وان كان ما علمناه قائلا بشيء سوى الاسلام والسنة ، وذكر عنه كلاما بالتكذيب بأحكام المنجمين . قال الأكفاني : توفي في العاشر من ربيع الآخر سنة ثلاث ٢٠ وخمسين وأربعمائة ، ودفن من الغد في داره في باب الناطفانيين ، يعني في الخانقاه المذكورة . انتهى ملخصا من ابن عساكر .

وسميساط قلعة على الفرات بين قلعة الروم وملطية . وقال الذهبي : كان المترجم صاحب حشمة واسعة ومروءة وافرة . وقال الواني : كان مذهب أبيه محمد الاعتزال .

---

(١) كذا في الاصل ووردت في « الدارس » : « لاتنحل » .

(٢) كذا في الاصل ورواه النعيمي : « العالم الفرد الغياث المتبل » .

مشاهير صوفيتها

الفلكي

هو سعيد بن سهل بن محمد بن عبد الله أبو المظفر المعروف بالفلكي النيسابوري ، سكن خوارزم وولي الوزارة لأميرها ، ودخل بغداد مرارا وحدث بها وكان محدثا فاضلا، ثم سافر الى دمشق لزيارة القدس ، فوردها في أيام نور الدين فأكرم مورده ، ولما طلب العود الى بلاده لم يسمح له ، وأمسكه وأنزله الخانقاه السميساطية ؛ فبنى بها الايوان الشمالي والسقاية وذلك من نصيبه من وقفها ، ولم يزل بها الى أن توفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فيما أظن .

ثم خلفه أبو الفتح بن حمويه، ثم بدر الدين بن جماعة ، ثم ناصر الدين بن عبدالسلام، ثم صفي الدين الهندي ، ثم عبد الكريم ابن الذكي ، ثم الشهاب الكاشغري ، ثم ابن صصري ، ثم الجمال الزرعي ، ثم الصدر المالكي ، ثم العماد القونوي ، ثم التقي العثماني ، ثم الناصر الشرفي ، ثم القلانسي ، ثم الجمال ابن الأثير ، ثم الفتح ابن الشهيد ، ثم بعده بمدة وليها محمد بن أبي بكر الأيكي ، ثم جماعة لم يحصر التاريخ أسماءهم .

المراغي

علي بن عبد القادر المراغي ثم الدمشقي الصوفي المعتزلي . قال ابن حجي : كان فاضلا في العلوم العقلية ، ويعرف العربية ، ويقرىء «المنهاج» في الأصول ، وكان بارعا في الطب ، ويدري النجوم وما يتعلق بها ، ويقرىء «الكشاف» ، وكان معتزليا ، وينسب الى التشيع والرفض ، وكان أولا صوفيا بالسميساطية ؛ فقام جماعة وشهدوا عليه بالاعتزال ، وأخرجوه ورفعوه الى بعض الحكام فعزره واستتابه ، ثم قرره بخانقاه خاتون فنزل بها الى أن مات . وحصل له استيحاش من الفقهاء ، وربما كان يقرأ عليه من يأنس به . أخذ عنه التقي ابن مفلح ، والتقي ابن حجي . توفي سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

حـرف الشين

الخانقـاه (الشومانية)

ظهير الدين شومان

أنشأها شومان ظهير الدين ، وهو أحد مماليك بني أيوب . هذا ما ذكره النعيمي ولم يزد عليه . وضرب العلموي عنها صفحا ، ولعلها بعض المدرسة الشومانية المار ذكرها . ٥

الخانقـاه (الشهابية)

كانت داخل باب الفرج غربي العادلية الكبرى ، وشمالي المعينية واللاقية ، وقد صارت الآن دورا ، وبابها يدل عليها ، وهي تقابل المار في الطريق النافذ الى العصرونية شرقي العادلية الصغرى للسائر الى الشمال .

١٠ وقال ابن الجابي : خربت هذه الخانقاه في أيام تيمورلنك وكانت بيد بني العدوي، وهي تجاه الطريق الآخذ الى العصرونية في نفس المفارق الثلاثة ، وهي الرابع لجهة الشمال .

ترجمـة بانيهـا

أيدكين الشهابي
٠٠٠-٦٩٧

أنشأها ايدكين بن عبد الله الشهابي . قال يوسف بن تغري بردي في « الذيل الشافي على المنهل الصافي » : كان المترجم مملوكا للأمير الطواشي شهاب الدين رشيد ١٥ النجمي الصالحي ، تنقل بعد استاذه الى أن ولي نيابة حلب ، وتوفي سنة سبع وتسعين وستمائة . انتهى . وقال ابن كثير : كان من خيار الأمراء بدمشق ، ولاه الظاهر نيابة حلب ، وكان شجاعا وله احسان الى الفقراء .

الخـانقاه (الشبلية)

شبل الدولة كافور
٠٠٠-٦٢٣

٢٠ أنشأها شبل الدولة كافور المعظمي ، تقدمت ترجمته في مدارس الحنفية . وقال ابن شقدة في حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة : وفيها توفي شبل الدولة كافور الحسامي طواشي حسام الدين محمد ولد ست الشام ، له فوق جسر ثورا من صالحية

دمشق المدرسة والتربة والخانقاه ، وأوقف عليها الأوقاف ، ونقل لها الكتب الكثيرة ، وفتح للناس طريقا من الجبل قريبة من عين الكرش ، وبنى المصنع الذي على رأس الزقاق ، والخانقاه للصوفية الى جانب مدرسته ، ومصنعا آخر عند مدرسته ، وكان دينا صالحا وافر الحشمة ، روى عن الخشوعي ، ودفن بتربته الى جانب مدرسته .

الخانقاه (الشنباشية) ٥

أبو عبد الله الشنباشي

هي بحارة بلاطة ، تعرف بأبي عبد الله الشنباشي . قاله ابن شداد في كتابه « الأعلاق الخطيرة » .

قلت : لقد وقفت عليها ؛ فاذا محلتها الآن تعرف بحارة الشماعين من ثمن الشاغور ، وهي بالجانب الغربي من الطريق ، لها مئذنة من الحجر ، وبها مسجد ، وبجانبها الشمالي ايوان وحجرة وفوقهما غرفتان . وقد تقلبت بها الأيام الى أن صارت مكتبا للاناث من ١٠ سنة سبع وتسعين ومائتين وألف الى سنة تسع عشرة بعد الثلاثمائة والألف ، ثم صارت مكتبا للاطفال ، ونظرها بيد بني ركاب .

الخانقاه (الشريفية)

كانت تجاه العروية ، شرقي دار الحديث الأشرفية ، لصيق الطومانية ، شرقي باب ١٥ القلعة ، وغربي العادلية الصغرى ، بها تربة ، والآن لم نجد لها أثرا ولا للعروية ولا للطومانية ، وذكرها النعيمي في الخوانق . ويظهر من كلام ابن شداد أنها مدرسة حيث قال : وأول من درس بها رشيد الدين الفارقي . ويحتمل أن تكون خانقاه وبها تدريس ، وكانت الفقراء الأفاقية تتردد اليها ، أنشأها شهاب الدين أحمد بن شمس الدين الفقاعي .

شهاب الدين الفقاعي

قال النعيمي : لم أر لها كتاب وقف ، ولم أعلم متى بنيت ، ولها دار قرآن وزاوية . انتهى . ٢٠ ووقفها : بمدينة حمص عدة حوانيت ، ومزرعة بحوران ، ووقف عليها ولد الواقف محمد ثلث قرية عربيل ، وولده أحمد قراءة بخاري على من له أهلية ، ونسب وقفها الى شهاب الدين أحمد بن محمد الفقاعي .

الخانقاه المعروفة بخانقاه (الطاحون)

نور الدين بن زنكي

كانت خارج البلد وهي بالوادي ، وينسب بناؤها الى نور الدين محمود بن زنكي . ومن مشائخها الشيخ سعيد القاشاني الفرغاني تلميذ الصدر القونوي . قال الذهبي : كان من القائلين بوحدة الوجود ، شرح « تائية ابن الفارض » في مجلدين ، ومات في ٥ ذى الحجة سنة تسع وتسعين وستمائة عن نحو سبعين سنة .

حـرف الطـاء

الخانقـاه (الطواويسية)

هي الآن معروفة مشهورة بمحلة البحصة ، وجدرانها الغربية الى طريق الصالحية، وبها قبة شاهقة ، والى جانبها الغربي مسجد ، ولها فسحة كبيرة ، وهي غنية بمائها ١٠ فقيرة مما بنيت لأجله .

قال ابن شداد أثناء كلامه على المساجد التي هي خارج البلد : الطواويسية مسجد كبير فيه قبر الملك دقاق في قبة معروفة بقبـة الطواويس في الشرف الأعلى ، وفي الرباط دفنت أم دقاق ، وهي منسوبة لدقاق أو لابنه . وقال في « الروضتـين » : دقاق كان سلطان دمشق ، وقبره بقبة الطواويس ، وبها بنته ، وبالمشهد والدته .

١٥ تتش

هو بتائين معجمتين وشين معجمة . قال ابن عساكر في « تاريخه » : تتش بن ألب أرسلان أبو شجاع محمد بن داود بن ميكال أبو سعيد الملك المعروف بتاج الدولة التركي السلجوقي ، استنجده أتز بن أوق التركي صاحب دمشق على جيش قدم من مصر ؛ فقدم دمشق سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، فقتل أتز وغلب على البلد ، وامتدت ٢٠ ولايته الى أن قتل ثامن صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بنواحي الري وكان قد توجه الى خراسان عند موت أخيه أبي الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان لطلب الملك ؛ فلقيه ابن أخيه ؛ فقتل في المعركة ، وصار الأمر بعده بدمشق لابنه دقاق بن تتش ، ودخلها سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وحسنت السيرة بها . قال ابن خلكان : وخلف تتش ولدين :

أحدهما فخر الملوك رضوان ، والثاني دقاق ؛ فاستقل رضوان بمملكة حلب ، ودقاق بمملكة دمشق ، وتوفي رضوان سنة سبع وخمسمائة . ومن نوابه أخذ الأفرنج أنطاكية سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . وتوفي دقاق في ثامن عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، ودفن في مسجد في حكر الفهادين بظاهر دمشق الذي على نهر بردى ، وكان قد حصل له مرض متطاول ، وقيل : ان أمه سمته بعنقود عنب . فلما مات ، قام بالملك ظهير الدين طغتكين وكان أتابكه ، ولم يزل مالكا دمشق الى أن توفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وتولى الأمر بعده ولده تاج الملوك أبو سعيد بوري الى أن توفي سنة ست وعشرين وخمسمائة من جراحة أصابته من الباطنية ، وتولى بعده ولده شمس الملوك اسماعيل الى أن قتل سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، قتلته أمه خاتون زمرد بنت جاولي ، وأجلست أخاه شهاب الدين أبا القاسم محمود بن بوري ؛ فتولى الأمر بعده بدمشق الى أن قتل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ؛ فملك بعده أخوه محمد بن بوري الى أن توفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، ثم تولى بعده ولده آبق ابن محمد بن بوري الى أن نزل على دمشق نور الدين محمود بن زنكي وأخذها منه ، وعوضه عنها حمص ؛ فأقام بها يسيرا ، ثم انتقل الى بالس التي على الفرات بأمر نور الدين وأقام بها مدة ، وأقبل عليه الامام المقتفي ، ولا أعلم متى مات . انتهى ملخصا .

حرف العين

الخانقاه (العزية)

هي بالجسر الأبيض قبلي الباسطية ، وغربي الماردانية ومدرسة الخواجة ابراهيم الأسعردي . قال ابن كثير : هي خانقاه على نهر ثورا . انتهى .

وحاصل كتاب وقفها : أن التربة العزية بصالحية دمشق بالجسر الأبيض والمسجد بها والرباط ، يكون على ذلك : احدى وعشرون قيراطا وربع قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطا من قرية دسيا بضم الدال وفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية وهي من قرى وادي بردى ، وجميع الخان بمحلة باب الجابية المعروف بخان العميان ، وجميع الفرن المعروف قديما بوقف التربة المذكورة بالقرب من حمام المقدم ، وغير ذلك . وتاريخ وقفها سنة ست وتسعين وستمائة ، وسجل سنة أربع وثمانين وثمانمائة .

ترجمة واقفها

عز الدين أيدمر ٠٠٠-٧٠٠

هو الأمير عز الدين أيدمر الظاهري . قال في « منتخب الشذرات » : هو الذي كان نائب دمشق في دولة مخدومه ، حبس مرة ثم أطلق ؛ فلبس عمامة مدورة ، وسكن بمدرسته عند الجسر الأبيض ، توفي في ربيع الاول سنة سبعمائة ، ودفن بتربته ، وكان أبيض الرأس واللحية . قاله في « العبر » . وقال العلموي في « مختصره » : كان السلطان قد خرج من مصر ودخل الكرك سنة سبعين وستمائة، فلما خرج منها استصحب الأمير عز الدين أيدمر معه الى دمشق ؛ فولاه النيابة بها ، وعزل الأمير جمال الدين النجيبي . ولم يزل بدمشق نائبا الى أن مات الظاهر وولي ابنه السعيد ، فاستمر أيدمر في دمشق ولما جاءها السعيد ، وتغيرت خواطر الأمراء عليه ، وطلبوا منه ابعاد الخاصكية فلم يجبهم خوفا من سوء العاقبة ، وساروا الى مرج الصفراء ، وترددت الرسل بينهم ، وعاد الأمير المذكور ومعه العسكر الى دمشق ، وطلع يتلقى النائب أيدمر؛ قبض عليه أقوش عند المصلى وأفرده عن الركب ، ودخلوا به من باب الجابية وحبسوه بالقلعة ، ولم يزل معتقلا مدة الدولة المنصورية الى أن أفرج عنه الملك الأشرف خليل ابن قلاوون .

قال الذهبي : رأيته بالجامع وعليه قباء أبيض وتخفيفة وهو لائق به ، وعليه سكون ووقار فأعجبني شكله . قال الصلاح الصفدي : لما أقام برباطه كان يأتي بالخضر بنفسه، ويمسك فرسه عند البيطار بيده بعد ذلك الحال والنيابة بدمشق .

حرف القاف

خانقاه (القصر)

شمس الملوك دقاق

كانت مطلة على الميدان الأخضر المعروف الآن بالمرجة ، وهي ظاهر دمشق ، وقد انمحت آثارها ، أنشأتها(١) شمس الملوك . قاله ابن شداد .

الخانقاه (القصاعية)

الخاتون فاطمة

هي بالقصاعين والله أعلم بمكانها ، أنشأتها الخاتون فاطمة بنت الخطليجي(٢) وولي

---

(١) كذا في الاصل ، والصواب « أنشأها » لان شمس الملوك هو دقاق بن تتش كما ذكر ذلك الصلاح الصفدي في « أمراء دمشق في الاسلام » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الأعلاق الخطيرة » : « ابنة خطلجي » ، وفي « الدارس » نسخة المجمع العلمي بدمشق : « ابنة خطبلسي » .

مشيختها محمد بن أبي الفتح البعلي الدمشقي الحنبلي صاحب « المطلع » . قال في « المقصد الأرشد » : هو الفقيه المحدث النحوي ، سمع من اليونيني وابن عبد الهادي وغيرهما ، وعني بالحديث ، وبرع في الفقه وأفتى ، وقرأ العربية واللغة على ابن مالك ولازمه ، وصنف كتبا منها : « الفاخر في شرح جمل عبد القاهر » و « شرح ألفية ابن مالك » ، وله « المطلع على أبواب المقنع » شرح به غريب ألفاظه ولغاته ، وله تعاليق. درس بعدة مدارس ، وأفتى وتصدر للاشتغال ، وتخرج به جماعة وانتفعوا به ، توفي سنة تسع وسبعمائة . ٥

حرف الكاف

الخانقاه (الكججانية)

١٠ كانت بالشرف الأعلى بين الطاووسية[1] والمدرسة العزية ، وقد هدمت واندرست ولم يبق منها اليوم الا قبة مهدومة الأعلى أمام مجتمع الكهرباء ، وعلى بابها كتابة بالخط الكوفي ، وقد كان موضعها دارا للأمير بلاط ، فتهدمت وخربت ، فأوقفها ابراهيم الكججاني خانقاه سنة أربع وأربعين وسبعمائة . قاله الذهبي في موضع ، وقال في موضع آخر : أنشئت سنة احدى وستين وسبعمائة . ولعل الأول تاريخ الابتداء بها ، والثاني عام فتحها ونهاية بنائها . ١٥

ابراهيم الكججاني

قال العلموي : كان بهذه التربة مشيخة وفقراء وغير ذلك مما هو مفصل في كتاب وقفها وعلى بابها .

حرف الميم

الخانقاه (المجاهدية)

٢٠ كانت على الشرف القبلي ولم أعلم محلها ، وقد اندرست بيقين . قال ابن شقدة في « منتخب الشذرات » في حوادث سنة أربع وخمسين وستمائة : وفيها توفي

(١) كذا في الاصل وتقدم ذكرها : « الطواويسية » .

مجاهد الدين
ابن أونبا
٠٠٠-٦٥٤

الأمير مجاهد الدين ابراهيم بن أونبا(١) الذي بنى الخانقاه المجاهدية بدمشق على الشرف القبلي ، وكان واليا على دمشق عاقلا فاضلا ، ومن نظمه :

أشبهت الغصن في خصال ... القد واللين والتثني
لكن تجنيك ما حكاه ... الغصن يجنى وأنت تجني

٥ وله في مليح :

ومليح قلت مالاسـ ... ـم حبيبي قال مالك
قلت صف لي وجهك الزا ... هي وصف حسن اعتدالك
قال كالغصن وكالبد ... ر وما أشبه ذلك

توفي بدمشق ، ودفن بخانقاته المذكورة . انتهى . وقال يوسف بن تغري بردي

١٠ في «ذيل المنهل الصافي» له : ابراهيم بن أونبا الأمير مجاهد الدين أبو اسحق أمير جندار الملك الصالح ، مات سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، ودفن بخانقاته التي أنشأها على شرف الميدان القبلي ظاهر دمشق . انتهى . وفي « تاريخ الأسدي » أنه قرر في تلك الخانقاه عشرين صوفيا وهو مستمرض . ومن مشايخها علي الاسفندار(٢) الواعظ . قال ابن كثير : كان يعظ في كل سبت من الأشهر الثلاثة ، وكان فاضلا بارعا ، وكان

١٥ جده يكتب الانشاء للخليفة الناصر . ومن شعر المترجم :

اذا زار بالجثمان غيري فانني ... أزور مع الساعات ربعك بالقلب
وما كل ناء عن ديار بنازح ... ولا كل دان في الحقيقة ذو قرب

توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة .

حرف النون

٢٠

الخانقاه (النجيبية)

قال النعيمي : يقال لها النجيبية البرانية ، وخانقاه القصر ، يعني لمجاورتها للقصر الأبلق ، وهي مطلة على الميدان . انتهى .

قلت أراد بالميدان المرجه . وكان ذلك القصر قصرا للملك الظاهر ، ولما عمرت التكية

(١) كذا في الاصل، وفي «تاريخ الأسدي» : « ابن أرينا » . وفي « الشذرات » : « ابن أدينا » و«ابن أدنبا» .
(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الاسفنديار » .

السليمانية خرب وأقيمت مكانه ؛ فلم يبق أثر للنجيبية ولا للقصر اللهم الا أن تكون أدخلت في خانقاه المولوية . وفي هذه الخانقاه اعتقل ابن خلكان ، اعتقله الأمير سنجر، وأقام مقامه ابن سني الدولة قاضيا ، وأمره أن يتحول من المدرسة العادلية الكبرى ليسكنها خلفه ، وألح عليه في ذلك ؛ فاستدعى جمالا لينقل أهله الى الصالحية ، فجاء العفو عنه من السلطان بمصر وتقريره على القضاء . وقد كانت الخانقاه مع أوقافها تحت الحيطة . وينسب بناؤها الى جمال الدين أقوش ، وتقدمت ترجمته في مدرسته .

5

جمال الدين أقوش

الخانقاه (النحاسية)

هي والتربة بها غربي الذهبية ، وشمالي حمام شجاع بطريق مقبرة الفراديس ، وهي الآن موجودة وتسميها العامة مدرسة النحاسين ، وقد وضع على أوقافها يد جماعة ادعوا أنهم من نسل الواقف يقال لهم : بنو النحاس ، ورجل يدعي العلم يقال له : الشيخ أحمد رمضان ؛ فاختلسوا وقفها ، ثم تحيلوا الى جعلها بيتا للسكنى . ولعل رجلا فيه خير يرفع تلك اليد الأثيمة عنها .

10

قال النعيمي : أنشأها الخواجة الكبير شمس الدين ابن النحاس الدمشقي ، توفي بمدينة جدة من أعمال الحجاز سنة اثنتين وستين وستمائة ، وخلف أموالا وأولادا .

شمس الدين ابن النحاس
٠٠٠–٦٦٢

الخانقاه (النجمية)

15

كانت بنواحي باب البريد ، ثم أخنى عليها الذي أخنى على لبد ، وطمست آثارها . قال أبو شامة : هي داخل الدرب الذي بقرب المعينية بباب البريد .

ترجمة واقفها

أوقفها الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بالذال المعجمة الدويني ، وهو والد الملوك : صلاح الدين ، وسيف الدين ، وشمس الدولة ، وسيف الاسلام ، وتاج الملوك بوري ، وست الشام ، وربيعة خاتون ، وأخو الملك أسد الدين ، شب به فرسه فحمل الى داره ، ومات بعد أيام في ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة، وكان يلقب بالأجل الأفضل . ولي بعلبك فبنى فيها خانقاه للصوفية وهي المعروفة بالنجمية ، وكان صالحا

20

نجم الدين أيوب
٠٠٠–٥٦٨

حسن السيرة كريم السريرة ، ولما تولى ولده صلاح الدين مصر أستدعاه وكان في دمشق
في خدمة نور الدين محمود ؛ فاستأذنه فأذن له ، فلما قدم على ولده أراد أن يخلع
الأمر اليه فكره ، ولما مات نجم الدين دفن عند أخيه بالقاهرة ، ثم نقلا سنة تسع وسبعين
الى المدينة المنورة . قاله في « شذرات الذهب » . وقال الأسدي : أوقف نجم الدين
٥ بمصر خانقاه ومسجدا وقناة بباب النصر ، وكان أبوه من أهل دوين بضم الدال المهملة
وكسر الواو بلدة بآخر أذربيجان تجاور بلاد الكرج ، وشاذي اسم أعجمي معناه فرحان ،
وكان من أبناء أعيانها ، وكان صديقا لكمال الدولة فاستصحبه معه لما ولي نيابة بغداد ،
وأعطى السلطان أباه شاذي قلعة تكريت فلم يزل بها الى أن توفي ؛ فتولاها ولده أيوب
فقام بها حق القيام ، فشكره بهروز وأحسن اليه ، وفي القلعة ولد صلاح الدين ، ثم
١٠ خرج الى الموصل فأكرمه زنكي والد نور الدين ، ثم استنابه على بعلبك ، ثم استدعاه ولده
صلاح الدين الى مصر كما مر . قال الأسدي : وكان رجلا دينا مباركا كثير الصدقات ،
سمحا كريما ، وافر العقل قليل الكلام جدا لايتكلم الا للضرورة .

الخانقاه (الناصرية الاولى)

الملك الناصر صلاح الدين ٦٢٧-٦٥٩

أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد غازي بن أيوب
١٥ بسفح قاسيون بجوار تربته على نهر يزيد . قاله ابن شداد . وتقدم الكلام عليها في
دور الحديث ، ولا بأس هنا بايراد ترجمته مختصرة عن « شذرات الذهب » :

الملك الناصر

هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز محمد ابن الظاهر غازي ابن
السلطان صلاح الدين صاحب الشام ، ولد سنة سبع وعشرين وستمائة ، وسلطنوه
٢٠ بعد أبيه سنة أربع وثلاثين ، ودبر المملكة شمس الدين لولو ، والأمر كله راجع الى جدته
صفية ابنة العادل . فلما ماتت سنة أربعين اشتد الناصر ؛ ففتح له عسكره حمص ،
وتملك دمشق بلا قتال سنة ثمان وأربعين فوليها عشر سنين ، وكان حليما جوادا
حسن الاخلاق محببا الى الرعية ، فيه عدل في الجملة وقلة جور وصفح ، وكان الناس
معه في بلهنية من العيش لكن مع ادارة الخمر والفواحش ، وكان للشعراء دولة في أيامه

لأنه كان يقول الشعر ويجيز عليه ، ومجلسه مجلس ندماء وأدباء ، ولكنه خدع وعمل عليه حتى وقع في قبضة التتار ، فذهبوا به الى هولاكو ، فأكرمه ، ثم غضب عليه فقتله سنة تسع وخمسين وستمائة .

قال ابن قاضي شهبة في « تاريخه » : بنى الناصر بدمشق داخل باب الفراديس مدرسة في غاية الحسن ، ووقف عليها أوقافا جليلة ، وبنى بجبل الصالحية رباطا وتربة ومدرسة ، وهي عمارة عظيمة ما عمر مثلها ، أحضر لها من الرخام والاحجار شيئا كثيرا ، وغرم عليها أموالا عظيمة ، ونهر يزيد جار فيها .

الخانقاه (الناصرية الثانية)

كانت بدرب خلف قاسارية الصرف ، وكانت دارا للسلطان صلاح الدين لما كان واليا على دمشق . وهذه القاسارية عمرها الملك المؤيد بالحجارة ، وجعل فيها مخازن وطباقا ، وجعل بعضها للجهة التي كانت موقوفة عليها . قاله ابن قاضي شهبة .

ترجمة واقفها

صلاح الدين الأيوبي ٥٣٢-٥٨٩

هو السلطان صلاح الدين الملك الناصر أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان ابن يعقوب ، الدويني الأصل ، أول دولة الأكراد وملوكهم ، وقد ألف العلماء المؤلفات في سيرته وتاريخه ، وطرز المؤرخون بذكره مؤلفاتهم فما نذكره هنا شذرة يسيرة من مناقبه ، وسنبسط الكلام في القسم السياسي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى . ونلخص هنا من « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد » ، ومن « شذرات الذهب لعبد الحي بن العماد » ، ومن « تاريخ ابن خلكان » ، ومن « تاريخي الذهبي وابن كثير » ، ومن كلام ابن الأثير ، شذرات تليق بذلك السلطان العادل والكوكب المنير فنقول :

قال ابن كثير : أصل هذه الطائفة من الأكراد ، ولكن بني أيوب ينكرون هذه النسبة ، ويقولون : انما نحن عرب نزلنا عند الأكراد وتزوجنا منهم . انتهى . ويمكن أن يكون هذا صحيحا لأن العرب تفرقت في الاقطار بعد الفتح الاسلامي .

وقال ابن خلكان : اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من دوين ، بضم الدال المهملة

وكسر الواو ، وهي بلدة في آخر عمل أذربيجان من جهة أرال وبلاد الكرد ، وأنهم أكراد راودية قبيلة كبيرة من الاكراد . انتهى .

ولد صلاح الدين سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقلعة تكريت ، وكان والده أيوب واليا بها ثم اتفق له الانتقال منها الى الموصل ، فكان بها مع والده الى أن ترعرع . واتفق لوالده الانتقال الى الشام ، وأعطي بعلبك وأقام بها مدة وصلاح الدين يتربى تحت حجر والده ويرتضع ثدي محاسن أخلاقه،حتى بدت منه أمارات السعادة ولاحت لوائح التقدم والسيادة ؛ فقدمه الملك العادل نور الدين محود بن زنكي ، وعول عليه ونظر اليه وقربه. ولم يزل كلما تقدم قدما تبدو منه أسباب تقضي تقديمه الى ما هو أعلى منه ، حتى تعمد أسد الدين الحركة الى مصر وذهابه اليها ؛ فاستصحبه معه عن كراهية منه لمكان افتقاره اليه ، وجعله مقدم عسكره وصاحب رأيه وذلك سنة ثمان وخمسين وخمسمائة؛ فقام بما عهد اليه أحسن قيام ، ثم قفل راجعا الى الشام بعد أن عرف أسد الدين أن مصر بلاد بغير رجال تمشي الأمور فيها بمجرد الايهام والمحال. ثم في سنة اثنتين وستين وخمسمائة عاد أسد الدين الى مصر ، وسير السلطان نور الدين معه صلاح الدين على كره منه ؛ ولم تزل مصر بيد أسد الدين حتى مات بعلة الخوانيق سنة أربع وستين وخمسمائة فتولاها الملك صلاح الدين . ولما استتب له أمر مصر جعل يشن الغارات على الافرنج الى الكرك والشوبك وبلادها ، وغشي الناس من سحائب الأفضال والنعم ما لم يؤرخ من غير تلك الايام . هذا كله وهو وزير متابع القوم، ولكنه مقو لمذهب السنة، غارس في أهل البلاد العلم والفقه والتصوف والدين، والناس يهرعون اليه من كل صوب ويفدون عليه من كل حدب وهو لايخيب قاصدا ولايعدم وافدا. وفي سنة تسع وستين وخمسمائة توفي السلطان نور الدين بعلة الخوانيق ، وخلفه في الملك ولده الصالح اسماعيل . فلما تحقق صلاح الدين موت نور الدين ، وأن ولده الصالح طفل لاينهض بأعباء الملك ولايستقل بدفع الأعداء عن البلاد ؛ تجهز للخروج الى الشام مصاحبا جمعا كثيرا من العساكر ، وأقام بمصر من يقوم بحفظها ، وسار مع جمع من أهله وأقاربه الى أن دخل دمشق بالتسليم سنة سبعين ولم يشق عليه عصا ، وتسلم قلعتها . قال في « شذرات الذهب » في حوادث سنة سبعين : وفيها قدم صلاح الدين فأخذ دمشق بلا ضربة ولاطعنة ، وسار الصالح اسماعيل بن نور الدين مع حاشيته الى حلب ، ثم سار صلاح الدين فحاصر حمص بالمجانيق ، ثم سار فأخذ حماه وحاصر

حلب ، وأساء العشرة في حق آل نور الدين ، ثم رد وتسلم حمص ، ثم عطف الى بعلبك وتسلمها .

وقال الذهبي في «تاريخه » : ملك صلاح الدين البلاد ودانت له العباد ، وأكثر من الغزو وكسر الافرنج مرات ، وكان شديد الهيبة محببا الى الأمة عالي الهمة . انتهى .

وأعظم ما ابتهجت به الأمة من فتوحاته ، فتح بيت المقدس بعد أن مكث بيد الأفرنج نيفا وتسعين سنة . وقال ابن قاضي شهبة في « تاريخ الاسلام » : كان شجاعا سمحا جوادا مجاهدا في سبيل الله ، يجود بالمال قبل الوصول اليه ، وكان مغرما بالانفاق في سبيل الله ، وكان لايلبس الا ما يحل له لبسه ، ومن جالسه لايعلم أنه جليس سلطان ، وكان شديد الرغبة في سماع الحديث ، ما شتم أحدا قط ، ولا كتب بيده ما فيه أذى مسلم . فتح الديار المصرية ، والحجاز ومكة والمدينة ، واليمن من زبيد الى حضرموت متصلا بالهند ، ومن الشام : دمشق وبعلبك وحمص وبانياس وحلب وحماه ، ومن الساحل : بلاد القدس وغزة وتل الصافية وعسقلان ويافا وقيسارية وحيفا وعكا وطبرية والشقيف وصفد وكوكب والكرك والشوبك وصيدا وبيروت وجبلة واللاذقية والشقر وصهيون وبلاطنس ، ومن الشرق : حران والرها والرقة ورأس عين وسنجار ونصيبين وسروج وديار بكر وميافارقين وآمد وحصونها وشهر زور . ويقال : انه فتح ستين حصنا ، وزاد على نور الدين بمصر والمغرب والحجاز واليمن والقدس والساحل وديار بكر وبلاد الافرنج ، ولو عاش عمرا طويلا لفتح الدنيا شرقا وغربا وبعدا وقربا ، ولكنه لم يبلغ ستين سنة .

قال ابن الأثير : ويكفي دليلا على كرمه أنه لما مات لم يخلف في خزانته غير دينار واحد صوري وأربعين درهما ناصرية ، وقال في آخر ترجمته : وبالجملة فقد كان نادرا في عصره ، كثير المحاسن والأفعال الجميلة ، عظيم الجهاد في الكفار وفتوحه تدل على ذلك ، وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا . انتهى .

وقال الفيلسوف عبد اللطيف البغدادي في « رحلته » : أتيت الشام وكان السلطان صلاح الدين بالقدس ؛ فأتيته فرأيت ملكا عظيما يملأ العيون روعة والقلوب محبة ، قريبا بعيدا محببا ، وأصحابه يتشبهون به ويتسابقون الى المعروف . وأول ليلة حضرته ، وجدت مجلسا محفوفا بأهل العلم يتذاكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الاسماع

والمشاركة ، ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ، ويأتي في ذلك بكل معنى بديع ، وكان مهتما ببناء سور بيت المقدس ، وحفر خندقه يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسى به جميع الناس : الأغنياء والفقراء والأقوياء والضعفاء حتى الكاتب والقاضي الفاضل ، ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ؛ فيأتي داره ويمد السماط ثم انه يستريح ، ويركب وقت العصر ويأتي على ضوء المشاعل ، ويصرف أكثر الليل فيما يعمل نهارا ، وكان يحفظ «ديوان الحماسة» . وأطال البغدادي في الكلام عليه ، وسيرته أفردت بالتأليف وأكثرها مطبوع « كالروضتين لأبي شامة » و « سيرته للغزي » و « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية للقاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد(١) » و « سيرته للعماد الكاتب » وغيرهم مما هو معروف ومشهور .

قال ابن شداد في « النوادر » ما خلاصته : ان السلطان لما دنا وقت رحيله الى دار البقاء ، وجد في جسمه كسلا عظيما ؛ فما انتصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية كانت في باطنه أكثر من ظاهره ، وأصبح الصباح وهو متكاسل عليه أثر الحمى ولم يظهر ذلك للناس ، ثم أخذ المرض يتزايد الى أن انتهى لغاية الضعف ، ولما مضى على مرضه أحد عشر يوما ، وتحقق الناس موته؛ أسرع ولده الأفضل في تحليف الناس ، واستحضر القضاة ، وعمل له نسخة يمين مختصرة محصلة للمقاصد ، هذا ولم يزل الحال يشتد بالسلطان صلاح الدين الى أن توفي الى رحمة الله وغفرانه بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وكان يوما شديدا على الاسلام والمسلمين .

وقال صاحب حماة في « تاريخه » : لما مات السلطان غسله الفقيه الدولعي خطيب دمشق ، وأخرج بعد صلاة الظهر في تابوت مسجًى بثوب ، وجميع ما احتاجه من الثياب في تكفينه أحضره القاضي الفاضل من جهة حل عرفها ، وصلى الناس عليه ، ودفن في قلعة دمشق في الدار التي كان مريضا فيها . ثم ان الملك الأفضل عمل لوالدته تربة قرب الجامع ، ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فدفنه بها . انتهى . ويقال : انه دفن معه سيفه الذي كان يحضر به الجهاد ، وتقدم بعض من سيرته فيما مضى من هذا الكتاب . قرأت في « تاريخ المحبي » ما صورته : ان ابراهيم باشا ابن عبد المنان المعروف بالدفتردار نزيل دمشق بنى حماما بالقرب من تربة

---

(١) وهو غير عز الدين الحلبي المعروف بابن شداد صاحب « الأعلاق الخطيرة » .

السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأوقفه وجملة من أملاكه على تدريس فقه وأجزاء رتبها في التربة المذكورة ، فقال أبو بكر العمري في « تاريخه » :

بنى وأوقف ابراهيم دام له　　　منجزا لصلاح الدين حماما

وهذا من التواريخ البديعة بين فيه المراد من غير حشو ، توفي الباني سنة ثلاث وأربعين وألف . انتهى . **قلت :** وهذا الحمام بالقرب من دهليز الجامع الأموي من الجهة الشمالية ، وهو الآن خراب .

الخانقاه (النهرية)

كانت بأول شارع نهر القنوات . قال النعيمي : وهي المشهورة بخانقاه عمر شاه ، وكانت مشيختها والنظر عليها(١) لمحمد ابن الحسيني الحنبلي المصري الدمشقي سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، وللقاضي محمد الحموي المعروف بابن اللبودي . انتهى . **قلت :** وهي موجودة في صورة مفقودة !

حرف الياء

الخانقاه (اليونسية)

كانت بأول الشرف الشمالي ، شرقي الخانقاه الطاوسية(٢) . قال النعيمي : أنشأها الامير الكبير يونس دوادار الظاهر برقوق سنة أربع وثمانين وسبعمائة كما هو مكتوب على بابها ، وفي شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وسبعمائة كما هو مكتوب في الدائر داخلها ؛ ولعل الأول كان ابتداء الشروع في عمارتها ، والثاني كان تاريخ انتهائها ، وذلك بنظر الكافلي بيدمر الظاهر . وشرط في كتاب وقفها الأصلي للشيخ بها وللامام وللصوفية أن يكونوا حنفية آفاقية ، ولم يشترط في المختصر كونهم آفاقية ، وشرط أن يكون الامام بها حنفيا ، وأن يكون بها عشرة من القراء . ووقف عليها الدكاكين خارج باب الفرج ، ثم احترقت في أيام المؤيد شيخ ؛ فعمرها وأدخلها في وقفه ، وعوض

---

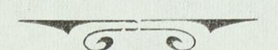
(١) في الاصل اليها .

(٢) كذا في الاصل وقد تقدم ذكرها « الطواويسية » .

عنها الحمام العلاني خارج بابي الفرج والفراديس ، والحمام بكفر عامر ، وآل من ذريته اليها قطعة أرض مسلة(١) الحمام ، والقاعة لصيق الخانقاه . وولي مشيختها شمس الدين عزيز ، ثم شمس الدين ابن عوض . انتهى . وهذه الخانقاه خفي مكانها عني اللهم الا أن تكون هي الزاوية التي هي قبل الطاووسية من الجانب الشرقي التي تسميها العوام زاوية السلطان أبو يزيد والله أعلم .

خانقاه (مجهولة)

حكى في « العبر » في حوادث سنة تسع وستين وستمائة أن ابن السفار أمير الحاج عماد الدين يوسف بن أبي النصر بن أبي الفرج الدمشقي توفي في زمن التتار ووضع في تابوت ؛ فلما أمن الناس نقل الى النيرب ، ودفن بقبته التي في الخانقاه . انتهى . فتراه ذكر خانقاه ، ولم نر من شرح محلها ولا من بناها ، وهي الآن بستان بلا شك !



(١) كذا في الاصل . وفي « الدارس » : « بسكة » ، وهو الاصح .

الباب التاسع في الربط التي كانت بدمشق

رباط (أبي البيـان)

داخل باب شرقي بحارة درب الحجر ، والوقف عليه مكان بجسرين .

ترجمـة البـاني

أبو البيان ابن الحوراني ٠٠٠-٥٥١

٥ قال في « منتخب الشذرات » ما خلاصته : أبو البيان نبا[1] بن محمد بن محفوظ القرشي الشافعي اللغوي الدمشقي الزاهد ، شيخ الطائفة البيانية بدمشق ، ويعرف بابن الحوراني ، كان كبير القدر عالما زاهدا تقيا خاشعا ، ملازما للعلم والعمل والمطالعة ، كثير العبادة والمراقبة ، كبير الشأن بعيد الصيت ، ملازما للسنة ، صاحب أحوال ومقامات ، سمع أبا الحسن علي ابن الموازيني وغيره ، وله تآليف ومجاميع ورد على المتكلمين ، وأذكار مسجوعة وأشعار مطبوعة ، وأصحاب ومريدون وفقراء بهديه ١٠ يقتدون ، وكان هو والشيخ أرسلان شيخي دمشق في عصرهما وناهيك بهما . قاله في « العبر » . دخل يوما الى الجامع الأموي فرأى جماعة في الحائط الشمالي يثلبون أعراض الناس ؛ فقال : اللهم كما أنسيتهم ذكرك فأنسهم ذكري .

قال السخاوي : قبره يزار بباب الصغير . ولم يذكره ابن عساكر في « تاريخه » ٢٠ ولا ابن خلكان في « وفيات الأعيان » . وقال السبكي في « الطبقات الوسطى » : الشيخ أبو البيان شيخ الطائفة البيانية بدمشق ، كان شيخا زاهدا ورعا عابدا ، اماما في اللغة ، فقيها ، له شعر كثير ، وتآليف حسان، توفي يوم الثلاثاء ثاني شهر ربيع الاول سنة احدى وخمسين وخمسمائة . وقال البصروي في « تحفة الأنام » بعد ان ترجمه بمثل ترجمة السبكي : والرباط المنسوب اليه أنشىء بعد موته بأربع سنين ، اجتمع أصحابه على بنائه، ٢٥ وقد أعانهم عليه السلطان نور الدين ، وأوقف عليه مكانا بجسرين .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » نقلا عن الذهبي في « العبر » : « بنا » .

ربـاط (التكريتي)

وجيه الدين التكريتي ٠٠٠–٦٧٠

بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون ، بناه وجيه الدين محمد بن علي بن سويد التكريتي الناصري ، كان معظما عند الملوك ، وصاحب أموال كثيرة ، توفي سنة سبعين وستمائة ، ودفن بتربته برباطه .

ربـاط (زهرة)

٥

بالقرب من حمام جاروخ ، وهو مقابل الفرن المعروف بفرن خليفة . وهذه تعريفات ذكرها النعيمي والعلموي ، ولم نعلم الآن منهما شيئا .

ربـاط (صفية)

قال البرزالي في حوادث سنة ثلاث وثلاثين وستمائة : رباط صفية القلعية بالقرب من المدرسة الظاهرية .

١٠

قال ابن شداد بعد أن ذكر هذه الربط المتقدمة : وثم رباطات أخر ؛ فعدها ، واليك بيانها حسبما ذكرها :

رباط طومان ، من أمراء بني سلجوق ، تحت القلعة .

رباط جاروخ التركماني .

رباط غرس الدين خليل ، كان واليا بدمشق .

١٥

رباط المهراني ، **أقول** : في جادة سوق صاروجا بيت كبير ، وعند بابه شباك فوقه حجر مكتوب عليه بعد البسملة :

هذه تربة الأمير شمس الدين شروة بن حسين المهراني المعروف بالسبع المجانين الحاجي الغازي المجاهد في سبيل الله تعالى ، توفي الى رحمة الله تعالى سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

٢٠

فالظاهر أن الرباط كان هنا ، ومن العجب أن العوام وطلبة العلم يعتقدون أن هـذا

قبر الشيخ مجاهد المفسر التابعي المشهور ؛ والكتابة المذكورة محفورة في الحجر بخط واضح ولا يقرؤونه ، وهذا من التقليد الاعمى نعوذ بالله منه .

رباط البخاري عند باب الجابية .

رباط السقلاطوني[١] .

رباط الفلكي . ٥

رباط داخل باب السلام[٢] .

رباط عذراء خاتون داخل باب النصر .

رباط بدر الدين عمر .

رباط الحبشة ، بمحلة قصر الثقفيين يعني بمحلة المعينية .

رباط أسد الدين شيركوه بدرب زرعة . ١٠

رباط القصاعين .

رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل .

رباط بنت الدفين داخل المدرسة الفلكية .

رباط الدوادار داخل باب الفرج .

رباط الفقاعي في السفح . ١٥

ذكر هذين الرباطين الأخيرين البرزالي في حوادث خمس وثلاثين وستمائة . وقال العلموي :

رباط الوزراء ، بمحلة سويقة صاروجا ، داخل الدخلة التي بها برسباي الحاجب ، شمالي حمامه ، قال : وهو الى الآن موجود . انتهى .

وهذه الربط قد عسر علي معرفة محالها ، ولم أدر من الذي بناها ؛ فنقلتها كما ٢٠

---

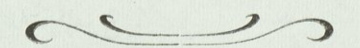
(١) كذا في الأصل ، وفي « الدارس » : « السفلاطوني » .

(٢) ذكر هذا الرباط في « الدارس » منسوبا الى « بنت السلار » .

وجدتها في « تنبيه الطالب ومختصريه » .

اطلعت على كتاب وقف علاء الدين يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري المؤرخ سنة ٧٦٣ ؛ فاستفدت منه ما أذكره :

رباط العرس بين السورين من حي العمارة وهو علوي ، وقد صار اليوم مسجدا . سوق المناخلية كان يسمى سوق البقلي . بيت الآبار قرية بالغوطة . بيت لهيا كانت عند ماصية العادل بالقرب من جسر نهر ثورا من طريق القابون . البحرة المشهورة كانت يقال لها بالو وهي بحرة الهيجانة . تل بني بسيابه بالهيجانة . الملاحة بجهة أراضي بالا . قرية ....[1] والقرية السوداء كانتا عند تلفيتا وصيدنايا . الغار المعروف بالمنقب ، والحقاب هو ما يلي جبل الغار المطل على دوما وأرض معرونية . وقد ذكرت ذلك هنا استطرادا ولا يخلو من فائدة. وبريتايا كانت قرية بالقرب من عربيل ، ويقال لأرضها اليوم : أرض بريتايا .



(١) كذا في الاصل وقد سها المؤلف عن ذكر اسمها .

الباب العاشر في الزوايا [1]

حرف الهمزة

الزاوية (الأرموية)

عبد الله الأرموي
٠٠٠-٦٣١

أقول : الزاوية هي المكان المعد للأفعال الصالحة وللعبادة . وهذه الزاوية كانت فوق الروضة بسفح قاسيون ، أنشأها عبد الله بن يونس الارموي . قال ابن شقدة : هو الزاهد القدوة صاحب الزاوية بجبل قاسيون ، كان صالحا متواضعا مطرحا للتكلف ؛ يمشي وحده ويشتري الحاجة لنفسه ، وله أحوال ومجاهدات وقدم راسخ في العبادة، سافر الأقطار وكان في بدايته لا يأوي الا الى القفار ، قرأ القرآن وتفقه على مذهب أبي حنيفة وحفظ «القدوري» ، وبالجملة فقد كان من عباد الله الصالحين ، وكانت زاويته مطلة على قبر الشيخ موفق الدين ، توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة .

حرف الحاء

الزاوية (الحريرية)

كانت بظاهر دمشق بالشرف الأعلى القبلي ، وكان الناس يجتمعون بها للسماعات ، أنشأها أبو محمد علي بن أبي الحسن بن منصور الدمشقي الفقير .

قال الذهبي في « العبر » : ولد بقرية بصرى[2] من حوران، ونشأ بدمشق وتعلم بها نسج العتابي[3] ، ثم تمفقر ، وعظم أمره وكثر أتباعه، واقبل على المطيبة والراحة والسماعات والملاح ، وبالغ في ذلك ؛ فمن يحسن الظن به يقول : هو كان صحيحا في نفسه صاحب حال ووصول، ومن خبر أمره رماه بالكفر والضلال، وهو أحد من لايقطع له بجنة أو بنار؛ فانا لانعلم بما يختم له به ، لكنه توفي في يوم شريف يوم الجمعة قبل العصر السادس

---

(١) لم يتقيد المؤلف في ذكره للزوايا بالتسلسل الأبجدي فاضطررنا الى ترتيبها أبجدياً مراعاة لنسق الكتاب .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « بسر » .

(٣) نوع من النسيج الحريري .

والعشرين من رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة وقد نيف على التسعين ، مات فجأة . وقال ابن قاضي شهبة في « تاريخه » : وقف على زاويته التي يقال لها : زاوية الحريري ، دراهم في أول أمره فحبسه أصحاب الديون ؛ فأقام ستة أشهر محبوسا ، ثم جبوا له وأخرجوه ؛ فصار كل يوم يتجدد له أتباع الى أن آل أمره الى ما آل اليه .

٥ قال شرف الدين خطيب عقربا : خرج الفلك المشيري يقسم قرية له وأخذ معه جماعة ؛ فلما قسموا ووصلوا الى زُرع قالوا : نمشي الى عند الشيخ الحريري ؛ فقال أحدهم : ان كان صالحا يطعمنا حلوى ساخنة بعسل وسمن وفستق وسكر ، وقال الآخر : يطعمنا بطيخا أخضر ، وقال الآخر : يسقينا فقاعا عليه الثلج . فلما وصلوا تلقاهم بالرحب ، وأحضر شيئا كثيرا من جملته حلوى كما قال ذلك الرجل ، فأمر بوضعها بين يدي

١٠ مشتهيها ، ثم أحضر بطيخا أخضر وأشار الى مشتهيه بالأكل . فلما فرغوا نظر الى صاحب شهوة الفقاع فقال : يا أخي ، كان عندي تحت الساعات أو باب البريد ، ثم صاح: يا فلان ادخل ؛ فدخل فقير وعلى رأسه دست فقاع وعليه الثلج منحوت ، وقال : بسم الله اشرب ! انتهى . وقد نقلت هذه القصة كما رأيتها ، وهي خبر والعهدة على الراوي الأول . ولما مات كانت ليلة مثلجة ؛ فأنشدهم نجم الدين بن اسرائيل :

١٥ بكت السماء عليه ساعة دفنه — بمدامع كاللؤلؤ المنثور
وأظنها فرحت بمصعد روحه — لما سمت وتعلقت بالنور
أوليس دمع الغيث يهمي باردا — وكذا تكون مدامع المسرور

وقال ابن كثير في « تاريخه » : أقام الحريري بدمشق مدة يعمل صنعة الحرير ، ثم ترك ذلك وأقبل على صنعة الفقيري على يد الشيخ علي المغربل تلميذ الشيخ أرسلان ؛

٢٠ فاتبعه طائفة من الناس يقال لهم : الحريرية ، وابتنى لهم زاوية على الشرف القبلي ، وبدت منه أفعال أنكرها عليه الفقهاء كالعز بن عبد السلام ، وابن الصلاح ، وابن الحاجب وغيرهم ؛ فلما كانت مدة الأشرف سجنه بالقلعة مدة سنين ، ثم أطلقه الصالح اسماعيل واشترط عليه أن لايقيم بدمشق ؛ فلزم بلده قرية بصرى الى أن توفي .

قال أبو شامة في « الذيل » : تبعه طائفة من الفقراء المعروفين بالحريرية أصحاب

٢٥ الزي المنافي للشريعة . قال : وكان عند الحريري من الاستهزاء بالشريعة والتهاون بها ، وعنده من شعار أهل الفسوق والعصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كثيرة من أولاد كبراء الدماشقة ، وصاروا على زي أصحابه بسبب أنه خلع العذار ، وجمع في

مجلسه الغناء الدائم والرقص والمردان ، وترك الصلوات ، وكثرة النفقات ، وأضل خلقا كثيرا وأفسد جمعا غفيرا ، وأفتى بقتله جماعة من علماء الشريعة مرارا . انتهى .

ومنن أنكر عليه ولده محمد ، وكان صالحا دينا خيرا يأمر أصحاب أبيه باتباع الشريعة . فلما مات أبوه ؛ طلب منه الجلوس في المشيخة فلم يقبل وانعزل عنهم ، توفي سنة احدى وخمسين وستمائة ، ودفن عند الشيخ أرسلان عن سبع وأربعين سنة . ٥

الزاوية (الحريرية الأعففية)

احمد الحريري
٦٤٤-٧٢٣

كانت بقرية المزة ، والظاهر أن منشئها الشيخ أحمد بن حامد بن سعيد التنوخي الأعفف الحريري لأن ابن كثير قال في ترجمته : انه توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة بزاويته بالمزة ، ودفن بمقبرتها . قال : واشتغل بشبيبته على التاج الفزاري ، ثم صحب الحريرية ، وأخذ عنهم طريقتهم ، ولزم صاحبه الشيخ نجم الدين بن اسرائيل ، وسمع ١٠ الحديث ، وحج مرارا ، وكان مليح الشكل ، كثير التودد الى الناس ، حسن الأخلاق .

الزاوية (الحصنية)

تقي الدين الحصني
٧٥٢-٨٢٩

هي بحي الشاغور ، أوقفها الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الشهير بالحصني الشافعي نسبة الى الحصن قرية من قرى حوران . وقد أنهى نسبه في « شذرات الذهب » الى سيدنا الحسين رضي الله عنه ، وقال : ولد سنة اثنتين وخمسين ١٥ وسبعمائة ، وتفقه بالشريشي والزهري وابن الجابي والغزي والصرخدي وابن غنوم ، وأخذ عن الصدر الياسوفي ، ثم انحرف عن طريقته ، وحط على ابن تيمية وبالغ في الحط ، وتلقى عنه الطلبة بدمشق وثارت بسبب ذلك فتن كثيرة ، وكان يميل الى التقشف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وللناس فيه اعتقاد زائد ، ولخص «المهمات» في مجلد ، وكتب على « التنبيه » . وقال الأسدي : كان الحصني خفيف الروح ٢٠ منبسطا له نوادر ، ويخرج الى المتنزه ، ويبعث الطلبة على ذلك ، مع الدين المتين والتحري في أقواله وأفعاله ، قال : ومال الى التقشف ، ولاسيما بعد الفتنة التيمورلنكية فانه تقشف وانجمع ، وكثرت مع ذلك أتباعه حتى امتنع من مكالمة الناس ، وكان يطلق لسانه

في القضاة وأصحاب الولايات ، وله في الزهد والتقلل من الدنيا حكايات تضاهي ما نقل عن الأقدمين ، وكان يتعصب للأشاعرة ، وأصيب بسمعه وبصره فضعف ، وشرع في عمارة رباط داخل باب الصغير فساعده الناس بأموالهم وأنفسهم ، ثم شرع في عمارة خان السبيل ففرغ في مدة قريبة ، وكان قد جمع تآليف كثيرة قبل الفتنة ، وكتب كثيرا بخطه في الفقه والزهد . وقال السخاوي في « الضوء اللامع » : شرح « التنبيه » و « المنهاج » وشرح « مسلم » في ثلاث مجلدات ، ولخص « المهمات » في مجلدين ، وشرح أحاديث « الاحياء » مجلد ، وشرح « الأربعين النووية » في مجلد ، و « أهوال القيامة » مجلد ، وجمع سير نساء السلف في مجلد ، وله « قواعد الفقه » مجلد ، و « تفسير القرآن الى الأنعام » آيات متفرقة مجلد ، و « تأديب القوم » مجلد ، و « سير السالك » مجلد ، و « تنبيه السالك على مظان المهالك » ست مجلدات ، وشرح « الغاية » مجلد ، وشرح « النهاية » مجلد ، و « قمع النفوس » مجلد ، و « دفع الشبه » مجلد ، « وشرح أسماء الله الحسنى » مجلد ، و « المولد » مجلد ، وتوفي بخلوته بجامع المزاز بالشاغور في نصف جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، ودفن في القبيبات في أطراف العمارة على جادة الطريق عند والدته . وقال ابن قاضي شهبة في آخر ترجمته : والحاصل أنه ممن جمع بين العلم والعمل . انتهى . وأوقف على الزاوية الحصنية الأمير سودون أوقافا ، وأشرك فيها الشيخ محمد ابن أخي الشيخ . ومن كلام تقي الدين الحصني كما ذكره العدوي :

اذا مالت بنا النفس	الى الدنيا تركناها
تخادعنا ونخدعها	وبالصبر غلبناها
لها قوت من الفقر	وفيه قد أنخناها

حرف الدال

الزاوية (الداودية)

عبد الرحمن ابن أبي داود ٧٧٣-٨٥٦

بسفح قاسيون تحت كهف جبريل ، أنشأها عبد الرحمن ابن أبي داود ، وترجمه البرهان بن مفلح في « المقصد الأرشد » فقال : هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود ، الشيخ العالم الناسك مجيد الطريقة وعلم الحقيقة ، تخرج بجماعة من الشيوخ منهم والده ، ونشأ على طريقة حسنة ملازما للذكر وقراءة الأوراد التي رتبها والده ، وكان محببا للناس يتردد عليه النواب والقضاة والفقهاء من كل مذهب ، اشتغل في فنون

كثيرة ، وأخذ العلم عن جماعة ، منهم برهان الدين بن مفلح ، وكتب بخطه كثيراً وكان له قلم حسن مع جودة الخط ، ألف كتبا كثيرة ، منها « الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهو أجلها ، وكان بشوشا متصدرا لقضاء الحوائج ، وكانت كلمته مسموعة في الدولة الشرفية والظاهرية ، وألزم بالكلام على مدرسة الشيخ أبي عمر والبيمارستان القيمري ؛ فحصل به غاية النفع من عمارة جهاتهما وعمل مصالحهما ، وكان يرغب الناس في نفع الفقراء بكل طريق ، توفي آخر ربيع الأول سنة ست وخمسين وثمانمائة ، ودفن بالتربة التي أنشأها عند باب الزاوية . وحصل في أمر الزاوية أمور ، وتولاها من لا يستحقها شرعا . انتهى .

وقال في « شذرات الذهب » ما ملخصه : هو الصوفي القادري شيخ الطريقة ، ومن مؤلفاته : « نزهة النفوس والافكار في خواص النبات والحيوان والاحجار » ، وكتاب « الدر المنتقى المرفوع في أوراد اليوم والليلة والأسبوع » و « المولد الشريف » . وقال جمال الدين ابن المبرد : أعظم زوايا الصالحية زاوية ابن داود ، وهي كان قد بناها والده الشيخ أبو بكر ؛ فزادها ولده الشيخ عبد الرحمن ووسعها ، وجعل لها الأوقاف والمرتبات ، وجعل لها مدارا للماء وصهريجا ومنارة جيدة ومسجدا وخلاوي وميضأة وبيتا للكتب الموقوفة ومساكن للنساء ، ورتب بها اماما ومؤذنا وقيما وواعظا حتى صارت من محال الدنيا الغريبة ؛ يقام فيها الذكر ليلة الثلاثاء ، ويقصدها الناس من كل جهة ، ويجعل لهم ألوان الأطعمة ، ورتب فيها الأوراد كل يوم وليلة وله ورد المساء والصباح الذي يقرأ في غالب بلاد الاسلام ، وعمر خانا بقرب الحسينية من وادي بردى على طريق بعلبك ، وعزل عقبة دمر وغيرها من الطرق ، وعمر مدرسة الشيخ أبي عمر لما كان متوليا عليها ، وكذا البيمارستان القيمري ، وكان نفعه عاما خصوصا في خلاص المظلومين من الظالمين ، توفي عن ثلاث وسبعين سنة ، وقبره مشهور مقصود للزيارة . انتهى .

وقال العلموي : تولى هذه الزاوية بعد موت منشئها الشيخ قاسم الديري الصوفي وكان رجلا جيدا ، ثم تولاها بعده ابن بنته علي بن عمر الصالحي البانياسي وكان قد ركبته ديون ، فجعل يطالب بها ويضيق عليه ؛ فيتسلم أوقافها أصحاب الديون والأواجير(١) منه ؛ فتلاشى أمرها وأمر وقفها ، ثم اضمحل حالها بعد ذلك جدا .

---

(١) كذا في الاصل .

أبو بكر ابن داود (١)

أبو بكر ابن أبي داود ٠٠٠-٦٠٨

هو الباني الأول للزاوية ترجمه ولده عبد الرحمن في شرحه « تحفة الأوراد » ، وابن العماد في « شذرات الذهب » ، فقال في « الشذرات » : هو الشيخ الكبير الولي العارف الشيخ أبو بكر ابن أبي داوود الصالحي ، الحنبلي المسلك ، المخلص الفقيه المتين.
٥ قال الشهاب ابن حجي : كان معدودا في الصالحين وهو على طريقة السنة ، وله زاوية حسنة بسفح قاسيون فوق جامع الحنابلة ، وله المام بالعلم ، ومات في سابع عشر رمضان سنة ست وثمانمائة . انتهى . ودفن بحوش تربته من جهة الشمال قريبا من الطريق . قال الشيخ ابراهيم ابن الأحدب : له التصانيف النافعة، منها « قاعدة السفر »، ومنها « الوصية الناصحة » لم يسبق الى مثلها ، ومنها « النصيحة الخالصة » وغير
١٠ ذلك من التصانيف النافعة الدالة على فقهه وعلمه وبركته، له مغارة في زاويته انقطع عن الخلق فيها . انتهى . وقال ولده في ترجمته : كان متمسكا بأحكام الشريعة ، مائلا الى سد الذريعة ، وأطنب في مدحه ، وذكر أن له كتاب « أدب المريد والمراد » .

الزاوية (الدهستانية)

كانت عند سوق الخيل ولم أدر مكانها، أنشأها الشيخ الدهستاني، وفي بعض نسخ
١٥ « مختصر العلموي » : الدهيناني . قال ابن كثير : توفي سنة عشرين وسبعمائة ، وكان قد أسن وعمر ، وكان يحضر هو وأصحابه تحت قبة النسر ، قال : ودفن لما توفي بزاويته وله من العمر مائة وأربع سنين .

الزاوية (الدينورية)

عمر الدينوري ٠٠٠-٦٢٩

هي بسفح قاسيون ، أنشأها عمر بن عبد الملك الدينوري الزاهد نزيل قاسيون .
٢٠ قال في « الشذرات » : كان صاحب أحوال ومجاهدات وأتباع . انتهى . توفي سنة تسع وعشرين وستمائة . وقال الذهبي : قدم من الدينور الى دمشق ، وسمع الكثير ، ونسخ الأجزاء ، وحصل ، وكان دينا فاضلا عالما . انتهى . وقال العلموي : كان له مريدون وأتباع يذكرون بأصوات حسنة .

---

(١) كذا ذكره وقد أورده في عرض الكلام « أبو بكر ابن أبي داود » .

الزاوية (الدينورية الشيخية)

أبو بكر الدينوري ٠٠٠-٦٦١

هي بالصالحية ، بناها أبو بكر الدينوري . قال في « العبر » : وكان له فيها جماعة مريدون يذكرون الله بأصوات حسنة طيبة ، توفي سنة احدى وستين وستمائة . انتهى . **قلت :** وليس هذا هو الدينوري المشهور ؛ فان ذاك أحمد بن محمد بن أحمد الدينوري البغدادي أبو بكر ، أحد الفقهاء الأعيان ، وأحد أئمة مذهب أحمد ؛ كان محدثا ٥ فقيها ، وتقدم في المناظرة على أبناء جنسه ، وصنف « التحقيق في مسائل التعليق » ، وأخذ عنه الأئمة كالحافظ ابن الجوزي ، وأبي الفتح ابن المنى ، والوزير ابن هبيرة ، وتخرجوا به . ومن كلامه :

تمنيت أن تمسي فقيها مناظرا   بغير عناء فالجنون فنون

وليس اكتساب المال دون مشقة   تلقيتها فالعلم كيف يكون ؟ ! ١٠

توفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بالقرب من قبر الامام أحمد .

حرف الراء

الزاوية (الرفاعية)

ذكرها المحبي في « تاريخه » في ترجمة محمد بن حسن الشهير بابن عجلان ، فقال: وبنو عجلان طائفة بالشام مشهورون بصحة النسب ، وأسلافهم كانوا قدموا من مصر ، ١٥ وسكنوا بزاوية الرفاعية وهي الزاوية المعروفة بزاوية شيخ المشايخ عند مزار سيدي حسن ابن الرفاعي ، وهي زاوية كبيرة فسيحة ، وكانت خربت بسبب فتنة صدرت في أواخر دولة الجراكسة في سنة عشرين وتسعمائة ، وذلك ان السلطان الغوري أرسل حاكما الى دمشق يقال له : النائب، وكان بها حاكم غيره فما أراد تسليمه؛ فتحصن النائب المذكور في زاوية ابن الرفاعي المذكور ؛ فرمى نائب القلعة على الزاوية بأحجار المدافع الكبيرة فهد ايوان الزاوية . قاله البوريني . انتهى .

٢٠

الزاوية (الرومية الشرفية)

شرف الدين الرومي ٠٠٠-٦٨٤

بسفح قاسيون ، أنشأها محمد بن الشيخ الكبير عثمان بن علي . قال في «الشذرات»: هو الرومي الزاهد شرف الدين ، صاحب الزاوية التي بسفح قاسيون ، كان عجبا في

الكرم والتواضع ومحبة السماع ، توفي في جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة وقد نيف على التسعين . قاله الذهبي في « العبر » .

حرف السين

الزاوية (السراجية)

٥ كانت بالصاغة العتيقة داخل دمشق . لم يترجم النعيمي بانيها ، ولكنه نقل عن « ذيل العبر » للحسيني ترجمة الأخميمي وأنه دفن بزاوية ابن اسراج ، فقال : عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الولي الأخميمي المراغي المصري ثم الدمشقي الشافعي ، كان عارفا بالمعقولات ، تخرج بالعلاء القونوي ، وألف أشياء ، منها كتاب « المنقذ من الزلل في القول والعمل » ، توفي سنة أربع وستين وسبعمائة . انتهى .

١٠ **قلت :** وفي آخر سوق السلاح من الجانب القبلي مسجد لطيف وفيه قبر ، فلعل هذا هو الزاوية المذكورة .

زاوية الشيخ (أبي السعود)

أبو السعود ابن هنغري ٠٠٠-٦٠٥

كانت بسفح قاسيون بجانب الروضة من جهة الشرق ، وبها قبر صاحبها . قال العلموي : هو الشيخ الصالح أبو السعود ابن هنغري الجعفري البدوي ، توفي سابع رمضان سنة خمس وستمائة ، وقيل : كان بينه وبين الشيخ أرسلان أخوة ، وخلف قبره قبر يقال : انه قبر الشيخ يوسف الدسوقي . انتهى ملخصا . ١٥

الزاوية (السيوفية)

نجم الدين السيوفي ٠٠٠-٧١٠

بسفح قاسيون على نهر يزيد ، غربي دار الحديث الناصرية والعالمة ، بناها نجم الدين ابن شاه أرمن الرومي السيوفي ، توفي سنة عشر وسبعمائة[1] . قاله الذهبي .

٢٠ وأوقف عليها وعلى ذرية الشيخ نجم الدين الملك الناصر قريتي عين الفيجة ودير مقرن بوادي بردى ، الثلث للزاوية والثلثان للذرية ، وبنى له ولجماعته بيوتا حولها .

(١) لم يذكر المؤلف سنة وفاته وأثبتناها نقلا عن « الدارس » .

حـرف الشين

الزاوية (الشريفيــة)[1]

هي الشريفية ، كانت شرقي الناصرية الجوانية . قال العلمـوي : أنشأها السيد محمد الحسيني ، وكان يقيم الوقت بها ليلة الأربعاء ، ودفن بها . قال : قلت : رأيت قبره بها ، وكان قبلا مسكنا للجلال المصري الشاهد ، ثم للشيخ المعتقد عبد الأحد العجمي ، وهي ظاهرة غير أنها مسكن . انتهى .

محمد الحسيني

٥

أقول : لم يبق لها الآن أثر ، ولم أقف على ترجمة بانيها ولا على مكانها .

حـرف الطـاء

الزاوية (الطـالبيــة)

١٠

طالب الرفاعي
٠٠٠-٦٨٣

هي الطالبية الرفاعية ، كانت بقصر حجاج . قال ابن كثير في حوادث سنة ثلاث وثمانين وستمائة : بها توفي الشيخ طالب الرفاعي بقصر حجاج ، وله زاوية مشهـورة به ، وكان يزور بعض المريدين فمات .

الزاوية (الطيبة)

كانت ، كما قاله النعيمي ، شمالي القيمرية الكبرى عند الرحبة التي كانت الصناديق تباع بها عند دار بني القلانسي ، شرقي حمام سامة . انتهى . **قلت :** وكل هذه التعاريف تغيرت وانقرضت ، والقيمرية الكبرى موجودة بأول القيمرية ، والناس يسمونها بالمدرسة العتيقة وبمدرسة القطاط ، وحمام سامة أمام المدرسة الباذرائية معروف . قال العلموي: ولعل الزاوية المذكورة هي المشهورة بالشيخ فرج . انتهى . والواقف لها الشيخ طه[2] المصري ، وكان كيسا زاهدا ، يتردد عليه الأكابر ، توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة ، ودفن بزاويته .

١٥

طه المصري
٠٠٠-٦٣١

٢٠

---

(١) في « الدارس » : « الشريفية التفاراتية » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « طي » .

حرف العين

الزاوية (العمادية المقدسية)

العماد المقدسي ٦٠٨–٦٨٨

عند كهف جبريل بالسفح ، أنشأها الشيخ العماد أحمد بن العماد بن ابراهيم ابن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الصالحي . قال الذهبي في « العبر » : ولد ٥ سنة ثمان وستمائة ، وسمع من أبي القاسم ابن الحرستاني وجماعة ، واشتغل وتفقه، ثم تمفقر وتجرد ، وصار له أتباع ومريدون أكلة بطلة(١) ، توفي سنة ثمان وثمانين وستمائة .

حرف الغين

الزاوية (الغسولية)

عبد الله الغسولي ٦٥٤–٧٣٧

١٠ وفي « مختصر العلموي » : الغسلولية(٢) ، كانت بسفح قاسيون ، أنشأها عبدالله ابن محمد بن أبي الزهر الغسلولي أو الغسولي ، وكان صوفيا محدثا ، وله مريدون ، توفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

حرف الفاء

الزاوية (الفرنثية)

١٥ **أقول :** هي بسفح قاسيون غربي الخاتونية ، وهناك قبة ولها شباك الى الطريق ، ومحفور بحجر في جدارها بعد البسملة :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » آية ٤١/٣٠ . هذه تربة الفقير الى رحمة الله

علي الفرنثي ٠٠٠–٦٢١

تعالى الشيخ علي الفرنثي ، توفي في العشر الآخر من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين ٢٠ وستمائة . انتهى .

والفرنثي بضم الفاء وسكون الراء وفتح النون وكسر المثلثة . قال في «الشذرات»:

---

(١) كذا في الاصل والأصح بطالون .

(٢) في « الدارس » : « الغسولية » .

هو الزاهد صاحب الزاوية والأصحاب بسفح قاسيون ، وكان صاحب حال وكشف وعبادة وصدق . وقال العدوي في « الزيارات » : زاويته جوار المدرسة المرشدية بصالحية دمشق من جهة الغرب ، وقال : كان رجلا صالحا كبير القدر ، ثم ذكر له أشياء أضربنا عنها لأنا لسنا بصددها . قال ابن شقدة : وفي جدار القبة الشمالي فوق الباب منقوش اسمه وتاريخ وفاته ، على الطريق السلطاني بالزقاق المعروف بين المدارس . ٥
انتهى . **قلت** : والزاوية معطلة مقفلة وربما تداولها أيدي المختلسين . وقال الذهبي : كان الفرنثي صاحب حال وكشف ، وعبادة وصدق ، ورياضات وسياحة . انتهى .

الزاوية (الفقاعية)

يوسف الفقاعي
٠٠٠-٦٧٩

أنشأها الشيخ يوسف الفقاعي . قال في « الشذرات » : هو الزاهد ابن نجاح ابن مرهوب ، كان عبدا صالحا ، كبير القدر قانتا ، له أتباع ومريدون ، توفي في شوال سنة ١٠ تسع وسبعين وستمائة ، ودفن بزاويته بسفح قاسيون ، وقد نيف على الثمانين . قال ابن قاضي شهبة : كان الفقاعي من أهل عقربا قرية من أعمال نابلس . قال الكتبي : وله بها زاوية ، وكان يتردد اليها في كثير من الأوقات ، وله زاوية ورباط بسفح قاسيون ، بنى له ذلك الأمير جمال الدين ابن يغمور ، وكان كثير العبادة والزهد ، كريم الأخلاق لطيف الحركات ، كثير التواضع لين الكلام ، من المشايخ المشهورين بالعرفان ، وللناس فيه ١٥ عقيدة صالحة . قال : ودفن بتربته الى جانب زاويته .

حرف القاف

الزاوية (القلندرية الحيدرية)

هي زاوية ثانية للطائفة المتقدم ذكرها ، كانت ظاهر دمشق بمحلة العونية ، بنيت للشيخ حيدرة ولأتباعه سنة خمس وخمسين وستمائة ، وفي هذه السنة رحلت الفقراء ٢٠ الحيدرية من الشام بعد النفي السابق . كذا قاله النعيمي والعلموي .

الزاوية (القلندرية الدنركزينية)[1]

كانت بمقبرة باب الصغير شرقي محلة مسجد الذبان ، وشرقي مئذنة البصير ،

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الدركزينية » .

وتعرف بالدركزية ، أنشأها محمود بن محمد الدنركزيني(١) الطالبي . ودركزين بدال مهملة ثم نون وراء ساكنة ثم كاف مكسورة ثم زاي معجمة بعدها ياء اسم بلدة من همذان بينهما اثنا عشر فرسخا .

الطائفة (القلندرية)

٥ اني ذاكر هنا أحوال هذه الطائفة كما رأيته مسطورا في أسفار العلماء ، ولا أتعرض لتفنيد شيء من أحوالهم الآن ، بل أقيم نفسي مقام المؤرخ الناقل لا مقام المحقق المنتقد لأن هذا له مجال في مؤلفاتنا ، واليك سيرتهم :

قال الحافظ ابن كثير : دخلت الفقراء الحيدرية الشام سنة خمس وستين وستمائة، وكان من شعارهم لبس الفراجي والطراطير ، يقصون لحاهم ويتركون شواربهم وهو ١٠ خلاف السنة ، وانما فعلوا ذلك متابعة لشيخهم حيدر حينما أسره الملاحدة فقصوا لحيته وتركوا شواربه ؛ فاقتدوا به في ذلك ، وهو معذور مأجور وليس لهم به قدوة ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وبنيت له زاوية بظاهر دمشق قريبا من العونية ؛ رأيت في كتاب « حسن التنبيه » للنجم الغزي ، وقال الصلاح الصفدي في « الوافي بالوفيات » ما صورته :

١٥ محمد بن يونس الشيخ جمال الدين الساوجي الزاهد شيخ الطريقة القلندرية قدم دمشق ، وقرأ القرآن والعلم ، وسكن قاسيون في زاوية الشيخ عثمان الرومي ، ثم حصل له زهد وفراغ عن الدنيا فترك الزاوية وأقام بمقبرة باب الصغير بقرب موضع القبة التي بنيت لأصحابه ، وبقي مدة بقبة السيدة زينب بنت زين العابدين ، واجتمع بالجلال الدنركزيني والشيخ عثمان كوهي الفارسي المدفون بالقنوات بمكان القلندرية، ٢٠ ثم ان الساوجي حلق وجهه ورأسه ولاق حاله بذلك ، وأولئك وافقوه يعني أصحابه ، وحلقوا مثله ، ثم ان أصحاب الشيخ عثمان طلبوا الساوجي ؛ فوجدوه بالقبة ، فسبوه وقبحوا فعله فلم ينطق ، ثم انه اشتهر وتبعه جماعة ، ثم انه لبس دلق شعر ، وسافر الى دمياط فأنكروا هناك حاله وزيه ، ثم آل الأمر الى أن اعتقدوا فيه ، فتوفي بدمياط، وقبره مشهور بها .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الدركزيني » .

وحكى ابن الجوزي في « تاريخه » أنه رأى كراريس بخطه من تفسير له. وجلس في المشيخة بعده بباب الصغير الجلال الدنركزيني وبعده الشيخ محمد البلخي ؛ فشرع لهم الجوالق الثقيلة ، وأقام الزاوية وأنشأها ، وكثر أصحابه ، وكان للملك الظاهر فيه اعتقاد ؛ فلما أن تسلطن طلبه ، فلم يمض اليه ، فبنى لهم السلطان هذه القبة من مال الجامع ، وكان اذا قدم الشام يعطيهم ألف درهم وشقتي بسط ، ورتب لهم ثلاثين غرارة قمح في السنة ، وفي اليوم عشرة دراهم ، وكان السويداوي ، وهو منهم ، يحضر سماط السلطان الملك الظاهر ويمازحه . ولما أنكر الناس على الشيخ علي الحريري في دولة الملك الأشرف موسى ، أنكروا على القلندرية ونفوهم الى قصر الجنيد . وذكر نجم الدين ابن اسرائيل الشاعر أن هذه الطائفة ظهرت بدمشق سنة ست عشرة وستمائة . وكانت وفاة الساوجي المذكور في حدود الثلاثين وستمائة . وقد نكت بعض الشعراء على غلام قلندري فقال :

بدالي في حلق الشوارب فتنة ... فقلت بعقل ذاهل فيه ذاهب

حبيبي بحق الله قل لي ما الذي ... دعاك الى هذا فقال مجاوبي

وعدت بوصلي العاشقين تعطفا ... فلم يثقوا واسترهنوا قوس حاجبي

ابن اسرائيل

هو نجم الدين بن خضر اسرائيل بن خضر بن اسرائيلي الدمشقي صاحب الحريري، كان ظريفا ، مليح النظم ، رائق المعاني لولا أنه شانه بالاتحاد تصريحا وتلويحا ، ومما كتبه الى النجم الكمال :

ياسيد الحكماء هذي سنة ... مثبوتة في الطب أنت ثبتّها

أوكلما كلت جفون سيوف من ... سفكت لواحظه الدماء سننتها

توفي رابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وستمائة عن أربع وسبعين سنة ، ودفن خارج باب توما عند قبر الشيخ أرسلان .

الزاوية (القوامية البالسية)

غربي جبل قاسيون ، والزاوية السيوفية ودار الحديث الناصرية والصالحية والعادلية ، على نهر يزيد . فانظر الى أسماء لامسميات لها الآن ، والى أماكن لاتجدها الا

في صحف التاريخ . وترجم صاحبها ابن العماد في « الشذرات » ، والعدوي في كتاب « الزيارات » ترجمة مطولة ، واليكها خالية عن المبالغة وعما لا ينطبق على عقل . قالا :

ابو بكر بن قوام ٥٨٤-٦٥٨

هو أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي ، كان زاهدا عابدا قدوة ، صاحب حال ، وله زاوية وأتباع ، ولد سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وتوفي أواخر رجب سنة ثمان وخمسين وستمائة ببلاد حلب ، ثم نقل الى دمشق فدفن بزاويته بسفح قاسيون بعد موته بسنتين ، وكان شافعي المذهب ، أشعري العقيدة . ولد بمشهد صفين ، ثم انتقل الى بالس وهي غربي الفرات فنشأ بها ، وألف حفيده الشيخ محمد بن عمر بن أبي بكر في مناقبه مؤلفا حسنا ، وحكى له العدوي في الزيارات كرامات كثيرة ، فمن أحبها فليراجعها فيه وفي « الطبقات الكبرى » للسبكي . قال ابن كثير : ولم يكن لهذه الزاوية وقف ولا مرتب . قال الصفدي : أوقف عليها بعض التجار بعض قرية .

زاوية (الموصلي)

عبد القادر الموصلي

بميدان الحصى ، تنسب الى الشيخ عبد القادر الموصلي ، وتربته بها . قال العلموي بعد ذكر ما تقدم : الزاوية الأولى ، يعني زاوية أبي بكر الموصلي ، نقلتها من « طبقات ابن قاضي شهبة » ، والثانية معزوة الى التاجي ، والتتمة قرأتها من خط مولانا العلامة الشرفي ابن الجابي .

زاوية (بميدان الحصى)

أبو بكر الموصلي ٠٠٠-٧٩٧

قال العلموي : توفي الشيخ الصالح أبو بكر الموصلي سنة سبع وتسعين وسبعمائة بالقدس ، وله مصنفات في التصوف ، وزاوية كبيرة بميدان الحصى ، وكان يحضر مواعيده كبار العلماء فيسمعون منه النكت الغريبة ، وعظم قدره عند السلطان برقوق الظاهر ، وكان يكاتبه ويأمره بما فيه نفع للمسلمين ، وأعطاه مالا فأبى أن يقبله . انتهى ملخصا .

حرف الواو

الزاوية (الوطية)

علاء الدين ابن وطية

شمالي جامع جراح ، ويقال لها : زاوية المغاربة ، أوقفها الرئيس علاء الدين علي

المشهور بابن وطية الموقت سنة اثنتين وثمانمائة ، وجعلها برسم المغاربة على اختلاف أجناسهم بشرط أن لايكون النازل بها مبتدعا ولا شريرا ، وأوقف عليها حوانيت وطباقا حولها ، وشرط على شيخها أن لايكون بأبواب القضاة والحكام .

حرف الياء

الزاوية (اليونسية)

٥

كانت بالشرف الشمالي غربي الوراقة والعزية البرانية ، بنيت للشيخ يونس الآتي ذكره .

الطائفة (اليونسية وشيخهم)

أقول : هذا الاسم يطلق على طائفتين : احداهما من الشيعة وهم أتباع يونس ابن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين ، ولهم اعتقاد غريب ، والثانية من الصوفية وهم أتباع يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي القني نسبة الى القنية من نواحي ماردين . ولنذكر هنا الطائفة الثانية لأنها المقصودة هنا ، ثم نتبعها بالاولى استطرادا . فأما يونس المخارقي ، فقال الذهبي في « العبر » عنه : هو شيخ الطائفة اليونسية أولي الشطح والذعارة وقلة العقل وكثرة الجهل أبعد الله شرهم ، وكان رحمه الله صاحب حال وكشف يحكى عنه كرامات ، وحكى له ابن خلكان حكايات يطول بنا ذكرها . ومن شعره مواليا :

١٠

يونس الشيباني
٥٢٩-٦١٩

١٥

أنا حميت الحمى وأنا سكنت فيه	وأنا رميت الخلائق في بحار التيه
من كان يبغي العطا مني أنا أعطيه	أنا فتى ما أداني من به تشبيه

وله :

اذا صرت سندانا فصبرا على الذي	ينالك من مكروه دق الطارق
لعل الليالي أن تعيدك ضاربا	فتضرب أعناق العدى بالبوارق

٢٠

توفي ، كما ذكره في « الشذرات » ، سنة تسع عشرة وستمائة بقرية القنية وقد ناهز التسعين ، وقبره مشهور هناك . وقال ابن خلكان عن الشيخ يونس هذا : تنسب

الطريقة اليونسية اليه ، ويعرفون به ، وكان رجلا صالحا ، وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه ، فقالوا : لم يكن له شيخ وانما كان مجذوبا ، وهم يسمون من لاشيخ له بالمجذوب يريدون بذلك أنه جذب الى طريق الخير والصلاح ، ويذكرون له كرامات كثيرة . انتهى . وفيه كلام طويل . **أقول** : ان نقل الكرامات أصبح أمرا عسيرا لأن أصحاب الرجل يستعملون الغلو دائما ، والاخبار تحتمل الصدق والكذب . وكثيرا ما أرى كرامة لرجل قد نسبها له المتأخرون ، ثم أراها بعينها في ترجمة من قبله ومن قبله . وتارة ينقل المترجم الكرامة ولا يتفطن لمناقضتها الشرع والعقل ، وأنا أضرب لك مثالا ليتضح به المرام ، وهو ما حكاه ابن خلكان وصاحب « شذرات الذهب » عن الشيخ يونس ، ذلك أن ابن خلكان قال : سألت رجلا من أصحابه عنه ، فقال : كنا مسافرين والشيخ يونس معنا ، فنزلنا في الطريق بين سنجار وعانة وهي مخوفة ، فلم يقدر واحد منا أن ينام من شدة الخوف ونام الشيخ يونس ، فلما انتبه قلنا : كيف قدرت تنام؟ فقال : والله ما نمت حتى جاء اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وتدرك القفل ، ودخلنا سالمين ببركة الشيخ يونس . فانظر أولا الى المتكلم ، ولو حملناه على محمل حسن وقلنا : انه صادق ، فهل يليق به أن يجعل سيدنا اسماعيل أو والده الخليل عليهما الصلاة والسلام حارسين عنده لينام نوما هنيئا وهما ساهران كالأجير الذي يأخذ أجرته ، ويدافع عن مال سيده ؟! وهب أن الأمر صحيح ، فكيف جاز له الاتكال على غير الله سبحانه وتعالى؟! نعم ! لو قال : اني قبل نومي دعوت الله تعالى ، وفوضت أمري وأمر القافلة اليه ، لكان كلامه مقبولا ! ثم ليت شعري هل ذلك الراوي صادق فيما نقله ، أو هو عدل مرضي الشهادة أم لا ، مع أن رواة الحديث لانصدقهم حتى تتحقق لنا عدالتهم ، ونعلم صدقهم؟! فكيف نجيز قبول خبر واحد مجهول الحال ؟! تالله ما هذا الا هذيان ، وعدم تمكن من العلم الصحيح !

وحكى الذهبي عن الشيخ أنه كان زاهدا كبير الشأن ، له الأحوال والمقامات والكشف ، وذكر أيضا أنه سمع شيخ الاسلام ابن تيمية ينشد للشيخ يونس بيتا ظاهره شطح والحاد ، قال : وبالجملة لم يكن الشيخ من أولي العلم ، بل كان من أولي الحال والكشف ، وكان عاريا عن الفضيلة ، وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يتوقف في أمره ، ثم أطلق لسانه فيه وفي غيره من الكبار ، والتثبت مما ينقل عن الرجل أولى .

وأما أتباعه ، فقال الذهبي : هم شر طوائف الفقراء ، ولهم أعمال تدل على الاستهتار

والانحلال قولا وفعلا أستحيي من الله ومن الناس التفوه بها ، قال : ولا يغتر مسلم بكشف ولا بحال؛ فقد تواتر الكشف والبرهان عن الكهان والرهبان، وذلك الهام الشيطان، أما حال أولياء الله وكراماتهم فحق ، وأخبار ابن صياد بالمغيبات حال شيطاني ، وحال عمر بن الخطاب ، يعني لما قال : ياسارية الجبل الجبل ، وحال العلاء الحضرمي ، حال رحماني ملكي . وكثير من المشايخ يتوقف في أمر مثل يونس والحريري وغيرهما؛ فلم يتبين لهم من أي القسمين هم . قال الشيخ شهاب الدين ابن العماد في كتابه « الانتقاد على طائفتي الشهود والعقاد » : لو جهلنا فسق الشاهد ولكن رأيناه يظهر الكرامات والمشي على الماء والطيران في الهواء ، لم ينعقد النكاح به لثلاثة أوجه :

أولها أنه يجوز اظهار الكرامة على يد الكافر ؛ كما ظهرت على يد السامري في رؤيته لفرس جبرييل[1] عليه السلام ، دون بني اسرائيل ، حتى قبض قبضة من أثر الرسول يعني أخذ من تراب موضع حافر فرسه .

الثاني أن الولي يجب عليه اخفاء الكرامة كما صرح به أبو محمد في أول كتابه في « اللطائف والحكم » .

الثالث لو رأيت صاحب بدعة يطير في الهواء لم أقبله حتى يتوب من بدعته . ذكره أبو نعيم في ترجمة الشافعي .

وقال الذهبي : كان أبو عمرو الدمشقي زاهد الشام يقول : فرض على الولي كتمان الكرامات لئلا يفتتن بها . وقال أبو يزيد البسطامي : لو نظرتم الى رجل أعطي من الكرامات حتى يرفع في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وآداب الشريعة . انتهى . وحكى لنا بعض أصحابنا الثقات أنه دخل على رجل من أهل زمننا في دمشق ليزوره مع جماعة ، وكان الرجل قد أقام في بلاد الهند أعواما، وحمل أصحابه على جمع كتاب له في كراماته وطبعه ، قال : فلما زرناه ، وأذن لنا في الذهاب قام لوداعنا ؛ فأصاب طرف جبته كأسا من البلور كان موضوعا على كرسي ؛ فسقط على السجادة ثم تدحرج على البلاط ولم ينكسر ، فقال أحد أحبابه : هذه كرامة للشيخ ! فأعجب الشيخ بكلامه وتبسم وقال : لنا مثل ذلك كثير ، يعني أن كراماته

(١) كثيرا ما تقدمت كلمة جبرييل في الكلام وأصلها جبرئيل كما في « اللسان » وكأنَّ المؤلف رحمه الله خفف الهمز وأبدله بياء لسهولة اللفظ .

لاتحصى . فانظر الى هذه الخزعبلات وتدبرها بعين العقل ، واياك أن تحيد عن منهج الكتاب والسنة . وبسط هذا البحث له مجال في كتبنا .

وأما الطائفة الاولى وهي من الشيعة ، فهم أتباع يونس بن عبد الرحمن القمى مولى آل يقطين ، زعم أن الملائكة تحمل العرش ، والعرش يحمل الرب تعالى ؛ اذ قد ورد في الخبر أن الملائكة تئط(١) أحيانا من عظم وطأة الباري تعالى . وهو من مشبهة الشيعة ، وقد صنف لهم كتبا في ذلك ، ومقالته مشهورة في كتب الملل والنحل فلا نطيل بها. ٥

وقد تولى الزاوية اليونسية جماعة ، منهم سيف الدين الرجيحي بن سابق بن هلال ابن يونس شيخ اليونسية ، قال ابن كثير : وكانت له حرمة كبيرة عند الدولة وعند طائفته ، وكان ضخم الهامة جدا ، محلوق الرأس ، توفي سنة ست وسبعمائة ، وتوفي ولده عيسى سنة خمس وسبعمائة ، ودفن بالزاوية . ١٠

زاوية (بحارة الجوبان)

عبد القادر الرجيحي ٨٥٢-٠٠٠

بناها القاضي عبد القادر بن محمد بن عمر بن عيسى بن يوسف ابن الرجيحي ابن سابق ابن هلال ابن الشيخ يونس اليونسي الشيباني الحنبلي، ولد سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، واشتغل بالعلم ، وتولى زاوية جده اليونسية ، وكان بالمزة ، ثم انتقل الى الصالحية وبنى بها زاوية بحارة الجوبان ، ووقف عليها وقفا . ١٥

زاوية (ابن التتمة)

ابن التتمة

هي بميدان الحصى ، بناها ابن التتمة لسبط الموصلي ، وهو كردي شهرزوري من ذرية السلطان صلاح الدين أيوب .



(١) تئط : تصوت .

الباب الحادي عشر في الترب

المراد بالترب هنا هي[1] الترب الخاصة التي بناها أناس ليدفنوا بها ، وجعلوا لها جهات بر وصدقات ، وليس المراد بها الترب العمومية . واني سأذكرها من غير أن أفحص بنفسي عن محالها لأن هذا لافائدة فيه بعد فناء موتاها .

حرف الهمزة

٥

التربة (الأجرية)

أبو بكر البغدادي
٠٠٠-٣٦٠

هي في العقيبة مقابل باب جامع التوبة الشرقي بينها وبين الجامع الطريق ، بها قبر أبو بكر محمد بن الحسن البغدادي المحدث الثقة الضابط صاحب التصانيف والسنة ، كان حنبليا ، وله مصنفات في مذهب أحمد منها كتاب « النصيحة » ، توفي سنة ستين وثلاثمائة .

١٠

التربة (الأتابكية)

تركان خاتون
٠٠٠-٦٤٠

بسفح قاسيون بالصالحية ، أوقفتها الحجة الأتابكية امرأة الأشرف موسى صاحبة المدرسة المعروفة بالتابكية[2] توفيت سنة أربعين وستمائة .

التربة (الأخنائية)

برهان الدين الاخنائي
٠٠٠-٩٥٤

١٥

هي تربة القاضي برهان الدين ابراهيم بن أحمد الاخنائي الشافعي الدمشقي ، كان من العلماء الرؤساء وأحد قضاة العدل ، وكانت له ديانة ومهابة ووقار . أنشأ هذه التربة قرب جامع جراح ، توفي سنة أربع وخمسين وتسعمائة ، ودفن بها .

---

(١) وردت في الاصل ولا لزوم لها .

(٢) وهي المدرسة الأتابكية من المدارس الشافعية .

التربة (الأرسلانية)

أبو عامر المؤدب

هي تربة مشهورة بظاهر باب توما ، ويقال لها : تربة أبي عامر المؤدب ، وهو مدفون في القبر القبلي ، والشيخ أرسلان في القبر الأوسط ، وخادمه أبو المجد في القبر الثالث ، وكان أبو عامر هذا شيخ الشيخ أرسلان .

٥

الشيخ أرسلان

ارسلان بن يعقوب ٠٠٠-٥٩٩

قال الشيخ عبد الرحمن البصروي في « تحفة الأنام » : هو الشيخ أرسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله ، أصله من قلعة جعبر ، ثم أتى الشام وكان نشارا ، وصحب أبا عامر المؤدب ، ثم اشتهر بالصلاح والزهد ، قيل : انه كان ينشر الخشب ثم يقسم أجرته أثلاثا ؛ فيجعل ثلثا للنفقة ، وثلثا للصدقة ، وثلثا للكسوة ، وكان أولا يتعبد في مسجد صغير داخل باب توما وهو معروف الآن بمقامه ، وحفر البئر الذي هناك بيده، وكان بيته طبقة صغيرة ، والى جانب الطبقة دكان حياكة . ثم ان نور الدين اشترى دارا مجاورة للمسجد ووسعه ، وبنى له منارة ، ووقف عليه . ثم خرج الشيخ أرسلان الى ظاهر باب توما الى مسجد خالد بن الوليد وكان هذا مكان خيمته حين فتح دمشق رضي الله عنه ، فعمر هناك مسجدا ، وأقام فيه الى أن توفي بعد الأربعين وخمسمائة . وذكره صاحب « شذرات الذهب » في جملة من توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وقال : توفي في حدودها . وقال المناوي : توفي قبل الستمائة . وترجمه المناوي ، ونقل عن تقي الدين السبكي أنه حضر سماعا عنده فكان يطير في الهواء ، وهذا ليس بصحيح لأن السبكي لم يدركه قطعا ، وأظن أن والده لم يدركه ، فكيف يصح منه نقل المشاهدة ؟ والصحيح أن الشيخ أرسلان توفي بعد الأربعين وخمسمائة ، وكان زاهدا قدوة من أكابر مشايخ الشام ، ومن كلامه : الحسد مفتاح كل شر ، والغضب يقيمك على أقدام الذل والاعتذار ، والكريم من احتمل الأذى ولم يشك عند البلوى . وله الرسالة المشهورة التي أولها : كلك شرك خفي يا ابن آدم . وشرحها القاضي زكريا الأنصاري ، والشهاب أحمد ابن الطيبي ، وعلاء الدين بن صدقة ، والشيخ عبد الغني النابلسي . ومن نظمه :

يا من علا فرأى ما في الغيوب وما	تحت الثرى وظلام الليل منسدل
أنت الغياث لمن ضاقت مذاهبه	أنت الدليل لمن حارت به الحيل

أنا قصدناك والآمال واثقة — والكل يدعوك ملهوف ومبتهل
فان عفوت فذو فضل وذو كرم — وان سطوت فأنت الحاكم العدل

وترجمه البصروي بترجمة طويلة الله أعلم بصحتها ، وغاية قولنا فيه : انه كان من عباد الله الصالحين .

٥

التربة (الأستدارية)

شمس الدين ابن استاذدار
٠٠-٦٢٨

جوار تربة ابن سميرك[١] بقاسيون ، أنشأها الملقب شمس الدين ابن استاذدار الأمير استدار[٢] ، وكان كيسا متواضعا حسن العشرة ، جوادا ، من بيت مشهورا ، مات سنة ثمان وعشرين وستمائة[٣] ، ودفن بتربته .

التربة (الأسدية)

علي الأسدي
٥٥٢-٦١٨

١٠

هي بالجبل ، أوقفها علي بن عبد القادر القرشي الأسدي الزبيري الدمشقي ، وكان له اعتناء بالحديث ، توفي سنة ثماني عشرة وستمائة .

التربة (الأفريدونيــة)

١٥

أفريدون العجمي
٠٠٠-٧٤٩

هي تربة ، وبها دار قرآن ، شرقي جامع حسان ، خارج باب الجابية بالشارع الأعظم ، غربي خندق سور المدينة ، قريبا منه ، ومن تربة الأمير بهادر المنصوري ، ومن تربة الأمير فرج بن منجك ، شماليهما ، أوقفها أفريدون العجمي وكان تاجرا كبيرا ، وأوقف أيضا المدرسة الأفريدونية بباب الجابية ، وهي مليحة جدا ، توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

والذي ذكره النعيمي من وقفها : المزرعة المعينية جوار العديل بالمرج ، وبستان معبد بقرية زبدين ، وخمس قطع أراضي بقينية ، وحصة من بستان يعرف بدف الجوز

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « تميرك » ، استاذدار وكذلك في « القلائد الجوهرية » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « شمس الدين ابن استادار الامير » ، وفي « القلائد » : « استاديار » .

(٣) لم ترد كلمة ستمائة في الاصل ، وقد سقطت سهوا من المؤلف .

بالجيم بأرض أرزة ، ونصف قرية مكالة من بصرى ، وبستانان بقرية عين ترما ، وقطع أراضي تعرف بحقول العجمي بقرية كفر بطنا ، والحصة من قاعة الحديثي بقصر حجاج، والحصة من خان الطحين بباب الجابية ، ومحاكرة ابن الصلاح الغزولي جوار مدرسة الباذرائية ، وقاعة النشا تجاه التربة من الغرب ، وربع القيسارية ، وبستان تل كفرثوثا،
٥ وبيت بزقاق الداراني ، وبيت بزقاق حمام الزين ، وقاعة واصطبل داخل باب الفراديس بزقاق الماء ، وبيتان بحارة القصاصية ، وبيتان بقرية كفرثوثا ، وشيء من تل الشعير .

التربة (الأكزية)

أكز الفخري
٠٠٠—٨٣٣

هي قبلي تربة بهادر ، وشرقي تربة يونس الدوادار ، خارج باب الجابية ، أوقفهـا أكز الفخري ، وكان مملوكا اشتراه الأمير أياس وعمره سبع سنين ، ثم صار أمير طبلخانة
١٠ بالشام ونائب القلعة ، وكانت مكاتباته الى مصر لاترد ، ثم عزل عن نيابة القلعة ، وعمر تربته عمارة حسنة ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، ودفن بتربته .

التربة (الأيدمرية الأولى)

أيدمر الصالحي
٠٠٠—٦٦٧

بالقرب من اليغمورية بحارة السكة بالسفح ، وهي تربة الأمـير أيدمر بن عبدالله الحلي(١) الصالحي ، كان من أكابر الأمراء ، وكان الملك الظاهر يستنيبه اذا غاب ، توفي
١٥ سنة سبع وستين وستمائة ، ودفن بتربته . وقال في « الذيل الشافي » : أيدمر الحلي الصالحي كان ينوب عن الملك الظاهر بيبرس بالقاهرة في أسفاره ، وكان قليل الخبرة بالأمور ، ومع ذلك كان له ثروة ، وخلف من الأموال والأملاك مايستحيا من ذكره .

التربة (الأيدمرية الثانية)

أيدمر الظاهري
٠٠٠—٧٠٠

هي عند الجسر الأبيض بالخانقاه العزية ، أنشأها الأمير أيدمر عز الدين الظاهري
٢٠ المتقدمة ترجمته في الخانقاه العزية ، المتوفى سنة سبعمائة ، وسماها العلموي بالتربة العزية .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الحلبي » .

التربة (البالجية)

حسن البالجي
٠٠٠–١٠٠٢

ذكر المحبي هذه التربة في ترجمة البالجي فقال : حسن باشا المعروف ببالجي المدفون بالجنينة الحمدانية تحت قلعة دمشق على حافة نهر بردى من جهة شرقها المدرسة الأيدغمشية ، كان حسن باشا أمير صفد ، سكن الشام مدة ، ثم ولي حكومة طرابلس الشام ثم القرص ، وكان من أنصف الحكام ، توفي بالقرص سنة اثنتين بعد الألف ، وحمل منها في صندوق في محفة الى دمشق ، ودفن في تربته المذكورة وكان أنشأها في حياته ، وأوقف على التربة أربعة أجزاء تقرأ بعد الظهر . انتهى . **قلت :** أما الجنينة فقد ذهبت ، وأما التربة فهي موجودة الآن عن يسار الذاهب الى الجهة الشمالية على جانب نهر بردى .

قال المحبي في « سلك الدرر » في ترجمة عبد الله بن محمود العباسي المعروف بمحمود زاده ، المتوفى سنة اثنتين وأربعين وألف : تولى المذكور قضاء الشام سنة ثلاثين وألف ، وجدد من ماله بها تعمير ثلاث قباب لزوجتي النبي صلى الله عليه وسلم المدفونتين بمقبرة باب الصغير وهما أم سلمة وميمونة على قول . **قلت :** وذلك قول شاذ مخالف لما أطبق عليه المؤرخون من أن زوجاته لم يمت أحد منهن خارج أرض الحجاز . وأما ميمونة فقد ذكر الحافظ الباجي أنها ماتت بسرف وهو ماء معروف على أميال من مكة ، ودفنت ثمة بالاتفاق ، وكان صلى الله عليه وسلم بنى بها هناك أيضا بعد عمرة القضاء .

وبنى على قبر أبي بن كعب خارج الباب الشرقي قبتين ويليهما مسجد ، وصرف على ذلك من خالص ماله مائة ألف دينار . قال : وكان المذكور وقورا له فصاحة منطق وحسن صوت ، وهو في العفة الغاية التي لاتدرك ، وكان كريما مفرط السخاء ، وكان يحسن الى المحتاجين من الفقراء والأيتام والأرامل والمساكين ، والحاصل أنه التزم أن يصرف جميع ما حصله في أيام قضائه بدمشق على جهات الخير ، وخرج منها مديونا .

التربة (البدرانية الحمزية)

حمزه ابن شيخ السلامية
٠٠٠–٧٦٩

بسفح قاسيون عند جامع الأفرم ، أنشأها حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين ابن بدران الامام العلامة الحنبلي المعروف بابن شيخ السلامية ، سمع من الحجار ، وتفقه

على جماعة ، ودرس بالحنبلية وبمدرسة السلطان حسن بالقاهرة ، وأفتى ، وصنف تصانيف عديدة ، وله كتاب « الاستدراكات على كتاب الاجماع » لابن حزم ، وشرح على « أحكام المجد ابن تيمية » قطعة صالحة . واختار بيع الوقف للمصلحة موافقة لابن قاضي الجبل ، وكان له اطلاع جيد ونقل مفيد على مذاهب العلماء المعتبرين ، واعتناء بنصوص الامام أحمد وفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية وله فيه اعتقاد صحيح وقبول لما يقوله ، وكان ينصره ويعادي فيه ، ووقف درسا وكتبا بتربته بالصالحية ، وعين لذلك الشيخ زين الدين بن رجب ، توفي بالصالحية ليلة الأحد حادي عشرين ذي الحجة سنة تسع وستين وسبعمائة ، ودفن عند والده وجده عند جامع الأفرم . قاله ابن مفلح في « الطبقات » وابن العماد في « الشذرات » .

التربة (البدرية الأولى)

بدر الدين ابن الوزيري
٠٠٠-٧١٦

هي بميدان الحصى فوق خان النجيبي ، أنشأها بدر الدين محمد ابن الوزيري ، كان من الأمراء المقدمين ، ولديه فضيلة وخبرة ومعرفة ، وكان حاجب ميسرة ، وتكلم في الأوقاف وفيما يتعلق بالقضاة والمدرسين بمصر ، ثم نقل الى دمشق فمات بها سنة ست عشرة وسبعمائة ، ودفن بتربته ، وخلف مالا كثيرا .

التربة (البدرية الثانية)

بدر الدين حسن
٠٠٠-٨٢٤

مقابل الشيخ أرسلان ، وهي تربة الأمير بدر الدين حسن ، بناها سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وكان أولا معمما ، ثم خدم المؤيد شيخ نائب طرابس الى أن صار وزيرا بمصر ، ثم انه عادى جميع المباشرين ؛ فأبعده السلطان ، ثم سلمه الى الأمير أرغون شاه فعاقبه بأنواع العقوبات ، وآل أمره الى أن غمره بالبسط حتى مات سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، ودفن في تربته ، وكان قد بناها أيام مباشرته بدمشق ، وجعل فيها مسجدا ومكتبا للأيتام .

التربة (البرسبائية الناصرية)

هي بسويقة صاروجا غربي الشامية البرانية ، أنشأها وأنشأ الجامع لصيقها

برسباي الناصري
٠٠٠–٨٥٢

الحاجب الكبير بدمشق برسباي الناصري ، ووقف عليها وقفا جيدا جليلا ، ثم ولي نيابة طرابلس ، ثم حلب ، ثم طلب الاقالة منها فأقيل ، وتجهز الى دمشق وهو مريض ؛ فمات في الطريق بمنزلة سراقب ، فحمل منها الى دمشق ، ودفن بتربته سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . وقال في « الذيل الشافي » : كان المترجم مشكور السيرة ، لكنه لم يشتهر بشجاعة ولا كرم ، وقال : توفي سنة احدى وخمسين وثمانمائة . ٥

وقال السخاوي في « الضوء اللامع » : سيباي الأشرف أينال نائب غزة ، ثم حاجب دمشق ، ثم نيابة حماة ، وهو أخو قانصوه ، مات في التجريدة . انتهى .

الأمـير (صاروجا)

صارم الدين
صاروجا
٠٠٠–٧٤٣

انا لنذكر على سبيل الاستطراد باني سوق صاروجا ، فأقـول : ترجمه صاحب « شذرات الذهب » ، فقال ما حاصله : الأمير صارم الدين صاروجا بن عبد الله المظفري، ١٠ كان أميرا في أول دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون بالديار المصرية ، وكان صاحب أدب وحشمة ومعرفة ، ولما أعطى الملك الناصر تنكز امرة غزة ، جعل صاروجا هذا آغاة له وضمه اليه ؛ فأحسن صاروجا لتنكز ودربه ، واستمر الى أن حضر الملك الناصر الكرك ؛ فاعتقله ، ثم أفرج عنه بعد عشر سنين تقريبا ، وأنعم عليه بامرة صفد فأقام بها نحـو سنتين ، ونقل الى دمشق أميرا بها بسفارة تنكز نائب الشام ، فلما وصل الى دمشق ١٥ عرف له تنكز خدمته السابقة وحظي عنده ، وصارت له كلمة بدمشق ، وعمر بها عمائر مشهورة منها : السويقة التي خارج دمشق الى جهة الصالحية . ولما أمسك تنكز سنة أربعين وسبعمائة ، أمسك بسببه ، وحضر مرسوم بتكحيله ، فكحل وعمي ، ثم ورد من الغد مرسوم آخر بالعفو عنه ، ثم جهز الى بيت المقدس ، فأقام به الى أن مات في أواخر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . هذه ترجمة باني سوق صاروجا ، وللعوام فيه تأويلات ٢٠ كاذبة لا أصل لها .

سوق (جقمق)

حيث أننا ذكرنا ترجمة باني سوق صاروجا فلنذكر ترجمة باني سوق جقمق . قال في « الشذرات » ما حاصله :

سيف الدين جقمق
٠٠٠-٨٢٤

جقمق كان من أبناء التركمان ، فاتفق مع بعض التجار أن يبيعه ويقسم ثمنه بينهما ففعل ؛ فتنقل في الخدم حتى تقرر دويدارا ثانيا عند الملك المؤيد قبل سلطنته ثم استمر ، وكان يتكلم بالعربية لايشك من جالسه أنه من أولاد الأحرار ، ثم استقر دويدارا كبيرا الى أن قرره الملك المؤيد في نيابة الشام ؛ فبنى السوق المعروف بسوق جقمق ، وأوقفه على المدرسة التي بناها قرب الأموي ، ثم أظهر العصيان لما مات الملك ٥ المؤيد . قال المقريزي : كان سيء السيرة شديدا في دواداريته على الناس ، حصل أموالا كثيرة ، وكان فاجرا ظلوما غشوما لايكف عن قبيح ، قتله ططر بدمشق بعد أن صادره في أمواله في أواخر شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، ودفن بمدرسته لصيق الكلاسة . قال ابن تغري بردي في « الذيل » : وأصله من مماليك أرغون شاه ١٠ أمير مجلس .

التربة (البزورية)

محفوظ ابن البزوري
٦٣١-٦٩٤

بسفح قاسيون . قال النعيمي : فوق سوق القطن ، أنشأها محفوظ بن معتوق البغدادي المعروف بابن البزوري ، وأوقف عليها كتبه ، وكان تاجرا سريا ، ومحدثا ، جمع تاريخا جعله ذيلا على « المنتظم في تاريخ الأمم » للحافظ ابن الجوزي ، توفي سنة ١٥ أربع وتسعين وستمائة ، ودفن بها . وفي « الشذرات » ، بعد أن ذكر نحوا مما تقدم : روى عن ابن القسطي ، وكان نبيلا سريا ، وهو أبو الواعظ نجم الدين .

التربة (البصية)

أمين الدين ابن البص
٠٠٠-٧٣١

خارج باب الجابية ، جوار مسجد الذبان ، تجاه وجه المار في الطريق الى القبلة ، والمئذنة شرقيه على جانب المقبرة ، وهذا المسجد شرقي التربة الركنية المنجكية . قال ٢٠ النعيمي : وعنده مصلى على الجنائز ، وهي تربة أمين الدين ابن البص ، وكان رجلا محبا للخير . وقال البرزالي : أنفق في وجوه الخير مائتي ألف وخمسين ألفا ، وعمر خانا بالمزيريب ، ومسجد الذبان والمئذنة والتربة وغير ذلك ، ووقف عليها الأوقاف ، وقرر الوظائف . قال : ورأيت تجاه المسجد المذكور في الدائر الحجر المنحوت الفوقاني بالعتبة[1] ما صورته بعد البسملة :

---

(١) كذا ورد التعبير !!

جدد عمارة هذا المسجد المبارك والمئذنة والتربة العبد الفقير الى الله تعالى الحاج عثمان بن أبي بكر بن محمد التاجر السفار غفر له . ووقف على مصالح هذا المسجد والمئذنة والتربة ، وعمارته وفرشه وتنويره ، وعلى الامام والمؤذن والقيم به : جميع المعصرة وعلوها المسجد ، والطبقتين غربيه ، والطبقة من شرقي المئذنة ، والطبقة شرقي المسجد ، والطباق التي من شمالي المئذنة وشرقي الأرض التي هي قبلي المعصرة ، والدكاكين التي غربي المعصرة ، يصرف على ما نطق به كتاب وقف ذلك الثابت المحكوم به، وكان الفراغ منه سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة . وتوفي الواقف سنة احدى وثمانين وسبعمائة .

التربة (البلبانية الأولى)

بلبان المحمودي

بطريق الصالحية غربي سويقة صاروجا ، أنشأها الأمير بلبان المحمودي ، وكان أتابك عساكر دمشق في زمن المؤيد ، ثم سجن بقلعتها ، ونفي الى طرابلس ، ثم أعطي تقدمة عشرين ، ثم انتقل الى تقدمة خير منها وهي التي كان ، اقطاع الحجوبية ، والقصير منها ، والمعظمية أيضا ، وكان أمير الشاميين في غزوة قبرص، وابتنى دارا حسنة، وعمر مصنعا في غباغب ، واشترى نصف البلد من السلطان ، ووقفه عليه . وقد اختلفت نسخ التاريخ التي بيدي في تاريخ وفاته اختلافا كبيرا فتركت ذكره . قال العلموي ما خلاصته : هذه التربة كان بقربها جنينة، ثم أخذ سيباي أحجار وجه حائطها لمدرسته . انتهى . ثم في سنة سبع وتسعين وتسعمائة جددها عثمان آغا الطواشي دفتردار التيمار ، وعمر بجانبها تربة حسنة ومسجدا ومكتبا وسبيل ماء يجري على الطريق ؛ فصارت هذه التربة من أحسن الأماكن بعد أن كانت خربت ودثرت ، توفي سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ، ودفن في هذه التربة . قاله العدوي في « الزيادات على مختصر العلموي » .

قلت : وقد ذهبت الآن في خبر كان ، ولم يبق منها الا اليسير .

التربة (البلبانية الثانية)

طرنا لبان
٠٠٠-٧٣٤

جوار مئذنة فيروز ، قرب المدرسة المسمارية الحنبلية ، وهي تربة الأمير طرناه بلبان ، وكان خازندارا بالديار المصرية ، ثم صار نائبا بصفد ، ثم حصلت له فتنة اعتقل

بسببها عشر سنين ، ثم فرج عنه وصار أمير مائة مقدم ألف ، وعمر تربته ، ووقف لها مقرئين ، وجعل عندها مسجدا بامام ومؤذن ، توفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بتربته .

التربة (البلبانية الثالثة)

٥ شرقي مدرسة الخبيصية ، وقبلي حمام الجيعان ، وغربي الزنجبيلية ودارالأطعمة. قال النعيمي : لم أقف على ترجمة واقفها . انتهى . **قلت :** وكل الأماكن التي ذكرها لم نعرف منها في يومنا هذا شيئا . قال العلموي : ولعل واقفها الأمير بلبان الزردكاش ، استنابه علاء الدين طيبرس في غيبته لما توجه الى أنطاكية ، وكان دينا خيرا يحب العدل والصلاح ، توفي سنة ستين وستمائة . قاله الصفدي . وقال في « الذيل الشافي »:
١٠ كان من كبراء أمراء دمشق .

التربة (البهائية)

بالقرب من اليغمورية ، والناصرية البرانية بينهما بصالحية دمشق. قال النعيمي : وهي في غاية اللطافة والحسن .

ترجمة الشهاب محمود بانيها

شهاب الدين الحلبي ٠٠٠–٧٢٥

١٥ هو شهاب الدين ، ويقال له : بهاء الدين ، محمود بن سليمان بن فهد الحلبي ثم الدمشقي أبو الثناء كاتب السر . قال الذهبي : هو علامة الأدب ، وكاتب السر بدمشق، وعلم البلاغتين . وقال الحافظ ابن رجب في « طبقاته » : تعلم الخط المنسوب ، ونسخ بالأجرة بخطه الأنيق كثيرا ، واشتغل بالفقه على الشيخ شمس الدين بن أبي عمرالحنبلي المقدسي ، وأخذ العربية عن الشيخ جمال الدين بن مالك ، ثم ترقت حاله ، وطلب الى
٢٠ الديار المصرية ، وصار المشار اليه في الديار الشامية والمصرية ، وكان يكتب التقاليد الكبار بلا مسودة ، وله تصانيف في الانشاء وغيره ، وحدث ، روى عنه الذهبي في « معجمه » ، وقال : وكان دينا خيرا متعبدا ، مؤثرا للانقطاع والسكون ، حسن المجاورة، كثير الفضائل ، توفي بدمشق ليلة السبت ثاني عشري[1] شعبان سنة خمس وعشرين

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « ثاني عشرين » .

وسبعمائة ، ودفن بتربته التي أنشأها بالقرب من اليغمورية ، وولي بعده ولده شمس الدين . ومن شعره :

يامن أضاف الى الجمال جميلا — لاكنت ان طاوعت فيك عذولا

عوضتني من نار هجرك جنة — فسكنت ظلا من رضاك ظليلا

ومننت حين منحتني سقما به — اشبهت خصرك رقة ونحولا ٥

وسلكتني في الحب أحسن مسلك — لم تبق لي نحو السلو سبيلا

ولرب ليل مثل وجهك بدره — ودجاه مثل مديد شعرك طولا

أرسلت لي فيه الخيال فكان لي — دون الأنيس مؤانساً وخليلا

ان لم أجد للوجد فيك بمهجتي — لا نال قلبي من رضائك سولا

وله في حراث : ١٠

عشقت حراثا مليحا غدا — في يده المساس ما أجمله

كأنه الزهرة قد أمَّه التور — يراعي مطلع السنبلة

وقال ابن كثير : هو الصدر الكبير الشيخ الامام العالم العلامة ، شيخ صناعة الانشاء وليس له فيها نظير ، وله خصائص ليست لغيره ، فقد مكث في ديوان الانشاء نحو خمسين سنة في مصر ودمشق ، ثم عمل كتابة السر بدمشق . وقال ابن مفلح بعد أن ١٥ ذكر نحوا من عبارة ابن رجب : يقال : انه لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله(١) .

التربة (البهادرآضية)(٢)

غربي مقبرة باب الصغير ، تجاه الخندق بجانب تربة أكز الفخري ، وشمالي المزار المعروف بأويس ، قبلي الأفريدونية ، وتجاه تربة الأمير فرج بن منجك ، أنشأها الأمير بهادآض (٣) المنصوري . قال في « الشذرات » : كان من أمراء الألوف بدمشق ، وقبته ٢٠ خارج باب الجابية ، ودفن بها ، وقد نيف على السبعين ، توفي سنة ثلاثين وسبعمائة . انتهى . وفي « الذيل الشافي » : بهادر المنصوري قلاوون ولي نيابة صفد . وقال العلموي : كان مشهورا بالصدقة . له بر ظاهر معروف . انتهى .

بهادر آض المنصوري ٠٠٠-٧٠٣

(١) بعد هذا يوجد في الاصل بياض قدره أربعة أسطر .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « البهادر آصية » ، نسبة الى بهادر آص .

(٣) تقدم بيانه .

أقول : وقد رايت هذه التربة ؛ فرأيتها مبنية بالحجارة الضخمة ، وهي محاطة بالعمران من جوانبها ، ومكتوب حفرا في الحجر على أحد جدرانها : المسجد المعمور والتربة المباركة المعبد ، وفي الجدار الثاني : الفقير الى الله تعالى الراجي عفو ربه بهادر الملكي ، وباقي الكتابة لم أتمكن من قراءته .

٥

التربة (البهنسية)

المحب البهنسي

بسفح قاسيون ، بناها المحب البهنسي وزير الملك الأشرف سنة ثمان وعشرين وستمائة ، ثم عزله الأشرف وصادره ، ولما توفي دفن في تربته ، وكان قد أجرى عليها أوقافا جيدة دارة ، وجعل كتبه وقفا عليها .

حرف التاء

١٠

التربة (التقروشية أو التغري برمشية)[1]

تغري برمش
٠٠٠-٨٤٢

قبلي جامع يلبغا ، على حافة بردى تحت القلعة ، وبجانبها الجامع المشهور هناك ، والدمشقيون يقولون : انه احدى القاعات السبع ، أنشأها دوادار نائب الشام جقمق واسمه حسين ، وسمى نفسه تغري برمش[2] ، وكان أولا غلاما خياطا ، ثم خدم عند قراسنقر من مماليك الظاهر ، ثم صار دوادارا لنائب الشام جقمق ، ثم صار من أمراء مصر وأخذ القلعة نيابة ، وصار نائب الغيبة ، ثم ولي أميراخور كبير ، ثم انه عصى جقمق لما تسلطن ، وجرت له أمور الى أن قتل صبرا بقلعة حلب سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة . وقال في « الذيل الشافي » ما خلاصته : تغري برمش نائب قلعة الجبل ، ثم أميراخور ، ثم نائب حلب ، اسمه حسين بن أحمد التركماني ، ولد ببهنسا ، وقتله الملك الظاهر بحلب بعد خروجه عن طاعته ، وكان عاقلا خبيرا بدنياه ، متجملا في أحواله ، لكنه لم يشتهر بشجاعة ولا كرم .

(١٥ ، ٢٠ : أرقام الأسطر في الهامش)

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « التغربورمشية » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « تغري ورمش » .

التربة (التكريتية)

بسوق الصالحية بسفح قاسيون . ورأيت بخط محمد بن كنان ما صورته :

قلت : هذه التربة هي التي على بابها السقاية ، ويقابلها مسجد صغير لايفتح ، وباب التربة صغير ، والناس يقولون : هذه تربة الشيخ الذهبي ، ولعله دفن من جملة من دفن فيها فنميت اليه ، ولعله يكون أحد بني الذهبي ولا يعلم ، عن يمين الذاهب الى الجامع الجديد ، والجهاركسية تربة في السوق غيرها ، ولو كانت هي المقابلة للجامع الجديد لذكرها ، أو التي يقابلها الخمس دكاكين الملاصقة للجامع لذكرها بهـذا التحديد ، فان التي تقابل الجامع تربة أيضا وليس تربة في حيطانها دكاكين غيرها ، وما ذكر من صرف الدراهم فيما يأتي في ترجمة الباني يدل على أنها هي لانها ليست بتربة حسنة ، بل هي تربة قبور لاتربة عمارة ، وبابها صغير نحو نصف قامة فوق حارة المقدم ، وغربي الجامع الجديد من شماله وفوقه . قلت : ومن جهة الفوق عند البئر مقابل زقاق المقدم النافذ من وسط السوق تربة زمرد في وسط دكان ، ولعل المسجد الذي في السوق لها ، وكان مكتبا ثم بطل . انتهى . وهو تدقيق لاطائل تحته .

أبو البقاء التكريتي ٦٢٠-٦٩٨

وأما واقفها فهو أبو البقاء توبة بن علي بن مهاجر التكريتي الربعي وزير المنصور قلاوون بدمشق ، وكان ناهضا كاملا في فنه ، وافر الحشمة والغلمان ، سكن دمشق ، وشرع في الصدقات وشراء الأملاك ليوقفها ، وكان الملك الأشرف قد بعث اليه بباقة بنفسج ، فلما شمها مات سنة ثمان وتسعين وستمائة . ويمكن أن يكون الأشرف هذا[1] وورثه الأشرف مدعياً أنه ابن عمه . وخصصوا من تركته ألف درهم فاشتروا له تربة بسوق الصالحية ، وبنيت خمس دكاكين في حيطانها . قال أبو المظفر ابن الجوزي : بلغت قيمة ما خلف الصاحب كمال الدين التكريتي ثلاثمائة ألف دينار ، وأراني الأشرف سبحة فيها مائة حبة مثل بيض الحمام وكانت من التركة . فالتربة ليست من بناء التكريتي ولكنها بنيت له بعد موته .

التربة (التنبكميقية)

لصيق تربة أبي ذي النون ، أنشأها أولا أمير حاج أستاذدار العثماني سنة ست

(١) كذا في الاصل ، والكلام لم يتم .

تنبك ميق
٠٠٠–٨٢٦

وعشرين وثمانمائة ، ثم اغتصبها منه تنبك ميق نائب السلطنة(١) ، ودفن بها لما توفي في هذه السنة . قال في « الذيل الشافي » : تنبك العلائي الظاهري برقوق الشهير بميق ، كان أميراخور ، ثم ولاه المؤيد دمشق ، ثم عزل عنها وصار من جملة أمراء القاهرة ، ثم وليها ثانيا من الظاهر ططر الى أن توفي بها . انتهى . وذكر له الأسدي ترجمة سيئة ، وقال : انه هم بقتل نجم الدين بن حجي ، فأماته الله عن قريب . ٥

التربة (التنكزية)

سيف الدين تنكز

بجوار جامع تنكز ، وجوار الخانقاه العصمية ، أنشأها الأمير تنكز نائب الشام وقد مرت ترجمته عند مدرسته في دور القرآن والحديث . وقال ابن تغري بردى : تنكز الحسامي الناصري محمد بن قلاوون ، ولي نيابة دمشق ، وهو الذي عمرها بعد أن هدمها التتار ، أمسكه أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون وحبسه بالاسكندرية الى ١٠ أن قتل بها في سنة احدى وأربعين وسبعمائة ، وخلف أموالا كثيرة ، وهو صاحب الجامع بدمشق ، وكان أصله من مماليك المنصور حسام الدين لاجين .

التربة (التوروزية)

غرس الدين التوروزي
٠٠٠–٨٢٥

هي والجامع بها برأس الشويكة شمالي قبر عاتكة ، أنشأها الأمير غرس الدين خليل التوروزي الدستاري حاجب الحجاب بدمشق ، وهي تربة عظيمة . قال الأسدي : ١٥ فرغ من بنائها سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، وبقي فيها تتمات ، ثم أشير عليه بأن يعمل الى جانبها جامعا ؛ فشرع في ذلك وأتمه ، وأقيمت الجمعة فيه ، وأنشأ من شرقيها حماما كبيرا حسنا ، وآجر كل يوم بأكثر من أربعين درهما ، توفي في السنة المذكورة .

حرف الجيم

التربة (الجمالية الأسنائية القوصية) ٢٠

جمال الدين الاسنائي
٥٥٧–٦٢٥

هي بجبل قاسيون ، أنشأها عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن شيث جمال الدين

---

(١) يظهر من كلام صاحب « الدارس » أنه لم يفرق بين تنبك ميق وبين أمير حاج أستاذ دار العثماني المتقدم ذكره بل اعتبرهما شخصا واحدا .

الأسنائي القوصي صاحب ديوان الانشاء للملك المعظم ، ولد بأسنا سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، ونشأ بقوص ، وتفنن بها ، وبرع في الأدب وفي العلم ، وكان دينا ورعا ، حسن النظم والنثر منشئاً بليغا ، ولي الديوان بقوص ثم بالاسكندرية ثم بالقدس ، ثم كتابة الانشاء ، ويقال : صار وزيرا . قال الضياء المقدسي : كان يوصف بالكرم والمروءة والاحسان الى الناس ، ما قصده أحد في شفاعة فرده خائبا ، وكان يمشي بنفسه مع الناس في قضاء حوائجهم ، وكان القاضي الفاضل يحتاج اليه في علم الرسائل ، وكان اماما في فنون العلم ، توفي سنة خمس وعشرين وستمائة ، ودفن بتربته . وفي « منتخب الشذرات » أن أبا المظفر كتب اليه كتابا يتشوق اليه به ، فأجابه بقوله :

وافى كتابك وهو الروض مبتسما ... عن ثغر در طغا من بحرك الطامي
وكان عندي كالماء الزلال وقد ... تناولته يمين الحائم الظامي
لله نفحة فضل منه رحت بها ... نشوان أسحب أذيالي وأكمامي

التربة (الجمالية المصرية)

برأس درب الريحان من ناحية الجامع الأموي ، وهي شرقي دار القرآن التنكزية ، وشرقي الصدرية الحنبلية التي هي تجاه القليجية الحنفية من قبلي الخضراء ، ولها شباك شرقي المدرسة الصدرية ، وكانت دارا للقاضي العلامة المتفنن أبي الفرج جمال الدين يونس بن بدران القرشي الشيبي الحجازي الأصل المصري مدرس الأمينية . قال ابن الحاجب : كان يشارك في علوم كثيرة ، وولي قضاء القضاة ، واختصر كتاب « الأم » للشافعي ، وصنف كتابا في الفرائض ، توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ولما توفي دفن في قاعته التي هي التربة اليوم .

جمال الدين المصري
٠٠٠-٦٢٣

التربة (الجوكندارية)

شرقي مسجد النارنج ومصلى العيدين بباب الصغير ، أنشأها الأمير صارم الدين ابراهيم بن قراسنقر الجوكندار وكان نائبا في دمشق ، ودفن بها لما توفي سنة ثلاث وعشرين أو أربع وعشرين وسبعمائة ، ودفن بها ولده محمد وكان أمير عشرة مقدم خمسين ، توفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

صارم الدين الجوكندار
٠٠٠-٧٢٣

التربة (الجيعـانية)[1]

شمالي تربة مختار الطواشي ، خارج باب الجابية ، يمنة الذاهب في الطريق السلطاني ، وهي الآن قبلي الجامع الصابوني ، وتجاه تربة سنبل الطواشي . قاله النعيمي . أوقفها الأمير سيف الدين الجيعاني(٢) العادلي ، توفي سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، ودفن بها.

سيف الدين الجيعاني ٠٠٠-٧٥٤

٥

حـرف الحـاء

التربة (الحافظية)

هي والمسجد بها قبلي جسر كحيل ، وشمالي التربة القيمرية بدرب الشبلية من الصالحية ، كانت بستانا لياقوت خادم تاج الدين الكندي ، فاشترته أراغون الحافظية عشيقة الملك العادل ، وكانت عاقلة ومدبرة ، جمعت أموالا عظيمـة . قال ابن كثير : صادرها الصالح اسماعيل فأخذ منها أربعمائة صندوق من المال ؛ وذلك لأنها كانت تبعث بالأطعمة والثياب الى الملك المغيث عمر ابن نجم الدين أيوب وهو مسجون بالقلعة . ولما توفيت دفنت بها سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وكانت أوقفت عليها أوقافا جيدة منها بستان بصَّار . وقال في « مختصر شذرات الذهب » : الحافظة أرغوان(٣) العادلية عتيقة الملك العادل ، وسميت بالحافظة لتربيتها للملك الحافظ صاحب قلعة جعبر ، وكانت امرأة صالحة مدبرة . ثم ذكر مصادرتها كما تقدم ، ثم قال : ووقفت دارها التي داخل باب النصر بدمشق ، وتعرف بدار الابراهيمي ، على خدامها ، وبنت بالصالحية مدرسة تحت نهر ثورا قرب عين الكرش ، وتربة كانت بستانا للنجيب غلام التاج الكندي ؛ فاشترته منه ، وبنت ذلك ، ووقفت عليه أوقافا جيدة منها بستان بصار ، وتسمى الآن بالحافظية .

أرغوان الحافظية ٠٠٠-٦٤٨

١٠

١٥

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : الجيغائية .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » نقلا عن « ذيل العبر » : « الجيبغاي » .

(٣) وردت قبل بضعة أسطر تحت رسم « أراغون » ، وفي « الدارس » : «أرغوان» .

حـرف الخـاء

التربة (الخـاتونية)

عصمة الدين خاتون ٠٠٠–٥٨١

على نهر يزيد بالصالحية ، قبلي المدرسة الجهاركسية ، أنشأتها عصمة الدين خاتون بنت الامير معين الدين زوجة نور الدين ثم صلاح الدين ، وهي التي أوقفت المدرسة الخاتونية بدمشق، والخانقاه التي عند جامع تنكز ، أنشأتها سنة سبع وسبعين وخمسمائة . قال النعيمي بعد أن ذكر التاريخ وأنه قرأه من الشباك المطل على الطريق ، قال : وقد وسع هذه التربة وجعلها جامعا سليمان بن الحسين العقيري التاجر بتولية علي ابن التدمري في سنة تسع وسبعمائة ، وسمي بالجامع الجديد . ثم أنشأ الخواجة أبو بكر ابن العيني تربة له شمالي هذه ليسلك اليها –من بابين أحدهما من الجامع المذكور ، وتجاههما ايوان بمحراب وأضافه الى الجامع المذكور ، ثم أوقف عليها ولده عبد الرحمن ابن العيني تربة له شمالي هذه ليسلك اليها من بابين أحدهما من الجامع المذكور ، ليلة جمعة ، وشرط في المدرس والفقهاء أن يكونوا حنفية ، وأوقف كتبه عليها ، وشرط أن تكون التولية للمفتي الحنفي بدمشق . قال العلموي : ثم في سنة خمس وسبعين وتسعمائة ألهم الله عبده الصالح محمد بن محمد المترح أن يوسع هذا الجامع ؛ فاجتهد في توسعته من جهة الغرب ، ووسعه بقدره مرتين بعد أن كان ضيقا ، فصار جامعا واسعا تصلى فيه الصلوات وتقام فيه العبادات والتلاوات ، وأزال الحائط الغربي ، وجعل في هذا الذي جدده محرابا ثانيا ، ورتب فيه اماما ، ووقف عليه وقفا ، وأنفق عليه من ماله ، وساعده بعض أهل الخير . انتهى .

وترجم الذهبي الواقفة فقال : هي عصمة الدين واقفة المدرسة التي بدمشق بمحلة حجر الذهب والخانقاه التي بظاهر دمشق يعني التي شمالي جامع تنكز ، ولما توفيت دفنت بتربتها التي تجاه قبر جركس بالجبل . وقال العماد الكاتب : كانت من أعف النساء وأعصمهن وأجلهن في الصيانة وأحزمهن ، متمسكة بالعروة الوثقى ، لها أمر نافذ ، ومعروف وصدقات ورواتب للفقراء وادارات . وفي « الكواكب الدرية في السيرة النورية » أنها نامت ليلة من الليالي عن وردها فأصبحت وهي غضبى ، فسألها نور الدين فأخبرته ، فأمر بضرب الطبلخانة في القلعة وقت السحر ليوقظ النائم ، وكذا وقت قيام الليل ، ورتب للضارب جراية وجامكية .

تربة (الخرقي)

هي مقابل جامع جراح غربي زاوية المغاربة . قال في « شذرات الذهب » ماملخصه: وفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة توفي العلامة الثقة عمر بن الحسين البغدادي الحنبلي الخرقي صاحب « المختصر في فقه مذهب أحمد » . وقال ابن حجر: الخرقي بكسر الخاء المعجمة نسبة الى قرية خرق وهي على بريد[1] من مرو . وفي « طبقات الحنابلة لأبي يعلى الصغير » : قرأ الخرقي على المروذي وحرب الكرماني وصالح وعبد الله ابني الامام أحمد ، له المصنفات الكثيرة في المذهب لم ينتشر منها الا « المختصر في الفقه » لأنه خرج من مدينة السلام لما اشتهر فيها سب الصحابة ، فأودع كتبه في درب سليمان ، فاحترقت الدار التي كانت فيها ولم تكن انتشرت لبعده عن البلد .

عمر الخرقي
٠٠٠-٣٣٤

٥

التربة (الخطابية)

١٠

بسفح قاسيون ، أنشأها عز الدين خطاب بن محمود بن مرتعش العراقي ، وكان من أهل الثروة بنى خان خطاب الذي بين الكسوة وغباغب الى ناحية كتف المصري وهو بمرج الصفر ؛ فحصل للمسافرين راحة ، وله حمام بحكر السماق ، توفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، ودفن بتربته .

عز الدين خطاب
٠٠٠-٧٢٥

حرف الدال

١٥

التربة (الدهستانية)

هي بالدال المهملة ، ذكرها ابن تغري بردي في « الذيل » فقال : ابراهيم الدهستاني الجنديوشي المعتقد توفي سنة عشرين وسبعمائة ، ودفن بزاويته المعروفة به في دمشق .

ابراهيم الدهستاني
٠٠٠-٧٢٠

حرف الذال

٢٠

التربة (الذوباجية الجيلانية)[2]

هي بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري ، وهي بديعة البناء متينة الاعمار ،

---

(١) مسافة يقطعها الرسول ، وهي اثنا عشر ميلا تقريبا .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » و « القلائد الجوهرية » : « الدوباجية الجيلانية » .

وسبب بنائها كما في « تاريخ الاسلام » و « تاريخ ابن كثير » أنه في سنة أربع عشرة وسبعمائة قدم دمشق شمس الدين ذوباج بن ملك شاه صاحب جيلان بقصد الحج فمات بقباقب من ناحية تدمر ، فأتي به الى دمشق ، واشتريت له أرض بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري عند المكارية ، فبنيت له تربة مليحة وهي مشهورة . قال في « ذيل العبر » : هي عند قبة الرقي وهو الذي هزم التتار لما رمى قطوشاه بسهم فقتله . ٥

شمس الدين ذوباج ٦٦٠-٧١٤

حرف الراء

التربة (الرحبية)

هي بالمزة ، أنشأها عبد الرحيم بن عبد الرحمن الرحبي ، وجعل فيها مسجدا ، ووقف عليها أوقافا كثيرة ، وجعل لها صدقات . قال البرزالي : كان رجلا جيدا أمينا ، وكان من التجار المشهورين ، وأوصى من ثلث تركته بخمسين ألف درهم ليشتري بها ولده عقارا ويوقفه على الصدقات ، توفي سنة خمس وثلاثين وسبعمائة . ١٠

عبد الرحمن الرحبي ٠٠٠-٧٣٥

التربة (الرفاعية)

قال في « الشذرات » : وفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة توفي الشيخ عثمان الرفاعي وهو مدفون بمقبرة سوق صاروجا على الطريق ، مشهور ، وكان للناس فيه اعتقاد . ١٥

عثمان الرفاعي ٠٠٠-٩٩٤

التربة (الركنية)

تقدم الكلام عليها تبعا للمدرسة الركنية ، أنشأها الامير ركن الدين منكورس مملوك فلك الدين أخي العادل ، وكان دينا صالحا عفيفا ملازما لجامع بني أمية ، وله بقاسيون مدرسة وتربة أوقف عليها شيئا كثيرا ، وأوقف عليها وعلى مدرسته قرية جرود ، وناب في الديار المصرية للملك العادل ، توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة . ٢٠

ركن الدين منكورس ٠٠٠-٦٣١

حرف الزاي

التربة (الزاهرية)

هي بقاسيون على حافة نهر يزيد ، شرقي المدرسة العمرية ، أنشأها الملك الزاهر

الملك الزاهر داود

داود بن شيركوه صاحب حمص . ورأيت على هامش كتاب « تنبيه الطالب » بخط ابن كنان ما صورته : وجد في زمننا آثار العمارة وآثار مسجد عظيم بزخرفة ونقوش قريبا من النهر شرقي العمرية ولا أعلم في ذلك الخط غيره ، ولعله كان سابقا سكنا ، فلما خربت تلك البيوت خرب معها ، وعدم العلم به لكونه كالبيت لايعلم داخله فيقع النسيان

٥ والغلط لتباعد المدد والدهور والفناء ، وهذا على الظن اذ لامانع من أن يكون بقرب النهر مكان آخر فصار حديقة أو بستانا ، لكن هذا ظاهر في هذا الخط ، وجداره باق مقلوب، وباقيه خراب . انتهى . ومنه تعلم أن هذه التربة قد انطمست آثارها من زمن بعيد ، والآن لم نر هناك الا دورا للسكنى وبيوتا مملوكة ، ودفن بهذه التربة الأمير الكبير تقي الدين ابن الواقف ، وكان محدثا ذا رأي وسؤدد وفضيلة وشكل ومهابة ، كما قاله

١٠ الصفدي . وقال البرزالي : اختص بالأفرم وولاه أمر ديوانه وأحيانا تدبير أمره ، توفي سنة خمس وسبعمائة . ودفن بها أيضا مظفر الدين موسى ابن الواقف سنة ثمان وسبعمائة .

التربة (الزويزانية)

خليل بن زويزان ٠٠٠-٦٢٨

بميدان الحصى عند مسجد الفلوس ، أوقفها خليل بن زويزان رئيس قصر حجاج.

١٥ قال الأسدي : مات سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وخلف من العقار والعين ما يزيد عن مائتي ألف دينار ، وتصدق بثلث ماله وجعله وقفا على العلماء والقراء بتربته . قال ابن كثير : وكان كيسا ذا مروءة ، له صدقات كثيرة ، وله زيادة في مقابر الصوفية من جهة القبلة ، ولما مات دفن بتربته .

حرف السين

٢٠

مزار (سعد بن عبادة)

هذا المزار بالقرب من قرية يقال لها : المنيحة من قرى دمشق. قال المحبي في ترجمة قاسم بن عبد المنان الكردي الأصل نزيل دمشق : كان ناظرا على وقف سنان باشابالشام، وأحد الكبراء الصدور ، من عتقاء سنان باشا ، وكان قد نمَّى وقف سنان باشا ، وعمر مسقفاته ، وملك دار العدل المنسوب تعميرها الى السلطان نور الدين الشهيد

قاسم الكردي ٠٠٠-١٠٥٧

٢٥ بالقرب من باب السعادة ، وعمرها عمارة متقنة ، وعمر ضريح سيدي سعد بن عبادة

الصحابي رضي الله عنه بقرية المنيحة تابع وقف السنانية ، وبنى عليه قبة لطيفة ، وأحدث الى جانبه مسجدا ، وبالجملة فقد صار من ألطف المتنزهات ، توفي في شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين بعد الألف .

التربة (السلامية)

لم يبين العلموي ولا النعيمي مكانها ، وقال الذهبي في « ذيل العبر » : في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة توفي بدمشق ، ناظر الجيش الصدر قطب الدين موسى ابن أحمد ابن شيخ السلامية عن اثنتين وسبعين سنة ، ودفن بتربة مليحة أنشأها ، وكان من رجال الدهر ، وله فضل وخبرة . انتهى . وقد كان لموسى المذكور تعلق بالشيخ براق المشهور ، ونظر في أحواله . وحيث أن الشيخ براق له شهرة وطريقة مخصوصة فلا بأس ببيان شيء من أحواله هنا ، **فنقول :**

قطب الدين ابن شيخ السلامية ٦٦٠-٧٣٢

الشيخ براق

قال في « ذيل العبر » : قدم الشيخ براق العجمي من الشرق سنة سبع وسبعمائة ، وتبعه جمع نحو المائة وفي رأس كل واحد منهم قرن من اللباد يشبه قرن الجاموس ، وكل منهم متقلد بحبل كقاب بقر محناة ، وعليهم الأجراس ، وثنية كل واحد منهم مكسورة ، وهم يحلقون ذقونهم ويتركون شواربهم ، ويحملون الجواكين على أكتافهم ، ومعهم طبلخانة ، فدخلوا بهيئة غريبة يجرون بشهامة ، فنزلوا بالمنيبيع .

قال الصفدي في « تاريخه » : وكان الشيخ براق على هذه الحالة ، وكان يلازم الصلاة والتعبد ، فقيل له : ما هذا الشعار ؟ فقال : أردت أن أكون به مسخرة للفقراء . قال : وعلى الجملة فقد كان هو وأتباعه على أشكال عجيبة ، حتى أنهم حاكوهم في الخيال يعني أنزلهم أصحاب قراكوز في ألاعيبهم ، ونظم فيهم الأديب السراج أشعارا ذكرها الصفدي في « تاريخه » .

قال الذهبي : ثم انهم زاروا القدس ، وكان شيخهم من أبناء الأربعين فيه اقدام وقوة نفس ، وكان يدق نوبة ، فأنفذ اليه الأكابر غنما ودراهم . انتهى . قال الصفدي : كان مجيء براق الى دمشق في أيام الأفرم بعد قازان ، وكان أولا مريدا لبعض الشيوخ

في البلاد الرومية ، ولما أتى دمشق تلقاه ابن شيخ السلامية الى القابون ، وعرضه مع جماعته واستسماهم ، وحلاهم ، وعدهم ، وكتب بذلك ورقة الى السلطان . فلما أرادوا الدخول على الأفرم الى الميدان ، أرسلوا على الشيخ براق نعامة قد تعاظم أمرها فلا يكاد يقاومها أحد ، فلما عرضوه لها قصدته ، فتوجه اليها وركبها ، فطارت في الميدان قدر
٥ خمسين ذراعا ، ولما قرت قال للأفرم : أطير بها الى فوق مرة ثانية ؟ قال : لا ! ثم أحسن تلقيه وأكرم نزله ، فطلب التوجه الى القدس ، فأعطاه الأفرم من خزانته ألفي درهم فأباها وأخذها جماعته ، فزار وعاد ودخل البلاد ، ومات تحت السيف صحبة قطليجا نائب غازان . ولما ظهر ذلك للقان غازان ، أحضره وسلط عليه سبعا ضاريا ، فركب على ظهره ولم ينل منه شيئا ، فأعظم ذلك غازان ونثر عليه عشرة آلاف دينار ، فراح ولم
١٠ يتعرض لشيء منها ، وكان معه محتسب على جماعته يؤدب كل من ترك سنة من السنن عشرين عصا على رجليه . هذا ما اتصل بنا من أخبار هذا الرجل والله أعلم بحقيقة أمره . وقال ابن تغري بردي في « الذيل » : براق المقرىء كان له طور عجيب ، وأتباع وفقراء ، وله حكايات غريبة ، توفي سنة سبع وسبعمائة .

التربة (السنبلية العثمانية)

١٥ شرقي تربة الجيعان(١) ، وشمالي تربة مختار ، أنشأها الأمير سنبل بن عبد الله الطواشي عتيق الطنبغا العثماني ، وكان قد ولي الذمامة للأمير سودون ، ونظر الجامع الأموي سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

سنبل العثماني

التربة (السنقرية الصلاحية)

مبارز الدين سنقر ٠٠٠–٦٢٠

على رأس زقاق شبل الدولة عند المصنع ، أنشأها شبل الدولة . قال في «منتخب الشذرات » : في سنة عشرين وستمائة توفي الأمير مبارز الدين سنقر الصلاحي . وكان
٢٠ مقيما بحلب ، ثم انتقل الى ماردين ، فخاف منه الأشرف وشكى حاله للمعظم ، فخدعه ووعده بأن يوليه ما اختار ، وجهز اليه ابنه فحضر الى الشام ، فالتقاه المعظم ولم ينصفه ، وتفرق عنه أصحابه ، فمرض من شدة غبنه ، ونزل بدار شبل الدولة بالصالحية ، ومات غبنا ؛ فقام شبل الدولة بأمره أحسن قيام ، واشترى له تربة على رأس زقاق الخانقاه

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الجيفاي » .

عند المصنع ، ودفنه بها . وكان المبارز محببا الى الناس ، ولم يكن في زمنه أكرم منه .
قال النعيمي : ولا أشجع منه ، له المواقف المشهودة مع صلاح الدين وغيره ، وكانت الدنيا
لاتساوي عنده قليلا ولا كثيرا ، ومات ولم يخلف شيئا .

التربة (السودونية)

٥ فوق المعظمية بسفح قاسيون . قاله النعيمي . ورأيت بخط ابن كنان ما صورته :
لعلها التي يقال لها : قبة صبح ؛ فانها فوق المعظمية من جهة الغرب وليس فوق المعظمية
عمارة الا هي ، ولو كانت هي من تلك الترب القريبة لقال : هي لصيق المعظمية ، فعلم
أنها المسماة بقبة صبح ، ولها بعض مدخول ، ولها قارىء يقرأ ، ومحصلها نحو العشرين
قرشا في السنة ، ولا أعلم متوليها الآن. انتهى. قال النعيمي : أنشأها سودون النوروزي

سودون النوروزي ٠٠٠-٨٤٨

١٠ وكان اسمه بين الأمراء سودون المغربي لبخله وسوء خلقه ، وكان حاجب الحجاب وأمير
التركمان بدمشق ، وهو من بقية جماعة الظالم الغاشم نوروز الحافظي . انتهى . قال
ابن تغري بردي في « الذيل » : سودون النوروزي حاجب حجاب دمشق أصله من
مماليك الأمير نوروز الحافظي ، وترقى في البلاد الشامية الى أن ولي دوادارية السلطان
بحلب ثم حجوبية دمشق ، توفي بها سنة سبع وأربعين وثمانمائة تقريبا ، وكان متوسط
١٥ السيرة عفا الله عنه . وقال النعيمي : توفي سنة ثمان وأربعين وثمانمائة .

حرف الشين

التربة (الشبلية)

تقدم الكلام عليها تبعا للمدرسة الشبلية . قال في « الشذرات » ما ملخصه : وفي
سنة ثلاث وعشرين وستمائة توفي شبل الدولة كافور الحسامي طواشي حسام الدين

شبل الدولة كافور ٠٠٠-٦٢٣

٢٠ محمد ولد ست الشام ، له فوق جسر ثورا من صالحية دمشق المدرسة والتربة
والخانقاه ، وأوقف عليها الأوقاف ، ونقل لها الكتب الكثيرة ، ودفن بتربته الى جانب
مدرسته .

التربة (الشرابيشية)

علي الشرابيشي
٠٠٠-٧٣٤

مقابل جامع جراح بباب الصغير ، أنشأها علي بن المجد بن محاسن الشرابيشي التاجر السفار صاحب المدرسة الشرابيشية المتقدمة في مدارس المالكية ، وكان له همة ونهضة وتودد الى الناس ، مات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بها ، ودفن بها أيضا ولده أحمد . ٥

التربة (الشهابية)

بالصالحية . قال العلموي : لم أقف على ترجمة صاحبها . ولم يذكره النعيمي أيضا ولكنه قال : قال ابن قاضي شهبة : ولي نظرها ابن غانم الموقع وكان مسرفا على نفسه ذميم السيرة ، توفي سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

١٠ التربة (الشهيدية)

ابن الشهيد

بباب الفراديس ، وتنسب الى ابن الشهيد وهو مدفون بها ، ودفن بها بعده فرج ابن برقوق لما قتل سنة خمس‌عشرة وثمانمائة . قال الاسحاقي في «أخبار الأول»: تولى الملك الناصر أبو السعادات فرج بعد أبيه برقوق على مصر فأقام ست سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام ، ثم اختفى بعد ذلك ، فكان بعده الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق ١٥ فأقام سبعة وأربعين يوما ، وظهر الملك أبو السعادات وأمسك أخاه ، وحبس بالاسكندرية وقتل بها ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانمائة . ثم عاد الملك الناصر أبو السعادات فرج الى السلطنة فأقام ست سنين وتسعة أشهر ، وجملة ولايته أولا وثانيا ثلاث‌عشرة سنة وشهران وعشرة أيام . وكان ما كان بينه وبين جنده فقتلوه شر قتلة بدمشق ، وألقي على مزبلة وهو عريان من اللباس ، يمر به الناس وينظرون الى جسده وذلك من ٢٠ أعظم العبر وأكبر المحن ، الى أن حنن الله عليه بعض الناس بعد عدة أيام فحمله وغسله وأدرجه في كفن وواراه في التراب . انتهى . وذلك سنة خمس عشرة وثمانمائة . وقال الشرقاوي في « تحفة الناظرين » : كان أفرس ملوك الترك بعد الأشرف خليل ، تجهز سبع مرات للخروج للشام وتمهيدها وقهر متغلبيها كالمؤيد شيخ وغيره . وفي أيامه وصل تيمورلنك لبلاد الشام فسفك دماء المسلمين ، وسبى ذراريهم ، وأسر أمير ٢٥ الشام وقتله ؛ فخرج الناصر لقتاله ، فوجده قد ترك البلاد وتوجه للروم ، فرجع الناصر الى مصر وكثرت الفتن .

حرف الصاد

التربة (الصارمية البرغشية العادلية)

صارم الدين برغش ٠٠٠-٦٠٨

غربي الجامع المظفري ، بناها صارم الدين برغش العادلي نائب القلعة بدمشق ، مات سنة ثمان وستمائة . قال ابن كثير : وهو الذي نفى الحافظ عبد الغني الى مصر، وبين يديه عقد المجلس ، وكان من جملة من قام عليه ابن الزكي والخطيب الدولعي والله المجازي . قال عز الدين ابن تاج الأمناء : اجتمع الشافعية والمالكية والحنفية عند المعلم عيسى والمقدم برغش سنة ستمائة وكانا يجلسان بدار العدل للمظالم ، وأحضروا الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور الجماعيلي الحافظ الزاهد ، وادعوا عليه بأنه يعتقد اعتقاد الحنابلة ويعتقد الجهة والاستواء والحرف ، فاتفق الفقهاء على تكفيره وعلى أنه مبتدع لايجوز أن ينزل بين المسلمين ولايحل لولي الأمر أن يمكنه من المقام بينهم ، فسأل أن يمهل ثلاثة أيام لينفصل عن الشام فأجيب ، ثم ارتحل الى بعلبك ، ثم سار الى مصر وبها توفي سنة ستمائة .

التربة (الصصرية)

احمد ابن صصري ٠٠٠-٧٢٣

عند الركنية بسفح قاسيون ، دفن بها الحافظ أبو المواهب وأخوه أبو الغنائم ابنا صصري .

الحافظ ابن صصري

قال في « منتخب الشذرات » : في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة توفي قاضي القضاة أحمد ابن الرئيس الكبير عماد الدين محمد بن سالم بن بهاء الدين بن هبة الله ابن محفوظ بن صصري التغلبي الربعي الدمشقي الشافعي ، سمع الحديث من جماعة، وقرأ بالسبع ، وجود الخط على ابن المهتار ، واتقن الأقلام السبعة ، ودرس بالأمينية وغيرها ، واستمر على القضاء الى أن مات ، وكان حسن الملتقى متواضعا جدا له مشاركة في فنون شتى ، وعنده حظ من الأدب والنظم ، ومن نظمه :

ومهفهف بالوصل جاد تكرما ... فأعاد ليل الهجر صبحا أبلجا
ما زلت ألثم ما حواه ثغره ... حتى أعدت الورد فيه بنفسجا

توفي ببستانه بالسهم ، وحمل الصوفية نعشه الى الجامع المظفري ، وصلى عليه الشيخ برهان الدين الفزاري ، ودفن بتربته بالقرب من الركنية .

التربة (الصوابيـــة)

بدر الدين الصوابي
٠٠٠–٦٩٨

غربي سفح قاسيون، وشمالي دار الحديث الناصرية، بناها بدر الحبشي الصوابي. قال ابن شقدة : كان أميرا على مائة فارس بدمشق فأقام في الأمرة نحو أربعين سنة ، وكان خيرا دينا ، معمرا ، موصوفا بالشجاعة والعقل والرأي . قال الذهبي : روى لنا عن ابن عبد الدائم، وتوفي فجأة بقرية الخيارة في جمادى الاولى يعني سنة ثمان وتسعين وستمائة . وقال ابن قاضي شهبة : فحمل بعد وفاته الى قاسيون ودفن بتربته ، وهو أول من أبطل ما كان يجبى من الحجاج في كل سنة لأجل العربان وهو على كل جمل عشرة دراهم ، أقام ذلك من ماله وأبطل الجباية وذلك سنة احدى وثمانين ، فبطل ذلك الى الآن يعني الى وقته .

حـــرف الطــاء

التربة (الطوغانية الناصرية)

شمالي تربة ابن المزلق ، برأس الزقاق شمالي مسجد الذبان والمنارة ، غربي مقبرة الباب الصغير ، وهي تجاه تربة قصروه على نهر قليط ، أنشأها الأمير طوغان الناصري وكان أميرا كبيرا بصفد ، ولما مات بها جيء به الى دمشق ، ودفن بتربته ، وأرخ العلموي وفاته سنة سبع وأربعين وثمانمائة ٨٤٧ .

حـــرف العين

التربة (العادلية البرانية)

الملك العادل كتبغا
٠٠٠–٧٠٢

غربي دار الحديث الناصرية البرانية بسفح قاسيون ، غربي الرباط الناصـري ، وهي تربة مليحة ذات شبابيك ومنارة ، ولها أوقاف دارة على وظائف من قراءة وأذان وامامة ، بناها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري المعلى ، توفي سنة اثنتين وسبعمائة في حماة ، ونقل الى دمشق فدفن في تربته هذه . قـال ابن شقدة : وكان في آخر الكهولة أسمر قصيرا دقيق الصوت شجاعا قصير العنق ينطوي على دين وسلامة باطن وتواضع ، تسلطن بمصر عامين ، وخلع في مصر سنة ست وتسعين فالتجأ الى صرخد، ثم أعطي حماة فمات بها . وقاله أيضا الذهبي في « الذيل » .

التربة (العادلية الجوانية)

الملك العادل
ابن ايوب
٥٣٤-٦١٥

هي بالمدرسة العادلية الكبرى تجاه المدرسة الظاهرية ، أنشأها الملك العادل أبوبكر ابن أيوب بن شاذي . قال في « منتخب الشذرات » : ولد ببعلبك حال ولاية أبيه عليها، ونشأ في خدمة نور الدين مع أبيه ، وكان أخوه صلاح الدين يستشيره ويعتمد على رأيه وعقله ودهائه ولم يكن أحد يتقدم عليه عنده ، ثم انتقلت به الأحوال واستولى على الممالك ، وسلطن ابنه الكامل على الديار المصرية ، وابنه المعظم على الشام ، وابنه الأشرف على الجزيرة ، وابنه الأوحد على خلاط ، وابن ابنه المسعود على اليمن . وكان ملكا جليلا سعيدا ، طويل العمر ، عميق الفكر بعيد الغور ، جماعا للمال ، ذا حلم وسؤدد وبر كثير ، وكان يضرب المثل بكثرة أكله ، وله نصيب من صوم وصلاة ، ولم يكن محببا الى الرعية لمجيئه بعد الدولتين النورية والصلاحية ، وقد حدث عن السلفي ، وخلف سبعة عشر ابنا تسلطن منهم : الكامل والمعظم والأشرف والصالح وشهاب الدين غازي صاحب ميافارقين ، وتوفي في سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة وله بضع وسبعون سنة . انتهى . وقال سبط ابن الجوزي : كان العادل خليقا بالملك ، حسن التدبير حليما صفوحا ، مجاهدا ، عفيفا متصدقا ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر . انتهى . وقال عبد اللطيف البغدادي بعد أن أطنب في مدحه : كان له نظر في العواقب، وحب للمال ، وحظ في النصر على الأعداء ، كثير الأكل جدا ، كم اتخذ أعداؤه الحيلة لقتله فخابوا ، وستأتي ترجمته مفصلة في القسم السياسي .

وممن دفن في هذه التربة يعقوب ابن الملك العادل ويلقب بالملك المعز ، كان فاضلا ، وتوفي سنة أربع وخمسين وستمائة .

المرسي

وممن درس بها القاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر المرسي اللوذقي(١) المقرىء النحوي المتكلم شيخ القراء بالشام ، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وقرأ القراءات ، وسمع الحديث ، وكان عارفا بالأصلين والعربية ، أقرأ واشتغل مدة ، وصنف التصانيف ، ودرس بالعزيزية نيابة ، وولي مشيخة الاقراء والنحو بالعادلية ، وشرح « الشاطبية » ، توفي في رجب سنة احدى وستين وستمائة .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « اللورقي » ، نسبة الى لورقة بلدة في الاندلس .

ابن بدران

وممن درس بها محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران . قال الذهبي في «معجمه» : هو الشيخ العلامة قاضي القضاة علم الدين ابن القاضي شمس الدين السعدي الاخنائي المصري قاضي دمشق ، ولد سنة أربع وستين وستمائة بالقاهرة ، وسمع الكثير ، وأخذ عن الدمياطي وغيره ، ولي القضاء بالاسكندرية ثم بدمشق ، وكان من العلماء النبلاء وقضاة السداد ، وقد شرع في تفسير القرآن ، وشرح جملة من « صحيح البخاري » ، وكان أحد الأذكياء ، وكان يبالغ في الاحتجاب عن الحاجات فتتعطل أمور كثيرة . وقال ابن كثير : كان عفيفا نزها ، كثير العبادة ، محبا للفضائل ومعظما لأهلها ، كثير الاسماع للحديث بالمدرسة العادلية ، خيرا جيدا ، توفي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بسفح قاسيون بتربة العادل كتبغا .

التربة (العديمية)

عند زاوية الحريري غربي الزيتون على الشرف القبلي . كذا قاله العليمي[1] . وزاوية الحريري أذهبها الزمان كما أذهب الحريري وشيعته ، أنشأها مجد الدين عبد الرحمن بن عمر المعروف بابن العديم الحلبي ، وكان عالما بمذهب أبي حنيفة ، عارفا بالأدب ، وهو أول حنفي درس بالظاهرية من حينما بناها الظاهر بيبرس بالقاهرة ، وولي قضاء الشام ، وانتهت اليه رئاسة الحنفية بمصر والشام، ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة، ومات في ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة . قاله السيوطي في « حسن المحاضرة » . وقال ابن كثير : كان رئيسا وابن رئيس ، له كرم أخلاق . انتهى . وأما والده عمر فهو صاحب « التاريخ » ، وهو كما قال السيوطي وصاحب « الشذرات » : في ثلاثين مجلدا ، توفي سنة ستين وستمائة .

ابن العديم الحلبي ٦١٣-٦٧٧

التربة (العزلية)[2]

قال في « الشذرات » ما ملخصه : وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة توفي سيف الدين عزلو الأمير الكبير العادلي الذي استنابه أستاذه العادل كتبغا على دمشق في آخر

---

(١) كذا في الاصل ، وقد ذكر هذا النعيمي في « الدارس » .

(٢) سيأتي بيان هذه التربة تحت اسم « الغزلية » .

سنة خمس وتسعين وستمائة ، وكان أحد الشجعان العقلاء ، وله تربة مليحة بقاسيون، توفي بدمشق ودفن بها .

(العزية) ومسجد الحلبي

ابن وداعة الحلبي
٠٠٠–٦٦٦

هما بسفح قاسيون ، أنشأهما عبد العزيز بن منصور الشهير بابن وداعة الحلبي . قال الصلاح الصفدي في « تاريخه » : كان يظهر النسك والدين ، ويقتصد في ملبسه وأموره ، ولاه الناصر مشد الدواوين في دمشق وكان يعتمد عليه ، فلما تسلطن الظاهر ولاه وزارة الشام، فلما ولي النجيبي نيابة السلطنة حصل بينه وبين المترجم وحشة لأن النجيبي كان سيئا ؛ فكتب ابن وداعة الى السلطان يطلب منه مشدا تركيا لظنه أنه يكون في حكمه ويتخلص من النجيبي ، فوقعت أمور آل أمرها الى مصادرة ابن وداعة ، فصودر وبيعت أملاكه ، وعصر وجرم بقاعة المشد ، وباع موجوده وأملاكه التي كان وقفها وحل عنها ، ثم طلب الى مصر فذهب اليها مثقلا ، ومات بها سنة ست وستين وستمائة .

التربة (العزية الأيبكية الحموية)

عز الدين أيبك
٠٠٠–٧٠٣

بالسفح غربي زاوية ابن قوام ، أنشأها الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب دمشق ثم صرخد ثم حمص ، توفي سنة ثلاث وسبعمائة ، ودفن بتربته هذه ، واليه ينسب حمام الحموي بمسجد القصب .

التربة (العقيبيبة) [١]

زين الدين العقيبي
٠٠٠ – ٩٥١

قال في « الشذرات » : وفي سنة احدى وخمسين وتسعمائة توفي الشيخ زين الدين عمر العقيبي العارف المسلك الحموي الأصل الدمشقي ، كان في بدايته اسكافا يصنع النعال الحمر ، ثم صحب الشيخ علوان وبقي على حرفته ، غير أنه كان ملازما للذكر والصمت ، ثم غلبت عليه الأحوال فترك الحرفة ، وأقبل على المجاهدات ، ولزم خدمة أستاذه الشيخ علوان حتى أمره أن يذهب الى دمشق ويرشد الناس ، فذهب اليها ، ولزمه الشيخ محمد الزغبي المجذوب ، وكان عيسى باشا كافل دمشق من جملة

---

(١) كذا في الاصل ، والاصح أن يقال أ العقيبيّة نسبة الى العقيبي .

المعتقدين به وأخذ عنه الطريق ، توفي المترجم في السنة المذكورة ، ودفن بزاويته بمحلة العقيبة .

التربة (العلائية الأميرية)

الأمير علي ٠٠٠–٨٣١

هي بمقبرة الصوفية ، وقد درست هذه المقبرة بأجمعها ، بناها الأمير علي نائب الشام ليدفن بها ، فلم يتهيأ له ذلك لأنه مات بمصر سنة احدى وثلاثين وثمانمائة ، ودفن بها سيف الدين أركماس المؤيدي . ٥

التربة (العمادية)

العماد الكاتب

شمالي تربة جركس بقاسيون ، أنشأها العماد الكاتب المشهور وتقدمت ترجمته ، وهي أول تربة بنيت بالجبل ، واسمه مكتوب على بابها .

حرف الغين ١٠

التربة (الغزلية)

سيف الدين غزلو ٠٠٠–٧١٩

هي بقاسيون ، أوقفها سيف الدين غزلو(١) الأمير الكبير العادلي ، استنابه أستاذه العادل كتبغا على دمشق في آخر سنة خمس وتسعين وستمائة ، وكان أحدالشجعان العقلاء . قاله ابن شقدة ، قال : وله تربة مليحة بقاسيون ، توفي بدمشق سنة تسع عشرة وسبعمائة ، ودفن بتربته . ١٥

حرف القاف

التربة (القانبائية)(٢)

قبلي تربة يونس الدوادار ولصيقتها ، عمرها قان باي البهلوان نائب صفد ثم حماة ثم حلب ، توفي سنة احدى وخمسين وثمانمائة ، ودفن بها .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « غرلية » ، نسبة الى غرلو .

(٢) أضاف النعيمي الى ذلك : « البهلوانية » .

تربة (بمسجد القدم)

ابن عساكر ٠٠٠-٦١٠

دفن فيها تاج الأمناء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر من بيت الحديث والرواية ، توفي سنة عشر وستمائة ، ودفن قبلي محراب مسجد القدم . وفي سنة عشرين وستمائة دفن بها أبو البركات ابن المرار مجدد مسجد القدم.

٥

التربة (القراجية الصلاحية الأولى)

قراجا الصلاحي ٠٠٠-٦٠٤

هي على جادة الطريق عند تربة ابن ميرك بالسفح ، ولها قبة ، وهي الآن في حارة الأكراد على الجادة شرقي مدرسة الصاحبة يفصل بينهما الطريق . بناها الأمير قراجا الصلاحي صاحب صرخد ، توفي سنة أربع وستمائة .

التربة (القراجية الثانية)

١٠

الأمير قراجا ٠٠٠-٧٠٣

بميدان الحصى عند النهر ، بناها الأمير قراجا أستاذدار الأفرم ، توفي سنة ثلاث وسبعمائة ، ودفن بها .

التربة (القطلوبكية)

قطلوبك الششنكير

شمالي باب الفراديس ، وهي تربة الأمير قطلوبك الششنكير الرومي ، كان من أكابر الأمراء ، ولي الحجوبة في بعض الأوقات ، وعمر القناة بالقدس .

١٥

التربة (القطينية)

احمد ابن القطينة ٠٠٠-٧٢٣

كانت بطريق القابون . قال ابن كثير : هي بباب البستان المسمى بالموقع عند جسر ثورا ، وهي تربة هائلة بناها كبير المتمولين بدمشق أحمد بن محمد ابن القطينة الزرعي وكان تاجرا ، توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، ودفن بها . وفي « شذرات الذهب » أنه بنى مدرسة بزرع .

٢٠

التربة (القمارية)

قاري خاتون ٠٠٠-٦٩٤

بسفح قاسيون ، وهي تربة قماري خاتون بنت حسام الدين بن ضياء الدين أبي الفوارس القيمري ، ووقفت عليها الخان الذي كان لها بمسجد القصب ، توفيت سنة أربع وتسعين وستمائة .

التربة (القيمرية)

يوسف القيمري
٠٠٠-٦٥٤

بسفح قاسيون بحارة البيمارستان القيمري ، وهي تجاهه ، ولها قبة ، أنشأها هي والبيمارستان يوسف بن موسك القيمري الكردي ، وكان من أكبر أمراء القيامرة بحيث كانوا يقفون بين يديه ويعاملونه معاملة الملوك ، وكان من الأبطال ، ذا مال كثير وثروة ، ٥ توفي سنة ثلاث أو أربع وخمسين وستمائة .

حـرف الكاف

التربة (الكاملية البرانية)

هي بالجبـل تحت الكهف المسمى بكهف جبريـل بالقرب من المدرسة المعظميـة ، لم يعلم أمرها سوى أنه ولي مشيختها محمد بن ابراهيم بن غنائم بن واقد المهندس[1] ١٠ الصالحي الحنفي ، اعتنى بالحديث ، ونسخ « تهذيب الكمـال » مرتين ، مـع الدين والتواضع ومعرفة الشروط ، وتوفي في شوال سنة ثلاث وثلاثـين وسبعمائة ، ودفن بتربة والده بالقرب من المعظمية .

التربة (الكاملية الجوانيـة)

شرقي الخانقاه السميساطية ، وهي الآن موجودة ، ولها باب الى جامع بني أمية . ١٥ قال عز الدين الأنصاري الحلبي : ان الكامل لما ملك دمشق ، عمدت بنـاته الثـلاث الى أماكن في جوار باب الناطفانيين فاشترينها وعمرنها تربة مفتوحة الشبابيك الى الجامع، وبها قراء .

الملك الكامل

هو الملك ناصر الدين محمد ابن العادل أبي بكر محمد بن أيوب ، ولـد سنة ست ٢٠ وسبعين وخمسمائة ، وتملك الديار المصرية ، تحت جناح والده عشرين سنة وبعـده عشرين سنة ، وتملك دمشق قبل موته بشهرين ، وتملك حران وآمد وتلك الديار ، وله مواقف مشهودة ، وكان معظما للسنة وأهلها ، محبا لمجالسة العلماء ، فيه عدل وكرم

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « وافد بن المهندس » .

وحياء ، وله هيبة شديدة ، ومن عدله أنه شنق جماعة من أجناده في أكيال شعير اغتصبوه . قاله في « العبر » . وترجمه ابن خلكان بترجمة مطولة ، فقال بعد الثناء عليه : بنى بالقاهرة دار حديث ، ورتب لها وقفا جيدا ، وبنى قبة عظيمة على قبرالامام الشافعي ، وملك دمشق سنة ست وعشرين وستمائة ، ثم أعطاها لأخيه الأشرف وأخذ بدلها حران والرها وسروج والرقة ورأس عين ، توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ٥
ودفن بقلعة دمشق .

قال ابن الأهدب : وللكامل هفوة جرت منه وذلك أنه سلم مرة بيت المقدس الى الفرنجة اختياراً . وأورد له صاحب « تحفة الألباب » من الشعر قوله :

اذا تحققتم ما عند عبدكمو — من الغرام فذاك القدر يكفيه

أنتم سلكتم بقلبي وهو منزلكم — وصاحب البيت أدرى بالذي فيه ١٠

التربة (الكركية الاياسية الفخرية)

فخر الدين الكركي
٠٠٠-٨٣٤

بطريق الصالحية عند حمام الورد ، أنشأها فخر الدين اياس الكركي الحاجب ، وكان رجلا لطيفا يأخذ أموره كلها بالأضحوكة ، وكانت وطأته على الناس خفيفة ، ويداري العرب في طريق الحجاز ، تولى امرة الحج مرارا فأرضى الناس ، توفي سنة أربع وثلاثين وثمانمائة . ١٥

قال النعيمي : وفرغ من انشائها سنة ثمان وعشرين وثمانمائة كما هو مرسوم عقب ذكر وقفها بالواجهة الحجر فوق الشباكين ، وأبوابها تفتح الى جهة الغرب ، وقد أحكم بناءها فجعلها قبوا مكينا ، وله فيها فسقيتان ، وعلى هذا البناء الروح . انتهى .

التربة (الكروسية)

جمال الدين ابن كروس
٠٠٠-٦٤١

٢٠ داخل دمشق ، أوقفها محمد بن عقيل بن كروس محتسب دمشق ، وكان كيسا متواضعا صدرا رئيسا ، ودفن بها سنة احدى وأربعين وستمائة .

التربة (الكندية)

بسفح قاسيون تحت كهف جبريل ، وهي تربة العلامة أبي اليمن الكندي ، ترجمه

تاج الدين الكندي
٥٢٠–٦١٣

الصفدي في « تاريخه » ، وتقدم ذكره في مدرسة التاجية الحنفية . وفي « منتخب الشذرات » : هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن البغدادي المقرىء النحوي اللغوي شيخ الحنفية والقراء والنحاة بالشام ومسند العصر ، ولد سنة عشرين وخمسمائة ، وأكمل القراءات العشر وله عشرة أعوام ، اعتنى به سبط الخياط فأقرأه وحرص عليه ، ٥ وقرأ بالروايات على جماعة ، واتقن العربية ، وقال الشعر الجيد ، ونال الجاه الوافر فان الملك المعظم كان مديما للاشتغال عليه وكان ينزل اليه من القلعة ، توفي سنة ثلاثعشرة وستمائة . قاله في « العبر » بتلخيص . ومن شعره :

تمنيت في عصر الشبيبة أنني	أعمر والأعمار لاشك ارزاق
فلما أتاني ما تمنيت ساءني	من العمر قد كنت أهوى وأشتاق
١٠ وها أنا في احدى وتسعين حجة	لها في ارعاد مخوف وابراق
يقولون : ترياق لمثلك نافع	ومالي الا رحمة الله ترياق

التربة (الكوكبائية)

ستيتة بنت كوكباي
٠٠٠–٧٣٠

أمام محكمة الباب قبلي المدرسة النورية ، وهي تربة عظيمة ، والناس يسمونها زاوية النحلاوي وهو خطأ ، بل هي تربة الست ستيتة بنت الأمير كوكباي زوجة نائب الشام ١٥ الأمير تنكز . وقرأت كتابة بالحجر فوق باب تلك التربة الهائل مالفظه بعد البسملة :

أمر بانشاء هذه التربة المباركة المقر الأشرفي العالي المولوي الأميري الكبيري الغازي المجاهدي الملكي المخدومي السيفي سيف الدنيا والدين تنكز بدر السلطنة المعظم بالشام المحروسة عز نصره ، وكان الفراغ في شهر ذي الحجة سنة ثلاثين وسبعمائة . ا.هـ

وعرفها النعيمي بأنها عند باب الخواصين ، وغربي الطيبة ، وقبلي النورية الكبرى ، ٢٠ وبها مسجد ، ورباط النساء المسمى بالغمري الى جانبها ، وبها مكتب للأيتام وبروصلات وقراء كل ذلك أمرت به الواقفة . قاله ابن كثير . **قلت :** أما الباب والقبة والرباط الى جانبها فباقية ، والباقي انتحله المنتحلون فجعلوه بيوتا للسكنى أسوة بباقي المساجد والمدارس . وكانت وفاة الست ستيتة سنة ثلاثين وسبعمائة .

حـرف الميم

التربة (المؤيدية الشيخية)

كانت على الشرف الشمالي فوق المدرسة العزية ، دفنت بها مستولدة السلطان المؤيد شيخ سنة عشرين وثمانمائة ، ووقف عليها ابراهيم ابن الملك المؤيد وقفا ، ورتب لها أربعة من القراء .

التربة (المؤيدية الصوفية)

مؤيد الدولة ابن الصوفي ٠٠٠-٥٤٩

لم نعلم من شأنها الا أن النعيمي وغيره قالا : دفن بها مؤيد الدولة ابن الصوفي وزير آبق صاحب دمشق . قال الذهبي : وكان ظالما غشوما فسر الناس بموته ، توفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ودفن بتربته هذه .

التربة (المحمدية)

محمد ابن أبي العيش ٠٠٠-٦٣٤

هي التربة المحمدية الأمينية الأنصارية العيشية ، شمالي الجامع المظفري بسفح قاسيون ، أنشأها الشيخ الأمين محمد بن أحمد بن ابراهيم بن أبي العيش الأنصاري الدمشقي ، توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة ، ودفن بها ، وكان تاجرا فيه خير ودين ، وأسمع « صحيح البخاري » ، وعمر تحت الربوة مسجدا وبيوتا للطهارة وانتفع الناس بذلك ، وتكلم على جامع النيرب ، ووقف فيه ميعادا لاسماع الحديث .

التربة (المختارية الطواشية)

ظهير الدين مختار

أنشأها الطواشي ظهير الدين مختار الخاندار أحد الأمراء الكبار ، كان خيرا دينا يحفظ القرآن ويؤديه بصوت حسن ، وعليه وقار ، حسن الشكل والهيبة ، أوقف هذه التربة وهي خارج باب الجابية قبلي الصابونية الآن ، وقد آلت الآن الى الخراب ، وهو أول من عمر من الترب بذلك الخط ، ووقف عليها القريتين ، وبنى بها مسجدا حسنا ، ورتب له اماما ، ووقف مكتبا للأيتام على باب قلعة دمشق ، ورتب لهم الكسوة والنفقة ، وكان يمتحنهم بنفسه ويفرح بهم ، ولما مات دفن بتربته ، ولم يؤرخ النعيمي وفاته ولا العلموي .

التربة (المراغية)

بهاء الدين المراغي
٠٠٠—٧٦٤

داخل دمشق بالصاغة العتيقة في داخل زاوية الشيخ سراج الدين ، دفن بها الشيخ بهاء الدين بن عبد الرحمن بن عبد الولي الأخميمي المراغي المصري ثم الدمشقي، وكان بارعا في المعقولات ، وأخذ عن القونوي ، وألف كتاب « المنقذ من الزلل في القول والعمل » ، توفي سنة أربع وستين وسبعمائة . ٥

التربة (المزلقية)

محمد ابن المزلق
٧٥٤—٨٤٨

بطرف مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية عند باب مسجد الذبان ، أنشأهارأس الخواجكية محمد بن علي بن أبي بكر المعروف بابن المزلق ، وكان من أهل الثروة أنشأ بطريق مصر الى الشام خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار، وأنفق على عمارتها ما يزيد عن مائة ألف دينار ، وبهذه الخانات مياه وهي في غاية ١٠ الحسن ، ولم يسبقه أحد من الملوك الذين قبله والخلفاء الى مثل هذا العمل ، وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ، ووقف على سكان الحرمين الشريفين الأوقاف الكثيرة الحسنة ، وعين للحجرة الشريفة النبوية الشمع والزيت في كل عام ، وكان يكاتب الملوك فيقضون له حوائجه ، وكلمته نافذة عندهم ، وكانت الأعراب تراعيه وتحفظ متاجره ، توفي سنة ثمان وأربعين وثمانمائة ، ودفن بتربته هذه ، وكان قد وقف جميع ١٥ أملاكه . قال العلموي : وكان أبوه لبانا ، ملبنته عند جامع يلبغا ، والى الآن ، يعني الى زمنه ، ذريته يطالبون بحكر بقعتها بجنينة كانت هناك . ثم ان ابن المترجم سافر الى الهند مرارا فربح في مرة منها مائة ألف دينار وثمانمائة ألف درهم . والمزلَّق بضم الميم وفتح الزاي وتشديد اللام مكسورة .

تربة (المسجف) ٢٠

عبد الرحمن ابن المسجف
٠٠٠—٦٣٥

هي بالمزة . قال الذهبي : هو عبد الرحمن بن أبي القاسم بن غنائم بن يوسف الأديب الكناني العسقلاني ابن المسجف الشاعر ، توفي في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ودفن عند ولده بالمزة ، وكان أديبا شاعرا طريفا خليعا ،وكانت له رسوم على الملوك ، وأكثر شعره في الهجو سلك به طريقة ابن عنين .

التربة (المعظمية)

الملك المعظم عيسى ٥٧٦–٦٢٤

هي بالصالحية ، دفن بها الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن العادل المتوفي سنة أربع وعشرين وستمائة ، وبها قبور جماعة من اخوته وأهل بيته .

التربة (الملكية الأشرفية)

الملك الأشرف موسى ٥٧٦–٦٣٥

هي شمالي الكلاسة ، لها شبابيك الى الطريق والى الكلاسة ، ولم يبق منها الآن الا قبتها ، عمرت للملك الأشرف موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ؛ وكان له مآثر وهفوات ، وفي أيامه نادى أن لايشتغل الفقهاء بغير الحديث والتفسير والفقه ومن اشتغل بالمنطق وعلم الأوائل نفي ، والظاهر أنهذا هو الذي حمل ابن الصلاح على القول بتحريم المنطق ولم نعلم له مستندا في ذلك الا أنه لم يعلمه . وكتب الأصول في زمنه كانت مشحونة بالمنطق ، بل كتب ابن الصلاح نفسه لاتخلو من التطبيق على قواعده وان كان ذلك أتى منه بطريق المصادفة . ومن مآثر الملك الأشرف مدرسة دار الحديث التي بالعصرونية ، ومدرسته التي بالصالحية ، وعمارة جامع التوبة ، ومسجد القصب ، ومسجد دار السعادة المسمى الآن جامع السرايا ، وجامع جراح ، وسبل المقبرة غربي خانقاه عمر شاه بالقنوات ، وجدد مسجد أبي الدرداء الذي بالقلعة ، توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة .

التربة (المنكبائية)

سيف الدين منكباي ٠٠٠–٨٢٣

تجاه باب المصلى ، أنشأها الأمير سيف الدين منكباي الازدمري ، وكان خيرا قوي النفس حسن الشكل ، وينسب الى شجاعة ، صار أمير طبلخانة ، ثم حاجب الحجاب ، وجرت له أمور فتنقلت به الأحوال ، توفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة بحماة لأنه كان نائبا بها ، ثم نقل الى تربته .

حرف النون

التربة (الناصرية)

الملك الناصر صلاح الدين ٦٢٧–٦٥٩

بجبل الصالحية ، أوقفها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز محمد ابن الظاهر غازي بن صلاح الدين ، تسلطن سنة أربع وثلاثين وستمائة وعمره سبع سنين،

ودبر مملكته الوزير لولو ، ولما بلغ رشده استقل بالأمر ، ومن آثاره المدرسة الناصرية المتقدمة ، وبنى بالصالحية رباطا وتربة ومدرسة وكانت عمارة عظيمة أحضر لها من الرخام والأحجار شيئاكثيرا ، ونهر يزيد يمر بها ، توفي سنةتسع وخمسين وستمائة .

التربة (النجمية)

٥ جوار الحسامية البرانية والشامية ، بها قيرشاهنشاه والد فروخ شاه ، وتقي الدين عمر ، والست عذراء ، والملك منصور حسن ابن السلطان صلاح الدين ، وفتح الدين ابن أسد الدين شيركوه توفي سنة احدى وستين وخمسمائة ، ودفن بها الملك المنصورحسن ابن السلطان صلاح الدين سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

التربة (النشابية)

عماد الدين ابن النشابي ٠٠٠-٦٩٥

١٠ غربي الروضة بسفح قاسيون ، أنشأها عماد الدين حسن بن علي ابن النشابي ، وكان أمير طبلخانة ، توفي سنة خمس وتسعين وستمائة(١) ، ودفن بها .

حرف الهاء

التربة (الهولية)

هولو ابن العابد

هي قبلي دمشق خارج الميدان الفوقاني ، مزخرفة البناء واسعة ، أنشئت لهولو ١٥ باشا الشهير بابن العابد ، كان والده من العرب الموالي ، ثم دخل دمشق وانخرط في الجندية ، ثم تلاه ولده هولو فتولى مناصب تمول منها ، وكان ذا سيرة استبدادية ، ولما مات سنة (٢) عمرت له هذه التربة ودفن بها .

وقد وقف بنا عنان القلم هنا عن تراجم الترب التي لافائدة منها سوى ذكرأصحابها، وربما توجد ترب كثيرة لم ندر تراجم أصحابها ، والمطالع يعذرنا في تركها(٣) .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : تسع وتسعين وستمائة .

(٢) لم يذكر المؤلف سنة وفاة هولو باشا بل ترك مكانها بياضاً .

(٣) كان هذا بحسب ترتيب المؤلف ، فلما رتبنا الترب بحسب التسلسل الأبجدي أصبح هذا الكلام غير وارد .

حـرف اليـاء

التربة (اليونسية)

بباب الصغير غربي المزار المعروف بأوس بن أوس الصحابي الخزرجي لا القرلي كما يزعم بعض الناس ، أنشأها الأمير يونس خازندار ملك الأمراء سودون .

التربة (اليونسية الدوادارية) ٥

وتعرف أيضا بتربة مقبل ، قبلي تربة فرج بن منجك التي غربي تربة بهـادر ، وشمالي تربة قايتباي ، وغربي تربة أكز ، دفن بها جماعة ، منهم : الامير سيف الدين حكم أمير طبلخانة توفي سنة ٨٣٦ ست وثلاثين وثمانمائة ، وأبو يزيد الناصري رأس نوبة توفي سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، وزين الدين مقبل .

قال العلموي : وفي دمشق والصالحية ترب كثيرة لم يذكرها في الأصل يعني في ١٠ «تنبيه الطالب وارشاد الدارس»، ولم يذكرها «المختصر» تبعا له، ولم يعلم السبب الداعي الى ذلك مع شهرتها ولعله مجرد اختصار ، ولو ذيل عليه بقلت لكان أتم فائدة . انتهى.

وأقول : انا لطول الزمن وبعد العهد بها وانطماس آثارها لم نقدر على سبرها وضبطها ثم ذكرها ؛ فلذلك اكتفينا بما تقـدم ، على أن أكثر ما ذكره لم يبق له أثر ، وقـد ذكر النعيمي تربة واحدة بعد ذلك ، فقال(١) . ١٥

---

(١) هي تربة مسجد القدم التي أدرجناها بحسب التسلسل الأبجدي تحت حرف القاف .

الباب الثاني عشر فيما اشتهر من الجوامع

أقول : لايوجد في بلاد الاسلام مدينة أكثر جوامع ومساجد من دمشق حتى أنها أفردت بالتآليف ، فذكر الحافظ ابن عساكر في أوائل « تاريخه » عددا عظيما منها ، ثم تلاه ابن شداد فزاد عليه عددا وافرا ، ثم تلاهما النعيمي فذكر في آخر كتابه «تنبيه الطالب وارشاد الدارس » جميع ما أورداه وزاد عليهما ، ثم جاء بعدهم يوسف بن عبد الهادي الشهير بابن المبرد فجمع كتابا سماه « ثمار المقاصد في ذكر المساجد » فزاد عليهم وأربى ، ثم قال : ان المتروك الذي لم نذكره نحن ولا ابن شداد أكثر من خمسمائة مسجد في البلد وما حولها وفي القرى ، فناهيك ببلدة تحتوي على ألف وخمسمائة مسجد فلله درها ! وانما ذكرنا ما هو بواديها فقط ، وأما ما هو محيط بمعاملتها مما وراء جبالها فشيء كثير جدا . انتهى .

وقال ابن شداد : وكثرة تلك المساجد تدل على اهتمام أهلها بالدين ، وكثرة المصلين فيها والمتعبدين . انتهى .

وقد أوردت جميع ماذكروه في كتابنا « منتخب النفائس من كتاب تحفة الطالب وارشاد الدارس » وفي كتابنا « تهذيب تاريخ دمشق » الذي ألفه الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر الدمشقي . وقد كنت أردت أن أوردها هنا ، فتأخرت لأني رأيت أنه لاطائل في ذكرها لأن غالبها قد اندرس ، ولأن المترجمين لها لم يذكروا بُناتَها ، وعرفوها بأمكنة تغيرت أسماؤها فتراهم يقولون : مسجد في زقاق صفوان سفل لطيف ، مسجد عند حمام ابن أبي المطر بناه ابن أبي فيروز ، مسجد الأزرعي مقابل دار ابن البري وهكذا، وهذا كان في زمن ابن شداد في عصر الستمائة ، ونحن الآن من أين لنا معرفة بزقاق صفوان وبدار ابن البري بعد مضي سبعمائة سنة ؟ فمن ثم اقتصرنا على ذكر ما اشتهر منها وعرف بانيه ، وأضربنا عن الباقي ، وأخرنا الكلام على الجامع الأموي لطول الكلام عليه **فقلنا :** (١)

---

(١) على الرغم من أن المؤلف قد أخر الجامع الأموي الا أننا قدمناه مراعاة للتسلسل الأبجدي الذي التزمناه في عامة الكتاب .

حــرف الهمزة

الجــامع (الأموي)

هو أعظم جوامع دمشق ، وللناس فيه قصائد وأقوال يضيق عنها الحصر ، ولهم في بانيه الأول مذاهب لايعلم المحقق ما الثابت منها وما المختلق لطول الزمان وبنائها على الظن والتخمين ، وانا ذاكرون هنا مانراه أقرب الى العقل والى طبع الزمان تاركين الباقي لأصحابه ، ومما نراه ما بين بين ما قاله عز الدين بن شداد ، قال : أخبرني أحمد ابن عبد الكريم المعروف بابن الخلال الحمصي أنه وقف على كتاب ألف لبعض الوزراء وفيه أن الوزير قال وهو بحضرة أبي العلاء المعري : ان الوليد لما هدم الحائط الشرقي حائط الجامع أمر أن يعمق أساسه ، وبينما هم يحفرون اذا بهم انتهوا الى حائط ، فأمرهم الوليد أن يحفروا أمامه ، فوجدوا فيه بابا ففتحوه ، فوجدوا خلفه صخرة عليها كتابة ، فحملت اليه فأحضر من قرأها ، فاذا بها ما صورته :

لما كان العالم محدثا ثبت أن له محدثا أحدثه وصانعا صنعه، فبني هذا الهيكل لمضي ثلاثة آلاف وسبعمائة سنة لأهل الأسطوان ، فان رأى الداخل اليه أن يذكر بانيه بخير فعل والسلام .

فقيل لأبي العلاء : من أهل الأسطوان ؟ فقال : لا أعرف ، ثم أنشد :

سيسأل قوم ما الحجيج وما منى   كما قال قوم من جديس وما طسم؟

يعني أن بعد العهد بالأوائل ينسي آثارهم ، ويطمس المنار دون أخبارهم . ويقال : انه رئي حجر في المئذنة الشرقية عليه كتابة باليونانية ، فترجمت الى العربية فاذا هي ما تعريبه :

لما كان العالم محدثا ، والحدوث داخل عليه ، وكانت الضرورة تقود الى عبادة محدثه لا كما يقول ذو اللحيين وذو اللسانين واشباههما ، فلما دعت الضرورة الى عبادة الخالق المحدث بالحقيقة، تجرد لانشاء هذا البيت والنفقة عليه محب الخير تقربا الى منشىء العالم ومبديه وايثارا لما عنده ، وذلك سنة ثلاثمائة وألفين لأهل الاسطوان .

فعلى صحة هاتين الحكايتين ، وسبق الاولى الثانية ، يكون بناء هذا الهيكل أيام كانت اليونان مالكة لسوريا . وأيا ما كان فان المؤرخ لايطمع في أن يعرف الزمن الذي أنشئت فيه دمشق وأسس جامعها ، وكل ما يقال فيه فانه تخرصات وأوهام لايقف صاحبها على حقيقة . وغاية أمرنا هنا أن نذكر تاريخ جعله جامعا ، على أن ذلك التاريخ أيضا يحار فيه الناظر فلا يقدر أن يفرق بين الصحيح وغيره لما تغشاه من المبالغات ، كما هو شأن كتب التاريخ عندنا حتى أنهم أوصدوا أمر هذا الجامع الى ما وراء العقول، وذلك لأنهم ينقلون كل خبر يسمعونه ، ثم لايحكمون عقولهم في التفرقة بين جيده ورديئه ، ولو أخذت أذكر جميع ما قاله المؤرخون عنه لكان موضوعنا هزءا عند أهل زماننا ، لأن التاريخ عندهم لبس ثوبا غير ثوبه الأول ، فأسس على التحقيق والتدقيق لا على التسليم بقول القائل أيا ما كان ؛ فلذلك أضربت عن كثير مما ذكره ابن عساكر وغيره من أضرابه ، واكتفيت بما تراه ، وسأمهد لعذري شذرة مما قيل ليعلم المطالع ما كان عليه بعض القوم ؛ فقد قال ياقوت في « معجم البلدان » : لو عاش الانسان ألف سنة ، وجعل يتردد كل يوم من أيامها الى الجامع لكان يرى في اليوم ما يراه بأمسه . فتأمل هذه المبالغة التي دونها قول المتنبي :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق !

ومثل هذا كثير فاعلم ذلك ، واليك مانرويه منسوبا لقائله :

قال الحافظ الذهبي في « مختصر تاريخ الاسلام » : ان الوليد بن عبد الملك هو الذي بنى جامع دمشق أيام سلطنته وزخرفه ، وكان نصفه الغربي كنيسة للنصارى ، والنصف الآخر مسجداً للمسلمين ، فأرضى الوليد النصارى بعدة كنائس صالحهم عليها، ثم هدمه الا حيطانه الأربعة ، وأنشأ قبة النسر والقناطر ، وحلاه بالذهب والجواهر وستور الحرير ، وبقي العمل فيه تسع سنين ، وأنفق عليه الأموال العظيمة حتى جعله نزهة للناظرين. انتهى. وكان الابتداء به سنة سبع وثمانين. وفي كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري أن الوليد لما أراد هدم الكنيسة قال بعض النصارى : ان لها شأنا عظيما، فمن هدمها جن أو أصابته عاهة ، فحنق من قولهم ، ودعا بمعول فأخذه بيده وأخذ يهدم الحيطان ، فاقتدى به الفعلة ولم يصب أحد منهم بسوء . وقال الأكفاني بعد أن روى هذه الحكاية : ان الوليد لما سمع مقالتهم أتى بسلم فنصبه على محراب المذبح ، وصعد وضرب بيده المذبح حتى أثر فيه أثرا كبيرا ، وقال أيضا : ان الوليد اغتم يوما ،

فدخل عليه المغيرة بن الوليد فقال : ما غمك ؟ فلم يخبره ، فألح عليـه ، فذكر له أن النصارى أبوا عن بذل الكنيسة ، فقال له المغيرة : لاتهتم ، ان خالد بن الوليد قد دخل من الباب الشرقي بالسيف ، ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان ، فنحن نماسحهم الى الموضع الذي وصل اليه السيف ، فما كان لنا به حق أخذناه ، والا داريناهم فأخذنا الكنيسة بالرضا . فقال له : فرجت عني ، فتول هذا الأمر . قـال : فتولاه ، فبلغت المساحة الى سوق الريحان حتى حاذى القنطرة الكبيرة أربعة أذرع بالذراع الهاشمي ، واذا بباقي الكنيسة قد دخل بالمسجد ، فبعث اليهم وقال : هذا حق قد جعله الله لنا . فقالوا : قد أقطعتنا كنائس ، وبذلت لنا من المال كذا وكذا ، فان رأيت أن تتفضل علينا فعلت ، فامتنع عليهم أولا ، ثم أعطاهم أربع كنائس . وقال النعيمي : وقد بنى الوليد جميع ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمكها ، ثم انه توفي سنة ست وتسعين ، ولم يتم البناء ، فأتمه من بعد أخوه سليمان ، وتوفي سنة تسع وتسعين ، وعملت له المقصورة حين استخلف . وبنى الفضل بن صالح العباسي القبة الغربية وكانت تسمى قبة المال .

وروى ابن عساكر بسنده الى زيد بن واقد ، قال : وكلني الوليد على العمـال في بناء جامع دمشق ، فبينما نحن في العمل اذ وجدنا مغارة ، فعرفنا الوليد ذلك ، فلما كان الليل وافى وبين يديه الشموع ، فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، واذا فيها صندوق ففتح ، فاذا فيه سفط ، وفي السفط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ، قال : فرد الى مكانه بأمر الوليد ، وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه مغيرا عن بقية الأعمدة ، فجعل عليه عمود مسفط الرأس . قال زيد : قد رأيت الرأس الشريف حين أرادوا بناء الجامع ، وقد أخرج من تحت ركن من أركان القبة وشعره وبشرته لم يتغيرا ، ويقال : ان الرأس الشريف نقل من دمشق الى بعلبك ، ومنها الى حمص فحلب ، فجعل في قلعتها في جرن من الرخام ، ثم نقل منها الى الجامع لما استولى التتار عليها ، كذا قيل والله أعلم بحقيقة الأمر . وقد أطال ابن عساكر ، وأورد أقوالا متناقضة تارة تثبت شيئا وتارة تنفيه كما هي عادته في نقل كل ما يسمعه ويتصل به من غير تمحيص . ولما بنى الوليد هذا الجامع جعله أعجوبة في النقش والزينة ، وصفح جدرانه بالرخام العجيب والفسيفساء وصور الأشجار حتى اندهش به الناظر ، وبناه بالقناطر المعقودة أقواسها بعضها الى بعض ، وأقام الرصاص فوقه مكان الطين ، وللناس تفنن في الأرصاد

التي كانت به أقيم مقام الفكاهات. ولقد رأيت في كتاب « الأقاليم » ما نصه : وبدمشق مسجد ليس في الاسلام أعمر ولا أكبر منه بقعة ، وأما الجدار والقمة التي فوق المحراب عند المقصورة فمن بناء الصائبيين ومصلاهم ، ثم صار في أيدي اليونان وكانوا يعظمون فيه دينهم ، ثم صار الى اليهود وملوك عبدة الأوثان، فقتل في ذلك الزمن يحي بن زكريا، ونصب رأسه على باب جيرون من هذا المسجد ، ثم بعد ذلك نصب فيه رأس الحسين رضي الله عنه ، فلما كان زمن الوليد بن عبد الملك عمره ؛ فجعل أرضه رخاما مفروشا ، وجعل وجه جدرانه مجزعا، وأساطينها رخاما مذهبا، ومحرابه مذهبا مرصعا بالجوهر، وجعل السقف كله مذهبا مكتبا ، كما يطوف بتربيع جدار المسجد ، يقال : انه أنفق في بنائه خراج الشام خمس سنين ، وجعل سطحه رصاصا ، وسقفه خشبا مذهبا ، وجعل الماء يدور على رقعة المسجد حتى اذا انفجر فيه انبسط على جميع أركانه بالسواء . انتهى .

ولبعض الفقهاء فيه أقوال نزلت منزلة الترغيب في الصلاة فيه ارضاء لبانيه وللعوام كما هو شأن كثير من الناس : منها ما روي عن سفيان الثوري أنه قال : الصلاة بمسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة . هكذا اتصل بنا منقطع الاسناد ، ويمكن أن يكون مفترى على سفيان لأن كثيرا من الرواة افتروا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف لايفترون على سفيان ؟! وعلى تقدير صحة الاسناد اليه فان له معارضا وهو أن ترتيب الثواب لايكون الا من صاحب الشرع ولم يرد عنه خبر بهذا ، والاجتهاد والقياس لايتأتيان في أمثاله . ومثله تفسير البعض التين بجامع دمشق ، والزيتون بالمسجد الأقصى ، لكن هذا محتمل لأنه لايترتب عليه ثواب ولا عقاب ، وأما الأول فليس منشؤه الا ما كان من جهته صلى الله عليه وسلم . وفي « تحفة الأنام » للبصروي أن الذين عمروا هذا المعبد كانوا من عباد الكواكب السبعة ، وكانوا يجعلون على كل من أبوابه عيدا ، وكانوا يصلون الى القطب الشمالي ، وبابه الى جهة القبلة خلف المحراب ، وهو باب حسن من الحجارة المنحوتة ، عن يمينه وعن يساره بابان صغيران بالنسبة اليه ، وكان غربي المعبد قصر تحمله هذه الأعمدة التي بباب البريد ، وشرقيه قصر جيرون وكان دارا لمن يملك دمشق في القديم . انتهى .

وقد شاهدنا عند باب البريد قبة شاهقة تحملها عمد أربع ، وقد هدمت ، وأزيل العمودان الغربيان ، وبقي اثنان عن يمين الدرج وعن شماله .

قال ابن كثير : وفي سنة اثنتين وستمائة هدمت القنطرة التي عند الباب الشرقي من الجامع ، ونشرت أحجارها لتبليطه .

قال البرزالي : وفي سنة ست وثلاثين وسبعمائة احترق سوق النحاسين بدمشق وكان قريبا من الجامع ، فوجدوا حائط دار الخطابة متعتعا فخرب ، فوجدوا فيه حجارة كبارا ، وظهر باب كبير مليح له أسكفة وجوانب مخرمة خلف محراب المقصورة ، فنقلت حجارته لبناء باب الفرج ، وكان زقاق هناك يسمى بزقاق القباب ، وهناك دار مسلمة ابن عبد الملك .

قال ابن كثير : وفي سنة احدى وثلاثين وسبعمائة كملت عمارة القاسارية التي بباب الزيادة ، وجددت قاساريتان أيضا ، وسكن بهما الصواغ وتجار الذهب والجوهر ، وهما حسنتان ، والكل وقف الجامع .

وروى ابن عساكر بسنده الى محمد بن أحمد بن زير القاضي أنه قال : انما سمي باب الساعات هناك لساعات يعلم بها كل ساعة تمضي من النهار ، عليها عصافير من نحاس وحية منه وغراب ، فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب فسقطت حصاة . انتهى . وهو اختراع غريب ان صح السند .

قال الذهبي في « العبر » : وفي سنة احدى وستين وأربعمائة في نصف شعبان احترق الجامع كله من حرب وقع هناك ، فضربوا دارا مجاورة للجامع فقضي الأمر واشتد الخطب ، وأتى الحريق على سائره فدثرت محاسنه وانقضت ملاحته ، ويقال : ان القبة التي فيها فوارة الماء أقيمت سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وقد وصفها قمر الدولة جعفر بن دواس الكناني بقوله :

رأيت بالجامع المعمور منقبة ... في جلق كنت احدى من لها سمعا
فوارة كلما فارت فرت كبدي ... وماؤها فاض بالأنفاس فاندفعا
كأنها الكعبة العظمى فكل فتى ... من حيث قابل أنبوبا لها ركعا

وقيل : أنشئت سنة ست عشرة وأربعمائة أنشأها الشريف أبو يعلى ، وعمل حولها قناطر ، وعقد عليها قبة مزخرفة ، وبنى فوقها شاذروانا ، وعمله كان سنة أربع عشرة وخمسمائة ، ثم تهدم الكل وبقيت الفوارة . وأما القبة الشرقية التي في الجامع فقد بنيت سنة ستين ومائة في أيام المهدي .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة جددت أبواب الجامع من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر .

وفي سنة سبع عشرة وستمائة نصب محراب الحنابلة بالرواق الثالث بعد ممانعات كثيرة ، وصلى فيه الشيخ موفق الدين المقدسي ، ثم أخذ منهم سنة ثلاثين وسبعمائة، ٥ وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيادة .

وفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة نقض الحائط القبلي مما يلي باب الزيادة ، ثم بني ، وكان في كل ركن من الجامع صومعة فهدمت ولم يبق منها الا الموجود الآن .
وفي سنة أربعين وسبعمائة وقع حريق عظيم بدمشق احترقت فيه المنارة الشرقية من الجامع .

١٠ وفي أيام الناصر ابن الملك العزيز فرض في ماء القنوات زيادة للجامع على ماء بانياس ، وهي مقدار سبع عشرة أصبعا من أصابع الماء للكلاسة ، وللبركة المجددة بباب البريد ، وللقسطل المساق للبيمارستان الدقاقي ، ولمشهد عروة .

وفي سنة ثمان وستين وستمائة كان الجامع كأنه خان ينام فيه الناس ، وكان لكل مقيم به موضع قد أفرده واقتطعه وعمل فيه صندوقا وأحاطه بمقصورة ، حتى كان ١٥ فيه ما يقرب من ثلاثمائة خزانة ومقصورة ، فأزال الملك الظاهر ركن الدين جميع ذلك ، ونظف الجامع ، وفرشه بالحصر والبسط ، وغسل رخامه وحسنه، وكان بصحن الجامع أيضا حواصل للمنجنيقات ، وحواصل للأمراء وغيرهم من خيم وشبهها فأزالها أيضا ، ورتب أوقافه للمستحقين ، وفتش على كتب الوقف التي كانت له ، فجمعها من المختلسين ، ورتبها وجلدها وأتقنها ، ولولا ذلك لجعله الناس بيوتا وأسواقا كما جعلوا ٢٠ غيره من الجوامع والمدارس . ورأيت في بعض التواريخ أن المنارة الشمالية المسماة بمئذنة العروس بناها الوليد ، والمنارتان الموجودتان الآن قديمتان . ثم ان الجامع احترق أيام فتنة تيمورلنك سنة ثلاث وثمانمائة ، واحترقت ابنية البلد كلها ، ثم عمر. وفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة احترق الجامع وما حوله من الأسواق فأتى الحريق على جميعها . ذكره ابن طولون في « تاريخه » .

٢٥ وفي سنة احدى عشرة وثلاثمائة والف احترق الجامع أيضا فأسف الناس عليه أسفا عظيما ، ثم جمع له أهل الخير أموالا ، وانفقت الدولة عليه جانبا حتى تم بناؤه في

سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف . وبالجملة فان بناء الجامع الأول لم يبق منه الا مالا يذكر .

وكان في هذا الجامع من المدارس : الغزالية ، والأسدية ، والمنجائية ، والقوصية، والسيفية ، والمقصورة الكبيرة ، والزواوية ، والشيخية . وكان له تسعة أئمة ، وأربعة وعشرون سبعا[1] ، واحدى عشرة حلقة للتدريس في الفنون ولها مقررات من مال المصالح، وكان به ثلاث حلقات للاشتغال بالحديث . وقد حكى المحبي الدمشقي في « تاريخه » المشهور أنه بعد الخمسين وألف أحدثت وظيفة تدريس في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، رتبها بهرام آغا كتخدا والد السلطان ابراهيم ، وبنى السوق الجديد والخان قرب باب الجابية لأجلها ، وعين للمدرس ستين قرشا ، وللمعيد ثلاثين ، ولقارىء العشر عشرة قروش ، ودرس بهذه الوظيفة الشيخ سعودي ، ثم بعده تاج الدين بن أحمد المحاسني الدمشقي .

وفي الجامع أيضا بيت الخطابة ، وكان به خزانة كتب . حكى المحبي في « تاريخه » في ترجمة علي الدفتري أنه وقف كتبه ، واستودعها بيت الخطابة بالقرب من المقصورة بالجامع الأموي ، الى أن ادعى النظارة عليها بعض المفتين بالشام واحتوى عليها . وفيها نفائس الكتب . قال : وكان لعلي الدفتري مشاركة في الفنون ، وتوفي سنة ثماني عشرة بعد الألف . وكان بهذا الجامع جماعة من أفاضل الموقتين ، واليك تراجم بعضهم :

ابن القيسراني

محمد ابن القيسراني
٤٧٨-٥٤٨

هو محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني حامل لواء الشعر في زمنه ، تولى ادارة الساعات في جامع بني أمية مدة ، ثم سكن حلب ، وكان عارفا بفنون الهيئة والنجوم والهندسة والحساب ، مدح الملوك والكبار ، وعاش سبعين سنة ، ومات بدمشق. قال ابن خلكان : وكان ابن منير ينسب الى التحامل على الصحابة رضي الله عنهم ، ويميل الى التشيع ، فكتب اليه ابن القيسراني وقد بلغه أنه هجاه :

يا ابن منير هجوت مني	حبرا أفاد الورى صوابه
ولم تضيِّق بذاك صدري	فان لي أسوة بالصحابة

(١) مخرج للماء يوضع على البركة ، وغالبا يكون بشكل رأس الأسد ؛ ولذلك سمي سبعاً .

ومن محاسن شعره قوله :

كم ليلة بت من كاسي وريقته نشوان أمزج سلسالا بسلسال
وبات لاتحتمي عني مراشفه كأنما ثغره ثغر بلا والي

وله في خطيب :

٥ شرح المنبر صدرا لتلقيك رحيبا
أترى ضم خطيبا منك أم ضمخ طيبا

وله في غزال :

بالسفح من لبنان لي قمر منازله القلوب
حملت تحيته الشمال فردها عني الجنوب
فرد الصفات غريبها والحسن في الدنيا غريب
١٠ لم أنس ليلة قال لي لما رأى جسمي يذوب
بالله قل لي يافتى من علك ؟ قال : الطبيب

توفي بدمشق سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، ودفن بباب الفراديس . وترجمه الصفدي وقال : نشأ بقيسارية الساحل فنسب اليها ، وسكن دمشق في دولة تاج الملوك ، ثم سكن حلب مدة ، وولي بها خزانة الكتب ، وتردد الى دمشق وبها مات ، وأتقن
١٥ الهندسة والحساب والنجوم ، ثم أطال الكلام بسرد ماله من النظم والنثر .

ابن الشاطر رئيس المؤذنين

أقول : مرت علي سنون وانا متشوق لرؤية شيء من تاريخ حياة هذا الرجل ، فلم اظفر به لأن أكثر المؤرخين من الفقهاء هم أعداء لأولي العلوم الفلسفية والهندسية ، وتمادى بي الحال الى أن رأيت النعيمي نقل شيئا من ترجمته عن « تاريخ الصلاح
٢٠ الصفدي » ولكنه لم يرو لي غليلا ، وأنا هنا أنقل ما ظفرت به ، ولعل الزمان يطلعني على مطول أخباره . قال الصفدي : هو علي بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن حسان ابن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الأوسي رضي الله عنه ، فريد الزمان ، المحقق المتقن البارع الرضي ، أعجوبة الدهر ، رئيس المؤذنين بالجامع الأموي ، قرأ على علي بن ابراهيم بن يوسف ، وكان يعرف بابن الشاطر ، تسمى هو بذلك ، فسألته عن

علي ابن الشاطر
٧١٥-٧٧٧

مولده فقال : في خامس عشر شعبان سنة خمس وسبعمائة بدمشق ، رأيته غير مرة ، ودخلت منزله في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة لرؤية الاسطرلاب الذي أبدع وضعه ، فوجدته قد وضعه في قائم حائط في منزله داخل باب الفراديس في درب الطيار ، ورأيت هـذا الاسطرلاب فأنشأ لي طربا ، وجـدد لي في المعارف رأيا ، وقلت : ان من تقدمه من الأفاضل عند جبل علمه الراسخ هباء ، ولو رآه اقليدس لما كان عنده الا نقطة من خطه ، أو أرشميدس لرأى شكله قطاعا في تحريره وضبطه ، فسبحان من يفيض على بعض النفوس ما يشاء من المواهب ، ويجدد في كل عصر من يحيي رسوم الفضل الذي عدم في الليالي الذواهب . وصورة الاسطرلاب المذكور : قنطرة مقدار نصف أو ثلث ذراع تقريبا يدور أبدا على الدوام في اليوم والليلة من غير ماء على حركات الفلك ، لكنه قد رتبها على أوضاع مخصوصة تعلم منها الساعات المستوية والساعات الزمانية . هذا كلام الصفدي رحمه الله . قال النعيمي : والى هذا الفاضل ينسب عمل المنحرفتين في مئذنة العروس . انتهى .

قلت : الذي يلوح لي أن الذي دعـاه الصفدي بالاسطرلاب ليس هـو الاسطرلاب المشهور ؛ لان هذا ميزان الشمس ، واختراعه كان قبل زمنه بألوف من السنين ، ولكنه الآلة المسماة في زمننا بالساعة ، ويكون ابن الشاطر هو المخترع لهذا النوع العظيم الفائدة ، ثم ان أهل بلادنا أهملوه هو واختراعه حينا من الدهر ، حتى ظفر بنخب أفكاره الافرنج ، فهذبوه وأتقنوه فنسب اليهم . على أن اختراعه يزيد على ما تفننوا به بمعرفة الزمانية التي تقسم كلا من النهار والليل الى اثنى عشر قسما في جميع الفصول ، فلله في خلقه شؤون . وأما المنحرفتان فقد بقيتا الى حدود تسعين ومائتين وألف في مئذنة العروس ، وفي أثنائها كان شيخنا الشيخ محمد الشهير بالطنطاوي اماما في فن الهيئـة والميقات في دمشق ، فنظر في هاتين المنحرفتين فرأى وضعهما قد اختل لمرور السنين واختلاف الرياح والأمطار عليهما ، وبينما هو يحرر وضعهما اذ بالبلاطة قد انكسرت ، فشرع بانشاء منحرفتين على نمطهما حتى أتمهما ، غير أنه رسمهما على الأفق الحقيقي فاختل العمل بهما ، ولم ينتفع بهما كالأولتين ، وقد حصل له أثناء العمل معاكسات من أهل دمشق ، وهجاه بعض ذوي الخلاعة والعقل المنحرف ، ثم انه رسم منحرفتين على الأفق المرئي ، ووضعهما في جامع الدقاق ، وكانت وفاته سنة (١)

---

(١) لم يذكر المؤلف سنة الوفاة .

قلت : وله رسالة سماها « النجوم الزاهرة في العمل بالربع المجيب بلا مري ولا دائرة » ، وله « الزيج المشهور » ذكره صاحب « كشف الظنون » ، ورأيته أنا أيضا وطالعت فيه ، واختصره شمس الدين الحلبي وسماه « الدر الفاخر » ، وصححه الشيخ شهاب الدين احمد بن غلام الله بن أحمد كاسب الكومي الديشي بجامع الملك الجديد ، وسماه « نزهة الناظر في تصحيح زيج ابن الشاطر » ، ثم اختصره وسماه « اللمعة في حل الكواكب السبعة » ، ولخصه أيضا محمد بن علي بن ابراهيم الشهير بابن زريق الخيري الشافعي الموقت ، وسماه « الروض العاطر في تلخيص زيج ابن الشاطر » وقرأت في رسالة « العمل بالربع المجيب بلا موري » تصنيف الشيخ جلال الدين محمد بن علي الجويني مالفظه : أعلم أني لما وجدت غالب ما يحدث من الخلل في الربع المجيب الموري، وذلك لأن الخيط اذا شد تحول الموري عن مركزه ، وكذلك اذا أرخي ، فتختلف الاعمال ولاتكون غالبا الا تقريبية ، ولم أجد ما يفي باصلاح ذلك ، مع أن العلامة الشيخ علاء الدين ابن الشاطر رحمه الله تعالى وضع رسالة في العمل بالربع المجيب بلا موري ، لكنه قيده في غالب الأعمال بعرض دمشق ، ومع ذلك زاد في أوضاع الربع المدارات الثلاث وخطي الطول والعرض والمدارات اليومية ، ثم جاء بعده تلميذه شمس الدين الخليلي وأصلح من ذلك شيئا يسيرا ، لكن سلك في ذلك طرقا يعسر فهمها على المبتدىء ، ولا يفتقر اليها المنتهي ، ونقل عنه من ذلك شيئا يسيرا العلامة الشيخ بدر الدين سبط المارديني في « ستينيته » ؛ ولو اهتدى الى هذه الطريقة التي سلكتها في هذه الرسالة لما صدر رسالته بأعمال الموري ، وقد يسر الله ، وله الحمد والمنة ، ما صعب على أولئك الأفاضل ، وعسر على كل لبيب كامل ، مع أني سلكت في أعمال هذه الرسالة من الطرق أسهلها ، ومن الأعمال أصحها ، ومن الوجوه أقربها . هذا كلامه ، ومنه يعلم أن ابن الشاطر هو المخترع لهذا العمل ، وأن لمن بعده التهذيب والتقريب ، وكفاه بذلك افتخارا . انتهى .

أقول : ثم اني اطلعت له على رسالة مطولة سماها « تسهيل المواقيت في العمل بصندوق اليواقيت » وهي آلة اخترعها ، وجعل هذه الرسالة لبيان العمل بها ، فعلمت منها أن له اختراعات كثيرة في هذا الفن ، ورأيت له رسالة تحتوي على خمس وخمسين ومائة مسألة من الأعمال الفلكية بناها على طريقة فن الجبر . وفي « كشف الظنون » انه توفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

وقال في « شذرات الذهب » في حوادث سنة خمس وسبعين وسبعمائة : علي بن ابراهيم

ابن محمد الدمشقي ابن الشاطر ، ويعرف أيضا بالمطعم الفلكي ، كان أوحد زمانه في ذلك، مات أبوه وله ست سنين فكفله جده ، وأسلمه لزوج خالته وابن عم أبيه علي بن ابراهيم فعلمه تطعيم العاج ، وتعلم علم الهيئة والهندسة والحساب ، ورحل بسبب ذلك الى مصر والاسكندرية ، وكانت فضائله لاتنكر ، وكان لايفخر بعلومه ، وله ثروة ومباشرات ودار من أحسن الدور وضعا وأغربها ، وله الزيج المشهور ، والأوضاع الغريبة المشهورة التي منها البسط(١) الموضوع في منارة العروس بجامع دمشق ، يقال : ان دمشق زينت عند وضعه فيها . انتهى .

ابن رستم

رضوان بن محمد بن علي بن رستم الخراساني فخر الدين الشهير بابن الساعاتي . قال ابن أبي أصيبعة : كان مولده ومنشؤه بدمشق ، وكان أبوه من خراسان ، وانتقل الى الشام وأقام بدمشق الى أن توفي ، وكان أوحد عصره في معرفة الساعات وعلم النجوم ، وهو الذي عمل الساعات التي عند باب الجامع الأموي في دمشق ، وضعها أيام الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، وكان له منه الانعام الكثير والجامكية والجراية لملازمته للساعات ، وبقي على ذلك أيام حياته . ولم يؤرخ وفاته في « طبقات الأطباء » . وترجمه الصفدي بقريب مما تقدم ، ولم يؤرخ وفاته أيضا . وخلف ولدين: أحدهما الشاعر المشهور بابن الساعاتي ، والثاني رضوان وكان طبيبا مشهورا بفنه ، وله مؤلفات عديدة .

الحارثي المهندس

مؤيد الدين الحارثي ٥٢٩–٥٩٩

هو مؤيد الدين أبو الفضل أحمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي ، كان مولده ومنشؤه بدمشق ، وكان يعرف بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة وشهرته بها قبل أن يتحلى بمعرفة صناعة الطب ، وكان في أول أمره حجارا وينحت الحجارة أيضا ، وكان تكسبه بصنعة النجارة ، وله اليد الطولى بها ، والناس كثيرا ما يرغبون في أعماله، وأكثر أبواب البيمارستان الكبير الذي أنشأه نور الدين من نجارته وصنعته ، ثم انه حبب اليه العلم ، فأقبل على كتاب أوقليدس ، وكان يومئذ يشتغل في مسجد خاتون تحت المنيبيع فكان في كل غداة لايصل الى محل شغله الا وقد حفظ منه شيئا وحله في

---

(١) وأهل دمشق اليوم يسمونه البسيط .

طريقه ، واذا فرغ من العمل مساء فعل ذلك حتى حله كله وفهمه فهما جيداً وقوي فيه ، ثم أقبل على كتاب المجسطي وشرع في قراءته وحله ، واشتغل أيضا بصناعة النجوم والزيجات ، ولما أتى الشرف الطوسي الى دمشق وكان فاضلا في الهندسة والعلوم الرياضية ، قرأ عليه وأخذ عنه شيئا من معارفه ، ثم أقبل على صناعة الطب ، وهو الذي أصلح الساعات التي بجامع دمشق الأموي ، وكان له على مراعاتها وتفقدها جامكية يأخذها ، وكان له جامكية أيضا من البيمارستان النوري لكونه كان طبيبا فيه ، واشتغل بالحديث والأدب والنحو ، وكان له نظم ذو درجة وسطى ، توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة عن نحو سبعين سنة . ومن مؤلفاته : رسالة في « معرفة رمز التقويم » ، مقالة في«رؤية الهلال» ، «اختصار كتاب الأغاني الكبير» لأبي الفرج الأصبهاني في عشر مجلدات ، ووقفه في الجامع مضافا الى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عروة، كتاب في « الحروب والسياسة » ، كتاب في « الأدوية المفردة على ترتيب حروف أبجد » . قاله في « طبقات الأطباء » ملخصا . وقال الصفدي : كان ذكيا ، أستاذا في نجارة الدف ونقش الرخام وضرب الخيط .

وله من قصيدة مدح بها القاضي محي الدين ابن الزكي :

خصصت بالأب لما أن رأيتهم	دعوا بنعتك أشخاصا من البشر
ضد النعوت تراهم أن بلوتهم	وقد نسمي بصيرا غير ذي بصر
والنعت مالم تك الأفعال تعضده	اسم على صورة خطت من الصور
وبالحقيق به لفظ يطابقه الـ	معنى كنجل القضاة الصيد من مضر
فالدين والملك والاسلام قاطبة	برأيه في أمان من يد الغير
كم سن سنة خير في ولايته	وقام لله فيها غير معتذر

هذا وكان بالجامع عدد وافر من الموقتين الا أنهم لم يشتهروا اشتهار هؤلاء ، فلذلك أضربنا عن ذكرهم ، وربما ترجمنا بعضهم أثناء تراجم المشاهير من الدمشقيين .

التكية المسماة (بالأحمدية)

احمد شمسي

حكى المحبي في « تاريخه » أن أحمد باشا المعروف بشمسي نائب الشام هو الذي بنى التكية بالقرب من سوق الأروام[1] .

٥

حـرف البـاء

جـامع (برسباي)

برسباي الناصري ٠٠٠-٨٥٢

بمحلة سوق صاروجا ، مشهور ، والناس يسمونه جامع الورد ، أنشأه برسباي ، وفرغ من انشائه سنة ثلاثين وثمانمائة ، وتقدمت ترجمة الباني عند الكلام على التربة البرسبائية .

١٠

جـامع (پرويز)

پرويز بن عبد الله ٠٠٠-١٠١٥

ذكره المحبي في « تاريخه » فقال : الأمير پرويز بن عبد الله الأمير الكبير أحد أعيان كبراء دمشق وأصحاب الرأي والتدبير ، وكان أميرا جليل القدر عالي الهمة ، نافذ القول محترما ، يتردد اليه نواب الشام وقضاتها ، ويصدرون عن رأيه ، وهو في الأصل من أرقاء علي چلبي دفتري الشام سابقا الذي كان يسكن بمحلة القيمرية، فتنقل في مراتب الأخيار حتى صار أمير الأمراء ، وتقاعد وعمر مسجدا بالقرب من داره بمحلة القيمرية ، ويعرف الآن به ، ورتب له اماما ومؤذنا وأجزاء . وبالجملة فقد كان من أصحاب المروءات والوجاهة والمآثر الفائقة ، ولم يسمع عنه زلة ، وبلغ من العمر نحو تسعين سنة أو قارب المائة ، وقتل في محاربة علي بن جانبولاذ سنة خمس عشرة وألف .

١٥

٢٠

حـرف التـاء

جـامع (تنكز)

تقدم الكلام عند شرح حال المدرسة التنكزية ، وهو جامع بديع الهندسة والاتقان ،

٢٥

---

(١) بعد هذا في الاصل بياض قدره صحيفتان وأربعة أسطر . وقد قدمنا الجامع الأموي على هذه التكية لأهميته .

سيف الدين تنكز

في أول الشرف القبلي ، وهو الآن مدرسة لتلامذة الجند العسكري[1] وفي وصفه قال ابن صدقة :

وافيت جامع تنكز فوجدته ... متفردا بين الرياض وحيدا

لم صرت وحدك ههنا فأجابني ... لما جمعت الحسن صرت فريدا

٥

جامع (التوبة)

الملك الأشرف موسى

هو بمحلة العقيبة ، مشهور ، بناه الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وكان محله يعرف بخان الزنجاري ، وكان به كل مكروه من القيان وغيرهن ، فعمره الأشرف جامعا . قال ابن شداد : ثم ولي خطابته الشيخ يحيى ابن عبد العزيز بن عبد السلام الملقب والده بسلطان العلماء ، فجدد قبلته ومحرابه ، وذهبه، وبيض أساطينه البرانية وأروقته الشمالية ، وصانه أتم صيانة ، وجدد له ريعا ووقفه عليه . ومن النوادر المتعلقة بهذا الجامع ما حكاه في « شذرات الذهب » قال : كان بمدرسة الشامية امام يعرف بالجمال السبتي ، وكان شيخا حسنا صالحا ، وكان في صباه يلعب بملهاة تسمى بالجفانة ، ثم حسنت طريقته وصار معدودا من الاخيار ، فولاه الأشرف خطيبا ، فلما تولى مكانه العماد الواسطي الواعظ ، وكان متهما بشرب الشراب ، وكان ملك دمشق في ذلك الوقت الملك الصالح أبا الجيش ، فكتب اليه الجمال عبد الرحيم ابن الزوتينية :

١٠

١٥

يامليكا أوضح الحق ... لدينا وأبانه

جامع التوبة قد ... قلدني منه الأمانه

قال : قل للملك الصالح ... أعلى الله شانه

يا عماد الدين يامن ... حمد الناس زمانه

قم الي فأنا ... في ضر بؤس واهانه

لي خطيب واسطي ... يعشق الشرب ديانه

والذي قد كان من قبل ... يغني بالجفانه

فكما كنت كذا صر ... ت فلا أبرح حانه

٢٠

(١) كان هذا في زمن تأليف الكتاب أما اليوم ففيه الثانوية الشرعية التي تديرها وزارة الاوقاف .

ردني للنمط الأو   ل واستبق ضمانه (١)

حرف الجيم

الجامع (الجديد)

بالعمارة مقابل خان كان يقال له : خان السيد ، ويسمى الآن بالمعلق ، ومحله يقال له: بين الحواصل ، وهو جامع حسن نزه ، يصعد اليه بسلم حجر ، وهو مبني بالحجر الأبلق، ٥
وله منارة شاهقة تطل على بابه ، وشبابيكه تطل على نهر بردى ، وله صحن وبركة وايوان دائرة ، وله باب ثان . وفي سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان وخمسين وألف نزلت صاعقة فأصابت رأس المنارة ، فهدمت شيئا من بنائه ، فتكفل نائب الشام يومئذ بعمارة ما خرب ولكنه لم يعده كما كان .

جامع (جراح) ١٠

خارج باب الصغير وهو معروف ، وكان من قبل مسجدا للجنائز كبيرا ، وفيه بئر ،

---

(١) كذا في الأصل. وقال النعيمي في « الدارس » : « ولم يزل بها - أي العماد الواسطي - الى أن أخرج عن دمشق لأمور أنكرت عليه ، وقد نظم في ذلك أبياتاً شرف الدين بن عنين فقال :

يامليكا ملأ الرحمن بالعدل زمانه
جامع التوبة قد   حملني منه أمانه
قال : قل للملك الأشرف أعلا الله شانه
لي امام واسطي   يعشق الخمر ديانه
والذي قد كان من   قبل يغني بالجفانه
فكما كنت ومازلت ولا أبرح حانه
فأعدني النمط الأو   ل واستبق ضمانه

انتهى . وأخبر المولى البهاء محمد بن النحاس أن الصدر المرحوم جمال الدين ابن زوتينية أنشده هذه الأبيات لنفسه (والبيت الأول) :

يا مليكاً قد أقام   العدل فينا وأبانه

وبعده :

قال قل للملك الأشرف أعلا الله شانه
كم الى كم أنا في   ذل وبؤس واهانه
والذي قد كان من   قبل يغني بجفانه
فكما نحن ومازلنا وما نبرح حانه

جراح المضحي

فلما خرب جدده جراح المضحي ، ثم أنشأه الملك الأشرف موسى جامعا سنة احدى وثلاثين وستمائة ، وجدد معه مسجدا بدار السعادة داخل باب النصر ، وأوقف عليهما قرية الرعيفنية من أعمال مرج دمشق، ثم احترق أيام الملك الصالح عماد الدين اسماعيل سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، فجدد بناءه مجاهد الدين محمد ابن الأمير غرس الدين قليج النوري سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، ثم دثر سنة أربع وسبعين وتسعمائة من حريق اتصل به ، ووقع الخلف بين من يعمره : أهو مصطفى باشا والي باشا ، أو سنان بك آغا الينكجرية ، أو من مال السلطنة ؟ ثم أعرض كل منهما عن بنائه وتركاه ، فانتدب الكمال الحمراوي وحث همة أصحاب الخير ، فجمع له مبلغا وافرا ، وضمن أنه يكمل ماينقص من ماله ، فعمره على صورته التي هو عليها الآن .

جامع (الجوزة)

القاضي بدر الدين

هو معروف عند المحكمة المسماة بالعونية نسبة الى قناة هناك كانت تسمى قناة العوني ، وكان من قبل صغيرا ، وفي سنة ثلاثين وثمانمائة وسعه القاضي بدر الدين ناظر الجيش وجعله جامعا . قاله الأسدي في « تاريخه » .

حرف الحاء

جامع (الحاجب)

بسويقة صاروجا ، فرغ من بنائه سنة ثمانين وثمانمائة .

مسجد (الحسودية)

هو بمحلة الحسودية خارج دمشق بالقرب من جامع يلبغا ، بناه فضل الله بن عيسى البوسنوي الحنفي نزيل دمشق . قال المحبي في ترجمته : هو الاستاذ الشهير والامام المتفنن ، كان أحد أعيان العلماء معرفة واتقانا وحفظا وضبطا للفقه وتفننا في علله ، مميزاً لصحيح الاقوال من سقيمها ، مستحضرا لكثير من الفروع على تشعبها ، وكان عارفا بالأصلين والحديث وفنون الأدب حق المعرفة ، نظارا كثير الاشتغال ، تولى الافتاء في بلغراد ، ثم حج سنة عشرين وألف ، ولما رجع توطن دمشق واشترى دارا داخل باب الجابية بمحلة الشيخ عمود ، ودرس بالمدرسة الأمينية ثم بالتقوية وفي الجامع الأموي،

وقرأ عليه غالب أعيان الفضلاء في العلوم العقلية والنقلية ، وأفتى مدة طويلة بدمشق ، وبنى المسجد المذكور ، ورتب فيه مبرات ، ووقف عليه حوانيت بسوق الرصيف قرب المدرسة الأمينية احتكرها من وقف المدرسة المذكورة ، وكانت ولادته ببوسنه سراي في صفر سنة تسع وستين وتسعمائة وتوفي في صفر أيضا سنة تسع وثلاثين وألف ، ودفن بمقبرة الباب الصغير بالقرب من حضرة بلال الحبشي رضي الله عنه . ٥

جامع (الحشر)

أرغون شاه

تحت القلعة من الجانب الغربي ، وكان يسمى بالحدر ، شمالي دار السعادة ، بناه أرغون شاه ، وهو جامع قديم جدده سنان چاويش الينكجرية في سنة ثمان بعد الألف فجاء على أحسن ترتيب ، قتله الينكجرية سنة عشر بعد الألف .

جامع (الحنابلة) ١٠

أبو عمر المقدسي

ويقال له : جامع الجبل ، والجامع المظفري ، وهو بسفح قاسيون معروف ومشهور، شرع في بنائه الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، فأنفق عليه رجل يقال له : الشيخ ابو داود محاسن النامي ، الى أن بلغ البناء قامة فنفد ما كان معه . ثم ان الملك المظفر كوكبوري صاحب اربل بلغه ان الحنابلة بدمشق شرعوا في بناء جامع بسفح قاسيون فعجزوا عن العمل ، فأرسل اليهم ثلاثة ١٥ آلاف دينار أتابكية ، وأمر بأن ينفق عليه حتى يتم ، وما بقي يشترى به وقف ويوقف عليه ، فأتم أبو عمر بناءه ، وجعل منبره ذا ثلاث درج كدرج منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ان المظفرأرسل ألف دينار ليساق اليه الماء من قرية برزة ، فمنعهم الملك المعظم صاحب دمشق ، واعتذر بأن في طريقه قبورا كثيرة للمسلمين ، فصنع له بئراً عليه مدار ، ووقف عليه أوقافا تقوم به ، وهو باق الى الآن . ٢٠

الملك المظفر كوكبوري

هو أبو سعيد كوكبوري ابن الأمير زين الدين علي كوجك التركماني ، ومعنى كوجك اللطيف القدر . ولي مظفر الدين مملكة اربل بعد موت أبيه وله اربع عشرة سنة ،

فتعصب عليه أتابك مجاهد الدين قيماز ، وكتب محضرا بأنه لايصلح للملك لصغره ، وأقام مكانه أخاه يوسف ، فسكن حران مدة ، ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وتمكن منه ، وتزوج بأخته ربيعة واقفة مدرسة الصاحبة بشرقي الصالحية ، وشهد معه عدة مواقف ظهرت فيها شجاعته واقدامه وكان حينئذ على امرة حران والرها ، ٥ فقدم أخوه يوسف منجدا لصلاح الدين فاتفق موته على عكا ، فأعطى السلطان صلاح الدين لمظفر الدين اربل وشهر زور ، وأخذ منه حران والرها ، ودامت ايامه الى أن توفي سنة ثلاثين وستمائة ، وكان من أدين الملوك وأجودهم وأكثرهم برا ومعروفا على صغر مملكته . قاله ابن شقدة في « منتخب الشذرات » .

وقال ابن خلكان : وأما سيرته ، فله في فعل الخيرات عجائب ، ولم نسمع أن أحدا ١٠ فعل في ذلك مثل ما فعله ، لم يكن شيء في الدنيا أحب اليه من الصدقة ، وكان له في كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاويج في عدة مواضع من البلد ، واذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع جمع كثير عند الدار ، فيدخلهم اليه ، ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من الصيف والشتاء وغير ذلك ومع الكسوة شيء من الذهب ، وكان قد بنى أربع خانقات للزمنى والعميان وملأها من هذين الصنفين ، وقرر لهم ١٥ مايحتاجون اليه كل يوم ، وكان يأتيهم بنفسه كل يوم اثنين وخميس بعد العصر ، ويدخل الى كل واحد في بيته ويسأله عن حاله ويتفقده بشيء من النفقة ، وينتقل الى الآخر حتى يدور عليهم جميعهم وهو يباسطهم ويخرج معهم ويجبر قلوبهم ، وبنى دارا للنساء الأرامل ، وداراً للضعفاء ، ودارا للأيتام ، ودارا للقطاء ، ورتب بها جماعة من المراضع ، وكل مولود يلتقط يحمل اليهن فيرضعنه ، وأجرى على أهل كل دار ما يحتاجون اليه ٢٠ في كل يوم ، وكان يدخل اليهم في كل يوم ويتفقد أحوالهم ويعطيهم النفقات زيادة على المقرر لهم ، وكان يدخل على البيمارستان ويقف على مريض مريض ويسأله عن مبيته وكيفية حاله وما يشتهيه ، وكانت له دار مضيف يدخل اليها كل قادم على البلد من فقيه وفقير وغيرهما ، واذا عزم الانسان على السفر أعطاه نفقة تليق بمثله ، ولم تكن له لذة بسوى السماع ؛ فانه كان لايتعاطى المنكر ولا يمكن من ادخاله البلد ، وكان اذا طرب في ٢٥ السماع خلع شيئا من ثيابه وأعطاه للناشد ونحوه ، وكان يسيِّر في كل سنة دفعتين من أصحابه وأمنائه الى بلاد الساحل ومعهم جملة مستكثرة من المال يفك به أسرى المسلمين من أيدي الكفار ، فاذا وصلوا اليه أعطى كل واحد شيئا ، وان لم يصلوا فالأمناء

يعطونهم بوصية منه ، وكان يقيم في كل سنة سبيلا للحاج ، ويسيِّر معهم جميع ما تدعوا اليه حاجة المسافر في الطريق ، ويسير أميرا معه خمسة آلاف دينار ينفقها في الحرمين على المحتاجين وأرباب الرواتب ، وله بمكة حرسها الله آثار جميلة ، وهو أول من أجرى الماء الى جبل عرفات وغرم عليه جملة كثيرة ، وعمل بالجبل مصانع للماء ، وأما احتفاله بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فان الوصف يقصر عن الاحاطة به، ٥
كان يعمله سنة في الثامن من شهر ربيع الأول وسنة في الثاني عشر لأجل الاختلاف الذي فيه ، فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم شيئا كثيرا يزيد على الوصف ، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي حتى يأتي بها الميدان ، ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة ، فاذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ، ثم ينزل وبين يديه من الشموع ١٠
الموكبية التي تحمل كل واحدة على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل ، فاذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع والبقج وخلع على كل واحد من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ، ودفع لكل واحد نفقة وهدية وما يوصله الى وطنه. انتهى ما أورده ابن خلكان ملخصا . وقال ابن قاضي شهبة في « تاريخ الاسلام » بعد كلام طويل وثناء جميل : قال جماعة من أهل اربل : كانت نفقته على المولد في كل سنة ١٥
ثلاثمائة ألف دينار ، وعلى الأسرى مائتي ألف دينار ، وعلى دار المضيف مائة ألف دينار ، وعلى الخانقاه مائة ألف ، وعلى الحرمين والسبيل وعرفات ثلاثين ألف دينار غير صدقة السر . انتهى كلام ابن قاضي شهبة .

أقول : ان للناظر في كتابنا هذا ان يقول : هذه الأموال التي كان ينفقها هل كانت من مال له خاص ، أو من مال الرعية فاستبد بها وبذرها ؟ ولِمَ لم ينفقها في مصالح ٢٠
المسلمين وتقوية شوكتهم مع احتياج وقته الى ذلك ؟! فرحمه الله ورحم أمثاله ، ما كان أبعدهم عن مرامي السياسة ! توفي في السنة المذكورة سابقا وهي سنة ثلاثين وستمائة بقلعة اربل ، وحمل الى مكة ليدفن في الحرم ، فلما وصلوا به الى الكوفة لم يتيسر لهم الوصول ، ولم يتفق وصول الحاج اليها لقطع التتار الطريق عليهم ، فدفن عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ٢٥

وأنت تعلم أن البلاد في زمنه كانت في ضيق وخوف شديد من الأعداء التي تكتنفها ، ومثله مغموس في الملاهي ومحبة العظمة والأبهة ، وكان ذلك قدرا مقدورا !

جـامع (الحيوطية)

علي بن حيوط

قبلي محلة قبر عاتكة . قال ابن طولون في تاريخه المسمى « بفاكهة الخلان في نوازل الزمان » : أنشأ هذا الجامع الأمير علي بن حيوط قبلي محلة قبر عاتكة ، شرقي الشويكة ، على الجانب الغربي والشمالي من بستان الصاحب ، وهو جامع حسن نزه ، أخذه من بيته وجعله جامعا ، ووقف عليه جهات عـديدة ، وأقيمت به الجمعة سنة خمس وثمانين وثمانمائة .

حـرف الخـاء

جـامع (خيلخان) (١)

نجم الدين ابن خيلخان

خارج باب كيسان من الجانب القبلي ، وقد أدخل اليـوم في بستان له يقال له : بستان الأمير ، ولم يبق من آثاره اليوم الا بعض منارته وقبر الى جانبها ، وقد شاهدته أنا ومحمد أفندي شعيب الجندي أحد تلامذة المدرسة السلطانية بدمشق سنة ١٣٣٣ . أنشأه نجم الدين ابن خيلخان سنة ست وثلاثين وسبعمائة ، وأول من خطب به الامام ابن القيم .

حـرف الدال

جـامع (داريا)

نور الدين ابن زنكي

كان هذا المسجد أولا عند قبر أبي سليمان الداراني ، فأحرقته الفرنجة لما أخذت داريا أيام مجير الدين آبق ، فأمر السلطان نور الدين بعمارة هذا الجامع سنة خمس وستين وخمسمائة ، وجعله وسط البلد ، وفي هذه السنة عمر مشهد أبي سليمان الداراني . قاله الأسدي .

جـامع (الدرويشية)

درويش باشا ٠٠٠-٦٨٧

بناه درويش باشا بالمحلة المنسوبة اليه وكانت قبلا تسمى بالاخصاصية ، قبلي دار السعادة ، وكان محله مسجدا صغيرا ، فعمره جامعا نزها ، ورتب فيه الوظائف لما كان حاكما بدمشق ، وتم بناؤه سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة . قال في « منتخب الشذرات » : وفي هذه السنة يعني المذكورة عمر درويش باشا الوزير جامعا بدمشق ، فجعل له مامية تاريخا ، فقال :

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الحليخاني » .

في دولة السلطان بالعدل مراد — من قام بالغرض وأحيا السنه
درويش باشا قد أقام معبدا — وكم له أجر به ومنه
بناه خير جامع تاريخه — لله فاسجد واقترب بجنه

انتهى . ووقف عليه أوقافا دارة ، وجعل به مدرسين حنفيا وشافعيا ، فدرس به من الشافعية الشيخ اسماعيل النابلسي ، ثم الحسن البوريني ، ثم الشيخ عبد الغني ابن الشيخ اسماعيل النابلسي ، ثم ولده الشيخ اسماعيل ، وذلك بموجب شرط الواقف .

وعمر درويش باشا مقابل هذا الجامع من الجهة القبلية مكتبا وتربة حسنة ودفن بها .

ورأيت مكتوبا في القيشاني المبني به محرابه الذي في صحن الجامع هذين البيتين :

ياحسنه من جامع ما مثله — بأشرفيه رجب بهمته
ومن رب العرش في تاريخه — جزاؤه قصر زهى في جنته

وفي حائطه الشمالي بركة ماء مكتوب في صدرها :

هذا سبيل بل سلسبيل — يحيي عليلا يشفي غليلا
وزمزم الماء فيه يجري — عند مقام حوى جليلا
أجراه أجرا فادخره — درويش باشا بنى سبيلا

أي في سنة سبع وثمانين وتسعمائة . وقال في « شذرات الذهب » ما حاصله : وفي سنة سبع وثمانين وتسعمائة توفي درويش باشا ابن رستم باشا الرومي ، تولى ايالة دمشق ، وعمر بها الجامع خارج باب الجابية لصيق المغيربية ، وعمر الحمام داخل المدينة بالقرب من الأموي ويعرف الآن بحمام القيشاني ، وعمر القيسارية والسوق والقهوة ، ووقف ذلك فيما وقفه على جامعه ، وشرط تدريسه للشيخ اسماعيل النابلسي وكان خصيصا به ، وعمر الجسر على نهر بردى عند عين القصارين بالمرجة ، ومات ببلاد قرمان ، ونقل تابوته الى دمشق فدفن بها . انتهى .

أقول : جميع عماراته باقية ، ولكن الحمام صار سوقا فزاد نفعه عما كان عليه .

قال العدوي : وكانت ولايته بدمشق ثلاث سنين وستة أشهر رحمه الله تعالى .

جامع (دك الباب)

هو بطريق الصالحية للذاهب الى الجسر الأبيض (١) .

(١) بعد هذا في الاصل بياض قدره سبعة أسطر .

حـرف السين

جـامع (السقيفة)

هو خارج باب توما معروف ومشهور ، بناه سنة أربع عشرة وثمانمائة رجل يقال له : خليل الطوغاني ، كان رأس نوبة في دار السعادة . قال ابن قاضي شهبة : كان محله يعرف بالسبعة ، فبناه الطوغاني ، وجعل له شبابيك على النهر فجاء حسنا ، ورتب فيه خطيبا ومؤذنين وقارئا للحديث ، وتوفي سنة خمس عشرة وثمانمائة . قال : ودفن بدمشق ، وكان شيخا ان لم يكن من الظلمة فهو من أعوانهم .

خليل الطوغاني
٠٠٠-٨١٥

٥

التكية (السليمانية)

في سنة اثنتين وستين وتسعمائة بنى السلطان سليمان خان جامعا وتكية بالميدان الأخضر المسمى اليوم بالمرجة مكان قصر الملك الظاهر بيبرس ، فأخذت آلات القصر وجعلت فيه ، وأضيف اليها ما يحتاج البناء اليه ، فجمع من الآلات والأحجار والرخام الصافي والملون والقباب والصنائع والترصيص ما يحير فيه الناظر ويشرح الخاطر ، ويشتمل على حجرات وخلاوي ، كل خلوة بقبة وأوجاق وشبابيك الى الجامع ، ومطبخ ، ومطعم ، ومئذنتين شرقية وغربية كأنهما ميلان ، وأما القبة والمنبر والمحراب ففي غاية الاتقان ، وفي الجانب القبلي من الجامع جنينة بديعة المنظر . قاله الشيخ محمود العدوي ، وقال : ثم تجددت مدرسة الى جانب التكية السليمانية برسم التدريس سنة أربع وسبعين وتسعمائة من زوائد التكية المذكورة ، فجاءت محكمة البناء حلوة الشمائل . انتهى . وهذا كله من آثار السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان الحادي عشر من ملوك بني عثمان ، المتوفى سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة .

السلطان سليمان
٠٠٠-٩٧٤

١٠

١٥

٢٠

مسجد (سنان آغا)

على حافة نهر بردى خارج باب الفرج ، في المحلة التي تسمى بالمناخلية من الجانب الغربي ، كان في أيامه مسجدا قديما ضيقا ، وبجانبه أماكن مشعثة ومسلخ ومخازن ، فجعل سنان آغا الينكجرية هذا المكان كله جامعا ، وضمه الى الأول وزاد فيه ، وجعل له منبرا ومئذنة لطيفين . قاله العدوي ، ولم يؤرخ أيام بنائه .

سنان آغا

٢٥

جامع (السنانية)

هو مشهور معروف عند باب الجابية ، وكان موضعه أولا مسجدا يقال له : مسجد البصل ، فجدده سنان باشا ، وجعله جامعا عظيما ، وتمت عمارته سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، فجاء جامعا لجميع المحاسن جامع ، وأوقف عليه أوقافا عظيمة ، والذي بناه هو يوسف بن عبد الله سنان باشا الوزير الأعظم . قاله نجم الدين الغزي في تاريخه « لطف السحر » ، وقال : هو صاحب الخيرات الكثيرة والمبرات الغزيرة حتى قيل : انه أنشأ أربعين مسجدا جامعا يخطب على منابرها في أقطار المملكة العثمانية غير الجسور والخانات ، وكان كل ما مات مملوك له أو مولى حفظ ما يرثه منه أو يتناوله من بعده فيعمر به مسجدا أو غيره، وعمر بدمشق جامع السنانية خارج باب الجابية ، وعمر خارج دمشق جامعا بسعسع ، وجامعا وخانا بالقطيفة ، وجامعا بعيون التجار ، وعند كل جامع تكية مضمومة اليه ، ولي الوزارة للسلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان ، ثم عزل عنها ، ثم أعيد وهو وزير أعظم ، وولي دمشق في أثناء ذلك في أوائل سنة خمس وتسعين وتسعمائة ، وفيها ابتدأ خارج باب الجابية بعمارة السنانية ، وحضر تأسيسها ، وأحضر جمعا من العلماء والمؤذنين ، وولي على عمارتها وعمارة السوق الأمير محمد بن منجك ، وضم اليه اثنين ، ثم خرج من دمشق معزولا ، وولي بعده خسروباشا الطواشي ، ثم أعيد سنان باشا الى الوزارة ، وبقي بها حتى مات سنة أربع بعد الألف .

سنان باشا
٠٠٠-١٠٠٤

مسجد (السويقة المحروقة)

قال في « سلك الدرر » في ترجمة محمد بن أبي بكر المعروف باليتيم الدمشقي العاتكي الصوفي المتوفى سنة خمس بعد الألف : كان في أول أمره يتكسب ببيع القهوة بالسويقة المحروقة ، وكانت قهوته مجمع الصالحين ، وكان الى جانبه حوش يجمع بنات الخطأ ، فاستأجره ، وأخرجهن منه ، واتخذ فيه مسجدا ، قال : وهذا هو المكان الذي بنيت فيه المرادية ، ويقال : ان داخل حرمها بناه مراد باشا نائب الشام في سنة ست وسبعين وسبعمائة .

محمد اليتيم الدمشقي
٠٠٠-١٠٠٥

ترجمة مراد باشا

هو مراد باشا ، كان وزيرا أيام السلطان أحمد ، ترجمه المحبي بترجمة طويلة اقتصرنا

مراد باشا
٠٠٠-١٠٢٠

منها على ذكر ما أنشأه وبناه لمناسبته لموضوع كتابنا ، **فنقول : تولى** المترجم الحكم باليمن ، وله بها آثار منها جامع في قصر صنعاء ، وأجرى له غيلا(١) من جبل نقيم وانقطع في زمن حسن باشا الوزير ، وبنى أيضا قبة عظيمة على قبور السادة بني الأهدل بزبيد ، ورفع عن الرعية جملة من المظالم والبدع ، ونشر عدله في الجبال ، وكان مع ذلك سفاكا للدماء ، كان يحب العلماء ويميل الى الصلحاء ، ثم عزل عن اليمن وأعطي حكومة قرمان ، وأمر بالسفر مع الوزير الأعظم الموجه الى تبريز ، فأسرته العجم في الواقعة ، ولما تخلص من الأسر ولاه السلطان مراد نيابة دمشق ، فعمر بها السوق الذي عند باب البريد وكان يعرف بسوق الطواقية ، شرع في تعميره في أواخر اثنتين بعد الألف ، فهدم الحوانيت القديمة وجدد بناءها ، ووسع الطريق ، ورفع السقف ، وبنى على مربعة باب البريد قبة عظيمة عالية ملاصقة للعمودين العظيمين الباقيين عن يمين باب البريد وشماله ، فجاءت قبة حسنة وجاء البناء محكما حسنا ، وأخذ البيوت التي وراءه وعمرها وكالة حسنة ، وأمر أن يسكن فيه تجار سوق السباهية ، فنقلوا اليه برهة حتى مات ، ثم أعيدوا الى سوقهم ، ثم عمر الى جانبه سوقا آخر ونقل اليه تجار سوق الذراع ، وكان تمام العمارة سنة خمس بعد الألف . وقال أبو الطيب الغزي في تاريخ الوكالة :

هاك تاريخا سماله	بدر هالات الغزاله
جملة الملك بهاء	وسخاء وبساله
صح في آخر شطر	ضمّن الدرّ مقاله
ولي الشام مراد	فبنى خير وكاله

والوكالة اسم للخان كما هو معروف في عرف المصريين ، والدمشقيون يسمونه قيساريه . **قلت :** هذه الأبنية بعضها تبدلت أوضاعها وبعضها عرضة للتبديل . وأما القبة فقد هدمت سنة(٢) لما بني السوق وتبدلت أوضاعها ، ولم يبق سوى الأعمدة العظيمة التي عن يسار ويمين الداخل الى الجامع من جهة باب البريد ، وسيكون لها شأن وترتيب يحفظها لتكون أثرا قديما معماريا يدل على سعة أفكار القدماء في الفن المعماري والهندسة .

ثم ان مراد باشا وقف الجميع على الحرمين الشريفين ، ثم انفصل عن دمشق وولي حلب وديار بكر ، ثم أعطي ولاية روم ايلي مرتين ، ثم صار وزيرا وأمر بمحافظة بلغراد ،

---

(١) كذا في الاصل ، ولعله أراد بذلك الفلل وهو الماء الذي يجري بين الاشجار .

(٢) لم يذكر المؤلف سنة هدمها .

ثم تولى الوزارة العظمى ، وتقلبت به الأحوال السياسية الى أن خرج لقتال العجم ، فلما وصل الى ديار بكر ابتدأ به المرض واسترسل معه الى أن توفي سنة عشرين وألف ، وحمل مصبرا الى قسطنطينية فدفن بتربته التي أحدثها لنفسه بمدرسته المعروفة به .

جامع (السياغوشية)

٥ بحارة كانت تسمى بالقصاعين داخل باب الجابية . حكى المحبي في «تاريخه»، في ترجمة حسن باشا بن عبد الله الأمير الكبير المعروف بشوربزه حسن أحد صدور دمشق وأعيانها ، أن المترجم كان منتميا الى الوزير الأعظم سياغوش باشا ، فدفع اليه مالا وأمره أن يبني له مسجدا بدمشق ، ويرتب فيه من يقوم بشعائره ، فبنى المسجد المعروف بالسياغوشية بالقرب من داره بحارة القصاعين داخل باب الجابية ، وأحسن بناءه ، ١٠ وكذا فعل معه الوزير الأعظم مراد باشا فعمر له سوق المرادية بباب البريد والخان وسوق الذراع ، وجعله وقفا على الحرمين ، وقال : ان حسنا المذكور ولي وقف البيمارستان النوري ؛ فأقام شعائره بعد أن كانت اضمحلت ، وعمر أوقافه ، وأتى فيه من حسن التنمية بما لا مزيد عليه . وكذلك عمر وقف البيمارستان القيمري وأنماه ، وولي تولية الجامع الأموي بعد أن كاد وقفه يذهب ، فبذل جهده في ضبطه وتنميته ، وعمر حمام ١٥ البزورية وقف دار الحديث النورية بأمر الوزير أحمد باشا الحافظ ، وصرف من ماله مبلغا واستوفاه من أجوره ، ثم سلمه لمتوليه بعد الاستيفاء ، وتوفي سنة سبع وعشرين وألف . وكذلك عمر المذكور الخان المعروف بسوق جقمق ، ووقفه مع جملة عقاراته على ذريته[1] .

سياغوش باشا

حرف الصاد

٢٠ الزاوية (الصمادية) والمسجد بها

بمحلة الشاغور بالقرب من الباب الصغير المسمى الآن بباب الشاغور . والذي يلوح من كتاب « الكواكب السائرة » للنجم الغزي أن الذي بناها محمد بن خليل الصمادي ، فانه قال : هو محمد بن خليل بن علي بن عيسى بن أحمد بن صالح بن عيسى بن داود

محمد بن خليل الصمادي

---

(١) بعد هذا في الاصل بياض بمقدار أربعة أسطر .

ابن مسلَّم بفتح اللام مشددة الصمادي ثم الدمشقي الشافعي القادري شيخ الطريقة
الصمادية بالشام ، كانت عمامته وشده من صوف أحمر كما ذكره ابن طولون . والمعروف
من حال الصمادية وضع الشدود الحمر والتعمم بالصوف الأبيض ، ثم هم الآن يتعممون
بالعمائم الخضر لثبوت نسبهم . وكان المترجم له مجالس حسنة ، وكان للناس فيه اعتقاد
٥ وخصوصا الأروام ، واجتمع بالسلطان سليم خان أثناء سفره الى بلاد الروم، وأعطاه قرية
كتيبة رأس الماء ، ثم استقر الأمر على أن عين له قرية كناكر التابعة لبلاد العجم ، وغلالها
الى الآن تستوفيها الصمادية : بعضه لزاوية الشيخ محمد المذكور ، وبعضه لذريته ،
واشتهر أمره وأمر آبائه من قبله بدق الطبول عند هيجان الذاكرين واشتداد الذكر ،
فأنكر عليهم جماعة ، واستفتي فيه محمد بن حامد الصفدي وابن قاضي عجلون فأفتيا
١٠ بالاباحة قياسا على طبل الحجيج وطبل الجهاد ، ثم استفتي فيه البدر الغزي فأفتى
بالاباحة للعلة نفسها، وكتب على السؤال مؤلفا بسط فيه القول. توفي المترجم سنة ثمان
وأربعين وتسعمائة ، ولم يدفن في نفس الزاوية لأنه كان قد وقفها قديما ولكنه دفن
بايوانها، وخلف ثمانية عشر ولدا ودنيا واسعة . هذا كلام الغزي باختصار . ويظهر منه
أن المترجم هو الذي بنى الزاوية ، وأنه أول من استوطن دمشق من هذه العائلة . هذا
١٥ واني لأعجب من هؤلاء المفتين ومن قياسهم دق الطبل في الاذكار على طبل الجهاد
وعلى طبل الحجيج ، ومن شرط القياس أن يكون الأصل المقيس عليه ثابتا بكتاب أو
بسنة أو باجماع ، ثم هو من خصائص المجتهد ، ونحن نرى مثل هؤلاء يشددون النكير
على من يقول بعدم انقطاع الاجتهاد وينسبونه الى البدعة ، ثم هم يجتهدون فيما
لايسوغ فيه الاجتهاد ! ثم أي داع لجعل الضرب بالطبل عبادة ؟! وهل هو الا تشريع بما لم
٢٠ يأذن الله به ؟! وان كنت في ريب من أحوال مثل هؤلاء فتأمل ما كتبه النجم الغزي في
« الكواكب » في ترجمة هذا الرجل ، ثم حكم العقل فيه ، تعرف مبلغه من العلم والعقل
وبلوغه رتبة الذكاء والتنبه وفقه النفس ! فانه قال : ان جماعة الصمادية كانوا يضربون
الطبول قديما بين يدي شيخهم في حلقتهم يوم الجمعة بالجامع الأموي بعد الصلاة ،
فأمر أحد الحكام بمنعهم من ذلك ، فأخرج الطبل الى خارج الجامع ، فدخل الطبل بنفسه
٢٥ يضرب عليه ولايرون له حاملا ولا ضاربا ، واستمر في هواء الجامع من باب البريد حتى
انصدم ببعض عواميد الجامع مما يلي جيرون . انتهى . ويمكن أن تكون هذه الحكاية هي
التي اتخذها هؤلاء أصلا وقاسوا عليه ما أرادوا ، فمثلهم من ينبغي لنا أن نجعلهم قدوة

ونكتب مؤلفاتهم أملا بالاستفادة منها ، فانا لله وانا اليه راجعون !

هذا ، وقال في « الكواكب » في ترجمة محمد بن محمد بن خليل الصمادي : ورتب السلطان سليمان على الصمادية مرتبا على قرية كناكر قدره في كل سنة ثمانون غرارة من الحنطة ، منها : أربعون لزاويتهم وفقرائها وروادها ، ومنها أربعون لذرية الشيخ محمد وهي باقية بأيديهم الى الآن . توفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة ، ودفن بزاويتهم داخل باب الشاغور . وحكى الغزي في « لطف السحر » في ترجمة مسلم ابن محمد بن خليل الصمادي أنه حصلت بينه وبين عبد الرحيم الحلبي خليفة الشيخ محمد سعد الدين منازعة عظيمة بسبب ذلك الطبل حيث ان الحلبي كان معه طبل فقال له الصمادي : ان الطبل ليس من طريقة بني سعد الدين وانما هو مخصوص بنا وبمن أخذ عنا ، ثم حميت الفتنة بينهما حتى أسكنها الحكام بدمشق . وياليت قائلا قال للغزي وأمثاله : هب أنكم أفتيتم بجواز الطبل للصمادية دون غيرهم ؟ فلله دركم ما أعلمكم بالحلال والحرام ! توفي مسلم المذكور سنة خمس عشرة وألف .

مدفن (ابن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي)

السلطان سليم ٨٧٢-٩٢٦

لما دخل دمشق السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد خان تاسع ملوك بني عثمان ، كان على قبر ابن عربي تابوت من الخشب ، وكان بقربه مزبلة وحمام قديم منافعه معطلة ، وكان السلطان يحبه لاشتهار مصنفاته ببلاد الروم ، فأخذ مكاني المزبلة والحمام وعمرهما جامعا بمنبر ومحراب ، وصرف عليه أموالا عظيمة ، ورتب له وظائف وقراء وأنواعا من الخيرات ، وجعل له أربعة مؤذنين وثلاثين قارئا يقرؤون القرآن عند طلوع شمس كل يوم فيختمون ختمة ، وأوقف على ذلك أوقافا دارة منها : قرية التل ومنين ، وحرستا ، وعذرا ، وقيسارية الحرير بدمشق ، وطاحون باب الفرج ، وغير ذلك من الطواحين والدكاكين ، والجص المسمى بالجبصين ، والثلج ، وبنى مقابل الجامع تكية يطبخ بها الطعام صباح ومساء كل يوم ، وفي كل يوم خميس يطبخ الأرز المفلفل والأرز بالعسل . ثم انها احترقت سنة اثنتين وستين وتسعمائة ، ثم عمرت فصارت أحسن ما كانت أولا ، وأرخ القاضي محي الدين العدوي البناء السليمي بقوله :

سليم بنى لله خيرا ومسجدا   وقد تم في تاريخه خير جامع

وستأتي ترجمة هذا السلطان في القسم السياسي من هذا الكتاب ، ونقول هنا :

انه ولد بأماسية سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ، وجلس على تخت السلطنة وله من العمر ست وأربعون سنة ، وكان ملكا قهارا وسلطانا جبارا ، قوي البطش كثير السفك للدماء ، شديد التوجه الى أهل النجدة والبأس ، عظيم التجسس على أخبار الناس وربما غير لباسه وتجسس ليلا ونهارا ، وكان شديد اليقظة والتحفظ ، يحب مطالعة التواريخ

٥ وأخبار الملوك ، وله نظم بالفارسية والرومية والعربية ، ومما ينسب اليه من النظم قوله :

الملك لله من يظفر بنيل منى ... يردده قهرا ويضمن بعده الدركا

لو كان لي أو لغيري قدر أنملة ... فوق التراب لكان الكل مشتركا

حمل حملة عظيمة على الشاه اسماعيل ، فالتقاه بقرب تبريز فهزمه وشتت شمله، ثم رجع في طريقه الى جهة حلب ، فوقع المصاف بينه وبين الغوري ملك مصر والشام

١٠ بمرج دابق شمالي حلب ، فانكسر عسكر الغوري وهلك هو تحت سنابك الخيل ، فملك السلطان سليم حلب ودمشق، ثم توجه الى مصر، وقاتل طومان باي أحد ملوك الجراكسة فقتله ، واستولى على مصر، فهو أول ملوك بني عثمان الذين ملكوا البلاد العربية ، وجعل في مصر القضاة الأربعة ، ثم استولى على الارض الحجازية وغيرها، ورتب الرواتب، وأبقى الأوقاف على حالها ، ورتب لأهل الحرمين سبعة آلاف اردب حنطة في كل سنة ، ثم

١٥ عاد الى القسطنطينية ، فابتلي بداء الجمرة فكانت سبب موته سنة ست وعشرين وتسعمائة .

حرف العين

جامع (العسالي)

أحمد باشا كوجك
٠٠٠-١٠٤٦

هذا الجامع عمره أحمد باشا كوجك المتوفى سنة ست وأربعين وألف بالقرب من

٢٠ قرية القدم خارج دمشق سنة خمس وأربعين وألف ، وجعل فيه تكية ، ووقف عليها قرى من ضواحي صيدا وبعلبك ، وألحق بذلك ستين جزءا بالجامع الأموي ، وتعيينات لأهل الحرمين ، وبنى سبيلا بالقرب من تلك العمارة عظيم النفع ، وأرخه بعض الأدباء بقوله :

أنشأ الوزير للوفود منهلا ... لوجه مولاه اذا وافى غدا

٢٥ وأنشد الوارد في تاريخه ... هذا السبيل الأحمدي قد بدا

قاله المحبي في « خلاصة الأثر ». وكانت عمارته لأجل الشيخ أحمد بن علي الحريري العسالي شيخ الخلوتية بالشام . قال المحبي : وكان العسالي عابدا زاهدا متفقا على صلاحه ، وكان والده كردي الأصل قدم من بلاد حرير ونزل بقرية عسال من ضواحي دمشق ، فولد له بها أحمد هذا ، فدخل دمشق في صباه وأخذ بها عن بعض صوفيتها، ثم ارتحل الى حلب ، ثم الى عينتاب فلقي بها الشيخ شاه ولي الخلوتي ، فأخذ عنه الطريقة الخلوتية ، ورجع الى دمشق وسكن بصالحيتها مدة مديدة ، وكان نواب الشام وقضاتها وأعيانها يسعون اليه ، وربما أخذ بعضهم الطريق عنه ، وأخذ عنه من أهالي دمشق وغيرها خلائق لايحصون ، ولما عمر له أحمد باشا كوجك تكيته المشهورة نقله اليها سنة ست وأربعين ، فازداد اشتهارا الى أن توفي ثامن عشر ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وألف ، ودفن بها .

وترجمه المحبي بترجمة مطولة ، ووصفه بالعابد الزاهد ، وارتقى في مدحه الى أنه وصل الى مقام القطبية ، ثم قال : والعسالي ، بضم العين المهملة وبعدها سين مهملة وألف ولام ، نسبة الى قرية من قرى الجبة من نواحي دمشق ، وكانت طريقته خلوتية ، قال : والخلوتية معروفون ، ونسبوا الى الخلوة لأنها من لوازم طريقتهم ، ثم أفاض في ذكر القطب والغوث ، ونقل كلام الاستاذ أيوب في رسالته « الاسمائية » في كيفية الخلوة ، ولسنا الآن بصدد ذكر ذلك فليراجعه من أحب زيادة الاطلاع .

ترجمة واقفها

قال المحبي في تاريخه « خلاصة الأثر » ما ملخصه : أحمد باشا الوزير الكبير المعروف بكوجك أحمد الأرنؤودي ، أحد الوزراء المشهورين بالشجاعة وشدة البأس وحسن التدبير ، وكان عارفا بأحوال الحروب ، كان أولا خامل الذكر ، ثم نهض به الحظ حتى صار بكلربكيا وتولى حكومة سيواس ، ثم ورد دمشق حاكما بها أولا سنة تسع وثلاثين وألف ، وبعد ماعزل عنها ولي حكومة كوتاهية ، فنجم في بلاد الروم الياس باشا، وأظهر العقوق للدولة العثمانية وذلك أيام السلطان مراد ، فعينه السلطان لمحاربته ، فسار اليه وقابله وفتك به وأسره وغنم منه غنائم كثيرة، وعاد به الى الأبواب السلطانية ، فأكرمه السلطان لذلك وفوض اليه ثانيا كفالة دمشق ، وكان ذلك سنة اثنتين وأربعين وألف ، وخلع عليه خلعة الوزارة ، وعينه لمقاتلة الأمير فخر الدين بن معن وقد كان خرج

عن طاعة السلطنة ، وملك كثيرا من القلاع التي في ضواحي دمشق ، وتصرف في ثلاثين حصنا ، وانضم اليه من طائفة السكبان خلق عظيم . ولما وصل المترجم الى الشام جمع أعيان العلماء وكبراء العسكر فقرأ عليهم الفرمان ، فأذعنوا لطاعته ، وانضم اليه أمراء الأطراف ونائب حلب ، فخرج بمن معه ثاني صفر سنة ثلاث وأربعين فخيم بمعسكره
٥ بالقرب من قرية الكسوة ، ولما تكامل الجمع رحل الى قرهخان ، وكان بنو الشهاب يسكنون وادي تيم الله بن ثعلبة ، فأرسل شرذمة من العسكر لمنازلتهم لأنهم منبع الشقاوة ، فساروا الى جانب حاصبيا وريشيا(١) فالتقى العسكران ، وكان الأمير علي بن فخر الدين أمير صفد مع الشهابية ، وبعد حرب طويل ظفر العسكر بالشهابيين ، وقتل الأمير علي وجيء برأسه الى الوزير أحمد فسر بذلك ، وكانت الغنيمة عظيمة ، والقتلى والأسرى
١٠ كثيرة ، ولم ينج الا شرذمة يسيرة . ثم سار أحمد باشا بعساكره الى البقاع العزيزي ، وافتتح قلعة قبر الياس ، وكان فخر الدين في قلعة جزين ، فحاصرها الباشا ، فلما رأى فخر الدين أنه مأخوذ خرج من القلعة وأتى أحمد باشا طائعا فقبض عليه ، وأتى به الى دمشق ، ودخلها بموكب حافل وفخر الدين خلفه مقيد على فرس ، فكثر دعاء الناس للباشا ، ومدحه شعراء دمشق بالقصائد وأكثروا من التواريخ ، ثم أرسل ابن معن الى
١٥ مقر السلطنة فقتل هناك ، وأحاط أحمد باشا بماله من الأملاك والعقار وأواني الذهب والفضة وآلات الحرب ، ووقف قراه وأملاكه على التكية العسالية . ثم طلبه السلطان الى محاربة العجم في قلعة روان ، وعزل عن حكومة دمشق ، ثم أعيد اليها قريبا ، وأمر بمحافظة الموصل ، وعين معه عسكر الشام فحافظوا مدة ، ثم مرض في أثناء المحافظة ، وأراد المقاومة لشاه العجم عباس شاه فما ساعده القدر ، فقتل ، وأسر غالب من معه من
٢٠ العساكر ، وأرسل رأسه الى دمشق فدفن في تكيته المذكورة ، وكان قتله في ربيع الثاني سنة ست وأربعين وألف رحمه الله .

حرف القاف

جامع (مسجد القصب)

ناصر الدين ابن منجك

هو خارج دمشق بمحلة مسجد الاقصاب ، ويقال له : مسجد ابن منجك . كان
٢٥ أولا صغيرا فهدمه الأمير ناصر الدين محمد بن منجك ، ووقع بسبب ذلك بين القاضي

(١) تعرف الآن براشيا .

المالكي وابن الحسباني قاضي الشافعية بسبب ابن منجك لأنه قصد توسعته من جهة القبلة بأخذ خان كان يقال له : خان فارس، فحكم المالكي بأخذ ذلك بالقيمة قهرا ، فمانعه الشافعي ، ووقع بينهما أمور ، ثم ظهر أن الحق بيد الشافعي ، ولكن أخذ ابن منجك الأرض بغير طريق شرعي سنة احدى عشرة وثمانمائة .

٥

جامع (القلعة)

بناه السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، ورممه الملك الناصر ابن قلاوون سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

١٠

حرف الكاف

الجامع (الكريمي)

كريم الدين المصري ٠٠٠–٧٢٤

هو جامع القبيبات . قال في « شذرات الذهب » ما خلاصته : وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة توفي الصاحب الكبير كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله ابن السديد المصري ، أسلم كهلا في أيام الجاشنكير وكان كاتبه ، وتمكن من السلطان غاية التمكن بحيث صار الكل اليه وبيده العقد والحل ، وبلغ من الرتبة مالا مزيد عليه ، وجمع أموالا عظيمة عاد أكثرها للسلطان ، وكان حسن الخلق ، عاقلا خيرا سمحا وقورا ، مرض مرة فزينت مصر لعافيته ، وكان يعظم أهل الدين ، وله بر وآثار ، عمر البيارات ، وأصلح الطرق ، وعمر جامع القبيبات وجامع القابون ، وأوقف عليهما الأوقاف ، ثم انحرف عليه السلطان ونكبه ، فنفي الى الشويكة ، ثم الى القدس ، ثم الى أسوان فأصبح مشنوقا بعمامته ، ولما أحس بالقتل صلى ركعتين ، وقال : هاتوا ما عندكم ! عشنا سعداء ومتنا شهداء ، أعطاني السلطان الدنيا والآخرة . وشنق وقد قارب التسعين . ا.هـ. وقال النعيمي : أجرى الماء في جدول الى ذلك الجامع فعاش به الناس يومئذ ، وعمل حوضا كبيرا تجاه الجامع من الغرب لشرب الناس والدواب .

١٥

٢٠

حرف الميم

جامع (المرجاني)

محمد المرجاني

كان بضواحي المزة ، بناه محمد بن أحمد المرجاني سنة تسع وستين وستمائة ، وكان ذا مآثر حسنة واشتغال بالحديث .

جامع (المزاز)

٥

تقي الدين الزينبي ٧٤٩-٨٣٣

بزايين معجمتين ، هو بالشاغور ، أنشأه عزران شاه السيد تقي الدين الزينبي[١] الجوني ، ثم خرب أيام فتنة تيمورلنك ، فجدده الطواشي مرجان خازندار الأمير شيخ ، ووقف عليه ، ورتب به وظائف ، وذلك سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

جامع (المزة)

١٠

عبد الله ابن شكر ٠٠٠-٦٢٢

أنشأه الوزير ابن شكر سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وهو عبد الله بن علي ابن الحسين المصري الدميري المالكي ، أصله من الدميرة بلدة بين الاسكندرية ومصر ، ولما نشأ اشتغل بالفقه والحديث ، وأخذ عنه الحافظ المنذري ، واستوزر للعادل وتمكن منه ، ثم غضب عليه ونفاه الى آمد ، ثم بعد موت العادل رجع الى دمشق ، وامتدحه السخاوي بمقامة .

١٥

قال المنذري : وكان موثرا للعلماء والصالحين ، كثير البر بهم والتفقد لهم لايشغله ما هو فيه من كثرة الأشغال عن مجالستهم ومباحثتهم ، وأنشأ مدرسة قبالة داره بالقاهرة .

قال أبو شامة : وكان خليقا بالوزارة لم يتولها بعده مثله ، ألف كتابا سماه « البصائر » . وترجمه الموفق عبد اللطيف وبالغ في ثلبه ، وتوفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

٢٠

ورأيت بخط العلموي : ان ابن شكر له آثار حسنة بدمشق منها بناء المصلى بميدان الحصى وتبليط جامع دمشق وعمارة جامع الفوارة وتجديد جامع حرستا وغير ذلك . ورأيت في هامش « تنبيه الطالب » نقلا عن النعيمي ما حاصله أن هذا الجامع قد خرب وبطلت الصلوات فيه مدة سنين ، الى أن أمر السلطان سليمان بعمارة جامعه والتكية

(١) كذا في الاصل وفي « الدارس » : « الزيني » .

مكان قصر الملك الظاهر سنة خمس وستين وتسعمائة ، فأخذت آلات هذا الجامع الى عمارته ، وأخذت أيضا آلات جامع النيرب ، ولم يبق بالمزة جامع غير جامع المرجاني فقط .

جامع الأفرم

ومثله جامع الأفرم وقد كان غربي الصالحية ، بناه الأفرم نائب السلطنة سنة ست وسبعمائة ، ورتب له خطيبا يخطب فيه ، وقد أصبح اليوم لا أثر له ، وكان تجاه الرباط الناصري . وكل منهما يسلم على الآخر سلام الوداع . ٥

جامع (المصلّى)

الملك العادل سيف الدين

قبلي البلد من خارج بمحلة الميدان ، أنشأه الملك العادل سيف الدين أبو بكر ابن أيوب سنة ست وستمائة ، وجعله لصلاة العيدين ، ولم يتهيأ له وقف . قال أبو شامة : وقد بنى له أربعة جدر مشرفة ، وجعل له أبوابا صونا لمكانه من نزول القوافل ، وجعل له محرابا من حجارة ومنبرا منها ، وعقدت فوقه قبة ، ثم عمل بعد ذلك في قبلته رواقان ومنبر من خشب . ١٠

جامع (الملاح)

الصاحب نميريال

خارج الباب الشرقي جوار المزار المنسوب لسيدنا ضرار بن الأزور رضي الله عنه ، بالقرب من محلة الملاح وهي القعاطلة ، أنشأه الصاحب نميريال سنة احدى وسبعمائة ، وكان غير مسلم أولا ، ثم أسلم وتولى نظر الدواوين . وكان الأليق بي أن لا أذكر هذا الجامع هنا لأنه قد تهدم ، ولم يبق منه الا بعض جدران واقفة وبعض الأعمدة ، ولكني ذكرته هنا للاستبصار . ١٥

جامع (ابن منجك)

الأمير ابراهيم ابن منجك

بآخر ميدان الحصى ، بناه الأمير ابراهيم ابن سيف الدين منجك ، وقال فيه بعض الأدباء حينما أمر بحمل حجارة البناء على العجل من أرض العمارة : ٢٠

لنا مليك على البنيان مقتدر قلوب صم الحصى من خوفه وجله

ذو همة لو نأى في أمره جبل أتى به مسرعا في الحال بالعجلة

والظاهر أن بناءه كان قبل الثمانمائة والله أعلم .

المنارة البيضاء

هي المنارة المبنية عند كنيسة النصارى داخل دمشق بمحلة الخراب . حكى المحبي في « تاريخه » في ترجمة أحمد بن يونس العيثاوي أن الذي بناها علاءالدين ابن الحجيج وكان تاجرا كبيرا ، ولما أراد بناءها في ذلك المحل اختلف علماء وقته في جوازه ؛ فأفتى الشيخ اسماعيل النابلسي الشافعي بعدم جواز بنائها حذرا من أن يكون اشهار الأذان بها سببا لسب النصارى دين الاسلام ، وأفتى العيثاوي الشافعي بجواز البناء، فمال القاضي مصطفى بن بستان الى قوله ، ومال نائب الشام حسن باشا الى فتوى النابلسي ، ثم بنيت بأمر القاضي بعد أن بذل النصارى للوزير مالا جما لمنع بنائها ، وألف العيثاوي رسالة استند بها على ما قاله ، وكان ذلك قبل التسعين وستمائة .

علاء الدين ابن الحجيج

٥

حرف النون

١٠

جامع (النحاس)

كان شرقي الركنية بالصالحية ، وقد صار الآن بستانا يقال له : بستان النحاس ! والذي بناه عماد الدين عبد الله بن الحسين بن النحاس ، كان أولا له خدمة في دولة زمانه ، ثم أقبل على الزهد والعبادة والانقطاع الى مسجده الجامع ، توفي سنة أربع وخمسين وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون في تربة كانت تنسب اليه .

عماد الدين ابن النحاس ...— ٦٥٤

١٥

جامع (النيرب)

لم نذكر هذا الجامع الا للتذكار ، والا فما الفائدة في ذكر جامع صار بستانا ؟! ولقد كان بالقرب من الربوة على حافة نهر بردى ، وكان هناك سوق . والنيرب من محاسن دمشق تابع بيت لهيا . ويقال : ان شرقي هذا الجامع قبر حنة أم مريم ، والذي بناه محمد بن أحمد الشهير بابن ابي العيش الأنصاري الدمشقي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، وقد أذهبته الأيام والليالي ، فسبحان من تفرد بالبقاء !

محمد الانصاري

٢٠

وكان بالربوة أيضا جامع فاندرست آثاره أيضا .

وكان بدرب الصالحية الآخذ الى الجسر فوق جامع برسباي جامع يقال له : جامع العنبري ، فهدم سنة ثمانين وتسعمائة فلم يبق له أثر !

حرف الواو

مسجد (واثلة بن الأسقع)

هو ، في سويقة باب الصغير ، مسجد كبير ، وله أوقاف .

حرف الياء

جامع (يلبغا)

على شاطىء نهر بردى معروف مشهور ، وهو الآن مكتب للعسكرية[1] ، وكان محله تلا يشنق عليه المجرمون كما حكاه ابن ناصر في كتابه « توضيح المشتبه » ، فأخذه سيف الدين يلبغا ، وأنشأ فيه هذا الجامع سنة سبع وأربعين وثمانمائة .

سيف الدين يلبغا
٠٠٠-٧٤٨

ويلبغا هذا ، كما قاله الحسيني في « ذيل العبر » ، كان نائبا بدمشق يعني واليا ، وفي السنة المذكورة جاء أمر السلطنة اليه بالقبض على جماعة من أمراء مصر كانوا بدمشق ، فجمع يلبغا الأمراء واستشارهم في ذلك ، فاختلفوا عليه ، فكاتب أرغون شاه نائب حلب فأجابه بالطاعة وهم بالعصيان ، وتحول بخزائنه وأهله الى القصر الظاهري فأقام به أياما ، ثم جاء الأمر السلطاني بتولية أرغون على دمشق ، فغضب لذلك ورد الرسول بلا جواب ، وخرج من البلد ، فأقام ثلاثة أيام بالقبيبات ، ثم نودي بالبلد بأنه من تأخر عن مقاومة يلبغا يشنق على باب داره ، فتأهب الناس للخروج وساروا لامساكه ، فلما علم بذلك جهز ثقله وزاده وما خف عليه من أمواله وركب بمن أطاعه ، فوافاه الجيش عند ركوبه ، فنهب الناس أمتعته وخيامه وما قدروا عليه ، وتبعه العسكر من خلفه ففر بين أيديهم ، فأحاطت به العرب في الطريق وألجؤوه الى واد بين حمص وحماة ، فلم يسعه الا الاستجارة بنائب حماه فأجاره وأكرم نزله ، وكتب الى الملك المظفر يعلمه بذلك ، فجاءه الجواب بالقبض عليه ، فقيده وأرسله محفوظا . فلما وصل الى قاقون خنق هناك ، وأخذ رأسه الى القاهرة ، واحتيط على جميع أمواله وأموال من معه من الأمراء . فتأمل الاستبداد والسيئات التي كانت في ذلك الزمن ما أفظعها ! وقال البدري في كتابه « نزهة الأنام في محاسن الشام » : جامع يلبغا من أحسن الجوامع ترتيبا ومتنزها ، بصحنه بركة ماء مربعة ، داخلها فسقية مستديرة بها نوفرة يصعد منها الماء قامة ، ومن فوقها مكعب عليه عريشة عنب ملون يصل الماء الى قطوفها الدانية ، وبجانبها حوضان فيهما من

(١) كان هذا في زمن تأليف الكتاب . وأما الآن فنصفه مسجد ونصفه الآخر مدرسة ثانوية .

أنواع الفواكه وأجناس الريحان ، وله شبابيك تطل على جهاته الثلاث . انتهى . وهذا
كان وصفه الأول ، وأما الآن فقد تحول وتبدل ، وقد ولع الشعراء قديما بوصفه ،
فقال القاضي كريم الدين الطاراتي :

عرج لساحة يلبغا — تنظر به ما يبتغى
٥ من قال في الدنيا له — مثل يكون فقد لغا

وقال أبو الفتح المالكي :

كم نزهة في يلبغا تبتغى — ومدرج لم يخل من دارج
فياله من جامع جامع — فاق على الزوراء في عالج
يموج في بركته ماؤه — تحت منار ليس بالمائج
١٠ مئذنة قامت على بابه — تشهد للداخل والخارج

ولابن حبيب وهو أول من مدح هذا الجامع :

يمم دمشق ومل الى غربيِّها — والمح محاسن حسن جامع يلبغا
من قال من حسد رأيت نظيره — بين الجوامع في البلاد فقد لغا

وقال درويش الطالوي :

١٥ ألمم اذا هم عراك يلبغا — واعطف لمقصفه تنل ما يبتغى
فوحق كوثر مائه من قال في — جنات عدن مثله فقد لغا

جامع بالقرب من مسجد الأقصاب

عبد الله ابن الأتيملثي

لم أدر من تاريخه سوى أني رأيت مكتوبا على أسكفة بابه : أنشأهذا المسجد المبارك
الفقير الى الله تعالى عبد الله بن الاتيملثي ، أوقفه على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضي
٢٠ الله تعالى عنه ، وأوقف عليه جميع الدار والحوانيت التي تجاورها ، وشرفية ، وبصرى ،
وريعها الى امام فقيه وأيتام ومؤذن وخادم حسب كتاب الوقف سنة أربع وسبعين
وسبعمائة . انتهى .

خاتمة بما كان في دمشق من المتنزهات المشهورة

(دير مران)

كان قديما من المتنزهات الدمشقية . قال الشيخ عبد الرحمن بن شاشو في كتابه الذي ضاهى به « نفحة الريحانية » : هو دير بدمشق بسفح قاسيون بالقرب من الربوة، وهو أحد الديارات(١) المذكورة في الشعر : ٥

أولها هذا الدير ، وفيه يقول الشهاب ابن عبد الرحمن العمادي الدمشقي :

أيا دير مـران سقاك غمـام ... تروح وتغدو عيشهن سـلام

وحياك من دير وحيا معاهدا ... لمغناك ما نـاح الزمان حمام

وقفت على رسم به راح دارسا ... وقد فاح من عرف الرياض خزام

فقلت ولي فيه رسيس صبابة ... وفي القلب مني لوعة وغرام ١٠

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... أنيس ولم تهرق هناك مدام

وهذا يدل على أنه أصبح خرابا قبل زمن العمادي .

والثاني دير القـائم الأقصى على شاطىء الفرات ، وفيه يقـول هاشم بن محمد الخزاعي :

بـدير القائم الأقصى ... غزال شادن أحـوى ١٥

برى جسمي له حبي ... ولا يـدري بمـا ألقى

وأخفي حبه جهـدي ... ولا والله لايـخفـى

والثالث دير عبدون ، وهو بظاهر المطيرة ببغداد ، وفيه يقول ابن المعتز :

سقى الجزيرة ذات الطل والشجر ... ودير عبـدون هطـال مـن المطـر

والرابع دير مارت يعني مريم ، وهو بالشام ، وفيه يقول ابن هرمز : ٢٠

نعم المحـل لمـن يسعى للذتـه ... دير لمريم فـوق الظهر معمـور

ظل ظليل وماء غـير ذي أسف ... وقاصرات كأمثـال الدمى حور

---

(١) كذا في الاصل ، وصوابها « أديار ، وأديرة ، وديورة » .

والخامس دير العذارى ، وهو بسرمن رأى ، وفيه يقول جحظة :

ألا هل الى دير العذارى ونظرة ... الى من به قبل الممات سبيل ؟

وقد تفنن الشعراء في وصف هذه الديارات ، كما تفننوا في وصف الجامع الأموي ؛ فقد رأيت كثيرا منهم أطنبوا في مدحه ، فأحببت أن أضم بعضا منها لما هنا لأن الكلام عليه سابقا كان تاريخيا بحتا ، وهذه الخاتمة أدبية ، والشيء انما ينظم مع مايماثله.

٥

فمن ذلك قول بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي :

معبد الشام يجمع الناس طرا ... واليه شوقا تميل النفوس

كيف لايجمع الورى وهو بيت ... فيه تجلى على الدوام العروس (١)

وله أيضا :

١٠

يا راغبا في غير جامع جلق ... هل يستوي الممنوع والممنوح

أقصر عناك وفي غلوك لاتزد ... ان الزيادة (٢) بابها مفتوح

وقد أخذ هذا المعنى من كلام جمال الدين ابن نباته وهو :

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق ... وفي صدره معنى الملاحة مشروح

فان يتغالى في الجوامع معشر ... فقل لهم باب الزيادة (٢) مفتوح

١٥

وقال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي :

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها ... بمعبدها الزاهي البديع المشيد

جرى ليباهي حسنه كل معبد ... وما قصبات السبق الا لمعبد (٣)

والأصل في ذلك قول برهان الدين القيراطي :

سقى بدمشق الغيث جامع نسكها ... وروضا به غنى الحمام المفرد

٢٠

اذا ما زهى للعين من ذاك معبد ... لذكر حلا في السمع من ذاك معبد (٣)

ومن معانيه اللطيفة قوله :

دمشق لها في الحسن منصب (٤) ... عال وذكر في الملا شائع

فخل من قاس بها غيرها ... وقل له ذا الجامع المانع

---

(١) فيه تورية باسم منارة العروس بالجامع الاموي .

(٢) فيه تورية باسم باب الزيادة وهو من أبواب الجامع الاموي .

(٣) فيه تورية بمعبد المغني .

(٤) كذا في الاصل ، « وفي نزهة الأنام » : « دمشق في الحسن لها منصب » .

وله أيضا :

في الجامع الأموي الحسن مجتمع وبابه فيه للأحداق لذات

دقائق الحسن يحويها له درج فحبذا منه بالساعات(1) ساعات

وحبذا معبدكم أطربت أذنا فيه من الذكر نغمات وأصوات

جلا العروس على الرائين قطعتها(2) تزفها من بدور التم طارات ٥

ومن لطائفه أيضا :

يقول لنا نسر بجامع جلق أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

وقد أطرب الأسماع مطرب جنكها وغنى به من لا يغني مغردا

وقال القاضي شمس الدين البارزي الحموي :

دمشق لها منظر رائق فكل الى وصلها يابق ١٠

فأنى يقاس بها بلدة أبى الله والجامع الفارق

وللشاب الظريف في غلام يتمشى بصحن الجامع الأموي :

تمشى بصحن الجامع الشادن الذي على قده أغصان بان النقى تثني

فقلت وقد لاحت عليه حلاوة ألا فانظروا هذي الحلاوة في الصحن

أنهار دمشق المحتفرة للشرب وسقي الزرع والأشجار ١٥

روى الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » بسنده الى زفر قال : سألت مكحولا عن نهر يزيد ، وكيف كانت قصته ؟ قال : سألت مني خبيرا ، أخبرني الثقة أنه كان نهر صغير بناطيا يجري شيئا ، يسقي ضيعتين في الغوطة (القوم) يقال لهم : بنو فرقا ، ولم يكن فيه لأحد شيء غيرهم ، فماتوا في خلافة معاوية ولم يبق لهم وارث ، فأخذ معاوية ضياعهم وأموالهم ، فلم يزل كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستين وولي ابنه ٢٠ يزيد ، فنظر الى أرض واسعة ليس لها ماء وكان مهندسا ، فنظر الى النهر فاذا هو صغير ، فأمر بحفره ، فمنعه من ذلك أهل الغوطة ودافعوه ، فلطف بهم الى أن ضمن لهم خراج سنتهم من ماله ، فأجابوه الى ذلك ، فاحتفر نهرا في سعة ستة أشبار ، وعرضه

(1) فيه تورية باسم باب الساعات من ابواب الجامع الأموي .

(2) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « جلا العروس على الرائي فطلعتها » .

وعمقه ستة أشبار ، وله ملء جنبتبه ، وكان على ذلك كما شرط لهم ، فهذه قصة نهر يزيد . ومات في رجب سنة أربع وستين ، حتى ولي هشام بن عبد الملك ، فسأله أهل قرية حرستا شرب شفاههم وماء لمسجدهم ، فكلم فاطمة بنت عاتكة بنت يزيد في ذلك فأجابته ، على أنه احتفر نهرا صغيرا يجري الى مسجدهم للشرب لا لغيره ، وفتح
٥ الحجر الذي يمر منه الماءلقرية حرستا فترا في فتر مستديرا ، ويجري لهم من الأرض على مقدار شبر من ارتفاع بطن النهر . وسأله عبد العزيز مولى هشام أن يجري له شيئا يسقي ضيعته ، فأجابه بعد أن سأل في أمره ، فصيرت له ماصية فتحها شبر في أقل من شبر . ثم سأله خالد أن يسقي ضيعته ، فأجابه لما طلب ، وفتحت له ماصية كحكاية هذه الماصية . وأقام رجل من أهل دمشق ، يقال له : جرجة بن قعرا ، عند
١٠ سليمان بن عبد الملك شاهدين يشهدان أن له في النهر قناة تجري الى حمام له يريده، وزعم أنها كانت من قبل ، فسجل له عبد الملك سجلا بذلك وهو رطل من الماء يجري في سيلون في ديره .

وقل الماء في ولاية سليمان بن عبد الملك حتى لم يبق في بردى الا شيء يسير ، فشكوا ذلك الى سليمان ، فأرسل عبيد بن أسلم مولاه ومعه جماعة لكرايتها ، فلما
١٥ باشروا العمل اذا هم بباب من حديد مُشبك يخرج الماء من كوى موجودة فيه ، يسمعون داخلها صوت ماء كثير ، ويسمعون صوت اضطراب السمك فيها ، فكتبوا الى سليمان بذلك ، فأمرهم أن لايحركوا شيئا وأن يكروا قدامه ، ففعلوا ما أمرهم ، ولم يزل كذلك الى ولاية هشام بن عبد الملك ، فلم يكن فيه أكثر من ذلك ، فشكى اليه أهل بردى قلة الماء ، فأمر القاسم بن زياد أن يميز لهم الماء فمازه لهم ، فأعطى أهل نهر يزيد ست عشرة
٢٠ مسكبة ، والفرق الكبير خمس مساكب ، والفرق الصغير أربع مساكب ، ونهر داريا ست عشرة مسكبة ، ونهر ثورا اثنتين وأربعين‌مسكبة، ونهر بانياس ثلاثين مسكبة، ومسكبة حملت فيه تصب ليزيد بن أبي مريم مولى سهل بن الحنظلية ، وثلاث مساكب للفضل ابن صالح الهاشمي حملت فيه من بعده ، ونهر مجذول اثنتي عشرة مسكبة ، ونهر داعية ثلاث عشرة مسكبة ، ونهر حيوة وهو نهر الزلف اثنتي عشرة مسكبة ، ونهر التومةالعليا
٢٥ خمس مساكب ، ونهر التومة السفلى أربع مساكب ، ونهر الزابون أربع مساكب ، ونهر الملك أربع مساكب ، والقناة لم تمز يومئذ بل تركت تأخذ ملء جنبيها ، وكان الوليد ابن عبد الملك لما بنى المسجد اشترى ماء من نهر السكون يقال له : الوقية ، فجعله في

القناة الى المسجد ، والحجر شبر ونصف في شبر ونصف ، وثقب الثقب شبر في أقل من شبر ، على أنه اذا انقطعت القناة أو اعتلت ليس لأحد أن يأخذ من ماء الوقية شيئا، ولا لأصحاب القساطل فيها حق ، فاذا جرت يأخذ كل ذي حق حقه ، ويفتح القساطل على الولاء ، وقال يزيد : أنا أدركت القناة يدخل فيها الرجل ، يسير فيها وهي مسقوفة ، يمد يديه ولا ينال سقفها ، وليس فيها شيء مثلوم . هذه قصة نهر يزيد . ٥

قال ابن عساكر بعد أن روى ما تقدم عن طريقين : فهذه الأنهار التي ينتفع بها الداني والقاصي ، وينقسم منها الماء الى الأرضين في الجداول من المواصي ، ويدخل من بعدها الى البلد في القني فينتفع به الناس الانتفاع العام على الوجه الهني ، ويتفرق الى البرك والحمامات ، ويجري في الشوارع والسقايات، وذلك من المرافق الهنية، والمواهب الجزيلة السنية ، والفضيلة العظيمة التي عدت من فضائل هذه المدينة اذ الماء في أكثر ١٠ البلاد لاينال الا بالثمن وهو الذي تحصل به حياة النفوس وازالة الدرن . ورأيت في كتاب « صور الأقاليم » ما نصه : مخرج مياه دمشق من تحت كنيسة يقال لها : الفيجة . وأول ما يخرج يكون ارتفاعه مقدار ذراع في عرض باع ، ثم يمشي في شعب تتفجر منه العيون ، فيأخذ منه نهر عظيم أجراه يزيد بعرض الدجلة ، ثم يستنبط منه نهر المزة ونهر القناة ، ويظهر عند الخروج من الشعب بموضع يقال له : النيرب ، ثم ١٥ يبقى من هذا الماء عمود النهر فيسمى بردى ، وعليه قنطرة في وسط مدينة دمشق لايعبرها الراكب غزارة وكثرة ، فيفضي الى قرى الغوطة ، ويجري الماء في عامة دور دمشق وسككهم وحماماتهم . انتهى .

القلعة

بناؤها قديم جدا ، وربما يذكر في القسم السياسي ، ونذكر الآن ما اتصل بنا من ٢٠ وصفها ملخصا من كتاب « نزهة الأنام في محاسن الشام » لتقي الدين البدري المصري قال : ان هذه القلعة قدر مدينة ، وبها ضريح الصحابي الجليل أبي الدرداء ، وبها جامع وخطبة وحمام وطاحون وبعض حوانيت لبيع البضائع ، وبها دار الضرب التي تضرب بها النقود ، وبها الدور والحواصل ، ولها طارمة كأنها أفرغت بقالب من شمع تسامت رؤوس الجبال يقال : ان تيمورلنك لما حاصرها وعجز عنها ، أمر أن تنقب وتقطع ٢٥

الأشجار وتعلق بها ، حتى اذا تم تعليقها أشعلها باطلاق الناس فيما تحتها من الخشب ظنا منه أنها تتفسخ بذلك وتسقط شذر مذر فيملك القلعة ، فلما علقت النار فيما تحتها بركت كما يبرك الأسد ولها صوت مزعج فسموها بالأسد البارك ، وهي الآن على الثلثين من علوها ، وبالقلعة آبار ومجار للماء ومصارف بحيث اذا وقع الحصار وقطع الماء كان لها من الماء ما يكفيها ، وبها يمر نهر بانياس فينقسم قسمين : أحدهما يبقى ظاهرا على حاله ، والآخر تنسحب عليه الأوساخ والأقذار وهو المسمى بقليط يمر تحت الأرض بنحو قامتين ، والماء الطاهر يتشعب فوقه يمينا وشمالا ، ولايزال قليط سائرا الى أن يخرج من الباب الصغير ويتصل بمحلة المزاز ، وهناك يعد لسقي الاراضي الزراعية . هذا نعتها كان أيام البدري ، وأما الآن فقد تغيرت بعض أوصافها ؛ فهدم بابها الغربي وجعل مكانه دكاكين ، وذهب خندقها وابتني أسواقا ، وربما يأتي زمان لايبقى لها فيه أثر لعدم نفعها وتبدل الاسلحة التي كانت قديما بغيرها ، وتغيرت أيضا الدور والحواصل ودار الضرب ، وانما نذكر أمثال ذلك تنبيها على ما كانت عليه دمشق في سالف عهدها ومجدها .

ومما كان قديما ملعبا ومرتعا تحت القلعة فانه كان منهلا للغريب ، وكان ساحة تحفها الدور وتعلوها القصور ، وبها كل ما تطلبه الشفة واللسان فسكانها لايحتاجون لشيء من المدينة ، وبها دار البطيخ التي تباع بها جميع الفواكه ، وهناك العين المشهورة المجمع على برودة مائها وعذوبته وخفته ، وكان هنا سوق للأقمشة وللفراء وللعبي وللنحاس وللسكاكين ولجميع الأصناف التي كانت مشهورة في ذلك الزمن ، وكان هناك سوق الرقيق ، هذه هي الأبنية التي كانت هناك وأما الساحة فانك لاتستطيع أن ترى أرضها لكثرة ما بها من المتعيشين والوظائفية ، ويتخلل بينهم أصحاب الحلق والمغالبة والمضحكون وأصحاب الملاعيب والحكوية والمسامرون ، وبها كلما يلذ للسمع وتشتهيه النفس ، وهم على هذه الحال لايفترون صباحا ولا مساء ، لكنهم في المساء أكثر منهم اجتماعا ، ويستمرون الى طلوع الثلثين : وهو عبارة عن ثلاثة طبول متفرقة على القلعة ، يضربون في الثلث الأول كل واحد منهم ضربة ، وفي الثلث الثاني من الليل يضربون كل واحد ضربتين ، وفي الثلث الآخر من الليل يطلع المؤذن على مئذنة العروس بالجامع الأموي ويعلق لهم قنديل الاشارة ، فيضرب كل طبل من الطبول الثلاثة ثلاث ضربات ، ويشتغل في المنارات بالتسبيح والأذان . وكان بهذه الساحة خطبتان : احداهما بصدرها في

جامع يلبغا ، وثانيتهما بآخرها بالمدرسة المؤيدية . قال البدري : وبتلك الساحة شجرة حور يحتاط بها أربعة رجال فلا ينظر أحدهم لمن يقابله لعظم ساقها . ا.هـ . وتلك آثار اندرست فلم يبق منها الا جامع يلبغا وتلك الشجرة والعين ، وأما الساحة فقد صارت أسواقا ودورا ، وانقطع أثر الطبول لعدم الاحتياج اليها ، وبقي القنديل الذي يعلق في مئذنة العروس ، وليته انقطع لأنه لا فائدة فيه مع وجود الساعات ، ولكل زمان عوائد ٥ ورجال .

بين النهرين

هو مبتدأ الوادي ، كان مشتملا على فرجة سماوية بها دور وقصور ، وسويقة بها حانوت طباخ وصاجاتي وقطفاني وفقاعي وحواضري وفاكهاني وأمثالها ، وعدة مقاعد للجلبية ، وحمام يشرح الصدر ، وقنطرة يتوصل منها الى جزيرة لطيفة من رأسها ١٠ ينقسم نهر بردى فيصير نهرين ، والمقسوم منه هو نهر الشيخ أرسلان ، وبها مقصفان للبطالين فيما بين المقسمين ، وكان في قبالتهما زاوية يقال لها : زاوية الشاب التائب ، يقام بها يومي السبت والثلاثاء أوقات للوعظ ، ويتوصل منها الى زقاق الفرايين المشتمل على قاعات وأطباق ، وكم غرفة بها وكم رواق يطلون بها على ما بين النهرين ، ولكل من هؤلاء ناعورة يستلذ صاحبها بأنينها ، وبها يقول ابن تميم : ١٥

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها ... وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لأني فقدته ... وأمادموعي فهي تجري على جسمي

ولبعضهم :

لقد كنت غصنا في الرياض منعما ... أميس ونصبي في أمان من الخفض
فصيرني صرف الزمان كما ترى ... فبعضي لما لاقيت يبكي على بعضي ٢٠

وللعلاء ابن القضَّامي :

وذات شجو أسالت ... مدامعا لم تصنها
تبكي بفرط دموع ... ويضحك الروض منها

أن الأقدمين شبهوا دمشق في حسن وضعها بالباز ؛ فجعلوا الهامة هامته، واختاروا موضعا سموه صدر الباز ، وشبهوا سفح قاسيون بالجناح الأيسر ، وخصوا قطعة منه باسم الشرف الأعلى ، وهي من سوق ساروجا حتى صدر الباز ، وشبهوا القسم الثاني، وهو من سراي العسكرية فما فوقه الى الغرب ، بالجناح الأيمن وخصوه باسم الشرف الشمالي ، وشبهوا البلد ببطنه ، ومما يليها الى الشرق بالذنب ، وبذلك علم موقع كل واحد من الشرفين . وكان بكل من هذين الشرفين عدة من المدارس والمساجد ، ولكل منها ما يكفيه من الأوقاف التي استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء فأظهروا فيها أنواع المفاسد ، ثم تصرفوا فيها بمقتضى أهوائهم ، وكل من الشرفين يطل على الشقراء ، والقصر الأبلق الذي كان في الماضي من الزمن وبنيت التكية السليمانية والسليمية موضعه ، وعلى المرجة ذات العيون والغدران . وقد أكثر الشعراء في وصف هاتيك الرياض ، فقال النواجي :

ألا ان وادي الشام أصبح جنة[1] ... محاسنه ما بين أهل النهى تتلى
وان شرفت بالنيل مصر فلم تزل ... دمشق لها بالغوطة الشرف الأعلى

وقال علي بن شرف الدين المارديني في غلام اسمه علي من الشرف الأعلى :

حبي[2] عليٌ ولكن وجهه حسن ... وفعله المرتضى يحلو به الشغف
بدر من الشرف الأعلى له نسب ... وهل لغير علي ينسب الشرف ؟

وقال ابن الشهيد :

لم يحك جلق في المحاسن بلدة ... قول صحيح ما به بهتان
ولئن غدوت مسابقا في غيرها ... ها بيننا الشقراء والميدان

ومن تحرير القيراطي :

سر بي الى الشقراء من جلق ... واثن الى الخضراء منك العنان
فيها جنان لو رأى حسنها ... أبو نواس للها عن جنان
وانزل بواديها الذي نشره[3] ... مسك وحصبا النهر منه جمان

---

(١) كذا في الأصل ، وفي « نزهة الأنام » للبدري : « آية » .

(٢) كذا فيالاصل ، وفي « نزهة الانام » : « جنى » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « تربه » .

المرجة

قال البدري : ومن جملة محاسن دمشق طاحون الشقراء ظاهر قصر الملك الظاهر بيبرس بالقرب من زاوية الأعجام ، ويليها قصبة سوق فيه احدى وعشرون حانوتا ، وبأعلاها طباق تطل على المرجة ، وبآخر السوق المسجد المطل على نهر بردى . قال البدري : وقد أدركتها غير دائرة ، ثم هدمت في أوائل حكم الملك الأشرف قايتباي . انتهى . فعلى هذا فان المرجة كانت عامرة آهلة ، وهي من المحاسن التي لاتدرك ، وبها يقول التقي محمد الحموي :

ذكرت أحبتي بالمرج يوما فقوت أدمعي نيران وهجي

فصرت أكابد الأحزان وحدي وكل الناس في هرج ومرج

وللقاضي مجير الدين بن عبد الظاهر :

ومرجة واد يروقك حسنها(1) ولا سيما ان جاد غيث مبكر

بها فاض نهر من لجين كأنه صفائح أضحت بالنجوم تسمر

تلاحظها عين تفيض بأدمع يرقرها منه هنالك محجر

وكم غازلت فيها الغزالة(2) مقلة تسارق أوراق الغصون فتنظر

اذا فاخرته الريح ولت عليلة بأذيال كثبان الربى تتعثر

به الفضل يبدو والربيع وكم غدا به الروض يحيا وهو لاشك جعفر

المنيبع

هي متنزه كان به سويقة وحمام وأفران ، وكان به المدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر ، يمر بصحنها نهر بانياس ، ونهر القنوات على بابها ، ولها شبابيك تطل على المرجة بها ألواح رخام لم يسمح الزمان بنظيرها ، وعدة خلاوى للطلبة . وللنواجي في هذا المتنزه البديع :

أيا سادة اهدوا محاسن جلق لطرفي ففاضت بالبكا عبرات

منيبيع جفني فوق ربوة جبهتي يزيد ودمعي بعدكم قنوات(3)

---

(1) في « نزهة الأنام » : « ومرجة في واد يروقك روضها » .

(2) في « نزهة الأنام » : « وكم غازلته للغزالة مقلة » .

(3) فيه تورية بمحلة « المنيبع » ومتنزهي « الربوة والجبهة » ، ونهري « يزيد والقنوات » .

البهجة

ويقال لها : الجبهة

هي متنزه أيضا ، وهي أرض مربعة قدر فدانين ، كانت لها سقائف تظلها من غير طين بين شجر الصفصاف والجوز والحور ، وكل مفرش حصير تحتاط به جداول الماء من أربع جهاته ، مع البرك والبحيرات بالنوافر ، وهي بجانب نهر بردى ، وكان بها حوانيت الشرايحية والجزارين والطباخين والحوامضية والأقسماوية والفاكهانية وغير ذلك ، وكان بها مسجد ومدرستان ومربط للدواب ، ومقاصفية واقفين في خدمة الناس وعندهم اللحف والأنطاع والعبي لمن يبيت عندهم أو ينام . وفي البهجة قال ابن حجة الحموي ولكنه سماها الجبهة :

لما ملأ الجبهة بالأنوار	لنا على ذلك خوف العار
قال اصرفوا الي الاسم من بلدتكم (١)	فجبهتي منازل الأقمار

وبها يقول علي بن سعيد :

ان للجبهة في قلبي هوى	ساكن(٢) عندي للوجه الجميل
برقص الماء بها من طرب	ويميل الغصن للظل(٣) الظليل
وتود الشمس لو باتت بها	فلذا تصفرّ في وقت الأصيل

ويعلوها نهر القنوات وبانياس وينحدر الماء منهما اليها ، ومن فوق النهر حمام النزهة ، والى جانبه مقصف بحوانيت فيها البضائع ، ويمر وسطه نهر قنوات ، ويتوصل منه الى زاوية الحريري ، وقد كانت مشهورة ، ولم يك في وقتها أبدع منها، وينحدر الماء الى متنزه كان اسمه قطية ، وهو مقصف كان بجانب نهر بردى ، وعليه نواعير ، متشعبة أراضيه بجداول الماء والبرك والبحيرات ، وبه قصبة حوانيت يعلوها أربع طباق ومربط للدواب ، وعند المقاصفي العبي واللحف والأنطاع حتى الأطباق والملاعق لمن يأكل . قال البدري : وهذا مما لايوجد في بلد من البلدان . انتهى . وذلك بحسب زمانه فان المطاعم كانت لاتوجد الا في دمشق ، ثم عمت البلدان والأقطار . وفي

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » « قال انصرفوا سئمت من بلدتكم » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « لم يكن » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « في الظل » .

ذلك المتنزه يقول القاضي أحمد الكنائي :

أيا حسن سلسال على مرج(١) قطية ... اذا ما جرى فيه نخوض ونلعب

تهددنا(٢) أغصانها برؤوسها ... فينظر من طرف خفي ويرهب(٣)

البهنسية

هي روض بين أشجار وفواكه وثمرات مع عيون من الماء ، وتظهر منه الى مرجة جسر بناه رجل يقال له : حسن بن شواش ، وكان هناك مقاصفي وبيع وشراء ، ويتوصل منه الى أراضي حميص ما بين رياض وغياض ، ويعلوها محلة النيربين وهي من أعظم المحلات وأخضرها وأنضرها ، حسنة الثمرات ، كثيرة الأزهار ، وكان بها سويقة ، وحمام يقال له: حمام الزمرد ، وجامع بخطبة ، وكانت فيما سلف سكن الرؤساء والأعيان ، ومنها يتوصل الى أرض الربوة ، وكان الخارج من باب يلبغا يمشي بين أشجار وأثمار ومياه وظل الى الربوة فلا يرى الشمس الا اذا قصد رؤيتها ، وبذلك يقول البدر بن لؤلؤ الذهبي :

رعى الله وادي النيربين فانه(٤) ... قطفت به يوما لذيذا من العمر

درى أنني قد جئته متنزها ... فمد لتلقائي بساطا من الزهر(٥)

وأوحى الى الاغصان قربي فأرسلت ... هدايا مع الارواح طيبة النشر

وأخذ مني الماء القراح وحيثما ... اتجهت رأيت الماء في خدمتي يجري

وقال الوداعي :

وصبا صبت من قاسيون فسكنت ... بهبوبها وصب الفؤاد البالي

خاضت مياه النيربين عشية ... فأتتك وهي بليلة الأذيال

الربوة

سميت بذلك لأنها مرتفعة مشرفة على غوطتها ومياهها ، وكل راب مرتفع على ما

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « نهر » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « تهدده » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « ويرهب » .

(٤) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « فانني » .

(٥) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : «درى أنني قد جبته متنزها ... فمد لأقدامي ثيابا من الزهر».

حوله يقال له : ربوة ، وبها مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي ، وبها صفة محراب ، وكان بها جامع وخطبة ومحل للدرس وعدة مساجد ، وكان بها قاعات وأطباق وسويقتان يشقهما نهر بردى ، وكان بها صيادون للسمك يصطادون والقلايون على جنب النهر يقلون ، ويذبح بها كل يوم خمسة عشر رأسا من الغنم ، وذلك غير ما كان يجلب اليها من اللحم من المدينة ، وبها عشرة شرايحية ليس لهم شغل غير الطبخ والغرف في الزبادي والصحون وكل ما تشتهيه الأنفس ، وكان بها فرنان وثلاثة حوانيت برسم عمل الخبز التنوري ، وأما الفواكه فلا قيمة لها بها . قال البدري : ولقد اشتريت رطل التوت منها بربع درهم ، ومثله الرطل الدمشقي من المشمش والتفاح . قال : وبها حمام ليس له نظير على وجه الارض لكثرة مائه ونظافته ، وله شبابيك تطل على الأنهر من فوقه ومن تحته ، وبها طارمة المسجد الديلمي الذي جدده نور الدين الشهيد ، وله أوقاف على قارىء قرآن ومدرس بخاري ومؤذن وبواب وقيم ووقاد وغير ذلك .

وللتاج الكندي في وصفها :

ان نور الدين لما أن رأى … في البساتين قصور الأغنياء
عمر الربوة قصرا شاهقا … نزهة مطلقة للفقراء

وقال مجير الدين ابن تميم :

ياحسن طارمة في الجو شاهقة … ما أن تمل بها العينان من نظر
نزه لحاظك في طاقاتها لترى … أصناف ما خلق الرحمن للبشر
ترى محاسن واد يحتوي نزها … لذاذة السمع والأبصار والفكر
وربوة قد سمت حتى تخال لها … سرا تحدثه للأنجم الزهر
ما بين روض وأنهار مسلسلة … تجري وتحمل أنواعا من الثمر
كم بت فيها وخدني شادن غنج … حلو التثني كغصن البانة النضر
أشكو اليه الذي ألقى ومقلته … تشكو الي الذي تلقى[1] من السهر
حتى رأيت نجوم الليل قد غربت … عنا وهبت علينا نسمة السحر
بتنا[2] نجرر أذيال العفاف بها … والله يعلم منا[3] صحة الخبر
لاخير في لذة تمضي ويعقبها … خطيئة تسلك الانسان في سقر

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « يلقي » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « قمنا » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « منها » .

وقال السيد محمد ابن السيد كمال الدين بن حمزة :

رعى الله أوقات الربيع بجلق ... وحيا الحيا أرجاء ربوتها الغنّا
اذا حركت أدواحها شجو عاشق ... تحاكيه باللحن العنادل اذ غنا
ويذكو بها نشر النسيم اذا سرى ... فتذكو بتاريخ الغرام الذي جنا
وتطرد الأنهار فيها كأنها ... سوابق أفراس أعنتها تثنى ٥
فكيف يلام الحازم الرأي ان صبا ... الى ظلها الأملى وقد أشبهت عدنا

وتلك القاعة التي بناها نور الدين هي على شعب جبل منحوتة بألواح من خشب ، سقفها نهر يزيد ، وأساسها من تحتها نهر ثورا ، ومنظرها من الغايات التي لاتدرك ، ومقابلها في الجبل الغربي بذيله دف الزعفران والجبل الشرقي في رأسه مثل الجنك[1] ١٠ وقد أطنب الشعراء في وصفها ، فقال ابن نباتة :

في الجنك[2] من مغنى دمشق حمائم ... في ورق أغصان تشوف بلطفها [3]
فاذا أشار لها الشجي بكأسه ... غنت عليه بجنكها وبدفها

وقال الصلاح الصفدي :

انهض الى الربوة مستمتعا ... تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده ... في الروض بين الجنك والدف ١٥

وقال ابن الوردي :

دمشق قل ما شئت في وصفها ... واحك عن الربوة ما تحكي
فالطير قد غنى على عوده ... في الروض بين الدف والجنك

ومن لطائفه قوله :

يا ربوة اطربتني ... وحسنت لي هتكي ٢٠
اذ لست أبرح فيها ... ما بين دف وجنك

ولابن حبيب :

كم تحت جنك الربوة الفيحاء من ... دف زهت أشجاره بشنوفها
سقيا لها من ربوة من حل فيها طربته بجنكها ودفوفها [4]

---

(١) آلة من آلات الطرب .

(٢) الجنك اسم متنزه في رأس الجبل الشرقي .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « في دف أشجار تشوق بلطفها » .

(٤) نسب البدري في « نزهة الانام » هذين البيتين الى شعبان الآثاري .

ولشعبان الآثاري :

بربوة الشام ربت منيتي ... وقر قلبي وهي دار القرار
وطيرها المطرب في جنكه ... غنى على ناي وعود وطار[1]

وللشريف القواس :

٥ أود بأني لو رأى الجنك ساعة ... وأنفق فيها كل ما أنا مملك
فليس لنفسي سوى الجنك مطلب ... ودعهم يقولوا فيه للصب مهلك

وقال أيضا :

سر بي الى الوادي وقف متنزها ... فالجنك غنت فوقه الأطيار
لو لم تكن هي[2] جنة المأوى لنا ... ماكان تجري تحتها الأنهار

١٠ وللقيراطي :

سقى الجنك منهل الرباب فشوقنا ... لطيب المغاني منه لم يأتها حصر[3]
وحيا بقطر الشام أنهارها التي ... على شهدها بالدمع من مقلتي قطر
وجادت سماء الغيث أرض سمائها[4] ... غصون رياض الزهر آفاقها زهر
فكم جاءني منها نسيم ممسك ... وعرفها للقادمين بها العطر

١٥ وحكى أن الشيخ شمس الدين الخياط الشهير بضفدع خرج مع القاضي ابن خلكان الى الربوة ، فرأيا غلمانا يعومون ويلعبون في نهر نور الدين[5] تحت التخوت المعروفة بالمنيقبة ، فأنشد ضفدع قوله :

لربوتنا واد حوى كل بهجة ... فعيش الورى يحلو لديه ويعذب
تزف لنا الأنهار من تحت جنكها[6] ... فلا عجب أنا نخوض ونلعب

---

(١) نسب هذين البيتين البدري الى الشرف القواس .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « لو لم يكن هو » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « لطيب مغاني أرضه ماله حصر » .

(٤) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « أرضا سماؤها » .

(٥) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « نهر ثورا الذي » .

(٦) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « ترق لنا الأنهار من تحت جنكه » .

وأنشد ابن خلكان :

وسرب ظباء في غدير تخالهم	بدورا بأفق الماء تغدو(١) وتغرب
يقول خليلي والغرام مصاحبي	أمالك عن هذى(٢) الصبابة مذهب
ففي دمك المطلول خاضوا كماترى	فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا

المقسم

هو المحل الذي ينقسم فيه النهر الى سبعة أنهار ، وحواصله من ينابيع عين التوت . والنهر المذكور معروف مشهور ، يمر بالقرب من قرية الزبداني الى أن يلتقي بعين الفيجة ، فيسيران معا الى المحل الذي يقال له : المقسم ، ومنه يتشعب الى السبعة أنهار .

ولبرهان الدين القيراطي :

عندي بأرض الشام فرط صبابة	فسقى حماها الرحب صوب غيوث
وعيوننا لفراق مشمشها حكت	جريان أدمعها عيون التوث

وللقيراطي :

دمشق وافى بطيب	نسيمها المتداني
وصح قول البرايا	من عاشر الزبداني

وهذه الأنهار السبعة منها : يزيد ، وثورا ببطن الجبل الشرقي ، ويشق نهر بردى بطن الوادي ، ونهر بانياس ، ونهر القنوات ، ونهر المعنية(٣) ، ونهر الداراني بذيل الجبل الغربي ، وينزل الى المقاسم بنحو عشرين درجة كالشاذروان ؛ فرؤيته تذهب الهم والحزن . وما ألطف قول صدر الدين الآدمي :

قالوا فؤادك بردا(٤) عن محبتهم	فقلت نار الجوى لاتنطفي أبدا
بردت قلبي عن الأحباب مذ رحلوا	بما يزيد وما ثورا وما بردا

وللشيخ شعبان الآثاري :

شوقي يزيد وقلب الصب ما بردا	وبان يأسي من المعشوق حين غدا

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « تبدو » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « عهد » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « القناية » .

(٤) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الأنام » : « بردّد » .

وأدمعي قنوات والعـذول حكـى ثورا يلوم الفتى في عنفه أبـدا[1]
على مغنيـة بالجنـك جاوبهـا شبابة كـم بها مـن عاشق شهـدا
فالبدر جبهتها والدف[2] ربوتهـا وخالهـا مات من خلخالها كمـدا

هذا ما كان في القديم من متنزهاتها ، وهي موجودة الى الآن ، الا أن أبنيتهاتغيرت، وأوضاعها تبدلت ، وقال البدري : انه كان من ظاهر باب السلامة الى ظاهر باب توما ثلاثمائة وستون عينا تجري الى القبلة ، قال : ورأيت غالبها ، وارتويت من أعذبها . انتهى. ونحن لم نر منها شيئا ، والأرض لله يقلبها كيف يشاء !

الحواكير

هي كالحدائق في سفح قاسيون ، والفاصل بينها وبين جبل الربوة عقبة دمر التي بجانبها قبة السيار ، وقد تضاربت الآراء في هذه القبة ؛ فحكى البدري في « نزهة الأنام » في شأنها حكاية ملتقطة من أفواه العوام مدعيا صحتها وهي لاأصل لها ، قال : ان نصرا وسيارا كانا أخوين في الله ، وابتنى كل واحد منهما قبة يتعبد فيها ، وكانا اذا اشتاق أحدهما لصاحبه مشى اليه في الهواء ، وهذه كما ترى موضوعة ملفقة . وزعم كتاب الجرائد في عصرنا أن قبة السيار مرصد للفلك وليس بصحيح ، والأقرب للصحة ما رواه ابن عساكر في « تاريخه » بسنده الى أحمد بن الخير الوارق الدمشقي، قال : لم تزل ملوك بني العباس تخف الى دمشق طلبا للصحة وحسن المنظر ، منهم المأمون فانه أقام بها ، وأجرى اليها قناة من نهر منين في سفح جبلها الى معسكره بدير مران ، وبنى القبة التي في أعلى جبل دير مران ، وصيرها موقدا توقد النار في أعلاها لكي ينظر الى ما في عسكره اذا جن عليه الليل ، وكان ضوؤها وضياؤها يبلغان الى ثنية العقاب والى جبل الثلج . انتهى . وهاتان القبتان : احداهما في الجبل الغربي عن الصالحية وهي الآن باقية ، والثانية على قمة جبل قاسيون في الجانب الشمالي وقد تهدمت ولم يبق منها الا بعض آثار .

وهنا انتهى ما أردنا ايراده في هذا السفر المبارك بعد تجشم مشاق في التنقيب

---

(1) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « في عشقه حسدا » .

(2) كذافي الاصل، وفي « نزهة الأنام » : « والردف » .

على تلك الآثار ، وكثرة عناء في مشاهدتها عيانا لانطماسها ، وتبدل أوضاعها كما يعلم مما تقدم ، وتعب في استحصال بعض الكتب التاريخية لأن بعضها في ديارنا أصبح معدوما وهو القسم المعول عليه ، والبعض يتعسر الوصول اليه ، والبعض الآخر لايوجد لدينا الا ناقصا . ولنذكر هنا الكتب التي استحضرناها لهذا المقصد الجليل ، وهي :

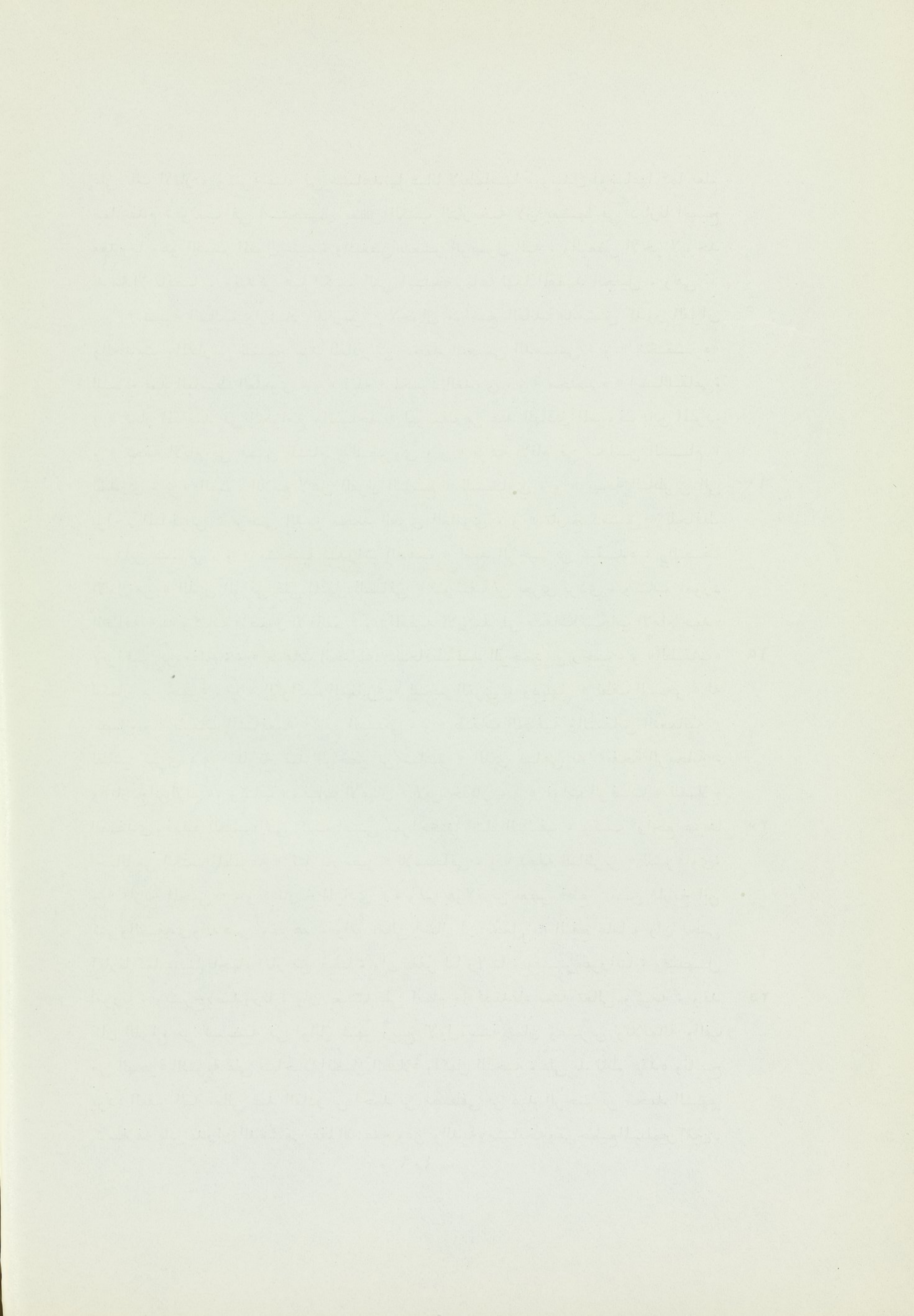
٥ « تنبيه الطالب وارشاد الدارس » لاحوال مواضع الفائدة بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس للشيخ عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ، و « مختصره » للشيخ عبد الباسط العلموي ، و « ذيله » لمحمود العدوي ، و « مختصره » أيضاللبقاعي، و « ثمار المقاصد في الجوامع والمساجد » ليوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد، و « تحفة الأنام في فضل الشام » للبصروي ، و « نزهة الأنام في محاسن الشام »

١٠ للبدري ، و « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » للسخاوي ، و « بهجة الناظرين الى تراجم المتأخرين » لرضي الدين محمد الغزي العامري ، و « تاريخ دمشق » للحافظ علي ابن عساكر ، و « منتخب شذرات الذهب » لعبد الرحيم بن شقده ، والنصف الأول من « الذيل الوافي على المنهل الصافي » ليوسف بن تغري بردي ، وكتاب «مورد اللطافة » له وكتاب « صور الأقاليم » و «المقصد الأرشد في طبقات أصحاب الامام أحمد»

١٥ لابراهيم بن مفلح ، و « طبقات الحنابلة » للحافظ عبد الرحمن بن رجب ، و «الطبقات» للكمال بن حمزة ، و « الكواكب السائرة » للنجم الغزي ، وذيلها « لطف السحر » له أيضا ، و « طبقات الشافعية » لابن السبكي ، و « طبقات الحنفية والشقائق النعمانية » لطاش كبري ، و « تاريخ عبد الرحمن بن شاشو » الذي ضاهى به «نفحة الريحانة»، و«تاريخ ابن الأثير»، وكتاب «وفيات الأعيان » لابن خلكان ، و « فوات الوفيات » للصلاح

٢٠ الصفدي . فهذه الكتب التي كنت أعتني بمراجعتها أثناء التأليف ، وكنت أراجع غيرها أحيانا من الكتب المطبوعة « كتاريخ مصر » للاسحاقي ، و « تحفة الناظرين » للشرقاوي، و « تاريخ المحبي » ، و « تاريخ المرادي » ، وغير هؤلاء من بعض قطع من تاريخ ابن كثير والصفدي والذهبي وغيرهم ، والله تعالى أسأل أن يجعل به النفع عاما ، وأن يحيي آثارنا كما عنينا باحياء آثار من قبلنا ، وأن يغفر لنا زلاتنا ، ويستر عوراتنا ، ويسهل

٢٥ أمورنا ، ويشرح صدورنا ، وأن يعيننا على اتمام ما قصدناه بمنه تعالى وكرمه ، وقد كان الفراغ من تبييضه في أوائل شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية ، على يد ناظم عقده وناسج برده الفقير اليه تعالى عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد الشهير كأسلافه بابن بدران الدمشقي عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وعن جميع المسلمين آمين .



ملحق شعري

هـذا ملحق شعري أضافه المؤلف الى آخر كتابه وضمنه أشعـاراً في وصف بعض متنزهـات دمشق ، أثبتناه كما أورده .

بعد كتابة ما تقدم ظفرت بخمس وأربعين ورقة من أول كتاب « البرق المتألق في محاسن جلق » للشيخ محمد كمال الدين الغزي العامري الدمشقي (١) فالتقطت منه ما يتعلق بمتنزهات دمشق التي طمس الدهر آثار أكثرها ، وقد صدر ذلك الفاضل كتابه بأرجوزة مطولة من نظمه واليك هي بتمامها ، قال :

٥	الحمد لله مفيض النعم	مولٍ لمن شاء صنوف الكرم
	مكون الأكوان بالاتقان	صنع حكيم مبدع متقان
	بلا مثال سابق قد صورا	هذا الوجود فكن بذا معتبرا
	ففيه أكبر شاهد التوحيد	ولقوة الايمان كالتشييد
	فكم بقاع خصها بالشرف	وأختها قضى لها بالسخف
١٠	وبلدة حوت رياضا وزَهَرْ	وورودا يانعات ونهر
	وبلدة من عاصفات الحر	ظمأى وسقيا أرضها من بئر
	وقرية ربت من الأمطار	تسقى بماء الديمة المدرار
	مشيئة قد شاءها الرحمن	بكفه الاعطاء والحرمان
	هذي دمشق الشام دار اللهو	فاسند حديثي عن رباها وارو
١٥	حاكت جنان الخلد عند العرض	بل قيل عنها جنة في الأرض
	بل شامة الدنيا وعين الملك	ويعرف الدينار عند السبك
	أنهارها عد النجوم الزهر	وليس الا في رياض تجري
	وكل روض في مثال الجنة	واق لاخوان الصفا كالجُنَّة
	فان ترم تفصيل ذا قم واستمع	سهل القريض أخا الذكاء الممتنع
٢٠	بعد التحيات الغزار الجمة	تهدي لخير الخلق مهدى الأمة
	وآله الأنجاد ثم الصحب	وكلهم في فضله كالسحب
	هاك استمع مني حديث الشام	دار التصابي والنعيم السامي
	قد خصها الرحمن بالأنهار	وطيب الأرواح والأزهار
	وخصها المولى بذاك الجبل	وقل أن يخلو مكان من ولي

---

(١) توفي سنة ١٢١٤ للهجرة .

فكم نبي ضمه قاسون | وكم ولي عنده مدفون
وكم صحابي بها استشهدا | وفي خبايا أرضها قد ألحدا
ودير مران على قاسون | كأنه في ملك أفريدون
وتحته تلك الرياض الغضه | وبينها الأمواه مثل الفضه
غنت بها الأطيار في الأفنان | فمالت الأغصان كالنشوان ٥
كذا الحواكير(١) التي ينساب | فيها يزيد السلسل المطياب
كم أنَّ دولاب عليه وشكى | وشاقه عهد الرياض فبكى
وقطر الدموع في الحياض | وباح بالأسرار للرياض
وقرية النخل(٢) مكان الصلَحا | فكم بها قصد نزيل نجحا
بالصالحية سميت يا صاح | بل منتدى اللذات والأفراح ١٠
تحفها القصور والجواسق | كأنها بين الربى سرادق
تظلها الأدواح كالأعلام | تزورها الأرواح للسلام
وكل طير آخذ في مغنى | وكل حزب منهم في معنى
وموكب الأزهار في المكافحة | ونافحات الطيب منها نافحة
فلو ترى الريحان بين الآس | واصفر الخيريّ كالنبراس ١٥
كذلك المنثور والسوسان | وعنده خشخاشة ألوان
وحلقه المحبوب بين الزهر | حاكت سنا الياقوت فوق النحر
وفاق عرف الطيب عرف الديك | له مقام السبق كالتمليك
للياسمين الغض عطر ذاكي | يحكي ضياء الزُهر في الأفلاك
وعنده النسرين ثم الفاغية | قد أشبها في الطيب نفح الغالية ٢٠
كذاك زهر الأرغوان الباهي | وثم عنبر بوي زهر زاهي
شقائق النعمان في الأزهار | كجلنار(٣) فاح في الأسحار
وسنبل في اللون كالفيروزج | وزنبق يزهو بوجه أبلج
ونرجس بالطل عين شكرى | باتت تناجينا بعين شهرا

---

(١) جمع حاكورة وهي في عرف أهل الشام بستان فيه أشجار التين الشوكي «الصبار ، أو البرشومي»، وقد انقرضت هذه الحواكير من على جوانب نهر يزيد بعد أن غزاها العمران ولا تزال في بعض سهول المزة .

(٢) لاتعرف الآن الا بالصالحية كما ذكرت في البيت التالي .

(٣) زهر الرمان .

وغاية الآمال زهر المضعف ... وفعله في الروض فعل القرقف
وأطيب الأزهار بعد الورد ... زهر القرنفل عطره كالند
زهر الأقاحي حقة من تبر ... كذا البهار قطعة من صفر
وعند زهر البان لذ القصف ... وطاب لي فيه الثنا والوصف
٥ وكم منادي الشوق فينا لعلع ... لدى زهور سميت باللعلع
كذلك البلسان زاكي العطر ... بالليلك أنعم ياله من زهر
ان البنفسج فضله لاينكر ... وعرفه الذاكي كذا اللينوفر(١)
وزهر أزريون في الأزهار ... يحكي عبير المسك في الأسحار
وعند مرزنجوش طاب النشر ... فلا تقل ذرين لا والشحر
١٠ ومبهم الأسما زهور شتى ... ولم أقل في وصف شيء حتى

ذكر متنزهاتها

وانظر الى السهمين والميطور ... تراها جنات بلا محظور
والنيرب الأعلى محل الأنس ... كذلك الأدنى حياة النفس
ونزهة الدنيا أراضي سطرا ... لم تلق الا روضة أو نهرا
١٥ وان تصيب جحفل الأطيار ... ومجمع الأزهار والأنهار
تمشي بها الأمواه مشي الصل(٢) ... وحليها الزهر ونقش الطل
وفرشها الياقوت والزمردُ ... وفوقها شحرورها يغرد
فكم بها روض وكم من مغنى ... طير التصابي في رباها غنَّى
وفي رياض السفح واللوان ... هبت رياح الشيح والجوذان
٢٠ والجبهة الغرا محل البسط ... وشرحة الوادي مكان الشط
واذكر رياض القصر والخلخال ... والفيجة الخضراء والسلسال
مسارح الآرام والغزلان ... معاهد للحور والولدان
محاسن الدنيا رياض الغوطة ... لما غدت في حسنها مغبوطة

---

(١) كذا في الاصل ، وصوابها « النيلوفر » ويقال : « النينوفر » ، وهو ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة لهأصل كالجزر وساق أملس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر .

(٢) الصل : الحية الخبيثة جدا .

تشقها الأنهار والخلجان ... وكل نهر منهم سيحان

وأين منها الشعب يابوان[1] ... وما حوى الخابور والميدان

ومجمع الأمواه جسر الغيضة ... وحيث ما يممت تلق روضه

ملتفة الأغصان بالأغصان ... ومرتع الأطيار والغزلان

ومنتدى الأفراح وادي الربوه ... واد حباه ربه بالحظوه ٥

تجري به الأنهار كالكواكب ... لكنها تمشي على المراتب

قد ساقها حكيمها المهندس ... وخطها فوق الرئيس الأكيس

وكلهم قد جاوز الرياضا ... وبره عليهما قد فاضا

فقسموا من بعضها أقساما ... وخصصوها للقرى سهاما

تفصيل أنهارها ١٠

أولها أصل النهور بردى ... كم شوق محرور لديه بردا

وعند ثوراها يثور الوجد ... غذاؤه القيصوم ثم الرند

كذا يزيد أطيب الأنهار ... اذ جريه في داخل الأحجار

يا طيب ماء القنوات العذب ... اذ خصصوه أهلها للشرب

وصنوه في فعله باناسُ ... نهر زها في حسنه يا ناس ١٥

يتلوه نهر اسمه الداراني ... يمشي كمشي الواله الحيران

وجدول يسمى قناة المزه ... مقامه فيهم مقام العزه

هذي النهور السبعة الأصول ... اسمع فدتك النفس ما أقول

أما أبو الأنهار زاهي البهجة ... يشق جوف الأرض تحت المرجه

المرجة الخضراء[2] ذات الشرف ... وقد زهت أكنافها بالغرف ٢٠

هو مثل السهم كالمجتاز ... حتى يرى قد شق صدر الباز

وقد جرى في ذلك الميدان ... كأنه سابور في الايوان

تضمه قناطر من جلمد ... ترنو كألحاظ الغزال الأغيد

هناك يلقى جدولا قد عذبا ... سماه أهل الشام نهر عقربا

---

(١) شعب بوان : أحد متنزهات الدنيا في بلاد العجم وقد خلده المتنبي بنونيته المشهورة .

(٢) هي الملعب البلدي الآن وأرض معرض دمشق الدولي ، وقد كانت وقفا على الحيوانات .

وبعده من للتصابي داعيه ... سموه من أنهارها بداعية
ثم المنيحي جدول كبير ... كأنه من بينهم أمير
كذاك نهر اسمه الزيديني ... يسير بين الورد والنسرين
وثم نهر اسمه الوسطاني ... ومقسم الغربي نهر ثاني
٥ يا مجمع الأحباب يا درمينا ... كم ذا بأشراك الهوى ترمينا
ويا حياة النفس نهر الماصية ... والحاجبي نهر سما في الساميه
ولست أنسى الجدول البالاني ... يسير سير الآبق الولهاني
يمشي رويدا صنوه الزابون ... كذاك نهر الملك المصون
كذا خليج اسمه الشيداني ... ونهر تل الذهب الساماني
١٠ وبيت نائم نهرها قد عظما ... وجدول يسقي أراضي حزرما
وجدول يسعى الى الغُرَيِّفه ... يمشي كخود شيق مهفهفه
وآخر يسقي رياض المتبن ... يمشي اليها كالحكيم المتقن
وللبلاليَّة خصوا جدولا ... يمشي الى صحرائها مهرولا
وما بقي يجري الى العبَّاده ... يسعى كسعي الحية المرتاده

١٥ الذي ينقسم من نهري المنيحي والداعياني

الجامعي نهر بها قد عرفا ... وراق حسنا ماؤه فوق الصفا
وجدول يسْمى بنهر البيره ... يا حسن روضات به معموره
وجدول المزاز ثم الشق ... غنت عليهم صادحات الورق
وراق ماء الجدول السلطاني ... كم سار من روض الى بستان
٢٠ وفاقه في الحسن نهر الزلف ... قد أتحفت أدواحه بالطُرف
وجدول يسعى الى الخياره ... وجريه في رونق الاماره
ولاتدع يا صاح نهر الشبَّعا ... كذا البلاطي جدول كالأفعى
كذا كليبا جدول معروف ... وعين ترما نهرها موصوف
الى كفر بطنا خليج يجري ... ونهر جسرين كذوب القطر
٢٥ وجدول يجري الى حموريا ... سقيا لأوقات مضت فيه ليا

ونهر سقبا في صفا اللجين　　　كأنه الاسفنط(١) في الدنين
والأفتريس القرية المصطاف　　　يجري اليها جدول خطاف
الزهر والأرواح في بيت سوا　　　لها خليج كالحباب اذا التوى
هذا الذي قد قسموا من بردى　　　فاسمع وكن في قولنا معتمدا
أما الذي قسمته يادارا　　　يا من تخيرت الفيافي دارا　　٥
نهر العرا والذيب والشراك　　　كذاك نهر الميلقون الذاكي
والحجر الدائر شعب خامسه　　　وجدول قد خص بالكفارسه
فقسموه عندهم يا صاح　　　يا من سناه في ضيا المصباح
نهر الكريمي ثم نهر الغربي　　　أبو عباد جدول كالقضب
وقسمت قنوات يا مسرور　　　نهر القصير حظه التصغير　　١٠
وجدول الأشعاب نهر طامي　　　يخد وجه الأرض كالصمصام
ونهر ثورا قسموه فاستمع　　　نظما حلا في الذهن ثم المسمع
أولها الأنصار نهر طافح　　　يجري ونشر الزهر منه فائح
ونهر بشر جدول سلسال　　　والماء فيه قرقف جريال
وغالب نهر سليم القلب　　　وماؤه عذب لذيذ الشرب　　١٥
كذاك نهر بالمحلات اشتهر　　　وصنوه السرداب نهر معتبر
كذلك الشباك نهر زاخر　　　كذا الفراديس الذكي العاطر
ونهر قلبين ونهر الزينبي　　　ونهر باب الثلث عذب المشرب
كذاك عليتا خليج منه　　　حديث عطر الروض يروى عنه
ومن يزيد جدول الشجريه　　　ونهر مهدي فرقة فضيه　　٢٠
فهذه الأصول بالأقسام　　　وكلها تجري على الدوام
مواهب الله العلي الأعلى　　　نالتها جلقنا فكانت أهلا

ذكر أوديتها

ولنشرع الآن بذكر الأودية　　　اللاتي لأمراض القلوب أدوية
اذ كلهم في دوحه المعطار　　　بالطيب يحكي جونة العطار　　٢٥

---

(١) الاسفنط : المطيب من عصير العنب خاصة .

تخاله يختال كالعرائس ... في حلل الديباج والأطالس
وكلهم في حسنه تياه ... تحفه الأزهار والأمواه
أولهم يا صاح وادي بردى ... واد ترى للأنس فيه مددا
تجري عليه بالدموع الأعين ... اذ قصرت عما حواه الألسن
٥ ثانيهم وادي حياة النفس ... الربوة الغنا محل الأنس
وادي المكرم عنده كيوان ... كلاهما في حسنه غمدان
بالقرب منهم وادي الجنادله ... دع عنك في أوصافه المجادله
وادي السفرجل منظر فتان ... أنهاره في وسطه غدران
وادي الحمصي صديق الروح ... كم ذا يغني طيره للدوح
١٠ واذكر محل الشطح وادي الشقرا ... فأين وادي آش أين الزهرا
يظله الشرفان من طرفيه ... يفاخر المريخ في شرفيه
وادي الصفيرا موسم اللذات ... أوقاته من أطيب الأوقات
وأشرف الوديان وادي برزه ... فيه بقاع الفضل حتى أرزه
لحرنة وادي ووادي معربا ... كلاهما عن حسنه قد أعربا
١٥ ووادي التل الرفيع القذر ... يضوع نشرا من عبير الزهر
وادي منين أنضر الوديان ... أطياره تشدو على العيدان
وادي الدريج الطيب الأرواح ... قد غص بالأمواه والأدواح
ووادي حلبون سقاه القطر ... على غنا الطير فاح العطر
ونزهة الدنيا بديع السيما ... وادي التصابي والهنا بسيما
٢٠ ووادي الخضرا محط الرحل ... كم ذا شددنا نحوه من رحل
يا صاحباي نار شوقي هيجا ... وعرجا بي نحو وادي الفيجا
وأطربا سمعي بذكر الوادي ... واد سمي يا صاح بالعراد
ونهره الطامي البهي المنظر ... وليس مرأى العين مثل المخبر
ووادي الشرق عروس الدنيا ... اذ بينهم بالحسن نال العليا

٢٥

ذكر الأعين

ونتبع الذكرى بذكر الأعين ... وقاها رب الشام شر الأعين

أشهرها في الحسن عين الصاحب ... تفوق بالمنثور نثر الصاحب
وفي صفا الراووق عين الخضرا ... ماء كذَوب الدر حاز الفخرا
كذاك عين اسمها سيافه ... وماؤها في غاية اللطافه
وأجل صدا قلبي بعين منين ... بين الربى والتين والزيتون
يا عين ذاك الروض يا فتانه ... يا من سميتي عندهم مرجانه ٥
ولا تسل عن لطف عين الكرش ... ماء قراح لؤلؤيّ الفرش
وكم جمعنا الشمل في الوراقه ... عين تراها بالصفا براقه
ياعين يا من بالزينبية عرفت ... من لي بأوقات لديك سلفت
وعند عين الشرش روض زاهي ... تأوي اليه زمر الملاهي
وانعم بعين اللذة الفضية ... قد سميت يا صاح بالرقيه ١٠
وعين قرقوز سقى عهدي بها ... كم للتصابي بعت غايات النهى
وعين أقلايا حكت بالرصف ... ضياء مرآة بروض القصف
عين حروش كالزلال الصافي ... قد أحرزت محاسن الأوصاف
فهذه العيون ذات القدر ... اذ سقيها الرياض سقي النهر
فالبعض منها قارب المدينه ... والبعض منها للقرى معونه ١٥
وما سواها صاح ليست بحصى ... ولاتروم العدّ والاستقصا
فانهض وشمر للتصابي باعا ... قد خص بالحرمان من أضاعا
فهذه الدنيا وهذا العيش ... وغير ذكر الشام عندي طيش
الا مناط العز والتمكين ... ومهبط القرآن والتبيين
واد حباه الله بالتشريف ... وخصه بالسعي والتعريف ٢٠
وعنده الأوزار حقا تطرح ... وفيه للغفران نعم المطمح
وبلدة المختار عين الملك ... حامي حمى الاسلام ماحي الشرك
قد صحت الأقوال عند السنه ... في أن فيها من رياض الجنه
ونالت العليا بخير الخلق ... وخيركم بعدي خدين الصدق
وصنوه الفاروق محي الدين ... وثالث الخلفاء ذو النورين ٢٥
هواطل الرضوان فيها تهمي ... وبالرضا والعفو أرجو ختمي

أنهارها

نهر يخرج من قرب الزبداني ؛ وآخر يخرج من صدع جبل الفيجة من نهاية أسفله ، وقد عقد على مخرج الماء منه عقد قديم يظهر أنه روماني ، ثم ترفده منافع في مجرى النهر ، ويسمى هذا الماء بنهر بردى . ثم يقسم ذلك النهر على أربعة أنهر غربية وهي : نهر داريا ، ونهر المزة ، ونهر القنوات ، ونهر بانياس ، واثنان شرقيان وهما : نهر يزيد ، ونهر ثورا ، ونهر بردى ممتد بينهم . فأما بانياس والقنوات فهما نهرا المدينة مسلطان على دورها : يدخل نهر بانياس القلعة ، ثم ينقسم قسمين: قسم للجامع الأموي ، وقسم للقلعة ، كل قسم منهما على أقسام كثيرة ، ويتفرق في المدينة بأصابع معدودة معلومة . وكذلك ينقسم نهر القنوات في المدينة ولا مدخل له في الجامع ولا في القلعة ، ويمشي الماء في قني مدفونة تحت الأرض الى أن يصل الى مستحقيها بالدور والأماكن على حسب التقسيم .

من متنزهاتها ماذكره الشيخ عبد الغني النابلسي من قصيدة :

لم أنس بالنَّوروز محفلها الذي ... بسروره قلب الحزين تعلقا

جمع الأنام أكابرا وأصاغرا ... وحوى الملاح مقرطقا وممنطقا

أيام قطع النهر وصل شملنا ... بأجبة ألفوا الخلاعة مطلقا

ومن المحال الممدوحة فيها الجنك ، وبه يقول القيراطي :

سقى الجنك(١) منهل الرباب فشوقنا ... لطيب مغاني أرضه ماله حصر

وحيا بقطر الشام أنهارها التي ... على شهدها بالدمع من مقلتي قطر

وقال الشيخ شمس الدين الأسدي من قصيدة :

وسقاك ياسطرا(٢) ومقرى(٢) صيب ... لرعوده في الزجر هطل شيق

وحباك يا أطلال جوسق واصلا ... أطراف جديا مستهل مشفق

---

(١) كتب المؤلف على الحاشية بحبر بنفسجي ما يلي : الجنك بأراضي كفرسوسة وكذا : الديلمات ، السلسال ، اللوان ، وهي من وادي البنفسج غربي دمشق .

(٢) كتب المؤلف فوقها الكلمتين التاليتين : قرية غربي الزينانية ، ماصية .

(٣) كتب المؤلف فوقها كلمة : طاحون .

جوسق وجديا هما من متنزهات الشام .

لله سرحة ذلك الـوادي الذي   قلبي يهيم به وذاك الجـوسق

ومنهـا :

والقصـر والشرفـان والميدان   والشقراء عشق للذي لايعشق

وقال الأديب محمد بن سعيد السمان من قصيدة :

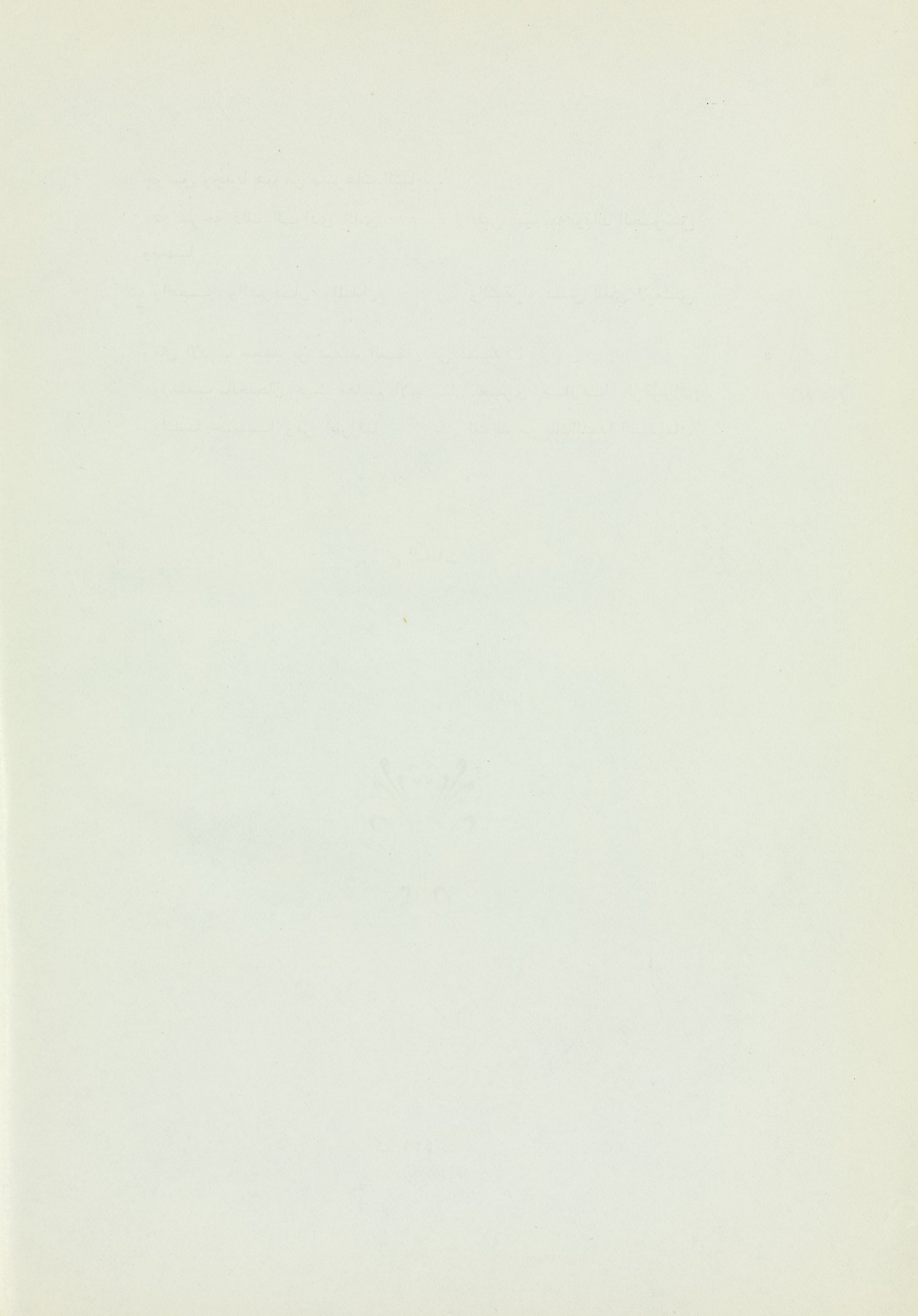
ورشفت بالخلخال حيث مقاسم الأنهـار يجـري مـاؤهـا الرقـراق

ولثمت جبهتهـا وفي أطرافها   لك لذ من تلكالشذا استنشاق

. . .

تم الكتاب





الفهارس



فهرس أقسام الكتاب الرئيسية

الفهرس العام

لكتاب منادمة الأطلال ومسامرة الخيال

القسم التاسع في الربط التي كانت بدمشق :

القسم العاشر في الزوايا :

القسم الحادي عشر في الترب:

فهرست الاماكن حسب الحروف الابجدية

فهرست بأسماء المدارس الحنفية :

فهرست بأسماء الرباطات

فهرست بأسماء الزوايا

فهرست بأسماء الترب

فهرست بأسماء الجوامع

فهرست بما كان في دمشق من المتنزهات المشهورة



فهرست بأسماء الأعلام البناة أو الواقفين والمدرسين(١)

(١) عمدنا في هذا الفهرست الى اهمال كلمة (أبو أو ابن) والاعتماد على الاسم بعدها ، الا اذا لم تكن كنية فاننا أثبتناها في حرف الهمزة ، كما أننا اعتمدنا على اللقب المشهور أكثر من اعتمادنا على الاسم فالملك العادل كتبغا أدرجناه تحت حرف العين ، والملك الاشرف موسى تحت حرف الهمزة .

فهرست بأسماء أبواب دمشق المشهورة



جدول بالخطأ والصواب

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١	١٥	الذمن	الدمن
٢	٧	أحبائك	أحباءك
٣	١٤	نبأ	نبا
٦	الهامش	محمد الخضيري	محمد الخيضري
١٣	٩	غايات النهايات	غاية النهاية (١)
١٣	١٢	مختصرة	مختصره
١٣	١٣	أفه	ألفه
٢٣	١٥	وواحد	وواحدة
٣٧	٨	ريعة	ربعة
٤٠	١٢	والقبو	والقبر
٤٢	١٢	بقى عى	بقي على
٤٣	٢٠	ورديون	وردتون
٤٤	٨	دار	داراً
٥٣	١٣	الأنر	الأثر
٦٦	الهامش	سيف دين	سيف الدين
٦٩	١٨	وتصفحت	وتصحفت
٧٤	٣	وهيثم	وجودة
٧٨	٢من الحاشية	(ربعين	أربعين
٨٧	٣من الحاشية	منشأها	منشئها
٩٧	٢	بكتمو	بكتمر
١٠٦	١٧	احدى	أحد
١٠٨	١٥	شغده	شقده
١١٣	٢٠	دارا لبطرك	دار البطرك
١١٧	٢،١	(تقدم السطر الثاني على الأول خطأ)	
١٢٥	٢٤	عليهما	عليها

(١) أورد المؤلف اسم الكتاب « غايات النهايات » والاسم الذي طبع فيه الكتاب هو « غاية النهاية مختصر نهاية الدرايات » .

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطـأ	الصواب
١٥١	٦	(سقط سطر من المطبعة) ونصه : قال الصفدي : كان أقوش هذا شافعي المذهب ، كثير الصدقة ، حسن الاعتقاد . وذلك بدل السطر السادس فهو مكرر .	
٢١٤	٧	مسعود	مسعوداً
٢١٥	١١	قامية	فامية
٢١٧	٣	أسرة	أسره
٢١٩	١٦	رعا	دعا
٢١٩	٢٤	بيمارستان	بيمارستاناً
٢٢٠	١	بغير	يغير
٢٢١	٧	فعبيها	فتبيعها
٢٢٣	٥	٥٦٩	٥٩٩
٢٢٥	٢٤	خارب	خارج
٢٣٦	١١	٧١٦ – ٧٦٩	٧٠٦ – ٧٩٥
٢٦١	٢٠	لذي	لذوي
٢٦٣	٧	لكنه خاصاً	لكنه كان خاصاً
٢٦٧	١٩	نهو	نهر
٢٦٩	١٧	يشتري بهار	يشتري بها بهار
٣٠٢	٣	باب	الباب
٣٠٦	٦	اسراج	السراج
٣٠٩	٢	« الزيارات »	« الزيادات »
٣١٢	٢	« الزيارات »	« الزيادات »
٣١٢	٨	«	«
٣٢٠	٩	أياس	اِياس
٣٣٢	٩	عشيقة	عتيقة
٣٥٤	٥	قير	قبر
٣٥٨	١٣	مايراه	مالايراه
٣٦٠	٣	الصائبيين	الصابئيين
٣٧٥	٢	تدعوا	تدعو
٢٧٦	٢٢	٦٨٧	٩٨٧

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطـأ	الصواب
٣٧٦	٢٦	الحليخاني	الخليخاني
٣٨٢	٣	الآ	الآن
٣٩٦	١	جنبتبه	جنبتيه
٣٩٨	٢١	كلما	كل ما
٤٠٠	١٦	عليّ	عليّ
٤٠١	١٣	يرقرها	يرقرقها
٤٠٣	٢٤	« ويرهب »	« ويهرب »
٤٠٥	٢٤	طربته	أطربته
٤٠٨	١٥	الوارق	الوراق





